جامع البيان
عن تأويل آي القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

تفسير الطبري

تأليف

الإمام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه في التفاسير

الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الجزء الحادي والعشرون

ضبط وتعليق

محمود شاكر الحرستاني

تصحيح

علي عاشور

دار احياء التراث العربي

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف: ٢٧٢٦٥٢ - ٢٧٢٦٥٥ - ٢٧٢٧٨٢ - ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ - ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

٢٩ ـ سورة العنكبوت

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَلا تُجادِلُوا﴾ أيها المؤمنون بالله وبرسوله اليهود والنصارى، وهم ﴿أهْلَ الكِتابِ إلاَّ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ﴾ يقول: إلاَّ بالجميل من القول، وهو الدعاء إلى الله بآياته، والتنبيه على حُججه.

وقوله: ﴿إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُمْ﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله فقال بعضهم: معناه: إلاَّ الذين أبوا أن يقرّوا لكم بإعطاء الجزية، ونصبوا دون ذلك لكم حرباً، فإنهم ظلمة، فأولئك جادلوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن سهل، قال: ثنا يزيد، عن سفيان، عن خصيف، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ إلاَّ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا منهمْ﴾ قال: من قاتل ولم يُعط الجزية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثني أبي، عن سفيان، عن خصيف، عن مجاهد، بنحوه. إلاَّ أنه قال: من قاتلك ولم يعطك الجزية.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ إلاَّ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ﴾ قال: إن قالوا شرّاً، فقولوا خيراً، ﴿إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنهُمْ﴾ فانتصروا منهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا

مِنهُمْ﴾ قال: قالوا مع الله إله، أو له ولد، أو له شريك، أو يد الله مَغْلولة، أو الله فقير، أو آذَوْا محمداً ﷺ، قال: هم أهل الكتاب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن سالم، عن سعيد **﴿وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ إلاَّ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ، إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾** قال: أهل الحرب، مَنْ لا عهد له، جادِلْه بالسيف.

وقال آخرون: معنى ذلك: **﴿وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ﴾** الذين قد آمنوا به، واتبعوا رسوله فيما أخبروكم عنه مما في كتبهم **﴿إلاَّ بالتي هِيَ أحْسَنُ، إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾**. فأقاموا على كفرهم، وقالوا: هذه الآية مُحْكَمة، وليست بمنسوخة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ إلاَّ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ﴾** قال: ليست بمنسوخة، لا ينبغي أن تجادل من آمن منهم، لعلهم يحسنون شيئاً في كتاب الله، لا تعلمه أنت، فلا تجادله، ولا ينبغي أن تجادل إلاَّ الذين ظلموا، المقيمَ منهم على دينه. فقال: هو الذي يُجادَلُ، ويُقال له بالسيف[١]. قال: وهؤلاء يهود. قال: ولم يكن بدار الهجرة من النصارى أحد، إنما كانوا يهوداً هم الذي كلَّموا وحالفوا رسول الله ﷺ، وغدرت النضير يوم أُحُد، وغدرت قُرَيظة يوم الأحزاب.

وقال آخرون: بل نزلت هذه الآية قبل أن يؤمر النبيّ ﷺ بالقتال، وقالوا: هي منسوخة نسخها قوله: **﴿قاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ باللَّهِ وَلا باليَوْمِ الآخِرِ﴾**.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله **﴿وَلا تُجادِلُوا أهْلَ الكِتابِ إلاَّ بالَّتِي هِيَ أحْسَنُ﴾** ثم نسخ بعد ذلك، فأمر بقتالهم في سورة براءة، ولا مجادلة أشدّ من السيف أن يقاتلوا حتى يشهدوا أن لا إله إلاَّ الله، وأن محمداً رسول الله ﷺ، أو يقرّوا بالخَراج.

---

(١) يقال له بالسيف: أي يرفع عليه السيف. قال في «اللسان» قول: والعرب تجعل القول عبارة عن جميع الأفعل، وتطلقه على غير الكلام و «اللسان»، فتقول: قال بيده: أي أخذ، وقال برجله: أي مشى. وقال الشاعر:

وقالت له العينان سمعاً وطاعة

أي أومأت. وقال بثوب: أي رفعه. وكل ذلك على المجاز والاتساع. وفي الأصل: ويقال له السبت»، تحريف من الناسخ.

وأولى هذه الأقوال بالصواب، قول من قال: عنى بقوله ﴿**إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾: إلاَّ الذين امتنعوا من أداء الجزية، ونصبوا دونها الحرب.

فإن قال قائل: أو غير ظالم من أهل الكتاب، إلاَّ من لم يؤدّ الجزية؟ قيل: إن جميعهم وإن كانوا لأنفسهم بكفرهم بالله، وتكذيبهم رسوله محمداً ﷺ، ظَلَمة، فإنه لم يعن بقوله ﴿**إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾ ظُلْمَ أنفسهم. وإنما عنى به: إلاَّ الذين ظلموا منهم أهل الإيمان بالله ورسوله محمد ﷺ، فإن أولئك جادلوهم بالقتال.

وإنما قلنا: ذلك أولى الأقوال فيه بالصواب، لأن الله تعالى ذكره أذِن للمؤمنين بجدال ظلمة أهل الكتاب بغير الذي هو أحسن، بقوله ﴿**إلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾ فمعلوم إذ كان قد أذن لهم في جدالهم، أن الذين لم يؤذن لهم في جدالهم إلاَّ بالتي هي أحسن، غير الذين أذن لهم بذلك فيهم، وأنهم غير المؤمن، لأن المؤمن منهم غير جائز جداله إلاَّ في غير الحقّ، لأنه إذا جاء بغير الحقّ، فقد صار في معنى الظلمة في الذي خالف فيه الحقّ. فإذ كان ذلك كذلك، تبين أن لا معنى لقول من قال: عنى بقوله ﴿**وَلا تُجادِلُوا أهلَ الكِتابِ**﴾ أهل الإيمان منهم، وكذلك لا معنى لقول من قال: نزلت هذه الآية قبل الأمر بالقتال، وزعم أنها منسوخة، لأنه لا خبر بذلك يقطع العذر، ولا دلالة على صحته من فطرة عقل.

وقد بيَّنا في غير موضع من كتابنا، أنه لا يجوز أن يحكم على حكم الله في كتابه بأنه منسوخ إلاَّ بحجة يجب التسليم لها من خبر أو عقل.

وقوله: ﴿**وَقُولُوا آمَنَّا بالَّذِي أُنْزِلَ إلَيْنا وأُنْزِلَ إلَيْكُمْ، وَإلَهُنا وإلَهُكُمْ وَاحِدٌ، ونَحنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله، الذين نهاهم أن يجادلوا أهل الكتاب إلاَّ بالتي هي أحسن: إذا حدثكم أهل الكتاب أيها القوم عن كتبهم، وأخبروكم عنها بما يمكن ويجوز أن يكونوا فيه صادقين، وأن يكونوا فيه كاذبين، ولم تعلموا أمرهم وحالهم في ذلك فقولوا لهم ﴿**آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إلَينا وأُنْزِلَ إلَيْكُمْ**﴾ مما في التوراة والإنجيل ﴿**وَإلَهُنا وإلَهُكُمْ وَاحِدٌ**﴾ يقول: ومعبودنا ومعبودكم واحد ﴿**ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**﴾ يقول: ونحن له خاضعون متذللون بالطاعة فيما أمرنا ونهانا. وبنحو الذي قلنا في ذلك، جاء الأثر عن رسول الله ﷺ. ذكر الرواية بذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عثمان بن عمر، قال: أخبرنا عليّ، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة عن أبي هريرة، قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، فيفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «لا تُصَدّقُوا أهْلَ الكِتابِ وَلا تُكَذّبُوهُمْ، وَقُولُوا آمَنَّا بالَّذِي أُنْزِلَ إلَيْنا وأُنْزِلَ إلَيْكُمْ، وَإلهُنا وإلهُكُمْ وَاحِدٌ، ونَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن سعد بن إبراهيم، عن عطاء بن يسار، قال: كان ناس من اليهود يحدثون ناساً من أصحاب النبيّ ﷺ، فقال: «لا تُصَدّقُوهُمْ وَلا تُكَذّبُوهُمْ، وَقُولُوا آمَنَّا بالَّذِي أُنْزِلَ إلَيْنا وأُنْزِلَ إلَيْكُمْ».

قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا سفيان، عن سليمان، عن عمارة بن عمير، عن حريث بن ظهير، عن عبد الله، قال: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، إما أن تكذبوا بحق أو تصدّقوا بباطل، فإنه ليس أحد من أهل الكتاب إلاّ وفي قلبه تالية تدعوه إلى دينه كتالية المال[1]. وكان مجاهد يقول في ذلك ما:

حدثني به محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**إلاّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ**﴾ قال: قالوا مع الله إله، أو له ولد، أو له شريك، أو يد الله مغلولة، أو الله فقير، أو آذوا محمداً، ﴿**وقُولُوا آمَنَّا بالَّذِي أُنْزِل إلَيْنا وأُنْزِلَ إلَيْكُمْ**﴾ لمن لم يقل هذا من أهل الكتاب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: كما أنزلنا الكتب على مَن قبلك يا محمد من الرسل ﴿**كَذلكَ أنْزَلْنا إلَيكَ**﴾ هذا ﴿**الكِتابَ، فالَّذِينَ آتَيناهُمُ الكِتابَ**﴾ من قبلك من بني إسرائيل ﴿**يُؤْمِنُونَ بِهِ، وَمِنْ هَؤْلاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ**﴾ يقول: ومن هؤلاء الذين هم بين ظهرانيك اليوم من يؤمن به كعبد الله بن سلام، ومن آمن برسوله من بني إسرائيل.

وقوله: ﴿**وَما يَجْحَدُ بآياتِنا إلاّ الكافِرُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: وما يجحد بأدلتنا وحججنا إلاّ الذي يجحد نعمنا عليه، وينكر توحيدنا وربوبيتنا على علم منه عناداً لنا. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**وَما يَجْحَدُ بآياتِنا إلاّ الكافِرُونَ**﴾ قال: إنما يكون الجحود بعد المعرفة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وَما كُنْتَ**﴾ يا محمد ﴿**تَتْلُوا**﴾ يعني تقرأ ﴿**مِنْ قَبْلِهِ**﴾ يعني من قبل هذا الكتاب الذي أنزلته إليك ﴿**مِنْ كِتَابٍ وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ**﴾ يقول: ولم تكن تكتب بيمينك، ولكنك

(١) تالية اسم فاعل من تلاه يتلوه: إذا تبعه. يريد: داعية تدعوه إلى الاستمساك بدينه. وتالية المال: لعل المراد به: التابعة التي تتبع أماتها من صغار الإبل ونحوها.

كنت أمِّيًّا ﴿إذاً لارْتابَ المُبْطِلُونَ﴾ يقول: ولو كنت من قبل أن يُوحَى إليك تقرأ الكتاب، أو تخطه بيمينك، إذن لارتاب: يقول: إذن لشكّ بسبب ذلك في أمرك، وما جئتهم به من عند ربك من هذا الكتاب الذي تتلوه عليهم المبطلون القائلون إنه سجع وكهانة، وإنه أساطير الأوّلين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿وَما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ، وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إذاً لارْتابَ المُبْطِلُونَ﴾ قال: كان نبيّ الله ﷺ أمّياً لا يقرأ شيئاً ولا يكتب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله ﴿وَما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ، وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ قال: كان نبيّ الله لا يقرأ كتاباً قبله، ولا يخطه بيمينه قال: كان أُمّياً، والأميّ: الذي لا يكتب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أسامة، عن إدريس الأودي، عن الحكم، عن مجاهد ﴿وَما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ، وَلا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾ قال: كان أهل الكتاب يجدون في كتبهم أن النبيّ ﷺ لا يخطّ بيمينه، ولا يقرأ كتاباً، فنزلت هذه الآية.

وبنحو الذي قلنا أيضاً في قوله ﴿إذاً لارْتابَ المُبْطِلُونَ﴾ قالوا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿إذاً لارْتابَ المُبْطِلُونَ﴾ إذن لقالوا: إنما هذا شيء تعلّمه محمد ﷺ وكتبه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله ﴿إذاً لارْتابَ المُبْطِلُون﴾ قال قريش.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله: ﴿بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ﴾ فقال بعضهم: عنى به نبيّ الله ﷺ، وقالوا: معنى الكلام: بل وجود أهل الكتاب في كتبهم أن

محمداً ﷺ لا يكتب ولا يقرأ، وأنه أميّ، آيات بينات في صدورهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿**بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ**﴾ قال: كان الله تعالى أنزل شأن محمد ﷺ في التوراة والإنجيل لأهل العلم وعلمه لهم، وجعله لهم آية، فقال لهم: إن آية نبوّته أن يخرج حين يخرج لا يعلم كتاباً، ولا يخطه بيمينه، وهي الآيات البينات.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿**وَما كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتابٍ**﴾ قال: كان نبيّ الله لا يكتب ولا يقرأ، وكذلك جعل الله نعته في التوراة والإنجيل، أنه نبيّ أميّ لا يقرأ ولا يكتب، وهي الآية البينة في صدور الذين أوتوا العلم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ**﴾ من أهل الكتاب صدّقوا بمحمد ونعته ونبوّته.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، ﴿**بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ**﴾ قال: أنزل الله شأن محمد في التوراة والإنجيل لأهل العلم، بل هو آية بينة في صدور الذين أوتوا العلم، يقول: النبيّ ﷺ.

وقال آخرون: عنى بذلك القرآن، وقالوا: معنى الكلام: بل هذا القرآن آيات بيِّنات في صدور الذين أوتوا العلم من المؤمنين بمحمد ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، قال: قال الحسن، في قوله: ﴿**بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ**﴾ القرآن آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم، يعني المؤمنين.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بذلك: بل العلم بأنك ما كنت تتلو من قبل هذا الكتاب كتاباً، ولا تخطه بيمينك، آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب.

وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالآية، لأن قوله: ﴿**بَلْ هُوَ آياتٌ بَيِّناتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ**﴾ بين خبرين من أخبار الله عن رسوله محمد ﷺ، فهو بأن يكون خبراً عنه أولى من أن يكون خبراً عن الكتاب الذي قد انقضى الخبر عنه قبل.

وقوله: ﴿**وَما يَجْحَدُ بآياتِنا إلاَّ الظَّالِمُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: ما يجحد نبوّة محمد ﷺ وأدلته، ويُنكر العلم الذي يعلم من كتب الله التي أنزلها على أنبيائه، ببعث محمد ﷺ ونبوّته ومبعثه إلاَّ الظالمون، يعني الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم بالله عزّ وجلّ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٥٠﴾.

يقول تعالى ذكره: وقالت المشركون من قريش: هلا أنزل على محمد آية من ربه تكون حجة لله علينا كما جعلت الناقة لصالح، والمائدة آية لعيسى، قل يا محمد، إنما الآيات عند الله لا يقدر على الإتيان بها غيره ﴿**وَإنـمَا أنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ**﴾ وإنما أنا نذير لكم أنذركم بأس الله وعقابه على كفركم برسوله. وما جاءكم به من عند ربكم ﴿**مبين**﴾ يقول: قد أبان لكم إنذاره.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾.

يقول تعالى ذكره: أو لـم يكف هؤلاء المشركين يا محمد، القائلين: لولا أنزل على محمد ﷺ آية من ربه، من الآيات والحجج ﴿**أنَّا أنْزَلْنا عَلَيْكَ**﴾ هذا ﴿**الكِتابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ**﴾ يقول: يُقرأ عليهم ﴿**إنَّ فِي ذلكَ لَرَحْمَةً**﴾ يقول: إن في هذا الكتاب الذي أنزلنا عليهم لرحمة للمؤمنين به وذكرى يتذكرون بما فيه من عبرة وعظة.

وذُكر أن هذه الآية نزلت من أجل أن قوماً من أصحاب رسول الله ﷺ انتسخوا شيئاً من بعض كتب أهل الكتاب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن عمرو بن دينار، عن يحيى بن جعدة أن ناساً من المسلمين أتوا نبيّ الله ﷺ بكتب قد كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود، فلما أن نظر فيها ألقاها، ثم قال: «كفى بها حماقة قوم، أو ضلالة قوم، أن يرغبوا عما جاءهم به نبيهم، إلى ما جاء به غير نبيهم إلى قوم غيرهم»، فنزلت: ﴿**أوَ لَـمْ يَكْفِهِمْ أنَّا أنْزَلْنا عَلَـيْكَ الكِتابَ يُتْلَى عَلَـيْهِمْ إنَّ فِي ذلكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْم يُؤْمِنُونَ**﴾. القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (٥٢)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد للقائلين لك: لولا أنزل عليك آية من ربك، الجاحدين بآياتنا من قومك: كفى الله يا هؤلاء بيني وبينكم شاهداً لي وعليّ، لأنه يعلم المحقّ منا من المبطل، ويعلم ما في السموات وما في الأرض، لا يخفى عليه شيء فيهما، وهو المجازي كل فريق منا بما هو أهله، المحقّ على ثباته على الحقّ، والمبطل على باطله، بما هو أهله ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بالباطِلِ**﴾ يقول: صدّقوا بالشرك، فأقرّوا به وكفروا به. يقول: وجحدوا الله ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ**﴾ يقول: هم المغبونون في صفقتهم. وبنحو الذي قلنا في قوله ﴿**والَّذِينَ آمَنُوا بالباطِلِ**﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بالباطِلِ**﴾: الشرك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٥٣)﴾.

يقول تعالى ذكره: ويستعجلك يا محمد هؤلاء القائلون من قومك: لولا أنزل عليه آية من ربه بالعذاب، ويقولون: ﴿**اللَّهُمَّ إنْ كانَ هَذا هُوَ الحَقَّ مِن عِنْدِكَ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ**﴾ ولولا أجل سميته لهم فلا أهلكهم حتى يستوفوه ويبلغوه، لجاءهم العذاب عاجلاً. وقوله: ﴿**وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**﴾ يقول: وليأتينهم العذاب فجأة وهم لا يشعرون بوقت مجيئه قبل مجيئه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله ﴿**وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بالعَذَابِ**﴾ قال: قال ناس من جهلة هذه الأمة ﴿**اللَّهُمَّ إنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِن عِنْدِكَ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أوِ ائْتِنا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ...**﴾ الآية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ (٥٤)﴾.

يقول تعالى ذكره: يستعجلكَ يا محمد هؤلاء المشركون بمجيء العذاب ونزوله بهم، والنار بهم محيطة لم يبق إلاَّ أن يدخلوها. وقيل: إن ذلك هو البحر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك، قال: سمعت عكرِمة يقول في هذه الآية ﴿**وَإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بالكافِرينَ**﴾ قال: البحر.

أخبرنا ابن وكيع، قال: ثنا غندر، عن شعبة، عن سماك، عن عكرِمة، مثله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وَإنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بالكافِرينَ**﴾ يوم يغشى الكافرين العذاب من فوقهم في جهنم، ومن تحت أرجلهم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**يَوْمَ يَغْشاهُمُ العَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أرْجُلِهِمْ**﴾: أي في النار.

وقوله: ﴿**وَيَقُولُ ذُوقُوا ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: ويقول الله لهم: ذوقوا ما كنتم تعملون في الدنيا من معاصي الله، وما يسخطه فيها. وبالياء في ﴿**ويقول ذُوقُوا**﴾ قرأت عامة قرّاء الأمصار خلا أبي جعفر، وأبي عمرو، فإنهما قرآ ذلك بالنون: «وَنَقُولُ». والقراءة التي هي القراءة عندنا بالياء لإجماع الحجة من القرّاء عليها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من عباده: يا عبادي الذين وحّدوني وآمنوا بي وبرسولي محمد ﷺ ﴿**إنَّ أرْضِي وَاسِعَةٌ**﴾.

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي أريد من الخبر عن سعة الأرض، فقال بعضهم: أريد بذلك أنها لم تضق عليكم فتقيموا بموضع منها لا يحلّ لكم المُقام فيه، ولكن إذا عمل بمكان منها بمعاصي الله فلم تقدروا على تغييره، فاهرُبوا منه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن سعيد بن جبير، في قوله: ﴿**إنَّ أرْضِي وَاسِعَةٌ**﴾ قال: إذا عمِل فيها بالمعاصي، فاخرج منها.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن سعيد بن جُبَير، في قوله ﴿**إنَّ أرْضِي وَاسِعَةٌ**﴾ قال: إذا عمل فيها بالمعاصي، فاخرج منها.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن ليث، عن رجل، عن سعيد بن جُبَير، قال: اهرُبوا فإن أرضي واسعة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن شريك، عن منصور، عن عطاء، قال: إذا أمِرتم بالمعاصي فاهرُبوا، فإن أرضي واسعة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا شريك، عن منصور، عن عطاء ﴿**إنَّ أرْضِي وَاسِعَةٌ**﴾ قال: مجانبة أهل المعاصي.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله ﴿**إنَّ أرْضِي وَاسِعَةٌ**﴾، فهاجروا وجاهدوا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله ﴿**يا عِبادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ أرْضِي وَاسِعَةٌ فإيَّايَ فاعْبُدُونِ**﴾ فقلت: يريد بهذا من كان بمكة من المؤمنين، فقال: نعم.

وقال آخرون: معنى ذلك: إن ما أخرج من أرضي لكم من الرزق واسع لكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثني زيد بن الحباب، عن شدّاد بن سعيد بن مالك أبي طلحة الراسبي عن غَيْلان بن جرير المِعْولي، عن مطرِّف بن عبد الله بن الشِّخّير العامري، في قول الله: ﴿**إنَّ أرْضِي وَاسِعَةٌ**﴾: قال: إن رزقي لكم واسع.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا زيد بن حباب، عن شدّاد، عن غَيلان بن جرير، عن مُطَرِّف بن الشِّخِّير ﴿**إنَّ أرْضِي وَاسِعَةٌ**﴾ قال: رزقي لكم واسع.

وأولى القولين بتأويل الآية قول من قال: معنى ذلك: إن أرضي واسعة، فاهربوا ممن منعكم من العمل بطاعتي لدلالة قوله ﴿**فإيَّايَ فاعْبُدُونِ**﴾ على ذلك، وأن ذلك هو أظهر معنييه، وذلك أن الأرض إذا وصفها بِسعَة، فالغالب من وصفه إياها بذلك، أنها لا تضيق جميعها على من ضاق عليه منها موضع، لا أنه وصفها بكثرة الخير والخصب.

وقوله: ﴿**فإيَّايَ فاعْبُدُونِ**﴾ يقول: فأخلِصوا إلى عبادتكم وطاعتكم، ولا تطيعوا في معصيتي أحداً من خلقي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب نبيه: هاجِرُوا من أرض الشرك من مكة، إلى أرض الإسلام المدينة، فإن أرضي واسعة، فاصبروا على عبادتي، وأخلِصوا طاعتي، فإنكم ميتون، وصائرون إليّ، لأن كل نفس حية ذائقة الموت، ثم إلينا بعد الموت تُرَدّون. ثم أخبرهم جلّ ثناؤه عما أعدّ للصابرين منهم على طاعته، من كرامته عنده، فقال: **﴿والَّذين آمنوا﴾**، يعني صدّقوا الله ورسوله، فيما جاء به من عند الله، **﴿وعَمِلوا الصَّالِحاتِ﴾**: يقول: وعملوا بما أمرهم الله فأطاعوه فيه، وانتهوا عما نهاهم عنه **﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الجَنَّةِ غُرَفاً﴾** يقول: لننزلنهم من الجنة عَلاليّ.

واختلفت القُرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: **﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾** بالباء وقرأته عامة قرّاء الكوفة بالثاء: «لَنُثْوِيَنَّهُمْ».

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القُرّاء، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، وذلك أن قوله: **﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ﴾** من بوأته منزلاً: أي أنزلته، وكذلك لنُثْوينهم إنما هو من أثويته مَسْكَناً إذا أنزلته منزلاً، من الثواء، وهو المُقام.

وقوله: **﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهارُ﴾** يقول: تجرى من تحت أشجارها الأنهار. **﴿خالِدِينَ فِيها﴾** يقول: ماكثين فيها إلى غير نهاية **﴿نِعْمَ أجْرُ العامِلِينَ﴾** يقول: نعم جزاء العاملين بطاعة الله هذه الغرفُ التي يُثْوِيهُمُوها الله في جَنّاته، تجري من تحتها الأنهار، الذين صبروا على أذى المشركين في الدنيا، وما كانوا يَلْقون منهم، وعلى العمل بطاعة الله وما يرضيه، وجهاد أعدائه **﴿وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾** في أرزاقهم وجهاد أعدائهم، فلا يَنْكُلون عنهم ثقة منهم بأن الله مُعْلِي كلمته، ومُوهِن كيد الكافرين، وأن ما قُسم لهم من الرزق فلن يَفُوتَهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به، وبرسوله من أصحاب محمد ﷺ: هاجروا وجاهدوا في الله

أيها المؤمنون أعداءه، ولا تخافوا عيلة ولا إقتاراً، فكم من دابة ذات حاجة إلى غذاء ومطعم ومشرب لا تحمل رزقها، يعني غذاءها لا تحمله، فترفعه في يومها لغدها لعجزها عن ذلك ﴿**اللَّهُ يَرْزُقُها وَإِيَّاكُمْ**﴾ يوماً بيوم ﴿**وَهُوَ السَّمِيعُ**﴾ لأقوالكم: نخشى بفراقنا أوطاننا العَيْلة ﴿**العَلِيمُ**﴾ ما في أنفسكم، وما إليه صائر أمركم، وأمر عدوّكم من إذلال الله إياهم، ونُصْرتكم عليهم، وغير ذلك من أموركم، لا يخفى عليه شيء من أمور خلقه. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وكأيِّنْ مِنْ دابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَها**﴾ قال: الطيرُ والبهائم لا تحمل الرزق.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت عِمران، عن أبي مُجلِّز في هذه الآية ﴿**وكأيِّنْ مِنْ دابَّةٍ لا تَحْمِلُ رِزْقَها، اللَّهُ يَرْزُقُها وَإِيَّاكُمْ**﴾ قال: من الدوابّ ما لا يستطيع أن يدّخر لغد، يُوَفَّق لرزقه كلّ يوم حتى يموت.

حدثنا ابن وكيع قال: ثنا يحيى بن يمان، عن سفيان، عن علي بن الأقمر ﴿**وكأيِّنْ مِنْ دابَّة لا تَحْمِلُ رِزْقَها**﴾ قال: لا تدّخر شيئاً لغد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من خلق السموات والأرض فَسَوّاهن، وسخَّر الشمس والقمر لعباده، يجريان دائبين لمصالح خلق الله، ليقولنّ الذي خلق ذلك وفَعَلَه الله ﴿**فأنّى يُؤْفَكُونَ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: فأنى يُصْرفون عمن صنع ذلك، فيعدلون عن إخلاص العبادة له. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**فأنّى يُؤْفَكُونَ**﴾: أي يعدلون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: الله يوسع من رزقه لمن يشاء من خلقه، ويضيق فيُقتِّر لمن يشاء منهم.

يقول: فأرزاقكم وقسمتها بينكم أيها الناس بيدي دون كل أحد سواي أبسط لمن شئت منها، وأقتر على من شئت، فلا يخلفنكم عن الهجرة وجهاد عدوّكم خوف العيلة ﴿**إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ يقول: إن الله عليم بمصالحكم، ومن لا يصلُح له إلاَّ البسط في الرزق، ومن لا يصلح له إلاَّ التقتير عليه، وهو عالم بذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك من نزل من السماء ماء، وهو المطر الذي ينزله الله من السحاب ﴿**فأحْيا بِهِ الأرْضِ**﴾ يقول: فأحيا بالماء الذي نزل من السماء الأرض، وإحياؤها: إنباتُه النباتَ فيها ﴿**منْ بعدِ مَوْتها**﴾ من بعد جدوبها وقحوطها.

وقوله: ﴿**لَيَقُولُنَّ اللّهُ**﴾ يقول: ليقولنّ الذي فعل ذلك الله الذي له عبادة كل شيء. وقوله: ﴿**قُلِ الحَمْدُ لِلّهِ**﴾ يقول: وإذا قالوا ذلك، فقل الحمد لله ﴿**بَلْ أكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ**﴾ يقول: بل أكثر هؤلاء المشركين بالله لا يعقلون مالهم فيه النفع من أمر دينهم، وما فيه الضرّ، فهم لجهلهم يحسِبون أنهم لعبادتهم الآلهة دون الله، ينالون بها عند الله زُلْفة وقربة، ولا يعلمون أنهم بذلك هالكون مستوجبون الخلود في النار.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وَما هَذِهِ الحَياةُ الدُّنْيا**﴾ التي يتمتع منها هؤلاء المشركون ﴿**إلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ**﴾ يقول: إلاَّ تعليل النفوس بما تلتذّ به، ثم هو مُنْقَضٍ عن قريب، لا بقاء له ولا دوام ﴿**وإنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ**﴾ يقول: وإن الدار الآخرة لفيها الحياة الدائمة التي لا زوال لها ولا انقطاع ولا موت معها. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَإنَّ الدَّارَ الآخِرَةِ لَهِيَ الحَيَوَانُ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ حياة لا موت فيها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿**لَهِيَ الحَيَوَانُ**﴾ قال: لا موتَ فيها.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله ﴿**وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الحَيَوَانُ**﴾ يقول: باقية.

وقوله: ﴿**لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ**﴾ يقول: لو كان هؤلاء المشركون يعلمون أن ذلك كذلك، لقَصَّروا عن تكذيبهم بالله، وإشراكهم غيره في عبادته، ولكنهم لا يعلمون ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فإذا ركب هؤلاء المشركون السفينة في البحر، فخافوا الغرق والهلاك فيه ﴿**دَعُوا اللّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ يقول: أخلصوا لله عند الشدّة التي نزلت بهم التوحيد، وأفردوا له الطاعة، وأذعنوا له بالعبودة، ولم يستغيثوا بآلهتهم وأندادهم، ولكن بالله الذي خلقهم ﴿**فلَمَّا نَجَّاهُمْ إلى البَرّ**﴾ يقول: فلما خلصهم مما كانوا فيه وسلَّمهم، فصاروا إلى البرّ إذا هم يجعلون مع الله شريكاً في عبادتهم، ويدعون الآلهة والأوثان معه أرباباً.

القول في تأويل قوله تعالى:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فَلَمَّا نجّيهُمْ إلى البَرَّ إذَا هُمْ يُشرِكُونَ**﴾ فالخلق كلهم يقرّون لله أنه ربهم، ثم يشركون بعد ذلك.

﴿لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما نجى الله هؤلاء المشركين مما كانوا فيه في البحر من الخوف والحذر من الغرق إلى البرّ إذا هم بعد أن صاروا إلى البرّ يشركون بالله الآلهة والأنداد ﴿**لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْناهُمْ**﴾ يقول: ليجحدوا نعمة الله التي أنعمها عليهم في أنفسهم وأموالهم.

﴿**وَلِيَتَمَتَّعُوا**﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: ﴿**وَلِيَتَمَتَّعُوا**﴾ بكسر اللام، بمعنى: وكي يتمتعوا آتيناهم ذلك. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين: ﴿**وَلْيَتَمَتَّعُوا**﴾ بسكون اللام على وجه الوعيد والتوبيخ: أي اكفروا فإنكم سوف تعلمون ماذا يَلْقون من عذاب الله بكفرهم به.

وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب، قراءة من قرأه بسكون اللام على وجه التهديد والوعيد، وذلك أن الذين قرءوه بكسر اللام زعموا أنهم إنما اختاروا كسرها عطفاً بها على اللام التي في قوله: ﴿لِيَكْفُرُوا﴾، وأن قوله ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ لما كان معناه: كي يكفروا كان الصواب في قوله ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ أن يكون: وكي يتمتعوا، إذ كان عطفاً على قوله: ليكفروا عندهم، وليس الذي ذهبوا من ذلك بمذهب، وذلك لأن لام قوله ﴿لِيَكْفُرُوا﴾ صلُحت أن تكون بمعنى كي، لأنها شرط لقوله: إذا هم يشركون بالله كي يكفروا بما آتيناهم من النعم، وليس ذلك كذلك في قوله ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ لأن إشراكهم بالله كان كفراً بنعمته، وليس إشراكهم به تمتعاً بالدنيا، وإن كان الإشراك به يسهل لهم سبيل التمتع بها فإذ كان ذلك كذلك فتوجيهه إلى معنى الوعيد أولى وأحقّ من توجيهه إلى معنى: وكي يتمتعوا. وبعد فقد ذكر أن ذلك في قراءة أُبيّ: «وتَمَتَّعُوا» وذلك دليل على صحة من قرأه بسكون اللام بمعنى الوعيد.

وقوله: ﴿أوَ لَمْ يَرَوْا أنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِناً﴾ يقول تعالى ذكره مذكراً هؤلاء المشركين من قريش، القائلين: لولا أنزل عليه آية من ربه، نِعْمَتَه عليهم التي خصهم بها دون سائر الناس غيرهم مع كفرهم بنعمته وإشراكهم في عبادته الآلهة والأنداد: أو لم ير هؤلاء المشركون من قريش، ما خصصناهم به من نعمتنا عليهم دون سائر عبادنا، فيشكرونا على ذلك، وينزجروا عن كفرهم بنا، وإشراكهم ما لا ينفعنا ولا يضرّهم في عبادتنا أنا جعلنا بلدهم حرماً، حرّمنا على الناس أن يدخلوه بغارة أو حرب، آمناً، يأمن فيه من سكنه، فأوى إليه من السباء والخوف والحرام الذي لا يأمنه غيرهم من الناس ﴿وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ يقول: وتُسْلَب الناس من حولهم قتلاً وسباء. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، في قوله ﴿أو لَمْ يَرَوْا أنَّا جَعَلْنا حَرَماً آمِنا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ قال: كان لهم في ذلك آية أن الناس يُغزَون ويُتَخطَّفون وهم آمنون.

وقوله: ﴿أفَبالباطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: أفبالشرك بالله يقرّون بألوهة الأوثان بأن يصدّقوا، وبنعمة الله التي خصهم بها من أن جعل بلدهم حرماً آمناً يكفرون، يعني بقوله «يكفرون»: يجحدون. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله ﴿أفَبالْباطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾: أي بالشرك ﴿وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾: أي يجحدون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن أظلم أيها الناس ممن اختلق على الله كذباً، فقالوا إذا فعلوا فاحشة: وجدنا عليها آباءنا، والله أمرنا بها، والله لا يأمر بالفحشاء **﴿أوْ كَذَّبَ بالحَقّ لَمَّا جاءَهُ﴾** يقول: أو كذّب بما بعث الله به رسوله محمداً ﷺ من توحيده، والبراءة من الآلهة والأنداد لما جاءه هذا الحقّ من عند الله **﴿ألَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى للْكافِرِينَ﴾** يقول: أليس في النار مَثْوًى ومَسْكَن لمن كفر بالله، وجحد توحيده وكذّب رسوله ﷺ وهذا تقرير، وليس باستفهام، إنما هو كقول جرير:

ألَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا ... وأنْدَى العالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ[1]

إنما أخبر أن للكافرين بالله مَسْكَناً في النار، ومنزلاً يَثْوُون فيه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: والذين قاتلوا هؤلاء المفترين على الله كذباً من كفار قريش، المكذّبين بالحقّ لما جاءهم فينا، مُبتغين بقتالهم علوّ كلمتنا، ونُصرة ديننا **﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا﴾** يقول: لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة، وذلك إصابة دين الله الذي هو الإسلام الذي بعث الله به محمداً ﷺ **﴿وَإنَّ اللّهَ لَمَعَ المُحْسِنِينَ﴾** يقول: وإن الله لمع من أحسن من خلقه، فجاهد فيه أهل الشرك، مُصَدّقاً رسوله فيما جاء به من عند الله بالعون له، والنصرة على من جاهد من أعدائه. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله **﴿والَّذِينَ جاهَدُوا فِينا﴾** قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله **﴿وَالَّذِينَ جاهَدُوا فِينا﴾** فقلت له: قاتلوا فينا، قال: نعم.

آخر تفسير سورة العنكبوت

(١) البيت لجرير بن عطية بن الخطفي، من قصيدة يمدح بها عبد الملك بن مروان (ديوانه طبعة الصاوي بالقاهرة ص - ٩٨) والمطايا: جمع مطية، وهي الإبل يركب مطاها، أي ظهرها في الأسفار. والراح: جمع راحة اليد والبيت شاهد عند المؤلف وعند أبي عبيدة على أن المراد بالاستفهام فيه التقرير، لا حقيقة الاستفهام. والتقرير: حمل المخاطب على أن يتقرر بالمسؤول عنه ويعترف به. قال أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» الورقة (١٨٦) عند قوله تعالى: ﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾ مجازه مجاز الإيجاب، لأن هذه الألف تكون للاستفهام والأيجاب، فهي هاهنا للإيجاب. وقال جرير: «ألستم... البيت»، فهذا لم يشك، ولكن أوجب لهم أنهم كذلك، ولولا ذلك ما أثابوه، والرجل يعاتب عبده ويقول: أفعلت كذا؟ وهو لا يشك. ويروي أن عبد الملك لما سمع هذا البيت أجابه بقوله: نعم نحن كذلك.

٣٠ ـ سورة الروم مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾.

قال أبو جعفر: قد بيَّنا فيما مضى قبلُ معنى قوله ﴿الم﴾ وذكرنا ما فيه من أقوال أهل التأويل، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿**غُلِبَتِ الرُّومِ فِي أدْنَى الأرْضِ**﴾ اختلفت القرّاء في قراءته، فقرأته عامة قرّاء الأمصار: ﴿**غُلِبَتِ الرُّومُ**﴾ بضمّ الغين، بمعنى: أن فارس غَلَبت الروم. وروي عن ابن عمر وأبي سعيد في ذلك ما:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثني أبي، عن الحسن الجفريّ، عن سليط، قال: سمعت ابن عمر يقرأ «الم غَلَبَتِ الرُّومُ» فقيل له: يا أبا عبد الرحمن، على أيّ شيء غَلَبوا؟ قال: على ريف الشام.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا الذي لا يجوز غيره ﴿**الم غُلِبَتِ الرُّومُ**﴾ بضم الغين، لإجماع الحجة من القرّاء عليه. فإذ كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: غلبت فارس الروم ﴿**فِي أدْنَى الأرْضِ**﴾ من أرض الشام إلى أرض فارس ﴿**وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ**﴾ يقول: والروم من بعد غلبة فارس إياهم ﴿**سَيَغْلِبُونَ**﴾ فارس ﴿**فِي بِضْعِ سِنِينَ لله الأمْرُ مِنْ قَبْلُ**﴾ غلبتهم فارس ﴿**وَمِنْ بَعْدُ**﴾ غلبتهم إياها، يقضي في خلقه ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويظهر من شاء منهم على من أحبّ إظهاره عليه ﴿**وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللّهِ**﴾ يقول: ويوم يغلِب الروم فارس يفرح المؤمنون بالله ورسوله بنصر الله إياهم على المشركين، ونُصْرة الروم على فارس ﴿**يَنْصُرُ**﴾ اللّهُ تعالى ذكره ﴿**مَنْ يَشاءُ**﴾ من خلقه، على من يشاء، وهو نُصرة المؤمنين على المشركين ببدر ﴿**وَهُوَ العَزِيزُ**﴾ يقول: والله الشديد في انتقامه من أعدائه، لا يمنعه من ذلك مانع، ولا يحول بينه

وبينه حائل ﴿الرَّحِيمُ﴾ بمن تاب من خلقه، وراجع طاعته أن يعذّبه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن سعيد، أو سعيد الثعلبي الذي يقال له أبو سعد من أهل طَرَسُوس، قال: ثنا أبو إسحاق الفزاري، عن سفيان بن سعيد الثوري، عن حبيب بن أبي عَمرة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، قال: كان المسلمون يُحبون أن تغلب الرومُ أهل الكتاب، وكان المشركون يحبون أن يغلب أهل فارس، لأنهم أهل الأوثان، قال: فذكروا ذلك لأبي بكر، فذكره أبو بكر للنبيّ ﷺ فقال: «أما إنهُمْ سَيُهْزَمُونَ»، قال: فذكر ذلك أبو بكر للمشركين، قال: فقالوا: أفنجعل بيننا وبينكم أجلاً، فإن غلبوا كان لك كذا وكذا، وإن غلبنا كان لنا كذا وكذا قال: فجعلوا بينهم وبينه أجلاً خمس سنين، قال: فمضت فلم يُغلَبوا قال: فذكر ذلك أبو بكر للنبيّ ﷺ، فقال له: «أفَلا جَعَلْتَهُ دُونَ العَشْرِ»، قال سعيد: والبِضْع ما دون العشر، قال: فَغَلَبَ الروم، ثم غلبت قال: فذلك قوله: ﴿الم غُلِبَت الرُّومُ فِي أدْنَى الأرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ قال: البضع: ما دون العشر ﴿لِلّه الأمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللّهِ﴾ قال سفيان: فبلغني أنهم غلبوا يوم بدر.

حدثني زكريا بن يحيى بن أبان المصري، قال: ثنا موسى بن هارون البرديّ، قال: ثنا معن بن عيسى، قال: ثنا عبد الله بن عبد الرحمن، عن ابن شهاب، عن عبيد الله، عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أدْنَى الأرْض...﴾ الآية، ناحب أبو بكر قريشاً، ثم أتى النبيّ ﷺ، فقال له: إني قد ناحبتهم، فقال له النبيّ ﷺ: «هَلاَّ احْتَطْتَّ فإنَّ البِضْعَ ما بينَ الثلاثِ إلى التِّسْع». قال الجمحي: المناحبة: المراهنة، وذلك قبل أن يكون تحريم ذلك.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿آلم غُلِبَتِ الرُّومُ...﴾ إلى قوله ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللّهِ﴾ قال: قد مضى كان ذلك في أهل فارس والروم، وكانت فارس قد غلبتهم، ثم غلبت الروم بعد ذلك، ولقي نبيّ الله ﷺ مشركي العرب، يوم التقت الروم وفارس، فنصر الله النبيّ ﷺ ومن معه من المسلمين على مشركي العرب، ونصر أهل الكتاب على مشركي العجم، ففرح المؤمنون بنصر الله إياهم ونصر أهل الكتاب على العجم. قال عطية: فسألت أبا سعيد الخدريّ عن ذلك، فقال: التقينا مع محمد رسول الله ﷺ ومشركي العرب، والتقت الروم وفارس، فنصرنا الله على مشركي العرب، ونصر الله أهل الكتاب على المجوس، ففرحنا بنصر الله إيانا على المشركين، وفرحنا بنصر الله أهل الكتاب على المجوس، فذلك قوله ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ المُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللّهِ.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله ﴿الٓمٓ. غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ غلبتهم فارس، ثم غلبت الروم.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، قال: قال عبد الله: خمس قد مضين: الدخان، واللزام، والبطشة، والقمر، والروم.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر، عن ابن مسعود، قال: قد مضى ﴿الٓمٓ غُلِبَت الرُّومُ﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ. . .﴾ إلى قوله ﴿أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ قال: ذَكَر غَلَبة فارس إياهم، وإدالة الروم على فارس، وفرح المؤمنون بنصر الروم أهل الكتاب على فارس من أهل الأوثان.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي بكر بن عبد الله، عن عكرِمة، أن الروم وفارس اقتتلوا في أدنى الأرض، قالوا: وأدنى الأرض يومئذٍ أَذْرِعات، بها التقَوا، فهُزِمت الروم فبلغ ذلك النبي ﷺ وأصحابه وهم بمكة، فشقَّ ذلك عليهم وكان النبي ﷺ يكره أن يظهر الأميُّون من المجوس على أهل الكتاب من الروم، ففرح الكفار بمكة وشمتوا، فلقوا أصحاب النبيّ ﷺ، فقالوا: إنكم أهل الكتاب، والنصارى أهل كتابَ، ونحن أُمِّيُّون، وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرنّ عليكم، فأنزل الله ﴿الٓمٓ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ. . .﴾ الآيات، فخرج أبو بكر الصدّيق إلى الكفّار، فقال: أفرحتم بظهور إخوانكم على إخواننا؟ فلا تفرحوا، ولا يقرّنّ الله أعينكم، فوالله ليظهرنّ الروم على فارس، أخبرنا بذلك نبينا ﷺ، فقام إليه أُبيّ بن خلف، فقال: كذبت يا أبا فضيل، فقال له أبو بكر رضي الله عنه: أنت أكذب يا عدوّ الله، فقال: أناحبك عشر قلائص مني، وعشر قلائص منك، فإن ظهرت الروم على فارس غرمتُ، وإن ظهرت فارس على الروم غرمتَ إلى ثلاث سنين ثم جاء أبو بكر إلى النبيّ ﷺ فأخبره، فقال: «ما هَكَذَا ذَكَرْتُ، إنَّمَا البِضْعُ ما بينَ الثَّلاثِ إلى التِّسْعِ، فَزَايِدْهُ فِي الخَطَرِ، وماده فِي الأَجَلِ». فخرج أبو بكر فلقي أُبيًّا، فقال: لعلك ندمت، فقال: لا، فقال: أزايدك في الخطر، وأمادّك في الأجل، فاجعلها مئة قلوص لمئة قلوص إلى تسع سنين، قال: قد فعلت.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال ثني حجاج، عن أبي بكر، عن عكرِمة، قال: كانت في فارس امرأة لا تلد إلاّ الملوك الأبطال، فدعاها كسرى، فقال: إني أريد أن أبعث إلى

الروم جيشاً وأستعمل عليهم رجلاً من بنيك، فأشيري عليّ أيهم أستعمل، فقالت: هذا فلان، وهو أروغ من ثعلب، وأحذر من صرد، وهذا فرخان، وهو أنفذ من سنان، وهذا شهربراز، وهو أحلم من كذا، فاستعمل أيهم شئت قال: إني قد استعملت الحليم، فاستعمل شهربراز، فسار إلى الروم بأهل فارس، وظهر عليهم، فقتلهم، وخرّب مدائنهم، وقطع زيتونهم قال أبو بكر: فحدّثت بهذا الحديث عطاء الخراساني فقال: أما رأيت بلاد الشام؟ قلت: لا، قال: أما إنك لو رأيتها، لرأيت المدائن التي خرّبت، والزيتون الذي قُطع، فأتيت الشام بعد ذلك فرأيته.

قال عطاء الخراساني: ثني يحيى بن يعمر، أن قيصر بعث رجلاً يُدعى قطمة بجيش من الروم، وبعث كسرى شهربراز، فالتقيا بأذرعات وبصرى، وهي أدنى الشام إليكم، فلقيت فارس الروم، فغلبتهم فارس، ففرح بذلك كفار قريش، وكرهه المسلمون، فأنزل الله ﴿**آلم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ**...﴾ الآيات، ثم ذكر مثل حديث عكرمة، وزاد: فلم يزل شهربراز يطؤهم، ويخرب مدائنهم حتى بلغ الخليج ثم مات كسرى، فبلغهم موته، فانهزم شهربراز وأصحابه، وأوعبت عليهم الروم عند ذلك، فأتبعوهم يقتلونهم قال: وقال عكرمة في حديثه: لما ظهرت فارس على الروم جلس فرخان يشرب، فقال لأصحابه: لقد رأيت كأني جالس على سرير كسرى، فبلغت كسرى، فكتب إلى شهربُراز: إذا أتاك كتابي فابعث إليّ برأس فَرُخان، فكتب إليه: أيها الملك، إنك لن تجد مثل فَرُخان، إن له نكاية وضرباً في العدوّ، فلا تفعل. فكتب إليه: إن في رجال فارسَ خَلَفاً منه، فعَجِّل إليّ برأسه. فراجعه، فغضب كسرى فلم يجبه، وبعث بريداً إلى أهل فارس: إني قد نزعت عنكم شَهْرَبُرَاز، واستعملت عليكم فَرُخان ثم دفع إلى البريد صحيفة صغيرة: إذا وَلِيَ فَرُخان المُلك، وانقاد له أخوه، فأعطه هذه فلما قرأ شَهْرَبُرَاز الكتاب، قال: سمعاً وطاعة، ونزل عن سريره، وجلس فَرُخان، ودفع الصحيفة إليه، قال: ائتوني بشهربُرَاز، فقدّمه ليضرب عنقه، قال: لا تعجل حتى أكتب وصيتي، قال: نعم، فدعا بالسَّفَط، فأعطاه ثلاث صحائف، وقال: كل هذا راجعت فيك كسرى، وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد، فردّ الملك، وكتب شهربُراز إلى قيصر ملك الروم: إن لي إليك حاجة لا يحملها البريد، ولا تبلِّغها الصحف، فالْقِني، ولا تَلْقَني إلاّ في خمسين رُومياً، فإني ألقاك في خمسين فارسياً فأقبل قيصر في خَمْسِ مئة ألف روميّ، وجعل يضع العيون بين يديه في الطريق، وخاف أن يكون قد مكر به، حتى أتته عيونه أن ليس معه إلاّ خمسون رجلاً، ثم بُسِط لهما، والتقيا في قبة ديباج ضُربت لهما، مع كل واحد منهما سِكّين، فدعيا ترجماناً بينهما، فقال شَهْرَبُرَاز: إن الذين خرّبوا مدائنك أنا وأخي، بكيدنا وشجاعتنا، وإن كسرى حسدنا، فأراد أن أقتل أخي، فأبيت، ثم أمر أخي أن يقتلني، فقد خلعناه جميعاً، فنحن نقاتله معك، فقال: قد أصبتما، ثم أشار أحدهما إلى صاحبه أن السرّ بين اثنين، فإذا جاوز اثنين فشا. قال: أجل، فقتلا الترجمان جميعاً بسكينيهما، فأهلك الله كسرى، وجاء الخبر إلى رسول الله ﷺ يوم الحُدَيبية، ففرح ومن معه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**آلم غُلِبَتِ الرُّومُ**﴾ قال: غَلَبتهم فارسُ على أدنى الشام ﴿**وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ...**﴾ الآية، قال: لما أنزل الله هؤلاء الآيات صَدّق المسلمون ربهم، وعلموا أن الروم سيظهرون على فارس، فاقتمروا هم والمشركون خمسَ قلائص، خمَس قلائص، وأَجّلوا بينهم خمس سنين، فوليَ قِمار المسلمين أبو بكر رضي الله عنه، ووليَ قِمار المشركين أُبيّ بن خلف، وذلك قبل أن يُنْهَى عن القمار، فحلَّ الأجل، ولم يظهر الروم على فارس، وسأل المشركون قِمارهم، فذَكَر ذلك أصحاب النبيّ للنبيّ ﷺ قال: «لَمْ تَكُونُوا أَحِقَّاءَ أَنْ تُؤَجِّلُوا دُونَ العَشْرِ، فإنَّ البِضْعَ ما بينَ الثَّلاثِ إلى العَشْرِ، وَزَايِدُوهُمْ فِي القِمار، وَمادُّوهُمْ فِي الأَجَلِ»، ففعلوا ذلك، فأظهر الله الروم على فارس عند رأس البِضع سنينَ من قمارهم الأوّل، وكان ذلك مرجعَه من الحديبية، ففرح المسلمون بصلحهم الذي كان، وبظهور أهل الكتاب على المجوس، وكان ذلك مما شدّد الله به الإسلام وهو قوله ﴿**وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللهِ...**﴾ الآية.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَية، عن داود بن أبي هند، عن الشعبيّ، في قوله ﴿**آلم غُلِبَتِ الرُّومُ...**﴾ إلى قوله ﴿**وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ قال: كان النبيّ ﷺ أخبر الناس بمكة أن الروم ستُغْلَب، قال: فنزل القرآن بذلك، قال: وكان المسلمون يُحِبون ظهور الروم على فارس، لأنهم أهل الكتاب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا المحاربيّ، عن داود بن أبي هند، عن عامر، عن عبد الله، قال: كانت فارس ظاهرة على الروم، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارسُ على الروم، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب، وهم أقرب إلى دينهم: فلما نزلت ﴿**آلم غُلِبَتِ الرُّومُ...**﴾ إلى ﴿**فِي بِضْعِ سِنِينَ**﴾ قالوا: يا أبا بكر: إنّ صاحبك يقول: إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين، قال: صدق، قالوا: هل لك أن نقامرك؟ فبايعوه على أربع قلائص، إلى سبع سنين، فمضت السبع، ولم يكن شيء، ففرح المشركون بذلك، وشَقّ على المسلمين، فذكروا ذلك للنبيّ ﷺ: فقال: «ما بِضْعُ سِنِينَ عِنْدَكُمْ؟» قالوا: دون العشر، قال: «اذْهَبْ فزَايِدْهُمْ وَازْدَدْ سنَتَيْنِ» قال: فما مضت السنتان، حتى جاءت الركبان بظهور الرُّوم على فارس، ففرح المسلمون بذلك، فأنزل الله: ﴿**آلم غُلِبَتِ الرُّومُ...**﴾ إلى قوله ﴿**وَعْدَ اللهِ لا يُخلِفُ اللهُ وَعْدَهُ**.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن الأعمش، ومطر عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله قال: مضت الروم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**آلم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ**﴾ قال: أدنى الأرض: الشأم ﴿**وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ**﴾ قال: كانت فارس

قد غَلَبت الروم، ثم أديلَ الرومُ على فارس، وذُكر أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الرُّومَ سَتَغْلِبُ فارِساً»، فقال المشركون: هذا مما يَتَخَرّص محمد، فقال أبو بكر: تُناحبونني؟ والمناحبة: المجاعلة، قالوا: نعم، فناحبهم أبو بكر، فجعل السنين أربعاً أو خمساً، ثم جاء إلى النبيّ ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ البِضْعَ فِيما بينَ الثَّلاثِ إلى التِّسْعِ، فارْجِعْ إلى القَوْمِ، فَزِدْ فِي المُناحَبَةِ»، فرجع إليهم. قالوا: فناحَبَهم فزاد. قال: فغَلَبت الروم فارساً، فذلكَ قول الله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ يوم أُديلت الرومُ على فارس.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا معاوية بن عمرو، عن أبي إسحاق الفَزاريّ، عن سفيان، عن حبيب بن أبي عمرة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس ﴿آلم غُلِبَتِ الرومُ﴾ قال: غُلِبت وغَلَبت.

فأما الذين قرءوا ذلك: «غَلَبَتِ الرُّومُ» بفتح الغين، فإنهم قالوا: نزلت هذه الآية خبراً من الله نبيه ﷺ عن غَلَبة الروم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا نصر بن عليّ، قال: ثنا المعتمِر بن سليمان، عن أبيه، عن سليمان، يعني الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد، قال: لما كان يومُ ظهر الروم على فارس، فأعجبَ ذلك المؤمنين، فنزلت ﴿آلم غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ على فارس.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا يحيى بن حماد، قال: ثنا أبو عوانة، عن سليمان، عن عطية، عن أبي سعيد، قال: لما كان يوم بدر، غلبت الروم على فارس، ففرح المسلمون بذلك، فأنزل الله ﴿آلم غُلِبَتِ الرُّومُ...﴾ إلى آخر الآية.

حدثنا يحيى بن إبراهيم المسعودي، قال: ثنا أبي، عن أبيه، عن جدّه، عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد، قال: لما كان يوم بدر، ظهرت الروم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنين، لأنهم أهل كتاب، فأنزل الله ﴿آلم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ﴾ قال: كانوا قد غلبوا قبل ذلك، ثم قرأ حتى بلغ ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾.

وقوله: ﴿فِي أَدْنَى الأَرْضِ﴾ قد ذكرت قول بعضهم فيما تقدّم قبل، وأذكر قول من لم يذكر قوله.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿في أدنى الأرضِ﴾ يقول: في طرف الشام.

ومعنى قوله أدنى: أقرب، وهو أفعل من الدنوّ والقرب. وإنما معناه: في أدنى الأرض من

فارس، فترك ذكر فارس استغناء بدلالة ما ظهر من قوله ﴿فِي أَدْنَى الأَرْضِ﴾ عليه منه. وقوله: ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ يقول: والروم من بعد غلبة فارس إياهم سيغلبون فارس. وقوله: ﴿مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ﴾ مصدر من قول القائل: غلبته غلبة، فحذفت الهاء من الغلبة. وقيل: من بعد غلبهم، ولم يقل: من بعد غلبتهم للإضافة، كما حذفت من قوله: وَإِقامِ الصَّلاةِ للإضافة. وإنما الكلام: وإقامة الصلاة.

وأما قوله: ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ فإن القرّاء أجمعين على فتح الياء فيها، والواجب على قراءة من قرأ: «الم غَلَبَنِ الرُّومُ» بفتح الغين، أن يقرأ قوله: «سَيُغْلَبُونَ» بضم الياء، فيكون معناه: وهم من بعد غلبتهم فارس سيغلبهم المسلمون، حتى يصحّ معنى الكلام، وإلاّ لم يكن للكلام كبير معنى إن فتحت الياء، لأن الخبر عما قد كان يصير إلى الخبر عن أنه سيكون، وذلك إفساد أحد الخبرين بالآخر.

وقوله: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في معنى البضع فيما مضى، وأتينا على الصحيح من أقوالهم، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وقد:

حدثنا ابن حميد قال ثنا الحكم بن بشير قال ثنا خلاد بن أسلم الصفار عن عبد الله بن عيسى عن عبد الرحمٰن عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال قلت له ما البضع قال زعم أهل الكتاب أنه تسع أو سبع. وأما قوله: ﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾.

فإن القاسم حدثنا، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، قوله: ﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِنْ قَبْلُ﴾ دولة فارس على الروم ﴿وَمِنْ بَعْدُ﴾ دولة الروم على فارس.

وأما قوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشاءُ﴾ فقد ذكرنا الرواية في تأويله قبل، وبيَّنا معناه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وعد الله جلّ ثناؤه، وعد أن الروم ستغلب فارس من بعد غلبة فارس لهم. ونصب ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ على المصدر من قوله ﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ لأن ذلك وعد من الله لهم أنهم سيغلبون، فكأنه قال: وعد الله ذلك المؤمنين وعداً. ﴿لا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يفي بوعده للمؤمنين أن الروم سيغلبون فارس، لا يخلفهم وعده ذلك، لأنه ليس في مواعيده خلف. ﴿ولكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يعْلَمُونَ﴾ يقول: ولكنّ أكثر قريش الذين يكذّبون بأن الله منجز وعده المؤمنين، من أن الروم تغلب فارس، لا يعلمون أن ذلك كذلك، وأنه لا يجوز أن يكون في وعد الله إخلاف.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَعْلَمُونَ ظَـٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ۝٧﴾.

يقول تعالى ذكره: يعلم هؤلاء المكذّبون بحقيقة خبر الله أن الروم ستغلب فارس ظاهراً من حياتهم الدنيا، وتدبير معايشهم فيها، وما يصلحهم، وهم عن أمر آخرتهم، وما لهم فيه النجاة من عقاب الله هنالك غافلون، لا يفكرون فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا أبو تُمَيْلة يحيى بن واضح الأنصاري، قال: ثنا الحسين بن واقد، قال: ثنا يزيد النحوي عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله ﴿**يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الحَياةِ الدُّنْيا**﴾ يعني معايشهم، متى يحصدون ومتى يغرسون.

حدثني أحمد بن الوليد الرمليّ، قال ثنا: عمرو بن عثمان بن عمر، عن عاصم بن عليّ، قال: ثنا أبو تُمَيْلة، قال: ثنا ابن واقد، عن يزيد النحويّ، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله ﴿**يعْلَمونَ ظاهِراً من الحَياةِ الدُّنْيا**﴾ قال: متى يَزْرَعون، متى يَغْرِسون.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: ثني شرقي، عن عكرمة، في قوله ﴿**يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الحَياةِ الدُّنْيا**﴾ قال: هو السراج أو نحوه.

حدثنا أبو هريرة محمد بن فراس الضبعي، قال: ثنا أبو قُتَيبة، قال: ثنا شعبة، عن شرقي، عن عكرِمة، في قوله ﴿**يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الحَياةِ الدُّنْيا**﴾: قال السراجون.

حدثنا أحمد بن الوليد الرملي، قال: ثنا سليمان بن حرب، قال: ثنا شعبة، عن شرقي، عن عكرمة، في قوله ﴿**يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الحَياةِ الدنْيا**﴾ قال: الخرازون والسراجون.

حدثنا بشر بن آدم، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهديّ، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم ﴿**يَعْلَمُونَ ظاهِراً منَ الحَياةِ الدُّنْيا**﴾ قال: معايشهم وما يصلحهم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهديّ، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم مثله.

حدثني بشر بن آدم، قال: ثنا الضحاك بن مخلد، عن سفيان، عن أبيه، عن عكرِمة، وعن منصور عن إبراهيم ﴿**يَعْلَمُونَ ظاهراً مِنَ الحَياةِ الدُّنْيا**﴾ قال: معايشَهم.

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**ظاهِراً مِنَ الحَياةِ الدُّنْيا**﴾ يعني الكفار، يعرفون عُمران الدنيا، وهم في أمر الدين جهال.

حدثني ابن وكيع، قال: ثني أبي، عن سفيان، عن أبيه، عن عكرِمة ﴿**يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الحَياةِ الدُّنيا**﴾ قال: معايشَهم، وما يصلحهم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن إبرهيم، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله ﴿**يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الحَياةِ الدُّنيا**﴾ من حِرْفتها وتصرّفها وبغيتها ﴿**وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غافِلونَ**﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن رجل، عن الحسن، قال: يعلمون متى زَرْعُهم، ومتى حَصادهم.

قال: ثنا حفص بن راشد الهلاليّ، عن شعبة، عن شَرْقيّ، عن عكرِمة ﴿**يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الحَياةِ الدُّنيا**﴾ قال: السرّاج ونحوه.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع، عن أبي العالية، قال: صرفها في معيشتها.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الحَياةِ الدُّنيا، وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غافِلُونَ**﴾[١].

وقال آخرون في ذلك ما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب القُمّي، عن جعفر، عن سعيد، في قوله ﴿**يَعْلَمُونَ ظاهِراً مِنَ الحَياةِ الدُّنيا**﴾ قال: تسترق الشياطين السمع، فيسمعون الكلمة التي قد نزلت، ينبغي لها أن تكون في الأرض، قال: ويُرْمَوْن بالشُّهب، فلا ينجو أن يحترق، أو يصيبه شرر منه قال: فيسقط فلا يعود أبداً قال: ويرمى بذلك الذي سمع إلى أوليائه من الإنس، قال: فيحملون عليه ألف كذبة، قال: فما رأيت الناس يقولون: يكون كذا وكذا، قال: فيجيء الصحيح منه كما يقولون، الذي سمعوه من السماء، ويعقبه من الكذب الذي يخوضون فيه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨)﴾.

---

(١) كذا في النسخ، ولم يذكر التفسير، ولعله سقط من قلم الناسخ، أو لعله كلمة «نحوه» أو «مثله»، وكثيراً ما يتركها.

يقول تعالى ذكره: أو لم يتفكَّر هؤلاء المكذّبون بالبعث يا محمد من قومك في خلق الله إياهم، وأنه خلقهم ولم يكونوا شيئاً، ثم صرفهم أحوالاً وتارات حتى صاروا رجالاً، فيعلموا أن الذي فعل ذلك قادر أن يعيدهم بعد فنائهم خلقاً جديداً، ثم يجازي المحسن منهم بإحسانه، والمسيء بإساءته، لا يظلم أحداً منهم فيعاقبه بجرم غيره، ولا يحرم أحداً منهم جزاء عمله، لأنه العدل الذي لا يجور ﴿**ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما**﴾ إلاّ بالعدل، وإقامة الحقّ، ﴿**وأجل مسمى**﴾ يقول: وبأجل مؤقت مسمى، إذا بلغت ذلك الوقت أفنى ذلك كله، وبدّل الأرض غير الأرض والسموات، وبرزوا لله الواحد القهّار، ﴿**وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم**﴾ جاحدون منكرون، جهلاً منهم بأن معادهم إلى الله بعد فنائهم، وغفلة منهم عن الآخرة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُواْ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أوَ لم يسر هؤلاء المكذّبون بالله، الغافلون عن الآخرة من قريش في البلاد التي يسلكونها تجراً، فينظروا إلى آثار الله فيمن كان قبلهم من الأمم المكذّبة، كيف كان عاقبة أمرها في تكذيبها رسلها، فقد كانوا أشدّ منهم قوّة، ﴿**وأثاروا الأرض**﴾ يقول: واستخرجوا الأرض، وحرثوها وعمروها أكثر مما عمر هؤلاء، فأهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم رسلهم، فلم يقدروا على الامتناع، مع شدّة قواهم مما نزل بهم من عقاب الله، ولا نفعتهم عمارتهم ما عمروا من الأرض، إذ جاءتهم رسلهم بالبينات من الآيات، فكذّبوهم، فأحلّ الله بهم بأسه، فما كان الله ليظلمهم بعقابه إياهم على تكذيبهم رسله وجحودهم آياته، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بمعصيتهم ربهم. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿**وأثارُوا الأرْضَ**﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**أوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كانُوا أشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً، وأثارُوا الأرْضَ وَعَمَرُوها أكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوها**﴾ قال: ملكوا الأرض وعمروها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وأثارُوا الأرْضَ**﴾ قال: حرثوها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**أو لَمْ يَسِيرُوا فِي الأرْضِ...**﴾ إلى قوله ﴿**وأثارُوا الأرْضَ وَعمَرُوها**﴾ كقوله: ﴿**وآثاراً فِي الأرْضِ**﴾، وقوله: ﴿**وَعمَرُوها**﴾ أكثر مما عمر هؤلاء ﴿**وَجاءَتهُمْ رُسُلُهُمْ بالْبَيِّناتِ**﴾. القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم كان آخر أمر من كفر من هؤلاء الذين أثاروا الأرض وعمروها، وجاءتهم رسلهم بالبينات بالله، وكذّبوا رسلهم، فأساءوا بذلك من فعلهم. السوأى: يعني الخلة التي هي أسوأ من فعلهم أما في الدنيا، فالبوار والهلاك، وأما في الآخرة فالنار لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ذكر من قال ذلك.

حدثنا بشر قال ثنا يزيد قال ثنا سعيد عن قتادة قوله: ﴿**ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى**﴾ الذين أشركوا السودي: أي النار.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿**ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أساءُوا السُّوأَى**﴾ يقول: الذين كفروا جزاؤهم العذاب.

وكان بعض أهل العربية يقول: السوأى في هذا الموضع: مصدر، مثل البُقوى، وخالفه في ذلك غيره فقال: هي اسم.

وقوله: ﴿**أنْ كَذَّبُوا بآياتِ اللّهِ**﴾ يقول: كانت لهم السوأى، لأنهم كذّبوا في الدنيا بآيات الله، وكانوا بها يستهزءون: يقول: وكانوا بحجج الله وهم أنبياؤه ورسله يسخرون.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: الله تعالى يبدأ إنشاء جميع الخلق منفرداً بإنشائه من غير شريك ولا ظهير، فيحدثه من غير شيء، بل بقدرته عزّ وجل، ثم يعيد خلقاً جديداً بعد إفنائه وإعدامه، كما بدأه خلقاً سوياً، ولم يك شيئاً ﴿**ثُمَّ إلَيهِ تُرْجَعُونَ**﴾ يقول: ثم إليه من بعد إعادتهم خلقاً جديداً يردّون، فيحشرون لفصل القضاء بينهم ﴿**وليَجْزِيَ الَّذِينَ أسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أحْسَنُوا بالحُسْنَى**﴾.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟

﴿بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء الساعة التي فيها يفصل الله بين خلقه، وينشر فيها الموتى من قبورهم، فيحشرهم إلى موقف الحساب ﴿يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ يقول: ييأس الذين أشركوا بالله، واكتسبوا في الدنيا مساوىء الأعمال من كلّ شرّ، ويكتئبون ويتندمون، كما قال العجاج:

يا صَاحِ هلْ تعْرِفُ رَسماً مُكْرَسا قالَ نَعَمْ أعْرِفُهُ وأبْلَسا[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿يُبْلِسُ﴾ قال: يكتئب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عَن قَتادة، قوله ﴿يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي في النار.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾ قال: المبلس: الذي قد نزل به الشرّ، إذا أبلس الرجل، فقد نزل به بلاء.

وقوله: ﴿ولَمْ يكُنْ لَهُمْ مِنْ شُرَكائِهِمْ شُفَعاءُ﴾ يقول تعالى ذكره: ويوم تقوم الساعة لم يكن لهؤلاء المجرمين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم من شركائهم الذين كانوا يتبعونهم، على ما دعوهم إليه من الضلالة، فيشاركونهم في الكفر بالله، والمعاونة على أذى رسله، شفعاء يشفعون لهم عند الله، فيستنقذوهم من عذابه. ﴿وكانُوا بِشُرَكائِهِمْ كافِرِينَ﴾ يقول: وكانوا بشركائهم في الضلالة والمعاونة في الدنيا على أولياء الله كافرين، يجحدون ولايتهم، ويتبرّءون منهم، كما قال

(١) البيتان من الرجز للعجاج (ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ ص ـ ٣١) و «**معاني القرآن**» للفراء (الورقة ٢٤٧) و «**مجاز القرآن**» لأبي عبيدة الورقة (١٨٦ ب) قال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى: ﴿ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون﴾: أي يتندمون، ويكأبون وييأسون قال:

يا صاح.........

البيتان وفي «**اللسان**» كرس: ورسم مكرس (اسم مفعول) ومكرس (اسم فاعل) وهو، الذي قد بعرت فيه الإبل وبولت، فركب بعضه بعضاً، وقال في (بلس): أبلس الرجل: قطع به، عن ثعلب، وأبلس: سكت؛ وأبلس من رحمة الله: أي يئس وندم.

جلّ ثناؤه: ﴿إذْ تَبرّأَ الّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الّذِينَ اتَّبَعُوا، ورأَوُا العَذابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأسْبابُ. وَقالَ الّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أنّ لَنا كَرّةً فَنَتَبرّأَ مِنْهُمْ كما تَبرّءُوا مِنّا﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء الساعة التي يحشر فيها الخلق إلى الله يومئذٍ، يقول في ذلك اليوم يتفرّقون يعني: يتفرّق أهل الإيمان بالله، وأهل الكفر به فأما أهل الإيمان، فيؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وأما أهل الكفر فيؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، فهنالك يميز الله الخبيث من الطيّب. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، في قوله: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرّقُونَ﴾ قال: فرقة والله لا اجتماع بعدها.

﴿فأمّا الّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿وعَمِلُوا الصّالِحاتِ﴾ يقول: وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ يقول: فهم في الرياحين والنباتات الملتفة، وبين أنواع الزهر في الجنان يسرون، ويلذّذون بالسماع وطيب العيش الهنيّ. وإنما خصّ جلّ ثناؤه ذكر الروضة في هذا الموضع، لأنه لم يكن عند الطرفين أحسن منظراً، ولا أطيب نشراً من الرياض، ويدل على أن ذلك كذلك قول أعشى بني ثعلبة:

ما رَوْضَةٌ مِن رِياضِ الحُسْنِ مُعْشِبَةٌ ... خَضْراءُ جادَ عَلَيْها مُسْبِلٌ هَطِلُ
يُضاحِكُ الشَّمسَ منها كَوْكَبٌ شَرِقٌ ... مُؤَزَّرٌ بعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ
يَوْماً بأطْيَبَ مِنْها نَشْرَ رائحَةٍ ... وَلا بأحْسَنَ مِنْها إذ دنَا الأُصُلُ[1]

---

(١) الأبيات الثلاثة لأعشى بني قيس بن ثعلبة ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين (ص ـ ٥٧) والرواية فيه: رياض الحزن. وهو المرتفع من الأرض. وأورد أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» الورقة (١٨٧) البيت الأولى والثالث. والرواية فيه: من رياض الحزم. وهو بمعنى الحزن أي الغليظ من الأرض. قال أبو عبيدة: «في روضة يحبرون» مجازه يفرحون ويسرون. وليس شيء أحسن عند العرب من الرياض المعشبة، ولا أطيب ريحاً: قال الأعشى: «في روضة. . . الخ» ا هـ. قلت: ورواية الحزن أو الحزم أحسن الروايات، ورياض الحزن أطيب من رياض المنخفضات لأن الريح تهب عليها فتهيج رائحتها، ولأن الأقدام لا تطؤها، ولأن الشمس تضربها من جميع نواحيها فيزكوا زرعها وينضر. والمسبل: المطر. والهطل: الغزير: والكوكب النور والشرق: الزاهي والمؤزر الذي حوله نبات آخر، فهو كالإزار له. والمكتهل: الذي قد بلغ وتم. والنشر: تضوع الرائحة. والأصل: جمع أصيل، وهو وقت الغروب أو قبيله بقليل، حين تصفر الشمس وتدنو من الغروب.

فأعلمهم بذلك تعالى، أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المنظر الأنيق، واللذيذ من الأرابيح، والعيش الهنيّ فيما يحبون، ويسرّون به، ويغبطون عليه. والحبرة عند العرب: السرور والغبطة قال العجاج:

فَالْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أعْطَى الحَبَرْ مَوَالِيَ الحَقّ إنَّ المَوْلى شَكَرْ[1]

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: فهم في روضة يكرمون.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله **﴿فهم فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾** قال: يكرمون.

وقال آخرون: معناه: ينعمون.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله **﴿يُحْبَرُون﴾** قال: ينعمون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، في قوله **﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾** قال: ينعمون.

وقال آخرون: يلذذون بالسماع والغناء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن موسى الحرسي، قال: ثني عامر بن يساف، قال: سألت يحيى بن أبي كثير، عن قول الله **﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾** قال: الحبرة: اللذة والسماع.

حدثنا عبيد الله بن محمد الفريابي، قال: ثنا ضمرة بن ربيعة، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير في قوله **﴿يُحْبَرُونَ﴾** قال: السماع في الجنة.

---

(١) البيتان للعجاج ديوانه طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ (ص ـ ١٥) من أرجوزة يمدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر، و«**مجاز القرآن**» لأبي عبيدة الورقة (١٨٧ ب) وقد أورده عطفاً على قول الأعشى الذي قبله. وفي «**اللسان**» حبر: الحبر بفتح فسكون (والحبر بفتحتين) والحبرة (بفتح فسكون) والحبور: كله السرور. قال العجاج: «فالحمد لله. . . البيت» من قولهم، حبرني هذا الأمر حبراً، أي سرني. وقد حرك الباء فيهما، وأصله التسكين. وأحبرني الأمر: سرني ويروى الشبر ا هـ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عيسى بن يونس، عن الأوزاعي، عن يحيى بن أبي كثير، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن عامر بن يساف، عن يحيى بن أبي كثير، مثله.

وكل هذه الألفاظ التي ذكرنا عمن ذكرناها عنه تعود إلى معنى ما قلنا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأما الذين جحدوا توحيد الله، وكذّبوا رسله، وأنكروا البعث بعد الممات والنشور للدار الآخرة، فأولئك في عذاب الله محضرون، وقد أحضرهم الله إياها، فجمعهم فيها ليذوقوا العذاب الذي كانوا في الدنيا يكذّبون[1].

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فسبحوا الله أيها الناس: أي صلوا له حين تمسون، وذلك صلاة المغرب، وحين تصبحون، وذلك صلاة الصبح **﴿وَلَهُ الحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ والأَرْضِ﴾** يقول: وله الحمد من جميع خلقه دون غيره في السموات من سكانها من الملائكة، والأرض من أهلها، من جميع أصناف خلقه فيها، **﴿وَعَشِيًّا﴾** يقول: وسَبّحوه أيضاً عشياً، وذلك صلاة العصر **﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾** يقول: وحين تَدْخلون في وقت الظهر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن عاصم، عن أبي رزين، قال: سأل نافع بن الأزرق ابن عباس: هل تجد[2] ميقات الصلوات الخمس في كتاب الله؟ قال: نعم **﴿فَسُبْحانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾** المغرب **﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾** الفجر **﴿وَعَشِيًّا﴾** العصر **﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾** الظهر، قال: ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عَوْرات لكم.

---

(١) كذا في الأصل بحذف ضمير الرابط. أي يكذبون به.

(٢) (هل تجد): ساقطة من الأصل، وأوردها الشوكاني في تفسيره «فتح القدير» (٤/ ١١٤) وسقط منه بعدها كلمة «ميقات التي أوردها المؤلف هنا.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن عاصم، عن أبي رَزين، قال: سأل نافع بن الأزرق ابن عباس عن الصلوات الخمس في القرآن، قال: نعم، فقرأ ﴿**فَسُبْحانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ**﴾ قال: صلاة المغرب ﴿**وَحِينَ تُصْبِحُونَ**﴾ قال: صلاة الصبح ﴿**وَعَشِيًّا**﴾ قال: صلاة العصر ﴿**وَحِينَ تُظْهِرُونَ**﴾ صلاة الظهر، ثم قرأ: ﴿**وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ العِشاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ**﴾.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن ليث، عن الحكم بن أبي عياض، عن ابن عباس، قال: جمعت هاتان الآيتان مواقيت الصلاة ﴿**فَسُبْحانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ**﴾ قال: المغرب والعشاء ﴿**وَحِينَ تُصْبِحُونَ**﴾ الفجر ﴿**وَعَشِيًّا**﴾ العصر ﴿**وَحِينَ تُظْهِرُونَ**﴾ الظهر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن إدريس، عن ليث، عن الحكم، عن أبي عياض، عن ابن عباس، بنحوه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن ليث، عن الحكم، عن أبي عياض، عن ابن عباس في قوله ﴿**فَسُبْحانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ...**﴾ إلى قوله ﴿**وَحِينَ تُظْهِرُونَ**﴾ قال: جمعت الصلوات ﴿**فَسُبْحانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ**﴾ المغرب والعشاء ﴿**وَحِين تُصْبِحُونَ**﴾ صلاة الصبح ﴿**وَعَشِيًّا**﴾ صلاة العصر ﴿**وَحِينَ تُظْهِرُونَ**﴾ صلاة الظهر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا إسحاق بن سليمان الرازي، عن أبي سنان، عن ليث، عن مجاهد ﴿**فَسُبْحانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ**﴾ المغرب والعشاء ﴿**وَحِينَ تُصْبِحُونَ**﴾ الفجر ﴿**وَعَشِيًّا**﴾ العصر ﴿**وَحِينَ تُظْهِرُونَ**﴾ الظهر، وكلّ سجدة في القرآن فهي صلاة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**فَسُبْحانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ**﴾ لصلاة المغرب ﴿**وَحِينَ تُصْبِحُونَ**﴾ لصلاة الصبح ﴿**وَعَشِيًّا**﴾ لصلاة العصر ﴿**وَحِينَ تُظْهِرُونَ**﴾ صلاة الظهر أربع صلوات.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿**فَسُبْحانَ اللّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ، وَلَهُ الحَمْدُ في السَّمَوَاتِ والأرْضِ، وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ**﴾. قال: حين تمسون: صلاة المغرب، وحين تصبحون: صلاة الصبح، وعشياً: صلاة العصر، وحين تظهرون: صلاة الظهر.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: صَلُّوا في هذه الأوقات التي أمركم بالصلاة فيها أيها الناس، لله الذي يخرج الحيّ من الميت، وهو الإنسان الحيّ من الماء الميت، ويخرج الماء الميت من الإنسان الحيّ ﴿**ويُحْيِي الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِها**﴾ فينبتها، ويخرج زرعها بعد خرابها وجدوبها ﴿**وكذلكَ تُخْرَجُونَ**﴾ يقول: كما يحيي الأرض بعد موتها، فيخرج نباتها وزرعها، كذلك يحييكم من بعد مماتكم، فيخرجكم أحياء من قبوركم إلى موقف الحساب.

وقد بيَّنا فيما مضى قبل تأويل قوله: ﴿**يُخْرِجُ الحَيّ مِنَ المَيِّتِ، ويُخْرِجُ المَيّتَ مِنَ الحَيّ**﴾، وذكرنا اختلاف أهل التأويل فيه، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع، غير أنا نذكر بعض ما لم نذكر من الخبر هنالك إن شاء الله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**يُخْرِجُ الحَيّ مِنَ المَيِّتِ، ويُخْرِجُ المَيّتَ مِنَ الحَيّ**﴾ قال: يخرج من الإنسان ماء ميتاً[1] فيخلق منه بشراً، فذلك الميت من الحيّ، ويخرج الحيّ من الميت، فيعني بذلك أنه يخلق من الماء بشراً، فذلك الحيّ من الميت.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، عن الحسن، قوله ﴿**يُخْرِجُ الحَيّ مِنَ المَيِّتِ، ويُخْرِجُ المَيّتَ مِنَ الحَيّ**﴾ المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير وأبو معاوية عن الأعمش، عن إبراهيم، عن عبد الله ﴿**يُخْرِجُ الحَيّ مِنَ المَيِّتِ، ويُخْرِجُ المَيّتَ مِنَ الحَيّ**﴾ قال: النُّطْفة ماء الرجل ميتة وهو حيّ، ويخرج الرجل منها حياً وهي ميتة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن حُجَجه على أنه القادر على ما يشاء أيها الناس من إنشاء وإفناء، وإيجاد وإعدم، وأن كل موجود فخلقه خلقة أبيكم من تراب، يعني بذلك خلق آدم من تراب، فوصفهم بأنه خلقهم من تراب، إذ كان ذلك فعله بأبيهم آدم كنحو الذي قد بيَّنا فيما مضى من خطاب العرب من خاطبت بما فعلت بسلفه من قولهم: فعلنا بكم وفعلنا.

وقوله: ﴿**ثُمَّ إذَا أنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ**﴾ يقول: ثم إذا أنتم معشر ذرّية من خلقناه من تراب بشر تنتشرون، يقول: تتصرّفون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) قوله «ماء ميتا» بحسب الظاهر للأعين المجردة؛ فأما بعد اختراع المجهر المكبر، فقد علم أن ماء الرجل ليس بميت. والله سبحانه يخرج النبات الحي من الأرض الميتة أو أمثلة المفسرين القدماء تحتاج إلى تحقيق.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة **﴿وَمِنْ آياتِهِ أنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ﴾** خلق آدم عليه السلام من تراب **﴿ثُمَّ إذا أنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ﴾** يعني ذرّيته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن حججه وأدلته على ذلك أيضاً خلقه لأبيكم آدم من نفسه زوجة ليسكن إليها، وذلك أنه خلق حوّاء من ضلع من أضلاع آدم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة **﴿وَمِنْ آياتِهِ أنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أنْفُسِكُمْ أزْوَاجاً﴾** خلقها لكم من ضلع من أضلاعه.

وقوله: **﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾** يقول: جعل بينكم بالمصاهرة والختونة مودّة تتوادّون بها، وتتواصلون من أجلها، ورحمة رحمكم بها، فعطف بعضكم بذلك على بعض **﴿إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لقَوْمٍ يَتفَكَّرُونَ﴾** يقول تعالى ذكره: إن في فعله ذلك لعبراً وعظات لقوم يتذكرون في حجج الله وأدلته، فيعلمون أنه الإله الذي لا يُعجزه شيء أراده، ولا يتعذّر عليه فعل شيء شاءه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن حججه وأدلته أيضاً على أنه لا يُعجزه شيء، وأنه إذا شاء أمات من كان حياً من خلقه، ثم إذا شاء أنشره وأعاده كما كان قبل إماتته إياه خلقه السموات والأرض من غير شيء أحدث ذلك منه، بل بقدرته التي لا يمتنع معها عليه شيء أراده **﴿وَاخْتِلافُ ألْسِنَتِكُمْ﴾** يقول: واختلاف منطق ألسنتكم ولغاتها **﴿والْوَانِكُمْ﴾** يقول: واختلاف ألوان أجسامكم **﴿إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ للْعالَمِينَ﴾** يقول: إن في فعله ذلك كذلك لعبراً وأدلة لخلقه الذين يعقلون أنه لا يعيبه إعادتهم لهيئتهم التي كانوا بها قبل مماتهم من بعد فنائهم. وقد بيَّنا معنى العالمين فيما مضى قبل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن حججه عليكم أيها القوم تقديره الساعات والأوقات، ومخالفته بين الليل والنهار، فجعل الليل لكم سكناً تسكنون فيه، وتنامون فيه، وجعل النهار مضيئاً لتصرّفكم في معايشكم والتماسكم فيه من رزق بكم ﴿إِنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في فعل الله ذلك كذلك، لعبراً وذكرى وأدلة على أن فاعل ذلك لا يُعجزه شيء أراده لقوم يسمعون مواعظ الله، فيتعظون بها، ويعتبرون فيفهمون حجج الله عليهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن حججه ﴿يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً﴾ لكم إذا كنتم سفراً، أن تمطروا فتتأذوا به ﴿وطَمَعاً﴾ لكم، إذا كنتم في إقامة أن تمطروا، فتحيوا وتخصبوا ﴿وَيُنَزِّلُ منَ السَّماءِ ماءً﴾ يقول: وينزّل من السماء مطراً، فيحيي بذلك الماء الأرض الميتة، فتنبت ويخرج زرعها بعد موتها، يعني جدوبها ودروسها ﴿إن فِي ذلكَ لآياتٍ﴾ يقول: إن في فعله ذلك كذلك لعبراً وأدلة ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ عن الله حججه وأدلته. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ﴿يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، في قوله ﴿وَمِنْ آياتِهِ يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ قال: خوفاً للمسافر، وطمعاً للمقيم.

واختلف أهل العربية في وجه سقوط «أن» في قوله: ﴿يُرِيكُمُ البَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ فقال بعض نحويي البصرة: لم يذكر ههنا «أن» لأن هذا يدلّ على المعنى وقال الشاعر:

ألا أيُّهَذا الزَّاجِرِي أحْضُرَ الوَغَى وأنْ أشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أنْتَ مُخْلِدي(١)

---

(١) البيت لطرفة بن العبد البكري من معلقته «**مختار الشعر الجاهلي**»، بشرح مصطفى السقا، طبعة الحلبي (ص ـ ٣١٧). ورواية البيت عند البصريين أحضر بالرفع، لأنه لما أضمر (أن) قبله ذهب عملها، لأنها لا تعمل عندهم وهي مضمرة إلا في المواضع العشرة المخصوصة. وعند الكوفيين أحضر بالنصب، لأنها وإن أضمرت فكأنها موجودة لقوة الدلالة عليها؛ فكأنه قال: أن أحضر. والوغى: الحرب وأصله أصوات المحاربين فيها. يقول: أيها الإنسان الذي يلومني على شهودي الحرب، وتحصيل اللذات، هل تخلدني في الدنيا إذا كففت عن الحرب؟ وقوله تعالى: ﴿ومن آياته يريكم البرق...﴾ الخ إما أن يتعلق «من آياته» بيريكم، فيكون في موضع نصب، ومن لابتداء الغاية أو كيريكم» على إضمار (أن) كما قال طرفة: «ألا أيهذا... البيت» برفع أحضر كرواية البصريين، والتقدير: أن أحضر، فلما حذف (أن) ارتفع الفعل، فيكون التقدير: ومن آياته إراءتكم إياكم البرق.

قال: وقال:

لَوْ قُلْتُ مـا فِـي قَوْمِهـا لَـمْ تِيثَـمِ ... يَفْضُلُهـا فـي حَسَـبٍ وَمِيسَـمِ[(١)]

وقال: يريد: ما في قومها أحد. وقال بعض نحويي الكوفيين: إذا أظهرت «أن» فهي في موضع رفع، كما قال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنَامُكُمْ﴾ فإذا حذفت جعلت «من» مؤدّية عن اسم متروك، يكون الفعل صلة، كقول الشاعر:

وَمـا الـدَّهْـرُ إلاَّ تـارَتـانِ فَـمِـنْـهُـمـا ... أموتُ وأُخْرَى أبْتَغي العَيْشَ أكْدحُ[(٢)]

كأنه أراد: فمنهما ساعة أموتها، وساعة أعيشها، وكذلك: ومن آياته يريكم آية البرق، وآية لكذا، وإن شئت أردت: ويريكم من آياته البرق، فلا تضمر «أن» ولا غيره. وقال بعض من أنكر قول البصري: إنما ينبغي أن تحذف «أن» من الموضع الذي يدلّ على حذفها، فأما في كلّ موضع فلا، فأما مع أحضر الوغى فلما كان زجرتك أن تقوم، وزجرتك لأن تقوم، يدلّ على الاستقبال جاز حذف «أن»، لأن الموضع معروف لا يقع في كلّ الكلام، فأما قوله: ومن آياته أنك قائم، وأنك تقوم، وأن تقوم، فهذا الموضع لا يحذف، لأنه لا يدلّ على شيء واحد.

---

(١) البيت من الرجز لحكيم بن معية الربعي التميمي، وهو راجز إسلامي كان في زمن العجاج، وقد نسبه إليه سيبويه في الكتاب «**خزانة الأدب الكبرى**» للبغدادي (٢/ ٣١١) وأنشده الفراء في «**معاني القرآن**» عند قوله تعالى: ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم﴾ على أحد وجهين وذلك من كلام العرب أن يضمروا (من بفتح الميم) في مبتدأ الكلام (بمن بكسر الميم)، فيقولون: منا يقول ذاك ومنا لا يقوله؛ وذلك أن (من بالكسر) بعض لما هي منه فلذلك أدت عن المعنى المتروك؛ قال الله تعالى: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ وقال ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ ولا يجوز إضمار (من) بالفتح في شيء من الصفات (حروف الجر) إلا على هذا الذي نبأتك به، وقد قالها الشاعر في (فى) ولست أشتهيها. قال: لو قلت. البيت وإنما جاز لك لأنك تجد معنى من «**الكسر**» من أنه بعض ما أضيفت إليه ألا ترى أنك تقول: فينا، الصالحون وفينا دون ذلك، فكأنك قلت: منا. وقال الفراء في قوله تعالى ﴿ومن آياته يريكم البرق﴾ فمن أضمر (أن) فهي موضع اسم مرفوع، كما قال: ﴿ومن آياته منامكم﴾ فإذا حذفت أن، جعلت من (بالكسر) مؤدية عن اسم متروك يكون الفعل (فى) صلة له، كقوله الشاعر:

ومـا الـدهـر لا تـارتـان.......

الخ البيت. كأن أراد: فمنها ساعة أموتها، وساعة أعيشها. وكذلك، ومن آياته آية للبرق، وآية لكذا. وإن شئت يريكم من آياته البرق، وآية كذا، وإن شئت يريكم من آياته البرق، فلا تضمر أن ولا غيره. ا هـ.

(٢) البيت لتميم بن أبي مقبل، وهو شاعر إسلامي «**خزانة الأدب الكبرى**» للبغدادي (٢/ ٣٠٨) وهو شاهد على أن جملة أموت صفة لموصوف محذوف أي تارة أموت فيها أو أموتها، وتارة أخرى أبتغي العيش فبها. هكذا قدره سيبويه. وقال الفراء في «**معاني القرآن**» الورقة (٢٤٧) كأنه أراد: فمنها ساعة أموتها وساعة أعيشها. وكذلك: ومن آياته آية للبرق، وآية لكذا، وإن شئت: يريكم من آياته البرق، فلا تضمر (أن) ولا غيره. ا هـ. وأنشد البيت الزجاج في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم﴾ أي قوم يحرفون، كهذا البيت. والمعنى منهما: تارة أموت فيها. فحذف تارة، وأقام الجملة التي هي صفة نائبة عنها... الخ.

والصواب من القول في ذلك أن «من» في قوله ﴿وَمِنْ آياتِهِ﴾ تدل على المحذوف، وذلك أنها تأتي بمعنى التبعيض. وإذا كانت كذلك، كان معلوماً أنها تقتضي البعض، فلذلك تحذف العرب معها الاسم لدلالتها عليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن حججه أيها القوم على قُدرته على ما يشاء، قيام السماء والأرض بأمره خضوعاً له بالطاعة بغير عمد ترى ﴿ثُمَّ إذا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأرْضِ إذَا أنْتُمْ تَخرَجُونَ﴾ يقول: إذا أنتم تخرجون من الأرض، إذا دعاكم دعوة مستجيبين لدعوته إياكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿وَمِنْ آياتِهِ أنْ تَقُومَ السَّماءُ والأرْضُ بأمْرِهِ﴾ قامتا بأمره بغير عمد ﴿ثُمَّ إذَا دَعاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأرْضِ إذَا أنْتُمْ تَخرُجُونَ﴾ قال: دعاهم فخرجوا من الأرض.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿إذَا أنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ يقول: من الأرض.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولله من في السموات والأرض من ملك وجنّ وإنس عبيد وملك ﴿كُلّ لَهُ قانِتُونَ﴾ يقول: كلّ له مطيعون، فيقول قائل: وكيف قيل ﴿كُلّ لَهُ قانِتُونَ﴾ وقد علم أن أكثر الإنس والجنّ له عاصون؟ فنقول: اختلف أهل التأويلَ في تأويل ذلك، فنذكر اختلافهم، ثم نبين الصواب عندنا في ذلك من القول، فقال بعضهم: ذلك كلام مخرجه مخرج العموم، والمراد به الخصوص، ومعناه: كلّ له قانتون في الحياة والبقاء والموت، والفناء والبعث والنشور، لا يمتنع عليه شيء من ذلك، وإن عصاه بعضهم في غير ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله **﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّماءُ والأرْضُ بأمْرِهِ...﴾** إلى **﴿كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾** يقول: مطيعون، يعني الحياة والنشور والموت، وهم عاصون له فيما سوى ذلك من العبادة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: كلّ له قانتون بإقرارهم بأنه ربهم وخالقهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة **﴿كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ﴾**: أي مطيع مقرّ بأن الله ربه وخالقه.

وقال آخرون: هو على الخصوص، والمعنى: وله من في السموات والأرض من ملك وعبد مؤمن لله مطيع دون غيرهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿كُلٌّ لَهُ قانِتُونَ﴾** قال: كلّ له مطيعون. المطيع: القانت، قال: وليس شيء إلاّ وهو مطيع، إلاّ ابن آدم، وكان أحقهم أن يكون أطوعهم لله. وفي قوله **﴿وَقُومُوا لِلّهِ قانِتِينَ﴾** قال: هذا في الصلاة، لا تتكلموا في الصلاة كما يتكلم أهل الكتاب في الصلاة، قال: وأهل الكتاب يمشي بعضهم إلى بعض في الصلاة، قال: ويتقابلون في الصلاة، فإذا قيل لهم في ذلك، قالوا: لكي تذهب الشحناء من قلوبنا تسلم قلوب بعضنا لبعض، فقال الله: وقوموا لله قانتين لا تزولوا كم يزولون. قانتين: لا تتكلموا كما يتكلمون. قال: فأما ما سوى هذا كله في القرآن من القنوت فهو الطاعة، إلاّ هذه الواحدة.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن عباس، وهو أن كلّ من في السموات والأرض من خلق الله مطيع في تصرّفه فيما أراد تعالى ذكره من حياة وموت، وما أشبه ذلك، وإن عصاه فيما يكسبه بقوله، وفيما له السبيل إلى اختياره وإيثاره على خلافه.

وإنما قلت: ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك، لأن العصاة من خلقه فيما لهم السبيل إلى اكتسابه كثير عددهم، وقد أخبر تعالى ذكره عن جميعهم أنهم له قانتون، فغير جائز أن يخبر عمن هو عاص أنه له قانت فيما هو له عاص. وإذا كان ذلك كذلك، فالذي فيه عاص هو ما وصفت، والذي هو له قانت ما بينت.

وقوله: **﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾** يقول تعالى ذكره: والذي له هذه الصفات تبارك وتعالى، هو الذي يبدأ الخلق من غير أصل فينشئه ويوجده، بعد أن لم يكن شيئاً، ثم يفنيه بعد ذلك، ثم يعيده، كما بدأه بعد فنائه، وهو أهون عليه.

اختلف أهل التأويل، في معنى قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ فقال بعضهم: معناه: وهو هين عليه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن سعيد العطار، عن سفيان عمن ذكره، عن منذر الثوريّ، عن الربيع بن خُثيم ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ قال: ما شيء عليه بعزيز.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ يقول: كلّ شيء عليه هين.

وقال آخرون: معناه: وإعادة الخلق بعد فنائهم أهون عليه من ابتداء خلقهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ قال: يقول: أيسر عليه.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ قال: الإعادة أهون عليه من البداءة، والبداءة عليه هين.

حدثني ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك، عن عكرمة قرأ هذا الحرف ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ قال: تعجب الكفار من إحياء الله الموتى، قال: فنزلت هذه الآية ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ، وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ إعادة الخلق أهون عليه من إبداء الخلق.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا غندر، عن شعبة، عن سماك، عن عكرمة بنحوه، إلاَّ أنه قال: إعادة الخلق أهون عليه من ابتدائه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾: يقول: إعادته أهون عليه من بدئه، وكلّ على الله هين. وفي بعض القراءة: وكلّ على الله هين.

وقد يحتمل هذا الكلام وجهين، غير القولين اللذين ذكرت، وهو أن يكون معناه: وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده، وهو أهون على الخلق: أي إعادة الشيء أهون على الخلق من ابتدائه. والذي ذكرنا عن ابن عباس في الخبر الذي حدثني به ابن سعد، قول أيضاً له وجه.

وقد وجَّه غير واحد من أهل العربية قول ذي الرُّمة:

أخي قَفَرَاتٍ دَبَّبَتْ فِي عِظامه شُفافاتُ أعْجاز الكَرَى فهْوَ أخْضَعُ[1]

إلى أنه بمعنى خاضع وقول الآخر:

لَعَمْرُكَ إنَّ الزِّبْرِقانَ لَباذِلٌ ... لِمَعْروفِهِ عِنْدَ السِّنِينَ وأفْضَلُ
كَرِيمٌ لَهُ عَنْ كُلِّ ذَمّ تَأَخُّرٌ ... وفِي كُلِّ أسْبابِ المَكارِمِ أوّلُ[1]

إلى أنه بمعنى: وفاضل وقول معن:

لَعَمْرُكَ ما أدْرِي وإنّي لأوْجَلُ ... على أيِّنا تَغْدُو المَنِيَّةُ أوّلُ[2]

إلى أنه بمعنى: وإني لوجل وقول الآخر:

تَمَنَّى مُرَيْءُ القَيْسِ مَوْتي وإنْ أمُتْ ... فَتِلكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فِيها بأوْحَدِ[3]

إلى أنه بمعنى: لست فيها بواحد وقول الفرزدق:

---

(١) البيت في ديوان ذي الرمة طبع جامعة كيمبردج سنة ١٩١٩ (ص ـ ٣٤٨). قال في شرحه: شفافات: بقايا أعجاز الكرى، أواخر النوم، فاستعار له المنهل. فكأنه قد سكر، فهو أخضع.

(٢) البيتان لم أقف على قائلهما. والزبرقان بن بدر من سادات بني تميم. والسنون جمع سنة، والمراد بها الجدب والقحط. والشاهد في قول الشاعر «وأفضل» فإنه بمعنى «فاضل» ولا تفضيل فيه، كما قال المؤلف: على أنه يمكن تخريج البيت على معنى التفضيل، كما يأتي في الشواهد الأخرى، أي وهو أفضل من غيره على كل حال.

(٣) البيت لمعن بن أوس المزني ذيل الأمالي لأبي علي القالي (ص ـ ٢١٨). واستشهد به المؤلف على أن قوله «لأوجل»: أي لوجل وانظر شرح البيت وإعرابه في «**خزانة الأدب الكبرى**» للبغدادي (٣/ ٥٠٥ ـ ٥٠٦).

(٤) البيت لمالك بن القين الخزرجي الأنصاري، حققه الأستاذ عبد العزيز الميمني في «**شرح ذيل الأمالي**» (ص ـ ١٠٤) وهو من ثلاثة أبيات كتب بها يزيد بن عبد الملك إلى أخيه هشام وقد بلغه أن يتمنى موته. وقيل كتب بها الوليد إلى أخيه سليمان كما في «**مروج الذهب**» للمسعودي ورواية صدر البيت الأول مخالفة لما في «**ذيل الأمالي**» (ص ـ ٢١٨) والأبيات الثلاثة هي:

تَمَنَّى رِجالٌ أنْ أمُوتَ وإنْ أمُتْ ... فَتِلكَ سَبِيلٌ لَسْتُ فيها بأوْحَدِ
فَمَا عَيْشُ مَنْ يَرْجو رَداي بِضائِري ... ومَا عَيْشُ مَنْ يَرْجُو رداي بِمُخْلَدِ
فَقُلْ لِلّذي يَبْغي خِلافَ الّذي مَضَى ... تَجَهَّزْ لأُخْرَى مِثْلِها فَكأنْ قَدِ

وقوله «خلاف الذي مضى»: يريد: أن يخلف على ميراثه أو محله. وقد استشهد المؤلف على أن قوله «بأوحد» معناه بواحد، مثل قول الله تعالى: ﴿وهو أهون عليه﴾: أي هين عليه، فالصيغة وإن كانت صيغة أفعل التي للتفضيل إلا أنه لا تفضيل هنا، وإنما هو لمجرد الوصف بدون تفضيل. وإنما ذكر يزيد هذه الأبيات على سبيل التمثل بها وليست من شعره. قال القالي فرد عليه هشام ببيتين وهما:

وَمَنْ لا يُغَمِّضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ ... وَعَنْ بَعْضِ ما فِيهِ يَمُتْ وَهُوَ عاتِبُ
وَمَنْ يَتَتَبَّعْ جاهِداً كُلَّ عَثْرَةٍ ... يَجِدْها ولا يَسْلَمْ لَهُ الدَّهْرَ صاحِبُ

ثم قال: فرد عليه يزيد بقصيدة معن بن أوس التي يقول فيها:

لَعَمْرُكَ ما أدْرِي وَإنّي لأوْجَلُ ... عَلى أيِّنا تَغْدُو المَنِيَّةُ أوّلُ

إنَّ الَّـذِي سَـمَـكَ السَّـمـاءَ بَـنـى لَـنـا بَـيْـتـاً دَعـائـمُـهُ أعَـزُ وأطْـوَلُ(١)

إلى أنه بمعنى: عزيزة طويلة. قالوا: ومنه قولهم في الأذان: الله أكبر، بمعنى: الله كبير وقالوا: إن قال قائل: إن الله لا يوصف بهذا، وإنما يوصف به الخلق، فزعم أنه وهو أهون على الخلق، فإن الحجة عليه قول الله: ﴿وكانَ ذلكَ على اللهِ يَسِيراً﴾، وقوله: ﴿وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُما﴾: أي لا يثقله حفظهما.

وقوله: ﴿وَلَهُ المَثَلُ الأعْلَى﴾ يقول: ولله المثل الأعلى في السموات والأرض، وهو أنه لا إله إلاَّ هو وحده لا شريك له، ليس كمثله شيء، فذلك المثل الأعلى، تعالى ربنا وتقدّس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿وَلَهُ المَثَلُ الأعْلَى فِي السَّمَوَاتِ﴾ يقول: ليس كمثله شيء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿وَلَهُ المَثَلُ الأعْلَى فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾ مثله أنه لا إله إلاَّ هو، ولا ربّ غيره.

وقوله: ﴿وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ يقول تعالى ذكره: وهو العزيز في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تدبيره خلقه، وتصريفهم فيما أراد من إحياء وإماتة، وبعث ونشر، وما شاء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: مثل لكم أيها القوم ربكم مثلاً من أنفسكم، **﴿هل لكم مما ملكت**

= وقد بين البغداد في «**خزانة الأدب الكبرى**» (٥٠٠، ٥٠٢) أن هذا الشاهد وما ماثله يمكن أن يحمل على التفضيل إلا على مجرد الوصف، فراجعه ثمة.

(١) البيت للفرزدق (ديوانه طبعة الصاوي بالقاهرة ص ـ ٧١٤) وهو من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» الورقة (١٨٧ ب) قال أبو عبيدة: أي عزيزة طويلة. فإن احتج فقال: إن الله عز وجل لا يوصف بهذا، وإنما يوصف الخلق، فزعم أن «وهو أهون» عليه: على الخلق؛ فإن الحجة عليه قول الله عز وجل: ﴿وكان ذلك على الله يسيراً﴾. وفي آية أخرى: ﴿ولا يئوده حفظهما﴾ أي لا يثقله.

أيمانكم﴾ يقول: من مماليككم من شركاء، **﴿فيما رزقناكم﴾** من مال، **﴿فأنتم فيه سواء﴾** وهم. يقول: فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونها لي شركاء في عبادتكم إياي، وأنتم وهم عبيدي ومماليكي، وأنا مالك جميعكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله: **﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أنْفُسكمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ فِيما رَزَقْناكُمْ، فأنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾** قال: مثل ضربه الله لمن عدل به شيئاً من خلقه، يقول: أكان أحدكم مشاركاً مملوكه في فراشه وزوجته، فكذلكم الله لا يرضى أن يعدل به أحد من خلقه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله **﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ ممَّا مَلَكَتْ أيمَانُكُمْ مِنْ شُرَكاءَ فِيما رَزَقْناكُمْ، فأنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ﴾** قال: هل تجد أحداً يجعل عبده هكذا في ماله، فكيف تعمد أنت وأنت تشهد أنهم عبيدي وخلقي، وتجعل لهم نصيباً في عبادتي، كيف يكون هذا؟ قال: وهذا مثل ضربه الله لهم، وقرأ: **﴿كَذلكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾**.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: **﴿تَخافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أنْفُسَكُمْ﴾** فقال بعضهم: معنى ذلك: تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم أن يرثوكم أموالكم من بعد وفاتكم، كما يرث بعضكم بعضاً.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن حجاج، عن ابن جُرَيج، عن عطاء الخراساني، عن ابن عباس، قال: في الآلهة، وفيه يقول: تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضاً.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم أن يقاسموكم أموالكم، كما تقاسم بعضكم بعضاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت عمران قال: قال أبو مجلز: إن مملوكك لا تخاف أن يقاسمك مالك، وليس له ذلك، كذلك الله لا شريك له.

وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك القول الثاني، لأنه أشبههما بما دلّ عليه ظاهرالكلام، وذلك أن الله جلّ ثناؤه وبخ هؤلاء المشركين الذين يجعلون له من خلقه آلهة

يعبدونها، وأشركوهم في عبادتهم إياه، وهم مع ذلك يقرّون بأنها خلقه وهم عبيده، وعيرهم بفعلهم ذلك، فقال لهم: هل لكم من عبيدكم شركاء فيما خوّلناكم من نعمنا، فهم سواء، وأنتم في ذلك تخافون أن يقاسموكم ذلك المال الذي هو بينكم وبينهم، كخيفة بعضكم بعضاً أن يقاسمه ما بينه وبينه من المال شركة فالخيفة التي ذكرها تعالى ذكره بأن تكون خيفة مما يخاف الشريك من مقاسمة شريكه المال الذي بينهما إياه أشبه من أن تكون خيفة منه بأن يرثه، لأن ذكر الشركة لا يدلّ على خيفة الوراثة، وقد يدلّ على خيفة الفراق والمقاسمة.

وقوله: ﴿**كذلكَ نُفَصّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: كما بيّنا لكم أيها القوم حججنا في هذه الآيات من هذه السورة على قدرتنا على ما نشاء من إنشاء ما نشاء، وإفناء ما نحبّ، وإعادة ما نريد إعادته بعد فنائه، ودللنا على أنه لا تصلح العبادة إلاَّ للواحد القهار، الذي بيده ملكوت كلّ شيء، كذلك نبين حججنا في كل حقّ لقوم يعقلون، فيتدبرونها إذا سمعوها، ويعتبرون فيتعظون بها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ما ذلك كذلك، ولا أشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله الآلهة والأوثان، لأن لهم شركا فيما رزقهم الله من ملك أيمانهم، فهم وعبيدهم فيه سواء، يخافون أن يقاسموهم ما هم شركاؤهم فيه، فرضوا لله من أجل ذلك بما رضوا به لأنفسهم، فأشركوهم في عبادته، ولكن الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله، اتبعوا أهواءهم، جهلاً منهم لحقّ الله عليهم، فأشركوا الآلهة والأوثان في عبادته ﴿**فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللّهُ**﴾ يقول: فمن يسدّد للصواب من الطرق، يعني بذلك من يوفق للإسلام من أضلّ الله عن الاستقامة والرشاد؟ ﴿**وَما لَهُمْ مِنْ ناصِرِينَ**﴾ يقول: وما لمن أضلّ الله من ناصرين ينصرونه، فينقذونه من الضلال الذي يبتليه به تعالى ذكره.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فسدّد وجهك نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك يا محمد لطاعته، وهي الدين، ﴿**حنيفاً**﴾ يقول: مستقيماً لدينه وطاعته، ﴿**فطرة الله التي فطر الناس عليها**﴾ يقول: صنعة

الله التي خلق الناس عليها ونصبت فطرة على المصدر من معنى قوله ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ للدِّينِ حَنِيفاً﴾ وذلك أن معنى ذلك: فطر الله الناس على ذلك فطرة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿فِطْرَةَ اللّهِ التي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيها﴾ قال: الإسلام مذ خلقهم الله من آدم جميعاً، يقرّون بذلك، وقرأ: ﴿وَإذْ أخَذَ رَبُّكَ منْ بَنِي آدَمَ منْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ، وأشْهَدَهُمْ على أنْفُسِهِمْ، ألَسْتُ برَبِّكُمْ قالُوا بَلَى شَهِدْنا﴾ قال: فهذا قول الله: ﴿كانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً، فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ﴾ بعد.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿فِطْرَةَ اللّهِ﴾ قال: الإسلام.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا يونس بن أبي صالح، عن يزيد بن أبي مريم، قال: مرّ عمر بمُعاذ بن جبل، فقال: ما قِوام هذه الأمة؟ قال مُعاذ: ثلاث، وهنّ المنجيات: الإخلاص، وهو الفطرة ﴿فِطْرَةَ اللّهِ التي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيها﴾. والصلاة وهي الملة والطاعة وهي العصمة، فقال عمر: صدقت.

حدثني يعقوب، قال: ثني ابن عُلَية، قال: ثنا أيوب، عن أبي قِلابة أن عمر قال لمعاذ: ما قِوام هذه الأمة؟ ثم ذكر نحوه.

وقوله ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ﴾ يقول: لا تغيير لدين الله: أي لا يصلح ذلك، ولا ينبغي أن يفعل.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم نحو الذي قلنا في ذلك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ﴾ قال: لدينه.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن ليث، قال: أرسل مجاهد رجلاً يقال له قاسم إلى عكرمة يسأله عن قول الله: ﴿لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللّهِ﴾ قال: إنما هو الدين، وقرأ ﴿لا تَبْدِيلَ لخَلْقِ اللّهِ ذلكَ الدِّينُ القَيِّمُ﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا زيد بن حباب، عن حسين بن واقد، عن يزيد النحوي، عن

عكرِمة ﴿فطْرَةَ اللّهِ التي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها﴾ قال: الإسلام.

قال: ثني أبي، عن نضر بن عربي، عن عكرمة ﴿لا تَبْدِيلَ لخَلْقِ اللّهِ﴾ قال: لدين الله.

قال: ثني أبي، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد، قال: لدين الله.

قال: ثنا أبي، عن عبد الجبار بن الورد، عن القاسم بن أبي بزّة، قال: قال مجاهد، فسل عنها عكرِمة، فسألته، فقال عكرمة: دين الله تعالى ماله أخزاه الله؟ ألم يسمع إلى قوله ﴿فِطْرَةَ اللّهِ التي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها، لا تَبْدِيلَ لخَلْقِ اللّهِ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿لا تَبْدِيلَ لخَلْقِ اللّهِ﴾: أي لدين الله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حفص بن غياث، عن ليث، عن عكرمة، قال: لدين الله.

قال: ثنا ابن عيينة، عن حميد الأعرج، قال: قال سعيد بن جُبَير ﴿لا تَبْدِيلَ لخَلْقِ اللّهِ﴾ قال: لدين الله.

قال: ثنا المحاربي، عن جويبر، عن الضحاك ﴿لا تَبْدِيلَ لخَلْقِ اللّهِ﴾ قال: لدين الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿لا تَبْدِيلَ لخَلْقِ اللّهِ﴾ قال: دين الله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي عن مسعر وسفيان، عن قيس بن مسلم، عن إبراهيم، قال ﴿لا تَبْدِيلَ لخَلْقِ اللّهِ﴾ قال: لدين الله.

قال: ثنا أبي عن جعفر الرازي، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: لدين الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا تغيير لخلق الله من البهائم بأن يخصى الفحول منها.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن فضيل، عن مطرف، عن رجل، سأل ابن عباس، عن خصاء البهائم، فكرهه، وقال: ﴿لا تَبْدِيل لخَلْقِ اللّهِ﴾.

قال: ثنا ابن عيينة، عن حميد الأعرج، قال: قال عكرمة: الإخصاء.

قال: ثنا حفص بن غياث، عن ليث، عن مجاهد، قال: الإخصاء.

وقوله: ﴿ذلكَ الدّينُ القَيِّمُ﴾ يقول تعالى ذكره: إن إقامتك وجهك للدين حنيفاً غير مغير ولا مبدّل هو الدين القيم، يعني المستقيم الذي لا عوج فيه عن الاستقامة من الحنيفية إلى اليهودية والنصرانية، وغير ذلك من الضلالات والبدع المحدثة.

وقد وجّه بعضهم معنى الدين في هذا الموضع إلى الحساب.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا عبد الله بن موسى، قال: أخبرنا أبو ليلى، عن بريدة **﴿ذلكَ الدّينُ القَيّمُ﴾** قال: الحساب القيم **﴿وَلَكِنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾** يقول تعالى ذكره: ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الدين الذي أمرتك يا محمد به بقولي **﴿فأَقِمْ وَجْهَكَ للدّينِ حَنِيفاً﴾** هو الدين الحقّ دون سائر الأديان غيره.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: **﴿مُنِيبِينَ إلَيْهِ﴾** تائبين راجعين إلى الله مقبلين، كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿مُنِيبِينَ إليْهِ﴾** قال: المنيب إلى الله: المطيع لله، الذي أناب إلى طاعة الله وأمره، ورجع عن الأمور التي كان عليها قبل ذلك. كان القوم كفاراً، فنزعوا ورجعوا إلى الإسلام.

وتأويل الكلام: فأقم وجهك يا محمد للدين حنيفاً منيبين إليه إلى الله فالمنيبون حال من الكاف التي في وجهك.

فإن قال قائل: وكيف يكون حالاً منها، والكاف كناية عن واحد، والمنيبون صفة لجماعة؟ قيل: لأن الأمر من الكاف كناية اسمه من الله في هذا الموضع أمر منه له ولأمته، فكأنه قيل له: فأقم وجهك أنت وأمتك للدين حنيفاً لله، منيبين إليه.

وقوله: **﴿وَاتَّقُوهُ﴾** يقول جلّ ثناؤه: وخافوا الله وراقبوه أن تفرّطوا في طاعته، وتركبوا معصيته. **﴿وَلا تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ﴾** يقول: ولا تكونوا من أهل الشرك بالله بتضييعكم فرائضه، وركوبكم معاصيه، وخلافكم الدين الذي دعاكم إليه.

وقوله: **﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعاً﴾** يقول: ولا تكونوا من المشركين الذين بدّلوا دينهم، وخالفوه ففارقوه **﴿وكانوا شِيَعاً﴾** يقول: وكانوا أحزاباً فرقاً كاليهود والنصارى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة **﴿الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعاً﴾**: وهم اليهود والنصارى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وكانُوا شِيَعاً**﴾ إلى آخر الآية، قال: هؤلاء يهود، فلو وجّه قوله ﴿**مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ**﴾ إلى أنه خبر مستأنف منقطع عن قوله: ﴿**وَلا تَكُونُوا مِنَ المُشْرِكِينَ**﴾ وأن معناه: من الذين فرّقوا دِينَهُم ﴿**وكانُوا شِيَعاً**﴾ أحزاباً ﴿**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ كان وجهاً يحتمله الكلام.

وقوله: ﴿**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ يقول: كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقوا دينهم الحقّ، فأحدثوا البدع التي أحدثوا بما لديهم فرحون. يقول: بما هم به متمسكون من المذهب، فرحون مسروورون، يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا مسّ هؤلاء المشركين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر ضُرٌّ، فأصابتهم شدة وجدوب وقحوط ﴿**دَعَوْا رَبَّهُمْ**﴾ يقول: أخلصوا لربهم التوحيد، وأفردوه بالدعاء والتضرّع إليه، واستغاثوا به منيبين إليه، تائبين إليه من شركهم وكفرهم ﴿**ثُمَّ إذَا أذاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً**﴾ يقول: ثم إذا كشف ربهم تعالى ذكره عنهم ذلك الضرّ وفرّجه عنهم وأصابهم برخاء وخصب وسعة، ﴿**إذا فريق منهم**﴾ يقول: إذا جماعة منهم بربهم ﴿**يشركون**﴾ يقول: يعبدون معه الآلهة والأوثان.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره متوعداً لهؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنه إذا كشف الضرّ عنهم كفروا به، ليكفروا بما أعطيناهم، يقول: إذا هم بربهم يشركون، كي يكفروا: أي يجحدوا النعمة التي أنعمتها عليهم بكشفي عنهم الضرّ الذي كانوا فيه، وإبدالي ذلك لهم بالرخاء والخصب والعافية، وذلك الرخاء والسعة هو الذي آتاهم تعالى ذكره، الذي قال: ﴿**بما آتيناهم**﴾. وقوله ﴿**فَتَمَتَّعُوا**﴾ يقول: فتمتعوا أيها القوم بالذي آتيناكم من الرخاء والسعة في هذه الدنيا ﴿**فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾ إذا وردتم على ربكم ما تلقون من عذابه، وعظيم عقابه على كفركم به في الدنيا. وقد قرأ بعضهم: «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» بالياء، بمعنى: ليكفروا بما آتيناهم، فقد تمتعوا على وجه الخبر، فسوف يعلمون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أم أنزلنا على هؤلاء الذين يشركون في عبادتنا الآلهة والأوثان، كتاباً بتصديق ما يقولون، وبحقيقة ما يفعلون ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ يقول: فذلك الكتاب ينطق بصحة شركهم وإنما يعني جلّ ثناؤه بذلك: أنه لم يُنْزل بما يقولون ويفعلون كتاباً، ولا أرسل به رسولاً، وإنما هو شيء افتعلوه واختلقوه، اتباعاً منهم لأهوائهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله ﴿**أَمْ أَنْزَلْنا عَلَيْهِمْ سُلْطاناً فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ**﴾ يقول: أم أنزلنا عليهم كتاباً فهو ينطق بشركهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا أصاب الناس منا خصب ورخاء، وعافية في الأبدان والأموال، فرحوا بذلك، وإن تصبهم منا شدّة من جدب وقحط وبلاء في الأموال والأبدان ﴿**بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ**﴾ يقول: بما أسلفوا من سيىء الأعمال بينهم وبين الله، وركبوا من المعاصي ﴿**إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ**﴾ يقول: إذا هم ييأسون من الفرج والقنوط: هو الإياس ومنه قول حميد الأرقط.

قَدْ وَجَدُوا الحَجَّاجَ غَيْرَ قانِطِ[(١)]

وقوله: ﴿**إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ**﴾ هو جواب الجزاء، لأن «إذا» نابت عن الفعل بدلالتها عليه، فكأنه قيل: وإن تصبهم سيئة بما قدّمت أيديهم وجدتهم يقنطون، أو تجدهم، أو رأيتهم، أو تراهم. وقد كان بعض نحويي البصرة يقول: إذا كانت «إذا» جواباً لأنها متعلقة بالكلام الأوّل بمنزلة الفاء.

---

(١) البيت لحميد الأرقط «**مجاز القرآن**» لأبي عبيدة، الورقة (١٨٨ ب) قال: «إذا هم يقنطون»: أي ييئسون، قال حميد الأرقط «قد وجدوا... البيت». وفي «**اللسان**» قنط القنوط: اليأس. وفي «**التهذيب**»: اليأس من الخير. وقيل: أشد اليأس من الشيء. وقنط يقنط ويقنط (كضرب ونصر) وقنط قنطاً كتعب فهو قنط، وقرىء: ولا تكن من القنطين. وأما قنط يقنط (بالفتح فيهما) وقنط يقنط (بالكسر فيهما) فإنما هو على الجمع بين اللغتين كما قاله الأخفش.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أوَ لم ير هؤلاء الذين يفرحون عند الرخاء يصيبهم والخصب، وييأسون من الفرج عند شدّة تنالهم، بعيون قلوبهم، فيعلموا أن الشدّة والرخاء بيد الله، وأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده فيوسعه عليه، ويقدر على من أراد فيضيقه عليه **﴿إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** يقول: إن في بسطه ذلك على من بسطه عليه، وقدره على من قدره عليه، ومخالفته بين من خالف بينه من عباده في الغنى والفقر، لدلالة واضحة لمن صدّق حجج الله وأقرّ بها إذا عاينها ورآها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فأعط يا محمد ذا القرابة منك حقه عليك من الصلة والبرّ والمسكين وابن السبيل، ما فرض الله لهما في ذلك، كما:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا غندر، عن عوف، عن الحسن **﴿فآت ذَا القُرْبَى حَقَّهُ والمِسكين وَابْنَ السَّبِيلِ﴾** قال: هو أن توفيهم حقهم إن كان عند يسر، وإن لم يكن عندك فقل لهم قولاً ميسوراً، قل لهم الخير.

وقوله: **﴿ذلكَ خَيْرٌ للَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللّهِ﴾** يقول تعالى ذكره: إيتاء هؤلاء حقوقهم التي ألزمها الله عباده، خير للذين يريدون الله بإتيانهم ذلك **﴿وأُولَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ﴾** يقول: ومن يفعل ذلك مبتغياً وجه الله به، فأولئك هم المنجحون، المدركون طلباتهم عند الله، الفائزون بما ابتغوا والتمسوا بإيتائهم إياهم ما آتوا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما أعطيتم أيها الناس بعضكم بعضاً من عطية لتزداد في أموال الناس

برجوع ثوابها إليه، ممن أعطاه ذلك، ﴿فلا يربو عند الله﴾ يقول: فلا يزداد ذلك عند الله، لأن صاحبه لم يعطه من أعطاه مبتغياً به وجهه. ﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ﴾ يقول: وما أعطيتم من صدقة تريدون بها وجه الله، ﴿فأولئك﴾ يعني الذين يتصدّقون بأموالهم ملتمسين بذلك وجه الله ﴿هم المضعفون﴾ يقول: هم الذين لهم الضعف من الأجر والثواب، من قول العرب: أصبح القوم مسمِنين معطِشين، إذا سمنت إبلهم وعطشت. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فِي أمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللّهِ﴾ قال: هو ما يعطي الناس بينهم بعضهم بعضاً، يعطي الرجل الرجل العطية، يريد أن يُعطى أكثر منها.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور بن صفية، عن سعيد بن جُبَير ﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُوَ فِي أمْوَالِ النَّاسِ﴾ قال: هو الرجل يعطي الرجل العطية ليثيبه.

قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، عن منصور بن صفية، عن سعيد بن جُبَير، مثله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثني أبي، عن سفيان، عن منصور بن صفية، عن سعيد بن جُبَير ﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُوَ في أمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللّهِ﴾ قال: الرجل يعطى ليثاب عليه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُو فِي أمْوَالِ النَّاسِ﴾ قال: الهدايا.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثني أبي، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: هي الهدايا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُو فِي أمْوَالِ النَّاسِ﴾ قال: يعطي ماله يبتغي أفضل منه.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن فضيل، عن ابن أبي خالد، عن إبراهيم، قال: هو الرجل يهدي إلى الرجل الهدية، ليثيبه أفضل منها.

قال: ثنا محمد بن حميد المعمري، عن معمر، عن ابن طاوس، عن أبيه: هو الرجل يعطي العطية ويهدي الهدية، ليثاب أفضل من ذلك، ليس فيه أجر ولا وزر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُوَ فِي أمْوَالِ

النَّاس فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللّهِ﴾ قال: ما أعطيت من شيء تريد مثابة الدنيا، ومجازاة الناس ذاك الربا الذي لا يقبله الله، ولا يجزي به.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله **﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُوَ فِي أمْوَالِ النَّاسِ﴾** فهو ما يتعاطى الناس بينهم ويتهادون، يعطى الرجل العطية ليصيب منه أفضل منها، وهذا للناس عامة.

وأما قوله: **﴿وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرْ﴾** فهذا للنبيّ خاصة، لم يكن له أن يعطي إلاَّ لله، ولم يكن يعطي ليعطى أكثر منه.

وقال آخرون: إنما عنى بهذا: الرجلَ يعطي ماله الرجلَ ليعينه بنفسه، ويخدمه ويعود عليه نفعه، لا لطلب أجر من الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي ومحمد بن فضيل، عن زكريا عن عامر **﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُوَ في أمْوَالِ النَّاسِ﴾** قال: هو الرجل يلزق بالرجل، فيخفّ له ويخدمه، ويسافر معه، فيجعل له ربح بعض ماله ليجزيه، وإنما أعطاه التماس عونه، ولم يرد وجه الله.

وقال آخرون: هو إعطاء الرجل ماله ليكثر به مال من أعطاه ذلك، لا طلب ثواب الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن أبي حصين، عن ابن عباس **﴿وَما آتَيْتُمْ منْ رِبا لِيَرْبُو في أمْوَالِ النَّاسِ﴾** قال: ألم تر إلى الرجل يقول للرجل: لأموّلنك، فيعطيه، فهذا لا يربو عند الله، لأنه يعطيه لغير الله ليثري ماله.

قال: ثنا عمرو بن عبد الحميد الآملي، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن إسماعيل بن أبي خالد، قال: سمعت إبراهيم النخعي يقول في قوله: **﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُوَ في أمْوَالِ النَّاسِ، فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللّهِ﴾** قال: كان هذا في الجاهلية يعطي أحدهم ذا القرابة المال يكثر به ماله.

وقال آخرون: ذلك للنبيّ ﷺ خاصة، وأما لغيره فحلال.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي روّاد، عن الضحاك **﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِبا لِيَرْبُوَ فِي أمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللّهِ﴾** هذا للنبيّ ﷺ، هذا الربا الحلال.

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك لأنه أظهر معانيه.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة وبعض أهل مكة: ﴿لِيَرْبُوَ﴾ بفتح الياء من يربو، بمعنى: وما آتيتم من رباً ليربوَ ذلك الربا في أموال الناس. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة: «لِتَرْبُوا» بالتاء من تُربوا وضمها، بمعنى: وما آتيتم من رباً لتُربوا أنتم في أموال الناس.

والصواب من القول في ذلك عندنا، أنهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار مع تقارب معنييهما، لأن أرباب المال إذا أربوا رباً المال، وإذا ربا المالُ فبإرباء أياه رباً. فإذا كان ذلك كذلك، فبأيّ القراءتين قرأ القارىء فمصيب.

وأما قوله: ﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ المُضعِفُونَ﴾ فإن أهل التأويل قالوا في تأويله نحو الذي قلنا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله: ﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ تُرِيدون وَجْهَ اللّهِ، فَأُولَئِكَ هُمُ المُضْعِفُونَ﴾ قال: هذا الذي يقبله الله ويضعفه لهم عشر أمثالها، وأكثر من ذلك.

حُدثت عن عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قَتادة، قال: قال ابن عباس، قوله ﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ رِباً لِيَرْبُوَ فِي أمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللّهِ﴾ قال: هي الهبة، يهب الشيء يريد أن يُثاب عليه أفضل منه، فذلك الذي لا يربو عند الله، لا يؤجر فيه صاحبه، ولا إثم عليه ﴿وَما آتَيْتُمْ مِنْ زَكاةٍ﴾ قال: هي الصدقة تريدون وجه الله ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ المُضْعِفونَ﴾.

قال معمر، قال ابن أبي نَجيح، عن مجاهد، مثل ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٤٠)﴾.

يقول تعالى ذكره للمشركين به، معرّفهم قبح فعلهم، وخبث صنيعهم: الله أيها القوم الذي لا تصلح العبادة إلاّ له، ولا ينبغي أن تكون لغيره، هو الذي خلقكم ولم تكونوا شيئاً، ثم رزقكم وخوّلكم، ولم تكونوا تملكون قبل ذلك، ثم هو يميتكم من بعد أن خلقكم أحياء، ثم يحييكم من بعد مماتكم لبعث القيامة، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث بعد الموت.

وقوله: ﴿**هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: هل من آلهتكم وأوثانكم التي تجعلونهم لله في عبادتكم إياه شركاء من يفعل من ذلكم من شيء، فيخلق أو يرزق، أو يميت، أو ينشر وهذا من الله تقريع لهؤلاء المشركين. وإنما معنى الكلام أن شركاءهم لا تفعل شيئاً من ذلك، فكيف يُعبد من دون الله من لا يفعل شيئاً من ذلك؟ ثم برأ نفسه تعالى ذكره عن الفرية التي افتراها هؤلاء المشركون عليه بزعمهم أن آلهتهم له شركاء، فقال جلّ ثناؤه ﴿**سبحانه**﴾ أي تنزيهاً لله وتبرئة ﴿**وتَعالى**﴾ يقول: وعلوّاً له ﴿**عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ يقول: عن شرك هؤلاء المشركين به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**هَلْ مِنْ شُرَكائِكُمْ مَنْ يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِنْ شَيْءٍ**﴾ لا والله ﴿**سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ظهرت المعاصي في برّ الأرض وبحرها بكسب أيدي الناس ما نهاهم الله عنه.

واختلف أهل التأويل في المراد من قوله: ﴿**ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ**﴾ فقال بعضهم: عنى بالبَرّ: الفلوات، ﴿**وبالبحر**﴾: الأمصار والقُرى التي على المياه والأنهار.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا عَثّام، قال: ثنا النضر بن عربيّ، عن مجاهد ﴿**وَإذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأرْضِ لِيُفْسِدَ فِيها...**﴾ الآية، قال: إذا ولي سعى بالتعدّي والظلم، فيحبس الله القطر، فـ﴿**يُهْلِكَ الحَرْثَ والنَّسْلَ، وَاللّهُ لا يُحِبُّ الفَسادَ**﴾ قال: ثم قرأ مجاهد: ﴿**ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ...**﴾ الآية قال: ثم قال: أما والله ما هو بحرُكم هذا، ولكن كل قرية على ماء جار فهو بحر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن النضر بن عربيّ، عن عكرمة ﴿**ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ**﴾ قال: أمَا إني لا أقول بحرُكم هذا، ولكن كلّ قرية على ماء جار.

قال: ثنا يزيد بن هارون، عن عمرو بن فَرُّوخ، عن حبيب بن الزبير، عن عكرمة ﴿**ظَهَرَ**

الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ﴾ قال: إن العرب تسمي الأمصار بحراً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله ﴿**ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أيْدِي النَّاسِ**﴾ قال: هذا قبل أن يَبعث الله نبيه محمداً ﷺ، امتلأت ضلالة وظلماً، فلما بعث الله نبيه، رجع راجعون من الناس.

قوله: ﴿**ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ**﴾ أما البرّ فأهل العمود، وأما البحر فأهل القُرَى والريف.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ**﴾ قال: الذنوب، وقرأ ﴿**لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا قرة، عن الحسن، في قوله ﴿**ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أيْدِي النَّاسِ**﴾ قال: أفسدهم الله بذنوبهم، في بحر الأرض وبرها، بأعمالهم الخبيثة.

وقال آخرون: بل عُنِي بالبرّ: ظهر الأرض، الأمصار وغيرها، وبالبحر البحر المعروف.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن ليث، عن مجاهد ﴿**ظَهَر الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ**﴾: قال: في البرّ: ابن آدم الذي قتل أخاه، وفي البحر: الذي كان يأخذ كلّ سفينة غصباً.

حدثني يعقوب، قال: قال أبو بشر: يعني ابن عُلَيّة، قال: سمعت ابن أبي نجيح، يقول في قوله ﴿**ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أيْدِي النَّاسِ**﴾ قال: بقتل ابن آدم، والذي كان يأخذ كل سفينة غصباً.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يزيد بن هارون، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية ﴿**ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ والبَحْرِ**﴾ قال: قلت: هذا البرّ والبحر أيّ فساد فيه؟ قال: فقال: إذا قلّ المطر، قل الغَوْص.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله ﴿**ظَهَرَ الفَسادُ فِي البَرّ**﴾ قال: قتل ابن آدم أخاه، والبحر: قال: أخذ الملك السفن غَصْباً.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن الله تعالى ذكره، أخبر أن الفساد قد ظهر في البرّ والبحر عند العرب في الأرض القفار، والبحر بحران: بحر ملح، وبحر عذب، فهما جميعاً عندهم بحر، ولم يخصص جلّ ثناؤه الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر، فذلك على ما وقع

عليه اسم بحر، عذباً كان أو ملحاً. وإذا كان ذلك كذلك، دخل القرى التي على الأنهار والبحار.

فتأويل الكلام إذن إذ كان الأمر كما وصفت، ظهرت معاصي الله في كل مكان، من برّ وبحر ﴿**بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**﴾: أي بذنوب الناس، وانتشر الظلم فيهما.

وقوله: ﴿**وليُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا**﴾ يقول جلّ ثناؤه: ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوا، ومعصيتهم التي عَصَوا ﴿**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ يقول: كي ينيبوا إلى الحقّ، ويرجعوا إلى التوبة، ويتركوا معاصيَ الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن فضيل، عن أشعث، عن الحسن ﴿**لَعلَّهم يَرْجِعُونَ**﴾ قال: يتوبون.

قال: ثنا ابن مهديّ، عن سفيان، عن السديّ، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله ﴿**لَعلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ يوم بدر، لعلهم يتوبون.

قال: ثنا أبو أُسامة، عن زائدة، عن منصور عن إبراهيم ﴿**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ قال: إلى الحقّ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله ﴿**لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾: لعلّ راجعاً أن يرجع، لعل تائباً أن يتوب، لعلّ مستعتباً أن يستعتب.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا قرة، عن الحسن، ﴿**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**﴾ قال: يرجع مَنْ بعدَهم.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**لِيُذِيقَهمْ**﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار ﴿**لِيُذِيقَهُمْ**﴾ بالياء، بمعنى: ليذيقهم الله بعض الذي عملوا، وذُكر أن أبا عبد الرحمن السُّلَمي قرأ ذلك بالنون على وجه الخبر من الله عن نفسه بذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: سِيروا في البلاد، فانظروا إلى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم، وكذّبوا رسلَه، كيف كان آخر أمرهم، وعاقبة تكذيبهم رسُلَ الله وكفرهم ألم نهلكهم بعذاب منا، ونجعلهم عبرة لمن بعدهم؟ ﴿**كان أكثرهم مشركين**﴾ يقول: فَعَلنا ذلك بهم، لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلَهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فوجِّه وجْهَك يا محمد نحوَ الوجه الذي وجَّهك إليه ربك **﴿للدِّينِ القَيِّم﴾** لطاعة ربك، والمِلةِ المستقيمةِ التي لا اعوجاج فيها عن الحقّ **﴿مِنْ قَبْلِ أنْ يَأتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللّهِ﴾** يقول تعالى ذكره: من قبل مجيءِ يوم من أيام الله لا مردّ له لمجيئه، لأن الله قد قضى بمجيئه فهو لا محالة جاء **﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾** يقول: يوم يجيء ذلك اليومُ يصدّع الناسُ، يقول: يتفرّق الناس فرقتين من قولهم: صَدَعتُ الغنم صدعتين: إذا فرقتها فرقتين: فريق في الجنة، وفريق في السعير. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله: **﴿فأقِمْ وَجْهَكَ للدّينِ القَيِّمِ﴾** الإسلام **﴿مِنْ قَبْلِ أنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾** فريق في الجنة، وفريق في السعير.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله **﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾** يقول: يتفرّقون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله **﴿يَصَّدَّعُونَ﴾** قال: يتفرّقون إلى الجنة، وإلى النار.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: من كفر بالله فعليه، أو زاد كفره، وآثام جحوده نِعَمَ ربه، **﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحاً﴾** يقول: ومن أطاع الله، فعمل بما أمره به في الدنيا، وانتهى عما نهاه عنه فيها **﴿فَلأنْفُسِهِمْ يَمْهَدونَ﴾** يقول: فلأنفسهم يستعدون، ويسوّون المضجع ليسلموا من عقاب ربهم، وينجوا من عذابه، كما قال الشاعر:

امْهَدْ لِنَفْسِكَ حانَ السُّقْمُ والتَّلَفُ ... وَلا تُضِيعَنَّ نَفْساً ما لَها خَلَفُ[1]

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) البيت لسليمان بن يزيد العدوي «**مجاز القرآن**» لأبي عبيدة، الورقة (١٨٩ أ) قال في تفسير قوله تعالى: ﴿فلأنفسهم يمهدون﴾: من (بفتح الميم) يقع على الواحد والاثنين والجميع. ومجازها هنا مجاز الجميع. ويمهد: أي يكسب ويعمل ويستعد. قال سليمان بن يزيد، العدوي: «امهد لنفسك... البيت» وحان: قرب. والتلف: الموت. وفي «**اللسان**» (مهد) لنفسه يمهد مهداً (كفتح كسبب وعمل).

ذكر من قال ذلك:

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ**﴾ قال: يسوّون المضاجع.

حدثنا ابن المثنى والحسين بن يزيد الطحان وابن وكيع وأبو عبد الرحمن العلائي، قالوا: ثنا يحيى بن سليم، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ**﴾ قال: في القبر.

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، قال: ثنا يحيى بن سليم، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ**﴾ قال: للقبر.

حدثنا نصر بن عليّ، قال: ثنا يحيى بن سليم، قال: ثنا ابن أبي نجيح، قال: سمعت مجاهداً يقول: في قوله ﴿**فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ**﴾ قال: في القبر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**يومئذ يصَّدَّعون... لِيَجزيَ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ بالله ورسوله ﴿**وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ**﴾ يقول: وعملوا بما أمرهم الله ﴿**مِنْ فَضْلِهِ**﴾ الذي وعد من أطاعه في الدنيا أن يجزيه يوم القيامة ﴿**إنَّهُ لا يُحِبُّ الكافِرِينَ**﴾ يقول تعالى ذكره: إنما خصّ بجزائه من فضله الذين آمنوا وعملوا الصالحات دون من كفر بالله، إنه لا يحبّ أهل الكفر به. واستأنف الخبر بقوله ﴿**إنَّه لا يُحِبُّ الكافِرِينَ**﴾ وفيه المعنى الذي وصفت.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن أدلته على وحدانيته وحججه عليكم على أنه إله كلّ شيء ﴿**أنْ يُرْسِلَ الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ**﴾ بالغيث والرحمة ﴿**وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ**﴾ يقول: ولينزّل عليكم من رحمته، وهي الغيث الذي يحيي به البلاد، ولتجري السفن في البحار بها بأمره إياها ﴿**وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ**﴾ يقول: ولتلتمسوا من أرزاقه ومعايشكم التي قسمها بينكم ﴿**وَلَعلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾ يقول: ولتشكروا ربكم على ذلك أرسل هذه الرياح مبشرات. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**الرِّياحَ مُبَشِّراتٍ**﴾ قال: بالمطر.

وقالوا في قوله: ﴿**وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ**﴾ مثل الذي قلنا فيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ**﴾ قال: المطر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**وَلِيُذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ**﴾: المطر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مسلياً نبيه ﷺ فيما يلقى من قومه من الأذى فيه بما لقي من قبله من رسله من قومهم، ومعلمه سنته فيهم وفي قومهم، وأنه سالك به وبقومه سنته فيهم، وفي أممهم: ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك رسلاً إلى قومهم الكفرة، كما أرسلناك إلى قومك العابدي الأوثان من دون الله ﴿**فجاءُوهُمْ بالبَيِّناتِ**﴾ يعني: بالواضحات من الحجج على صدقهم وأنهم لله رسل كما جئت أنت قومك بالبينات فكذّبوهم كما كذّبك قومك، وردّوا عليهم ما جاءوهم به من عند الله، كما ردّوا عليك ما جئتهم به من عند ربك ﴿**فانْتَقَمْنا مِنَ الَّذِينَ أجْرَمُوا**﴾ يقول: فانتقمنا من الذين أجرموا الآثام، واكتسبوا السيئات من قومهم، ونحن فاعلو ذلك كذلك بمجرمي قومك ﴿**وكانَ حَقًّا عَلَينا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ**﴾ يقول: ونجّينا الذين آمنوا بالله وصدّقوا رسله، إذ جاءهم بأسنا، وكذلك نفعل بك وبمن آمن بك من قومك ﴿**وكانَ حَقًّا عَلَينا نَصْرُ المُؤْمِنِينَ**﴾ على الكافرين، ونحن ناصروك ومن آمن بك على مَن كفر بك، ومظفروك بهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ۖ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: الله يرسل الرياح فتثير سحاباً، يقول: فتنشىء الرياحُ سحاباً، وهي جمع سحابة، ﴿**فيبسطه في السماء كيف يشاء**﴾ يقول: فينشره الله، ويجمعه في السماء كيف يشاء، وقال: فيبسطه، فوحد الهاء، وأخرج مخرج كناية المذكر، والسحاب جمع كما وصفت ردًا على لفظ السحاب، لا على معناه، كما يقال: هذا تمر جيد. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ﴿**فَيَبْسُطُهُ**﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فَيَبْسُطُهُ فِي السَّماءِ كَيفَ يَشاءُ**﴾ ويجمعه.

وقوله: ﴿**ويَجْعَلُهُ كِسفَاً**﴾: يقول: ويجعل السحاب قِطعاً. متفرّقة، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**ويَجْعَلُهُ كِسفَاً**﴾: أي قطعاً.

وقوله ﴿**فتَرَى الوَدْقَ**﴾ يعني: المطر ﴿**يَخرُجُ مِنْ خِلالِهِ**﴾ يعني: من بين السحاب. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**فتَرَى الوَدْقَ يَخرُجُ مِنْ خِلالِهِ**﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن قطن، عن حبيب، عن عبيد بن عمير ﴿**يُرْسِلُ الرّياحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً**﴾ قال: الرياح أربع: يبعث الله ريحاً فتقمّ الأرض قماً، ثم يبعث الله الريح الثانية فتثير سحاباً، فيجعله في السماء كِسفَاً، ثم يبعث الله الريح الثالثة، فتؤلف بينه فيجعله ركاماً، ثم يبعث الريح الرابعة فتمطر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثَنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**فَتَرَى الوَدقَ**﴾ قال: القطر.

وقوله: ﴿**فإذَا أصَابَ بِهِ مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ إذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ**﴾ يقول: فإذا صرف ذلك الودق إلى أرض من أراد صرفه إلى أرضه من خلقه رأيتهم يستبشرون بأنه صرف ذلك إليهم ويفرحون.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وكان هؤلاء الذين أصابهم الله بهذا الغيث من عباده من قبل أن ينزل عليهم هذا الغيث من قبل هذا الغيث لمبلسين، يقول: لمكتئبين حزنين باحتباسه عنهم، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**وَإنْ كانُوا مِنْ قَبْلِ أنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ**﴾: أي قانطين.

واختلف أهل العربية في وجه تكرير «من قبله»، وقد تقدم قبل ذلك قوله: ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ فقال بعض نحويي البصرة: ردّ من قبله على التوكيد نحو قوله: ﴿فَسَجَدَ المَلائكَةُ كُلُّهُمْ أجمَعُونَ﴾ وقال غيره: ليس ذلك كذلك، لأن مع ﴿مِنْ قَبْلِ أنْ يُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ﴾ حرفاً ليس مع الثانية، قال: فكأنه قال: من قبل التنزيل من قبل المطر فقد اختلفتا، وأما ﴿كُلُّهُمْ أجمَعُونَ﴾ وكد بأجمعين لأن كلاً يكون اسماً ويكون توكيداً، وهو قوله أجمعون. والقول عندي في قوله: ﴿مِنْ قَبْلِهِ﴾ على وجه التوكيد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾.

اختلفت القرّاء في قوله: ﴿فانْظُرْ إلى آثارِ رَحْمَةِ اللّهِ﴾ فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: ﴿إلى أثَرِ رَحْمَةِ اللّهِ﴾ على التوحيد، بمعنى: فانظر يا محمد إلى أثر الغيث الذي أصاب الله به من أصاب من عباده، كيف يحيي ذلك الغيث الأرض من بعد موتها. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «فانْظُرْ إلى آثارِ رَحْمَةِ اللّهِ» على الجماع، بمعنى: فانظر إلى آثاء الغيث الذي أصاب الله به من أصاب كيف يحيي الأرض بعد موتها.

والصواب من القول في ذلك، أنهما قراءتان مشهورتان في قَرَأَة الأمصار، متقاربتا المعنى وذلك أن الله إذا أحيا الأرض بغيث أنزله عليها، فإن الغيث أحياها بإحياء الله إياها به، وإذا أحياها الغيث، فإن الله هو المحيي به، فبأيّ القراءتين قرأ القارىء فمصيب. فتأويل الكلام إذن: فانظر يا محمد إلى آثار الغيث الذي ينزّل الله من السحاب، كيف يحيي بها الأرض الميتة، فينبتها ويعشبها من بعد موتها ودثورها. ﴿إن ذلك لمحيي الموتى﴾ يقول جلّ ذكره: إن الذي يحيي هذه الأرض بعد موتها بهذا الغيث، لمحيي الموتى من بعد موتهم، وهو على كلّ شيء مع قدرته على إحياء الموتى قدير، لا يعزّ عليه شيء أراده، ولا يمتنع عليه فعل شيء شاءه سبحانه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولئن أرسلنا ريحاً مفسدة ما أنبته الغيث الذي أنزلناه من السماء، فرأى هؤلاء الذين أصابهم الله بذلك الغيث الذي حييت به أرضوهم، وأعشبت ونبتت به زروعهم، ما أنبتته أرضوهم بذلك الغيث من الزرع مصفرّاً، قد فسد بتلك الريح التي أرسلناها، فصار من بعد خضرته مصفراً، لظلوا من بعد استبشارهم وفرحتهم به يكفرون بربهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿فإنَّكَ﴾ يا محمد ﴿لا تُسْمِعُ المَوْتَى﴾ يقول: لا تجعل لهم أسماعاً يفهمون بها عنك ما تقول لهم، وإنما هذا مثل معناه: فإنك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله على أسماعهم، فسلبهم فهم ما يُتلى عليهم من مواعظ تنزيله، كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين قد سلبهم الله أسماعهم، بأن تجعل لهم أسماعاً.

وقوله: ﴿وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ﴾ يقول: وكما لا تقدر أن تُسمع الصمّ الذين قد سلبوا السمع الدعاء، إذا هم وَلّوا عنك مدبرين، كذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلبهم الله فهمَ آيات كتابه، لسماع ذلك وفهمه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله: ﴿فإنَّكَ لا تُسْمِعُ المَوْتَى﴾: هذا مَثَل ضربه الله للكافر فكما لا يسمع الميت الدعاء، كذلك لا يسمع الكافر. ﴿وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعاءَ إذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ يقول: لو أن أصمَّ ولَّى مدبراً ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما يسمع.

وقوله: ﴿وَما أنْتَ بِهادِ العُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره: وما أنت يا محمد بمسدّد من أعماه الله عن الاستقامة، ومَحجة الحقّ، فلم يوفقه لإصابة الرشد، فصارِفه عن ضلالته التي هو عليها، وركوبه الجائر من الطرق، إلى سبيل الرشاد، يقول: ليس ذلك بيدك ولا إليك، ولا يقدر على ذلك أحد غيري، لأني القادر على كل شيء. وقيل: بهادي العمي عن ضلالتهم، ولم يقل: من ضلالتهم. لأن معنى الكلام ما وَصَفْت، من أنه: وما أنت بصارفهم عنه، فحمل على المعنى. ولو قيل: من ضلالتهم كان صواباً. وكان معناه: ما أنت بمانعهم من ضلالتهم.

وقوله: ﴿إنْ تُسْمِعُ إلاَّ مَنْ يُؤْمِنُ بآياتِنا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه: ما تسمع السماع الذي ينتفع به سامعه فيعقله، إلاَّ من يؤمن بآياتنا، لأن الذي يؤمن بآياتنا إذا سمع كتاب الله تدبَّره وفهمه وعقَله، وعمل بما فيه، وانتهى إلى حدود الله، الذي حدّ فيه، فهو الذي يسمع السماع النافع.

وقوله: ﴿فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ يقول: فهم خاضعون لله بطاعته، متذللون لمواعظ كتابه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ

ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بالبعث من مشركي قريش، محتجاً عليهم بأنه القادر على ذلك وعلى ما يشاء: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ﴾ أيها الناس ﴿مِنْ ضَعْفٍ﴾ يقول: من نُطْفة وماء مَهِين، فأنشأكم بَشَراً سوياً ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ يقول: ثم جعل لكم قوّة على التصرّف، من بعد خلقه إياكم من ضعف، ومن بعد ضعفكم، بالصغر والطفولة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً﴾ يقول: ثم أحدث لكم الضعف بالهرم والكبر عما كنتم عليه أقوياء في شبابكم وشيبة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله: ﴿الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ﴾ أي من نطفة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً، ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً﴾ الهرم ﴿وَشَيْبَةً﴾ الشَّمَط.

وقوله: ﴿يَخْلُقُ ما يَشاءُ﴾ يقول تعالى ذكره: يخلق ما يشاء من ضعف وقوّة وشباب وشيب ﴿وَهُوَ العَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿القَدِيرُ﴾ على ما يشاء، لا يمتنع عليه شيء أراده، فكما فعل هذه الأشياء، فكذلك يميت خلقه ويحييهم إذا شاء. يقول: واعلموا أن الذي فعل هذه الأفعال بقدرته يحيي الموتى إذا شاء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء ساعة البعث، فيبعث الخلق من قبورهم، يقسم المجرمون، وهم الذين كانوا يكفرون بالله في الدنيا، ويكتسبون فيها الآثام، وإقسامهم: حلفهم بالله. ﴿ما لَبِثُوا غيرَ ساعَةٍ﴾: يقول: يقسمون بأنهم لم يلبثوا في قبورهم غير ساعة واحدة. يقول الله جلّ ثناؤه: كذلك في الدنيا كانوا يُؤْفَكُون: يقول: كذبوا في قيلهم وقَسَمِهم ما لبثنا غير ساعة، كما كانوا في الدنيا يكذبون ويحلفون على الكذب وهم يعلمون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿ويَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ المُجْرِمونَ ما لَبِثُوا غيرَ ساعَةٍ كَذلكَ كانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ أي يكذبون في الدنيا، وإنما يعني بقوله: ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ عن الصدق، ويَصُدّون عنه إلى الكذب.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾.

كان قَتادة يقول: هذا من المقدّم الذي معناه التأخير.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ والإيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كتابِ اللّهِ إلى يَوْمِ البَعْثِ﴾** قال: هذا من مقاديم الكلام. وتأويلها: وقال الذين أوتوا الإيمان والعلم: لقد لبثتم في كتاب الله[(١)].

وذُكر عن ابن جُرَيج أنه كان يقول: معنى ذلك: وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله، والإيمان بالله وكتابه.

وقوله: **﴿فِي كِتابِ اللّهِ﴾** يقول: فيما كتب الله مما سبق في علمه أنكم تلبثونه **﴿فَهَذَا يَوْمُ البَعْثِ﴾** يقول: فهذا يوم يبعث الناس من قبورهم **﴿وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾** يقول: ولكنكم كنتم لا تعلمون في الدنيا أنه يكون، وأنكم مبعوثون من بعد الموت، فلذلك كنتم تكذبون.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فيوم يبعثون من قبورهم **﴿لا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ﴾** يعني المكذّبين بالبعث في الدنيا معذرتهم، وهو قولهم: ما علمنا أنه يكون، ولا أنا نُبعث. **﴿وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾** يقول: ولا هؤلاء الظلمة يُسترجعون يومئذٍ عما كانوا يكذّبون به في الدنيا.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ لَّيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد مثلنا للناس في هذا القرآن من كل مثل احتجاجاً عليهم، وتنبيهاً

(١) في «**فتح القدير**» للشوكاني (٤/ ٢٢٤) قال الواحدي: والمفسرون حملوا هذا على التقديم والتأخير، على تقدير: وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله. وهذا غير ما قدره قتادة في حديثه الذي رواه المؤلف هنا.

لهم عن وحدانية الله. وقوله ﴿وَلَئِنْ جِئْتَهُمْ بآيَةٍ﴾ يقول: ولئن جئت يا محمد هؤلاء القوم بآية: يقول: بدلالة على صدق ما تقول ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إنْ أنْتُمْ إلاَّ مُبْطِلُونَ﴾ يقول: ليقولنّ الذين جحدوا رسالتك، وأنكروا نبوّتك: إن أنتم أيها المصدّقون محمداً فيما أتاكم به إلاً مبطلون فيما تَجيئوننا به من هذه الأمور.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: كذلك يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به يا محمد من عند الله من هذه العِبر والعظات، والآيات البيِّنات، فلا يفقهون عن الله حُجة، ولا يفهمون عنه ما يتلو عليهم من آي كتابه، فهم لذلك في طغيانهم يتردّدون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فاصبر يا محمد لما ينالك من أذاهم، وبلغهم رسالة ربك، فإن وعد الله الذي وعدك من النصر عليهم، والظفر بهم، وتمكينك وتمكين أصحابك وتُبّاعك في الأرض حقٌّ ﴿وَلا يسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾ يقول: ولا يستخفنّ حلمك ورأيك هؤلاء المشركون بالله الذين لا يوقنون بالمعاد ولا يصدّقون بالبعث بعد الممات، فيثبطوك عن أمر الله والنفوذ لما كلَّفك من تبليغهم رسالته.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سعيد بن جُبَير، عن عليّ بن ربيعة، أن رجلاً من الخوارج، قرأ خلف عليّ رضي الله عنه: ﴿لَئِنْ أشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ﴾ فقال عليّ: ﴿فاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقّ، وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾.

قال: ثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن عثمان بن أبي زرعة عن عليّ بن ربيعة قال: نادى رجل من الخوارج علياً رضي الله عنه، وهو في صلاة الفجر، فقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إلَيْكَ وَإلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ﴾ فأجابه عليّ رضي الله عنه وهو في الصلاة: ﴿فاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقّ، وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فاصْبِرْ إنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقّ، وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُون﴾ قال: قال رجل من الخوارج خلف عليّ في صلاة الغداة: ﴿وَلَقَدْ

أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أشركت لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الخاسِرِينَ﴾ فأنصت له عليّ رضي الله عنه حتى فهم ما قال، فأجابه وهو في الصلاة: ﴿فاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقّ، وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ﴾.

آخر تفسير سورة الروم

(٣١) سورة لقمان مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿الٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ۝٣ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾.

وقد تقدّم بياننا تأويل قول الله تعالى ذكره ﴿الٓم﴾. وقوله: ﴿تِلكَ آياتُ الكِتابِ الحَكِيمِ﴾ يقول جل ثناؤه: هذه آيات الكتاب الحكيم بياناً وتفصيلاً. وقوله ﴿هُدًى ورَحْمَةً﴾ يقول: هذه آيات الكتاب بياناً ورحمة من الله، رحم به من اتبعه، وعمل به من خلقه وبنصب الهدى والرحمة على القطع من آيات الكتاب قرأت قرّاء الأمصار غير حمزة، فإنه قرأ ذلك رفعاً على وجه الاستئناف، إذ كان منقطعاً عن الآية التي قبلها بأنه ابتداء آية وأنه مدح، والعرب تفعل ذلك مما كان من نعوت المعارف، وقع موقع الحال إذا كان فيه معنى مدح أو ذمّ. وكلتا القراءتين صواب عندي، وإن كنت إلى النصب أميل، لكثرة القراء به.

وقوله: ﴿لِلْمُحْسِنِينَ﴾ وهم الذين أحسنوا في العمل بما أنزل الله في هذا القرآن، يقول تعالى ذكره: هذا الكتاب الحكيم هدى ورحمة للذين أحسنوا، فعملوا بما فيه من أمر الله ونهيه ﴿الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ﴾ يقول: الذين يقيمون الصَّلاةَ المفروضة بحدودها ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكاةَ﴾ من جعلها الله له المفروضة في أموالهم ﴿وَهُمْ بالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ يقول: يفعلون ذلك وهم بجزاء الله وثوابه لمن فعل ذلك في الآخرة يوقنون.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفت صفتهم على بيان من ربهم ونور ﴿وأُولَئِكَ هُمُ المُفْلحونَ﴾ يقول: وهؤلاء هم المنجِحون المدركون ما رَجَوا وأملوا من ثواب ربهم يوم القيامة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾﴾.

اختلف أهل التأويل، في تأويل قوله: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيث**﴾ فقال بعضهم: من يشتري الشراء المعروف بالثمن، ورووا بذلك خبراً عن رسول الله ﷺ وهو ما:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا وكيع، عن خلاد الصفَار، عن عبيد الله بن زَحْر، عن عليّ بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أُمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَحِلُّ بَيْعُ المُغَنِّياتِ، وَلا شِرَاؤُهُنَّ، وَلا التِّجارَةُ فِيهِنَّ، وَلا أثمانُهُنَّ، وفيهنّ نزلت هذه الآية: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ**﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثني أبي، عن خَلاد الصفَار، عن عبيد الله بن زَحْر، عن عليّ بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أُمامة، عن النبيّ ﷺ بنحوه، إلاّ أنه قال: «أكْلُ ثَمَنِهِنَّ حَرَامٌ» وقال أيضاً: «وفِيهِنَّ أنْزَلَ اللّهُ عليّ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ**﴾.

حدثني عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني، قال: ثنا أبي، قال: ثنا سليمان بن حيان، عن عمرو بن قيس الكلابي، عن أبي المهلَّب، عن عبيد الله بن زَحْر، عن عليّ بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أُمامة. قال: وثنا إسماعيل بن عَياش، عن مُطَرّح بن يزيد، عن عبيد الله بن زَحْر، عن عليّ بن زيد، عن القاسم، عن أبي أُمامة الباهلي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحلّ تَعْلِيمُ المُغَنِّياتِ، وَلا بَيْعُهُنَّ وَلا شِرَاؤُهُنَّ، وثَمَنُهُنَّ حَرامٌ، وقَدْ نَزَلَ تَصْدِيقُ ذلكَ فِي كِتابِ اللّهِ ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ**﴾ إلى آخر الآية».

وقال آخرون: بل معنى ذلك: من يختار لهو الحديث ويستحبه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ بغَيْرِ عِلْم**﴾ والله لعله أن لا ينفق فيه مالاً، ولكن اشتراؤه استحبابه، بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحقّ، وما يضرّ على ما ينفع.

حدثني محمد بن خلف العسقلاني، قال: ثنا أيوب بن سويد، قال: ثنا ابن شوذب، عن مطر، في قول الله ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ**﴾ قال: اشتراؤه: استحبابه.

وأولى التأويلين عندي بالصواب تأويل من قال: معناه: الشراء، الذي هو بالثمن، وذلك أن ذلك هو أظهر معنييه.

فإن قال قائل: وكيف يشتري لهو الحديث؟ قيل: يشتري ذات لهو الحديث، أو ذا لهو الحديث، فيكون مشترياً لهو الحديث.

وأما الحديث، فإن أهل التأويل اختلفوا فيه، فقال بعضهم: هو الغناء والاستماع له.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يزيد بن يونس، عن أبي صخر، عن أبي معاوية البجلي، عن سعيد بن جُبَير، عن أبي الصهباء البكري[1]، أنه سمع عبد الله بن مسعود وهو يُسأل عن هذه الآية ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ بغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ فقال عبد الله: الغناء، والذي لا إله إلاّ هو، يردّدها ثلاث مرّات.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا صفوان بن عيسى، قال: أخبرنا حميد الخراط، عن عمار، عن سعيد بن جُبَير، عن أبي الصهباء، أنه سأل ابن مسعود، عن قول الله ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ**﴾ قال: الغناء.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عليّ بن عابس، عن عطاء، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ**﴾ قال: الغِناء.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا عمران بن عيينة، قال: ثنا عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ**﴾ قال: الغناء وأشباهه.

حدثنا ابن وكيع، والفضل بن الصباح، قالا: ثنا محمد بن فضيل، عن عطاء، عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس، في قوله: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ**﴾ قال: هو الغناء ونحوه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام بن سلم، عن عمرو بن أبي قيس، عن عطاء، عن سعيد بن جُبَير عن ابن عباس، مثله.

حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الأنماطي، قال: ثنا عبيد الله، قال: ثنا ابن أبي ليلى، عن الحكم، عن مقسم، عن ابن عباس، قال: هو الغناء والاستماع له، يعني قوله: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ**﴾.

---

(١) أبو الصهباء «كما في خلاصة الخزرجي»: هو صهيب الهاشمي، عن مولاه ابن عباس، وعلي، وابن مسعود، ولم يقل في نسبته الكبرى، وهناك صهيب المكي أبو موسى الحذاء، ولم يكنه بأبي الصهباء.

حدثنا الحسن بن عبد الرحيم، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: ثنا سفيان، عن قابوس بن أبي ظبيان، عن أبيه، عن جابر، في قوله: ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ**﴾ قال: هو الغناء والاستماع له.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن ابن أبي ليلى، عن الحكم أو مقسم، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: شراء المغنية.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حفص والمحاربي، عن ليث، عن الحكم، عن ابن عباس، قال: الغناء.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ قال: باطل الحديث: هو الغناء ونحوه.

حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن حبيب، عن مجاهد ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ**﴾ قال: الغناء.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر وعبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة، عن الحكم، عن مجاهد أنه قال في هذه الآية ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ**﴾ قال: الغناء.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن حبيب عن مجاهد قال: الغناء.

قال: ثنا أبي، عن شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، مثله.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا الأشجعي، عن سفيان، عن عبد الكريم، عن مجاهد ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ**﴾ قال: هو الغناء، وكلّ لعب لهو.

حدثنا الحسين بن عبد الرحمن الأنماطي، قال: ثنا عليّ بن حفص الهمداني، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ**﴾ قال: الغناء والاستماع له وكل لهو.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ**﴾ قال: المغني والمغنية بالمال الكثير، أو استماع إليه، أو إلى مثله من الباطل.

حدثني يعقوب وابن وكيع، قالا: ثنا ابن علية، عن ليث، عن مجاهد، في قوله ﴿**وَمِنَ**

النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ﴾ قال: هو الغناء أو الغناء منه، أو الاستماع له.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا عثام بن عليّ، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن شعيب بن يسار، عن عكرمة قال: ﴿لَهْوَ الحَدِيثِ﴾: الغناء.

حدثني عبيد بن إسماعيل الهَبَّاريّ، قال: ثنا عَثّام، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن شعيب بن يسار هكذا قال عكرمة، عن عبيد مثله.

حدثنا الحسين بن الزبرقان النخعي، قال: ثنا أبو أسامة وعبيد الله، عن أسامة، عن عكرمة، في قوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ﴾ قال: الغناء.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أسامة بن زيد، عن عكرمة، قال: الغناء.

وقال آخرون: عنى باللهو: الطَّبل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عباس بن محمد، قال: ثنا حجاج الأعور، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد، قال: اللهو: الطبل.

وقال آخرون: عنى بلهو الحديث: الشرك.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ﴾ يعني الشرك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ بغَيْرِ عِلْم، ويَتَّخِذها هُزُواً﴾ قال: هؤلاء أهل الكفر، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَإذا تُتْلَى عَلَيْهِ آياتُنا وَلَّى مُسْتَكْبِرَاً كأنْ لَمْ يَسْمَعْها، كأنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْراً﴾ فليس هكذا أهل الإسلام، قال: وناس يقولون: هي فيكم، وليس كذلك، قال: وهو الحديث الباطل الذي كانوا يَلْغَون فيه.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: عنى به كلّ ما كان من الحديث ملهياً عن سبيل الله، مما نهى الله عن استماعه أو رسولُه، لأن الله تعالى عَمّ بقوله ﴿لَهْوَ الحَدِيثِ﴾ ولم يخصص بعضاً دون بعض، فذلك على عمومه، حتى يأتي ما يدلّ على خصوصه، والغناء والشرك من ذلك.

وقوله: ﴿لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللّهِ﴾ يقول: ليصدّ ذلك الذي يشتري من لهم الحديث عن دين الله وطاعته، وما يقرّب إليه من قراءة قرآن، وذكر الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**﴾ قال: سبيل الله: قراءة القرآن، وذكر الله إذا ذكره، وهو رجل من قريش اشترى جارية مغنية.

وقوله: ﴿**بِغَيْرِ عِلْمٍ**﴾ يقول: فعل ما فعل من اشترائه لهو الحديث، جهلاً منه بما له في العاقبة عند الله من وزر ذلك وإثمه. وقوله ﴿**وَيَتَّخِذَها هُزُواً**﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة، وبعض أهل الكوفة: «وَيَتَّخِذُها» رفعاً، عطفاً به على قوله: ﴿**يَشْتَرِي**﴾ كأن معناه عندهم: ومن الناس من يشتري لهو الحديث، ويتخذ آيات الله هزواً. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: ﴿**وَيَتَّخِذَها**﴾ نصباً عطفاً على يضلّ، بمعنى: ليضلّ عن سبيل الله، وليتخذَها هُزُواً.
والصواب من القول في ذلك: أنهما قراءتان معروفتان في قرّاء الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء، فمصيب الصواب في قراءته، والهاء والألف في قوله: ﴿**ويَتَّخِذَها**﴾ من ذكر سبيل الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**وَيَتَّخِذَها هُزُواً**﴾ قال: سبيل الله.

وقال آخرون: بل ذلك من ذِكر آيات الكتاب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: بِحَسْب المرء من الضلالة، أن يختار حديث الباطل على حديث الحقّ، وما يضرّ على ما ينفع.

﴿**ويَتَّخِذَها هُزُواً**﴾ يستهزىء بها ويكذّب بها. وهما من أن يكونا من ذكر سبيل الله أشبه عندي لقربهما منها، وإن كان القول الآخر غير بعيد من الصواب. واتخاذه ذلك هُزُواً هو استهزاؤه به.

وقوله: ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفنا أنهم يشترون لهو الحديث ليضلوا عن سبيل الله، لهم يوم القيامة عذاب مُذِلّ مخزٍ في نار جهنم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٧﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا تُتلى على هذا الذي اشترى لهو الحديث للإضلال عن سبيل الله، آيات كتاب الله، فقرئت عليه ﴿ولّى مُستَكْبراً﴾ يقول: أدبر عنها، واستكبر استكباراً، وأعرض عن سماع الحقّ والإجابة عنه ﴿كأَنْ لَمْ يَسْمَعْها كأنَّ فِي أُذُنَيهِ وَقْراً﴾ يقول: ثقلاً، فلا يطيق من أجله سماعه، كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿فِي أُذُنَيهِ وَقْراً﴾ قال: ثِقْلاً.

وقوله ﴿فَبَشِّرْهُ بعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ يقول تعالى ذكره: فبشر هذا المعرض عن آيات الله إذا تُلِيت عليه استكباراً بعذاب له من الله يوم القيامة مُوجع، وذلك عذاب النار.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿إنَّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله فوحدوه، وصدّقوا رسوله واتبعوه ﴿وعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقول: فأطاعوا الله، فعملوا بما أمرهم في كتابه وعلى لسان رسوله، وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيم﴾ يقول: لهؤلاء بساتين النعيم ﴿خالدين فِيها﴾ يقول: ماكثين فيها إلى غير نهاية ﴿وَعْدَ اللّهِ حَقًّا﴾ يقول: وعدهم الله وعداً حقاً، لا شكّ فيه ولا خلف له ﴿وَهُوَ العَزِيزُ﴾ يقول: وهو الشديد في انتقامه من أهل الشرك به، والصادّين عن سبيله، ﴿الحَكِيمُ﴾ في تدبير خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن حكمته أنه ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾ السبع ﴿بغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها﴾. وقد ذكرت فيما مضى اختلاف أهل التأويل في معنى قوله ﴿بغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها﴾ وبيّنا الصواب من القول في ذلك عندنا. وقد:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا معاذ بن معاذ، عن عمران بن حدير، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿بغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها﴾ قال: لعلها بعمد لا ترونها.

وقال: ثنا العلاء بن عبد الجبار، عن هماد بن سلمة، عن حميد، عن الحسن بن مسلم، عن مجاهد، قال: إنها بعمد لا ترونها.

قال: ثنا يحيى بن آدم، عن شريك، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لعلها بعمد لا ترونها.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد، عن سماك، عن عكرمة في هذا الحرف ﴿**خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها**﴾ قال: ترونها بغير عمد، وهي بَعمد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها**﴾ قال: قال الحسن وقتادة: إنها بغير عمد ترونها، ليس لها عمد.

وقال ابن عباس ﴿**بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا**﴾ قال: لها عمد لا ترونها.

وقوله: ﴿**وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ**﴾ يقول: وجعل على ظهر الأرض رواسي، وهي ثوابت الجبال ﴿**أن تميد بكم**﴾ أن لا تميد بكم. يقول: أن لا تضطرب بكم، ولا تتحرّك يمنة ولا يسرة، ولكن تستقرّ بكم، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ**﴾: أي جبالاً ﴿**أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ**﴾ أثبتها بالجبال، ولولا ذلك ما أقرّت عليها خلقاً، وذلك كما قال الراجز:

والمُهْرُ يَأْبَى أَنْ يَزَالَ مُلْهَبا[(١)]

بمعنى: لا يزال.

وقوله: ﴿**وَبَثَّ فِيها مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ**﴾ يقول: وفرّق في الأرض من كلّ أنواع الدوابّ. وقيل الدوابّ اسم لكلّ ما أكل وشرب، وهو عندي لكلّ ما دبّ على الأرض. وقوله: ﴿**وأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً، فأَنْبَتْنا فِيها مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: وأنزلنا من السماء مطراً، فأنبتنا بذلك المطر في الأرض من كلّ زوج، يعني: من كل نوع من النبات كريم، وهو الحسن النّبتة، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ**﴾: أي حسن.

---

(١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» الورقة (٢٥١) قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿والقى في الأرض رواسي أن تميد بكم﴾ لئلا تميدَ بكم؛ و(أن) في هذا الموضع تكفي من (لا) كما قال الشاعر:

والمهر يأبى أن يزال ملهبا

معناه: يأبى أن لا يزال ا هـ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (١١)﴾.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي أعددت عليكم أيها الناس أني خلقته في هذه الآية خلق الله الذي له ألوهة كل شيء، وعبادة كل خلق، الذي لا تصلح العبادة لغيره، ولا تنبغي لشيء سواه، فأروني أيها المشركون في عبادتكم إياه مَن دونه من الآلهة والأوثان، أيّ شيء خلق الذين من دونه من آلهتكم وأصنامكم، حتى استحقت عليكم العبادة فعبدتموها من دونه، كما استحقّ ذلك عليكم خالقكم، وخالق هذه الأشياء التي عددتها عليكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله: ﴿**هَذَا خَلْقُ اللَّهِ**﴾ ما ذكر من خلق السموات والأرض، وما بثّ من الدوابّ، وما أنبت من كلّ زوج كريم، فأروني ماذا خلق الذين من دونه الأصنام الذين تدعون من دونه.

وقوله: ﴿بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ما عبد هؤلاء المشركون الأوثان والأصنام من أجل أنها تخلق شيئاً، ولكنهم دعاهم إلى عبادتها ضلالهم، وذهابهم عن سبيل الحقّ، فهم في ضلال. يقول: فهم في جور عن الحقّ، وذهاب عن الاستقامة ﴿مبين﴾ يقول: يبين لمن تأمله، ونظر فيه وفكّر بعقل أنه ضلال لا هدى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (١٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا لقمان الفقه في الدين، والعقل، والإصابة في القول. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَلَقَدْ آتَينا لُقْمان الحِكْمَةَ**﴾ قال: الفقه والعقل والإصابة في القول من غير نُبوّة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الحِكْمَةَ﴾ أي الفقه في الإسلام. قال قَتادة: ولم يكن نبياً، ولم يُوح إليه.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا يونس، عن مجاهد، في قوله ﴿وَلَقَدْ آتَيْنا لُقْمانَ الحِكْمَةَ﴾ قال: الحكمة: الصواب. وقال غير أبي بشر: الصواب في غير النبوّة.

حدثنا ابن المثنى، ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، أنه قال: كان لقمان رجلاً صالحاً، ولم يكن نبياً.

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأَوْديّ وابن حميد، قالا: ثنا حَكّام، عن سعيد الزبيديّ، عن مجاهد، قال: كان لقمان الحكيم عبداً حبشياً، غليظ الشفتين، مصفح القدمين، قاضياً على بني إسرائيل.

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرمليّ، قال: ثنا يحيى بن عيسى عن الأعمش، عن مجاهد، قال: كان لقمان عبداً أسود، عظيم الشفتين، مُشقَّق القدمين.

حدثني عباس بن محمد، قال: ثنا خالد بن مخلد، قال: ثنا سليمان بن بلال، قال: ثني يحيى بن سعيد قال: سمعت سعيد بن المسيب يقول: كان لقمان الحكيم أسود من سودان مصر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن أشعث، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان لقمان عبداً حبشياً.

حدثنا العباس بن الوليد، قال: أخبرنا أبي، قال: ثنا الأوزاعيّ، قال: ثنا عبد الرحمن بن حَرْملة، قال: جاء أسود إلى سعيد بن المسيب يسأل، فقال له سعيد: لا تحزن من أجل أنك أسود، فإنه كان من خير الناس ثلاثة من السودان: بِلال، ومهجّع مولى عمر بن الخطاب، ولُقمان الحكيم، كان أسود نوبياً ذا مشافر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي الأشهب، عن خالد الرَّبَعِيّ، قال: كان لقمان عبداً حبشياً نجاراً، فقال له مولاه: اذبح لنا هذه الشاة، فذبحها. قال: أخرج أطيب مُضْغَتين فيها، فأخرج اللسان والقلب. ثم مكث ما شاء الله، ثم قال: اذبح لنا هذه الشاة، فذبحها. فقال: أخرج أخبث مضغتين فيها، فأخرج اللسان والقلب، فقال له مولاه: أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها فأخرجتهما، وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها فأخرجتهما فقال له لقمان: إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خَبُثا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم، قال: ثنا عمرو بن قيس، قال: كان لقمان عبداً أسود، غليظ الشفتين، مصفح القدمين، فأتاه رجل، وهو في مجلس أناس يحدّثهم، فقال له: ألست الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا؟ قال: نعم، قال: فما بلغ بك ما أرى؟ قال: صدق الحديث، والصمت عما لا يعنيني.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن رجل، عن مجاهد ﴿**وَلَقَدْ آتَينا لُقمانَ الحِكْمَةَ**﴾ قال: القرآن.

قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: الحكمة: الأمانة.

وقال آخرون: كان نبياً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثني أبي، عن إسرائيل، عن جابر، عن عكرمة، قال: كان لقمان نبياً.

وقوله: ﴿**أنِ اشْكُرْ لِلّهِ**﴾: يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا لقمان الحكمة، أن احمد الله على ما آتاك من فضله وجعل قوله ﴿**أنِ اشْكُرْ**﴾ ترجمة عن الحكمة، لأن من الحكمة التي كان أوتيها، كان شكره الله على ما آتاه. وقوله: ﴿**وَمَنْ يَشْكُرْ فإنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ**﴾ يقول: ومن يشكر الله على نعمه عنده فإنما يشكر لنفسه، لأن الله يُجزل له على شكره إياه الثواب، وينقذه به من الهلكة. ﴿**وَمَنْ كَفَرَ فإنَّ اللّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ**﴾ يقول: ومن كفر نعمة الله عليه، إلى نفسه أساء، لأن الله معاقبُه على كفرانه إياه، والله غنيّ عن شكره إياه على نعمه، لا حاجة به إليه، لأن شكره إياه لا يزيد في سلطانه، ولا ينقص كفرانه إياه مِن ملكه. ويعني بقوله ﴿**حَمِيدٌ**﴾ محمود على كلّ حال، له الحمد على نعمه، كفر العبد نعمته أو شكره عليها وهو مصروف من مفعول إلى فَعِيل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: واذكر يا محمد ﴿**إذْ قالَ لُقْمانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ باللّهِ، إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**﴾ يقول: لخطأ من القول عظيم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأمرنا الإنسان ببرّ والديه ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ﴾ يقول: ضعفاً على ضعف، وشدّة على شدّة ومنه قول زهير:

فَلَنْ يَقُولُوا بِحَبْلٍ وَاهِنٍ خَلَقٍ لَوْ كانَ قَوْمُكَ فِي أسْبابِه هَلَكُوا(١)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، غير أنهم اختلفوا في المعنيّ بذلك، فقال بعضهم: عنى به الحمل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَوَصَّيْنا الإنسانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنا عَلى وَهْنٍ﴾ يقول: شدّة بعد شدّة، وخلقاً بعد خلق.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿وَهْناً عَلى وَهْنٍ﴾ يقول: ضعفاً على ضعف.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلى وَهْنٍ﴾ أي جهداً على جهد.

وقال آخرون: بل عنى به: وهن الولد وضعفه على ضعف الأمّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَهْناً عَلى وَهْنٍ﴾ قال: وهن الولد على وهن الوالدة وضعفها.

وقوله: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عامَيْنِ﴾ يقول: وفطامه في انقضاء عامين. وقيل: ﴿وَفِصَالُهُ فِي

---

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى «**مختار الشعر الجاهلي**» بشرح مصطفى السقا، طبعة الحلبي (ص ـ ٢٥٤) وقبل البيت بيت مرتبط به ارتباط السؤال بالجواب قال:

هَلاَّ سَأَلْتَ الصَّيْدَاءَ كُلَّهِمِ بِأيِّ حَبْلِ بِنِي جِوَارٍ كُنْتُ أمْتَسِكُ

ومعنى بيت الشاهد: هو حبل شديد محكم، فمن تمسك به نجا، وليس بحبل ضعيف، من تعلق بأسبابه هلك. قالوا: وكان الحارث ابن ورقاء الصيداوي من بني أسد، أغار على بني عبد الله بن غطفان، فغنم، واستاق إبل زهيروراعيه يساراً فخاطبه زهير بهذه القصيدة، وذكره بأنه كان في عهده وجواره، وأنه إن لم يرد عليه الإبل والراعي فإنه سيقول فيه من قصائد الهجو ما يفضحه في أحياء العرب. وقال أبو عبيدة في تفسير قوله تعالى: ﴿وهنا على وهن﴾: أي ضعفا إلى ضعفها. واستشهد بالبيت ا هـ. وفيه الواهي بمعنى الضعيف.

عامَيْنِ﴾ وترك ذكر «انقضاء» اكتفاء بدلالة الكلام عليه، كما قيل: وَاسأَلِ القَرْيَةَ التي كُنَّا فِيهَا يراد به أهل القرية.

وقوله: **﴿أنِ اشْكُرْ لي وَلِوَالِدَيْكَ﴾** يقول: وعهدنا إليه أن اشكر لي على نعمي عليك، ولوالديك تربيتهما إياك، وعلاجهما فيك ما عالجا من المشقة حتى استحكم قواك. وقوله: **﴿إليَّ المَصِيرُ﴾** يقول: إلى الله مصيرك أيها الإنسان، وهو سائلك عما كان من شكرك له على نعمه عليك، وعما كان من شكرك لوالديك، وبرّك بهما على ما لقيا منك من العناء والمشقة في حال طفوليتك وصباك، وما اصطنعا إليك في برّهما بك، وتحننهما عليك.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في شأن سعد بن أبي وقاص وأمه. ذكر الرواية الواردة في ذلك:

حدثنا هناد بن السريّ، قال: ثنا أبو الأحوص، عن سماك بن حرب، عن مصعب بن سعد، قال: حلفت أمّ سعد أن لا تأكل ولا تشرب، حتى يتحوّل سعد عن دينه. قال: فأبى عليها. فلم تزل كذلك حتى غشي عليها. قال: فأتاها بنوها فسقوها. قال: فلما أفاقت دعت الله عليه، فنزلت هذه الآية: **﴿وَوَصينا الإنسانَ بِوَالِدَيْهِ...﴾** إلى قوله: **﴿فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً.**

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر قال: ثنا شعبة، عن سماك بن حرب، عن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال: قالت أمّ سعد لسعد: أليس الله قد أمر بالبرّ، فوالله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أموت أو تكفر قال: فكانوا إذا أرادوا أن يطعموها شجروا فاها بعصا، ثم أوجروها، فنزلت هذه الآية: **﴿وَوَصَّينا الإنسانَ بِوَالِدَيْهِ.**

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن سماك بن حرب، قال: قال سعد بن مالك: نزلت فيّ: **﴿وَإنْ جاهَدَاكَ عَلى أنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُما، وَصَاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً﴾** قال: لما أسلمت، حلفت أمي لا تأكل طعاماً ولا تشرب شراباً، قال: فناشدتها أوّل يوم، فأبت وصبرت فلما كان اليوم الثاني ناشدتها، فأبت فلما كان اليوم الثالث ناشدتها فأبت، فقلت: والله لو كانت لك مئة نفس لخرجت قبل أن أدع ديني هذا فلما رأت ذلك، وعرفت أني لست فاعلاً أكلت.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت أبا هبيرة يقول: قال: نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص **﴿وَإنْ جاهَدَاكَ عَلى أنْ تُشْرِكَ بِي ما لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلا تُطِعْهُمَا...﴾** الآية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٥)﴾.

يقول تعالى ذكره: وإن جاهدك أيها الإنسان والداك على أن تشرك بي في عبادتك إياي معي غيري مما لا تعلم أنه لي شريك، ولا شريك له تعالى ذكره علوّاً كبيراً، فلا تطعهما فيما أراداك عليه من الشرك بي، ﴿وَصَاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً﴾ يقول: وصاحبهما في الدنيا بالطاعة لهما فيما لا تبعة عليك فيه فيما بينك وبين ربك ولا إثم. وقوله: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أنابَ إليَّ﴾ يقول: واسلك طريق من تاب من شركه، ورجع إلى الإسلام، واتبع محمداً ﷺ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أنابَ إليَّ﴾: أي من أقبل إليّ.

وقوله: ﴿إليَّ مَرْجِعُكُمْ فأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فإن إليّ مصيركم ومعادكم بعد مماتكم فأخبركم بجميع ما كنتم في الدنيا تعملون من خير وشرّ، ثم أجازيكم على أعمالكم، المحسن منكم بإحسانه، والمسيء بإساءته.

فإن قال لنا قائل: ما وجه اعتراض هذا الكلام بين الخبر عن وصيتي لقمان ابنه؟ قيل ذلك أيضاً، وإن كان خبراً من الله تعالى ذكره عن وصيته عباده به، وأنه إنما أوصى به لقمان ابنه، فكان معنى الكلام: ﴿وَإذْ قالَ لُقْمانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ: يا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ باللَّهِ إنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ ولا تطع في الشرك به والديك ﴿وَصَاحِبْهُما فِي الدُّنْيا مَعْرُوفاً﴾ فإن الله وصّى بهما، فاستؤنف الكلام على وجه الخبر من الله، وفيه هذا المعنى، فذلك وجه اعتراض ذلك بين الخبرين عن وصيته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ (١٦)﴾.

اختلف أهل العربية في معنى الهاء والألف اللتين في قوله ﴿إنَّها﴾ فقال بعض نحويي البصرة: ذلك كناية عن المعصية والخطيئة. ومعنى الكلام عنده: يا بنيّ إن المعصية إن تك مثقال حبة من خردل، أو إن الخطيئة. وقال بعض نحويي الكوفة: وهذه الهاء عماد. وقال: أنّث تك، لأنه يراد بها الحبة، فذهب بالتأنيث إليها، كما قال الشاعر:

وَتَشْرَقُ بِالقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَذَعْتَهُ كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِ[(١)]

وقال صاحب هذه المقالة: يجوز نصب المثقال ورفعه قال: فمن رفع رفعه بتك، واحتملت النكرة أن لا يكون لها فعل في كان وليس وأخواتها، ومن نصب جعل في تكن اسماً مضمراً مجهولاً مثل الهاء التي في قوله ﴿إِنَّها إِنْ تَكُ﴾ قال: ومثله قوله: ﴿فإِنَّها لا تَعْمَى الأَبْصَارُ﴾ قال: ولو كان إن يك مثقال حبة كان صواباً، وجاز فيه الوجهان. وأما صاحب المقالة الأولى، فإن نصب مثقال في قوله، على أنه خبر، وتمام كان، وقال: رفع بعضهم فجعلها كان التي لا تحتاج إلى خبر.

وأولى القولين بالصواب عندي، القول الثاني: لأن الله تعالى ذكره لم يعد عباده أن يوفيهم جزاء سيئاتهم دون جزاء حسناتهم، فيقال: إن المعصية إن تك مثقال حبة من خردل يأت الله بها، بل وعد كلا العاملين أن يوفيه جزاء أعمالهما. فإذا كان ذلك كذلك، كانت الهاء في قوله ﴿إِنَّها﴾ بأن تكون عماداً أشبه منها بأن تكون كناية عن الخطيئة والمعصية. وأما النصب في المثقال، فعلى أن في «تك» مجهولاً، والرفع فيه على أن الخبر مضمر، كأنه قيل: إن تك في موضع مثقال حبة، لأن النكرات تضمر أخبارها، ثم يترجم عن المكان الذي فيه مثقال الحبة.

وعنى بقوله: ﴿مِثْقالَ حَبَّةٍ﴾: زنة حبة. فتأويل الكلام إذن: إن الأمر إن تك زنة حبة من خردل من خير أو شرّ عملته، فتكن في صخرة، أو في السموات، أو في الأرض، يأت بها الله يوم القيامة، حتى يوفيك جزاءه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله: ﴿يا بُنَيَّ إِنَّها إِنْ تَكُ مِثْقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾ من خير أو شرّ.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله ﴿فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ﴾ فقال بعضهم: عنى بها الصخرة التي عليها الأرض وذلك قول رُوي عن ابن عباس وغيره، وقالوا: هي صخرة خضراء.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا ابن إدريس، عن الأعمش، عن المنهال، عن عبد الله بن الحارث، قال: الصخرة خضراء على ظهر حوت.

حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ في خبر ذكره عن

---

(١) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة ديوانه طبعة القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين (ص ـ ١٢٣) وهو من قصيدة يهجو بها عمير بن عبد الله بن المنذر بن عبدان، حين جمع بينه وبين جهنام الشاعر، ليهاجيه. ورقم البيت (٣٤) ومعنى تشرق: تغص، وصدر القناة: أعلاها. والقناة: الرمح ا هـ. وفي «**فرائد القلائد**». شرح «**مختصر الشواهد**» للعيني قال: والشاهد في شرقت حيث أنث، مع أن فاعله مذكر، وهو الصدر، والقياس: شرق. ولكن لما كان الصدر الذي هو مضاف، بعض المضاف إليه، أعطى له حكمه ا هـ.

أبي مالك عن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرّة، عن عبد الله، وعن ناس من أصحاب النبيّ ﷺ: خلق الله الأرض على حوت، والحوت هو النون الذي ذكر الله في القرآن نَ والقلم وما يسطرون والحوت في الماء، والماء على ظهر صفاة، والصفاة على ظهر ملك، والملك على صخرة، والصخرة في الريح، وهي الصخرة التي ذكر لقمان ليست في السماء، ولا في الأرض.

وقال آخرون: عنى بها الجبال، قالوا: ومعنى الكلام: فتكن في جبل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿**فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ**﴾: أي جبل.

وقوله: ﴿**يَأْتِ بِها اللّهُ**﴾ كان بعضهم يوجه معناه إلى يعلمه الله، ولا أعرف يأتي به، بمعنى يعلمه، إلاّ أن يكون قائل ذلك أراد أن لقمان، إنما وصف الله بذلك، لأن الله يعلم أماكنه، لا يخفى عليه مكان شيء منه فيكون وجهاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن ويحيى، قالا: ثنا أبو سفيان، عن السديّ، عن أبي مالك ﴿**فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أوْ فِي السَّمَوَاتِ، أوْ فِي الأرْضِ يَأْتِ بِها اللّهُ**﴾ قال: يعلمها الله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن مهدي، عن سفيان، عن السديّ، عن أبي مالك، مثله.

وقوله: ﴿**إنَّ اللّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**﴾ يقول: إن الله لطيف باستخراج الحبة من موضعها حيث كانت خبير بموضعها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**إنَّ اللّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ**﴾: أي لطيف باستخراجها خبير بمستقرّها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل لقمان لابنه ﴿**يا بُنَيَّ أقِمِ الصَّلاةَ**﴾ بحدودها ﴿**وأْمُرْ بالمَعْرُوفِ**﴾ يقول: وأمر الناس بطاعة الله، واتباع أمره ﴿**وَانْهَ عَنِ المُنْكَرِ**﴾ يقول: وانه الناس عن معاصي الله ومواقعة محارمه ﴿**وَاصْبِرْ عَلى ما أصَابَكَ**﴾ يقول: واصبر على ما أصابك من الناس في ذات الله إذا أنت أمرتهم بالمعروف، ونهيتهم عن المنكر، ولا يصدّنك عن ذلك ما نالك منهم ﴿**إنَّ ذلكَ مِنْ عَزْمِ الأمُورِ**﴾ يقول: إن ذلك مما أمر الله به من الأمور عزماً منه. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني حجاج، عن ابن جُرَيج، في قوله: ﴿**يا بُنَيّ أقِم الصلاةَ وأْمُرْ بالمَعْرُوفِ وانْهَ عَنِ المُنْكَرِ وَاصْبِرْ على ما أصابَكَ**﴾ قال: اصبر على ما أصابك من الأذى في ذلك ﴿**إنَّ ذَلكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ**﴾ قال: إن ذلك مما عزم الله عليه من الأمور، يقول: مما أمر الله به من الأمور.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**وَلا تُصَعِّرْ**﴾ فقرأه بعض قراء الكوفة والمدنيين والكوفيين: ﴿**ولا تصعر**﴾ على مثال تفعل. وقرأ ذلك بعض المكيين وعامة قرّاء المدينة والكوفة والبصرة: «وَلا تُصَاعِرْ» على مثال تفاعل.

والصواب من القول في ذلك أن يقال إنهما قراءتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وتأويل الكلام: ولا تعرض بوجهك عمن كلمته تكبراً واستحقاراً لمن تكلمه وأصل الصعر داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها حتى تلفت أعناقها عن رؤوسها، فيشبه به الرجل المتكبر على الناس، ومنه قول عمرو بن حُنَيّ التَّغلبيّ:

وكُنّا إذَا الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ … أقَمْنا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّما[1]

واختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم نحو الذي قلنا فيه.

---

(١) البيت لعمرو بن حنى (بالنون) التغلبي «**معجم الشعراء**» للمرزباني (ص ـ ٢٠٦ ـ ٢٠٧) وهو فارس جاهلي مذكور، يقول في قتلهم عمرو بن هند، على رواية محمد بن داود:

تُعاطِي المُلُوكَ الحَقَّ ما قَصَدُوا بِنا … وَلَيْسَ عَلَيْنا قَتْلُهُمْ بِمُحَرَّمِ

أتِيفُتُ لهمْ منْ عَقْلِ عَمْرو بنِ مَرْثَدٍ … إذَا وَرَدُوا ماءً وَرُمْحِ بنِ هَرْثَمِ

وكُنّا إذَا الجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ … أقَمْنا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّمِ

قال: يريد فتقوم أنت. وهذا البيت يروى من قصيدة المتلمس التي أولها:

يُعَيِّرُونِي أُمِّيَ رِجالٌ وَلَنْ تَرَى … أخا كَرَمٍ إلاّ بأنْ يَتَكَرَّما

وبعده البيت، وآخره: «أقمنا له من ميله فتقوما». وغيره يروون هذه الأبيات لجابر بن حنى التغلبي. وقال أبو عبيدة في تفسير أقوله تعالى: ﴿تصعر خدك للناس﴾: مجازه: لا تقلب وجهك، ولا تعرض بوجهك في ناحية، من الكبر؛ ومنه الصعر الذي يأخذ الإبل في رؤوسها، حتى يلفت أعناقها عن رؤوسها. وقال عمرو بن حنى التغلبي: «وكنا. . . . فتقوما». ونسب البيت في «**اللسان**»صعر للتملمس جرير بن عبد المسيح. قال: الصعر ميل في الوجه. وقيل الصعر: ميل في الخد خاصة. وربما كان خلقة في الإنسان والظليم. وقيل: هو ميل في العنق، وانقلاب في الوجه إلى أحد الشقين. وقد صعر خده وصاعره: أماله من الكبر، قال المتلمس «وكنا. . . . فتقوما» يقول إذا أمال متكبر خده أذللناه حتى يتقوم ميله ا هـ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس **﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾** يقول: ولا تتكبر فتحقر عباد الله، وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله **﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾** يقول: لا تعرض بوجهك عن الناس تكبراً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وَلا تُصَعِّرْ﴾** قال: الصدود والإعراض بالوجه عن الناس.

حدثني عليّ بن سهل، قال: ثنا زيد بن أبي الزرقاء، عن جعفر بن برقان، عن يزيد في هذه الآية **﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾** قال: إذا كلمك الإنسان لويت وجهك، وأعرضت عنه محقرة له.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا خالد بن حيان الرقي، عن جعفر بن ميمون بن مهران، قال: هو الرجل يكلم الرجل فيلوي وجهه.

حدثنا عبد الرحمن بن الأسود، قال: ثنا محمد بن ربيعة، قال: ثنا أبو مكين، عن عكرمة، في قوله **﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾** قال: لا تُعْرض بوجهك.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله **﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾** يقول: لا تعرض عن الناس، يقول: أقبل على الناس بوجهك وحسن خلقك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله **﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾** قال: تصعير الخدّ: التجبر والتكبر على الناس ومحقرتهم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي مكين، عن عكرمة، قال: الإعراض.

وقال آخرون: إنما نهاه عن ذلك أن يفعله لمن بينه وبينه صعر، لا على وجه التكبر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع وابن حميد، قالا: ثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد **﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾** قال: الرجل يكون بينه وبين أخيه الحنة، فيراه فيعرض عنه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد، في

قوله **﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للنَّاس﴾** قال: هو الرجل بينه وبين أخيه حنة فيعرض عنه.

وقال آخرون: هو التشديق.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثني أبي، عن جعفر الرازي، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: هو التشديق.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن المغيرة، عن إبراهيم، قال: هو التشديق أو التشدّق «الطبري يشكّ».

حدثنا يحيى بن طلحة، قال: ثنا فضيل بن عياض، عن منصور، عن إبراهيم بمثله.

وقوله **﴿وَلا تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحاً﴾** يقول: ولا تمش في الأرض مختالاً. كما:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك، يقول في قوله **﴿وَلا تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحاً﴾** يقول: بالخيلاء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله **﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ للنَّاسِ ولا تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحاً إنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ﴾** قال: نهاه عن التكبر.

قوله **﴿إنَّ اللّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتالٍ﴾** متكبر ذي فخر. كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿كُلَّ مُخْتالٍ فَخُورٍ﴾** قال: متكبر. وقوله: فخور: قال: يعدّد ما أعطى الله، وهو لا يشكر الله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾.

يقول: وتواضع في مشيك إذا مشيت، ولا تستكبر، ولا تستعجل، ولكن اتئد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، غير أن منهم من قال: أمره بالتواضع في مشيه، ومنهم من قال: أمره بترك السرعة فيه. ذكر من قال: أمره بالتواضع في مشيه:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا أبو حمزة، عن جابر، عن مجاهد **﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾** قال: التواضع.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة **﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾** قال: نهاه

عن الخيلاء. ذكر من قال: نهاه عن السرعة:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا ابن المبارك، عن عبد الله بن عقبة، عن يزيد بن أبي حبيب، في قوله: ﴿**وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ**﴾ قال: من السرعة.

قوله: ﴿**وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ**﴾ يقول: واخفض من صوتك، فاجعله قصداً إذا تكلمت، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ**﴾ قال: أمره بالاقتصاد في صوته.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ**﴾ قال: أخفض من صوتك.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿**إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ**﴾ فقال بعضهم: معناه: إن أقبح الأصوات.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا: ثنا ابن أبي عديّ، عن شعبة وأبان بن تغلب، قالا: ثنا أبو معاوية عن جُوَيبر، عن الضحاك ﴿**إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ**﴾ قال: إن أقبح الأصوات ﴿**لَصَوْتُ الحَمِيرِ**﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ**﴾ أي أقبح الأصوات لصوت الحمير، أوّله زفير، وآخره شهيق أمره بالاقتصاد في صوته.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، قال: سمعت الأعمش يقول: ﴿**إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ**﴾[1] صوت الحمير.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إن أشرّ الأصوات.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن يحيى بن واضح، عن أبي حمزة، عن جابر، عن عكرمة والحكم بن عُتيبة ﴿**إِنَّ أَنكَرَ الأَصْوَاتِ**﴾ قال: أشرّ الأصوات.

قال جابر: وقال الحسن بن مسلم: أشدّ الأصوات.

(١) لعل فيه سقطا، والأصل: أي أقبح الأصوات صوت الخ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الحَمِيرِ**﴾ قال: لو كان رفع الصوت هو خيراً ما جعله للحمير.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: معناه: إن أقبح أو أشرّ الأصوات، وذلك نظير قولهم، إذا رأوا وجهاً قبيحاً، أو منظراً شنيعاً: ما أنكر وجه فلان، وما أنكر منظره.

وأما قوله: ﴿**لَصَوْتُ الحَمِيرِ**﴾ فأضيف الصوت وهو واحد إلى الحمير وهي جماعة، فإن ذلك لوجهين إن شئت، قلت: الصوت بمعنى الجمع، كما قيل ﴿**لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ**﴾ وإن شئت قلت: معنى الحمير: معنى الواحد، لأن الواحد في مثل هذا الموضع يؤدّي عما يؤدّي عنه الجمع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**أَلَمْ تَرَوْا**﴾ أيها الناس ﴿**أَنَّ اللّهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي السَّمَوَاتِ**﴾ من شمس وقمر ونجم وسحاب ﴿**وَما فِي الأَرْضِ**﴾ من دابة وشجر وماء وبحر وفلك وغير ذلك من المنافع، يجري ذلك كله لمنافعكم ومصالحكم لغذائكم وأقواتكم وأرزاقكم وملاذّكم، تتمتعون ببعض ذلك كله، وتنتفعون بجميعه، ﴿**وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظاهِرَةً وباطِنَةً**﴾.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه بعض المكيين وعامة الكوفيين: «وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً» على الواحدة، ووجهوا معناها إلى أنه الإسلام، أو إلى أنها شهادة أن لا إله إلاَّ الله. وقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: ﴿**نِعَمَهُ**﴾ على الجماع، ووجّهوا معنى ذلك، إلى أنها النعم التي سخرها الله للعباد مما في السموات والأرض، واستشهدوا لصحة قراءتهم ذلك كذلك بقوله: ﴿**شاكِراً لأَنْعُمِهِ**﴾ قالوا: فهذا جمع النعم.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار متقاربتا المعنى، وذلك أن النعمة قد تكون بمعنى الواحدة، ومعنى الجماع، وقد يدخل في الجماع الواحدة. وقد قال جلّ ثناؤه ﴿**وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللّهِ لا تُحْصُوها**﴾ فمعلوم أنه لم يعن بذلك نعمة واحدة. وقال في موضع آخر: ولم يك من المشركين شاكراً لأنعمه، فجمعها، فبأيّ القراءتين قرأ القارىء ذلك فمصيب.

ذكر بعض من قرأ ذلك على التوحيد، وفسّره على ما ذكرنا عن قارئيه أنهم يفسرونه:

حدثني أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم بن سلام، قال: ثنا حجاج، قال: ثني مستور

الهنائي، عن حميد الأعرج، عن مجاهد، عن ابن عباس أنه قرأها: «وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظاهِرَةً وبَاطِنَةً» وفسَّرها الإسلام.

حُدثت عن الفرّاء قال: ثني شريك بن عبد الله، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنه قرأ: «نِعْمَةً» واحدة. قال: ولو كانت نعمه، لكانت نعمة دون نعمة، أو نعمة فوق نعمة الشكّ من الفراء.

حدثني عبد الله بن محمد الزهري، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا حميد، قال: قرأ مجاهد **﴿وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظاهِرَةً وباطِنَةً﴾** قال: لا إله إلاَّ الله.

حدثني العباس بن أبي طالب، قال: ثنا ابن أبي بكير، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً﴾** قال: كان يقول: هي لا إله إلاَّ الله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن حميد الأعرج، عن مجاهد **﴿وأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَتَهُ ظاهِرَةً وَباطِنَةً﴾** قال: لا إله إلاَّ الله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عُيينة، عن حميد الأعرج، عن مجاهد، قال: لا إله إلاَّ الله.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا يحيى بن آدم، عن سفيان، عن عيسى، عن قَيْس، عن ابن عباس **﴿نِعَمَةً ظاهِرَةً وَباطِنَةً﴾** قال: لا إله إلاَّ الله.

وقوله: **﴿ظاهِرَةً﴾** يقول: ظاهرة على الألسن قولاً، وعلى الأبدان وجوارح الجسد عملاً. وقوله: **﴿وَباطِنَةً﴾** يقول: وباطنة في القلوب اعتقاداً ومعرفة.

وقوله: **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى﴾** يقول تعالى ذكره: ومن الناس من يخاصم في توحيد الله، وإخلاص الطاعة والعبادة له بغير علم عنده بما يخاصم، **﴿ولا هدى﴾** يقول: ولا بيان يبين به صحة ما يقول **﴿وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ﴾** يقول: ولا بتنزيل من الله جاء بما يدعى، يبين حقية دعواه، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجادِلُ فِي اللّهِ بغَيْرِ عِلْمٍ وَلا هُدًى وَلا كِتابٍ مُنِيرٍ﴾** ليس معه من الله برهان ولا كتاب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء الذين يجادلون في توحيد الله جهلاً منهم بعظمة الله: اتبعوا أيها القوم ما أنزل الله على رسوله، وصدِّقوا به، فإنه يفرق بين المحقّ منا والمبطل، ويفصل بين الضّالّ والمهتدى، فقالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من الأديان، فإنهم كانوا أهل حقّ. قال الله تعالى ذكره ﴿أَوَ لَوْ كانَ الشَّيْطانُ يَدْعُوهُمْ﴾ بتزيينه لهم سوء أعمالهم، واتباعهم إياه على ضلالتهم، وكفرهم بالله وتركهم اتباع ما أنزل الله من كتابه على نبيه ﴿إلى عَذابِ السَّعِيرِ﴾ يعني: عذاب النار التي تتسعر وتلتهب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن يعبد وجهه متذللاً بالعبودة، مقرّاً له بالألوهة ﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ يقول: وهو مطيع لله في أمره ونهيه ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بالعُرْوَةِ الوُثْقى﴾ يقول: فقد تمسك بالطرف الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه من تمسك به وهذا مثل إنما يعني بذلك أنه قد تمسك من رضا الله بإسلامه وجهه إليه وهو محسن، ما لا يخاف معه عذاب الله يوم القيامة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن أبي السوداء، عن جعفر بن أبي المغيرة، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس ﴿وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إلى اللّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بالعُرْوَةِ الوُثْقَى﴾ قال: لا إله إلاّ الله.

وقوله ﴿وَإلى اللّهِ عاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ يقول: وإلى الله مرجع عاقبة كلّ أمر خيره وشرّه، وهو المسائل أهله عنه، ومجازيهم عليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن كفر بالله فلا يحزنك كفره، ولا تذهب نفسك عليهم حسرة، فإنّ مرجعهم ومصيرهم يوم القيامة إلينا، ونحن نخبرهم بأعمالهم الخبيثة التي عملوها في الدنيا، ثم نجازيهم عليها جزاءهم ﴿إنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُرِ﴾ يقول: إن الله ذو علم بما تكنه صدورهم

من الكفر بالله، وإيثار طاعة الشيطان. وقوله: **﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً﴾** يقول: نمهلهم في هذه الدنيا مهلاً قليلاً يتمتعون فيها **﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إلى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾** يقول: ثم نوردهم على كره منهم عذاباً غليظاً، وذلك عذاب النار، نعوذ بالله منها، ومن عمل يقرّب منها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولئن سألت يا محمد هؤلاء المشركين بالله من قومك **﴿مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ، قُلِ الحَمْدُ لِلَّهِ﴾** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد، فإذا قالوا ذلك، فقل لهم: الحمد لله الذي خلق ذلك، لا لمن لا يخلق شيئاً وهم يخلقون. ثم قال تعالى ذكره: **﴿بَلْ أكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمونَ﴾** يقول: بل أكثر هؤلاء المشركون لا يعلمون من الذي له الحمد، وأين موضع الشكر. وقوله: **﴿لِلَّهِ ما فِي السَّمَوَاتِ والأرْضِ﴾** يقول تعالى ذكره: لله كلّ ما في السموات والأرض من شيء ملكاً كائناً ما كان ذلك الشيء من وثن وصنم وغير ذلك، مما يعبد أو لا يعبد **﴿إنَّ اللهَ هُوَ الغَنِيُّ الحَمِيدُ﴾** يقول: إن الله هو الغنيّ عن عبادة هؤلاء المشركين به الأوثان والأنداد، وغير ذلك منهم ومن جميع خلقه، لأنهم ملكه وله، وبهم الحاجة إليه. **﴿الحميد﴾** يعني المحمود على نعمه التي أنعمها على خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولو أن شجر الأرض كلها بريت أقلاماً **﴿والبَحْرُ يَمُدُّهُ﴾** يقول: والبحر له مداد، والهاء في قوله **﴿يَمُدُّهُ﴾** عائدة على البحر. وقوله **﴿مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللَّهِ﴾** وفي هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه منه، وهو يكتب كلام الله بتلك الأقلام وبذلك المداد، لتكسرت تلك الأقلام، ولنفد ذلك المداد، ولم تنفد كلمات الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، قال: سألت الحسن عن هذه الآية **﴿وَلَوْ أنَّ ما فِي الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ﴾** قال: لو جعل شجر الأرض أقلاماً، وجعل البحور مداداً، وقال الله: إن من أمري كذا، ومن أمري كذا، لنفد ماء البحور، وتكسّرت الأقلام.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم، قال: ثنا عمرو، في قوله **﴿وَلَوْ أَنَّ ما في الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ﴾** قال: لو بريت أقلاماً والبحر مداداً، فكتب بتلك الأقلام منه **﴿ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللّهِ﴾** ولو مدّه سبعة أبحر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله **﴿وَلَوْ أنَّ ما فِي الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ، والبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللّهِ﴾** قال: قال المشركون: إنما هذا كلام يوشك أن ينفد، قال: لو كان شجر البرّ أقلاماً، ومع البحر سبعة أبحر ما كان لتنفد عجائب ربي وحكمته وخلقه وعلمه.

وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ في سبب مجادلة كانت من اليهود له.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا ابن إسحاق، قال: ثني رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، أن أحبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة: يا محمد أرأيت قوله **﴿وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً﴾** إيانا تريد أم قومك؟ فقال رسول الله ﷺ: «كُلاًّ»، فقالوا: ألست تتلو فيما جاءك: أنَا قد أوتينا التوراة فيها تبيان كلّ شيء؟ فقال رسول الله ﷺ: «إنَّها في عِلْمِ اللّهِ قَلِيلٌ وَعِنْدَكُمْ مِنْ ذلكَ ما يَكْفِيكُمْ»، فأنزل الله عليه فيما سألوه عنه من ذلك: **﴿وَلَوْ أنَّ ما في الأرْض مِنْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ وَالبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللّهِ﴾**: أي أن التوراة في هذا من علم الله قليل.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثني ابن عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرمة، قال: سأل أهل الكتاب رسول الله ﷺ عن الروح، فأنزل الله **﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أمْرِ رَبّي، وَما أُتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً﴾** فقالوا: تزعم أنا لم نؤت من العلم إلاّ قليلاً، وقد أوتينا التوراة، وهي الحكمة **﴿وَمَنْ يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾** قال: فنزلت **﴿وَلَوْ أنَّ ما فِي الأرْضِ من شَجَرَةٍ أقْلامٌ والبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ ما نَفِدَتْ كَلِماتُ اللّهِ﴾** قال: ما أوتيتم من علم فنجاكم الله به من النار وأدخلكم الجنة، فهو كثير طيب، وهو في علم الله قليل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار، قال: لما نزلت بمكة **﴿وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً﴾** يعني اليهود فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، أتاه أحبار يهود، فقالوا: يا محمد ألم يبلغنا أنك تقول **﴿وَما أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاَّ قَلِيلاً﴾** أفتعنينا أم قومك؟ قال: «كُلاًّ قَدْ عَنَيْتُ»، قالوا: فإنك تتلو: أنا قد أوتينا التوراة، وفيها تبيان كلّ شيء، فقال رسول الله ﷺ: «هِيَ فِي عِلْمِ اللّهِ قَلِيلٌ، وَقَدْ آتاكُمُ اللّهُ ما إنْ عَمِلْتُمْ بِهِ انْتَفَعْتُمْ»، فأنزل الله **﴿وَلَوْ أنَّ ما فِي الأرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أقْلامٌ، والبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ**

أبحُرٍ. . .﴾ إلى قوله **﴿إنَّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾**.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله **﴿والبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أبْحُرٍ﴾** فقرأته عامّة قرّاء المدينة والكوفة والبحر رفعاً على الابتداء، وقرأته قرّاء البصرة نصباً، عطفاً به على «ما» في قوله: **﴿وَلَوْ أنَّ ما فِي الأرْضِ﴾** وبأيتهما قرأ القارىء فمصيب عندي. وقوله: **﴿إنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾** يقول: إن الله ذو عزّة في انتقامه ممن أشرك به، وادّعى معه إلهاً غيره، حكيم في تدبيره خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ما خلقكم أيها الناس ولا بعثكم على الله إلاَّ كخلق نفس واحدة وبعثها، وذلك أن الله لا يتعذّر عليه شيء أراده، ولا يمتنع منه شيء شاءه **﴿إنَّما أمْرُهُ إذَا أرَادَ شَيْئاً أنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** فسواء خَلْق واحد وبعثه، وخلق الجميع وبعثهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثني أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله **﴿كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾** يقول: كن فيكون، للقليل والكثير.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله **﴿ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إلاَّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾** قال: يقول: إنما خَلْقُ الله الناسَ كلِّهم وبعثُهم كخلق نفس واحدة وبعثها، وإنما صلح أن يقال: إلاَّ كنفس واحدة، والمعنى: إلاَّ كخلق نفس واحدة، لأن المحذوف فعل يدلّ عليه قوله **﴿ما خَلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ﴾** والعرب تفعل ذلك في المصادر، ومنه قول الله: **﴿تَدُورُ أعْيُنُهُمْ كالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ﴾** والمعنى: كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت، فلم يذكر الدوران والعين لما وصفت.

وقوله: **﴿إنَّ اللّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾** يقول تعالى ذكره: إن الله سميع لما يقول هؤلاء المشركون ويفترونه على ربهم، من ادّعائهم له الشركاء والأنداد وغير ذلك من كلامهم وكلام غيرهم، بصير بما يعملونه وغيرهم من الأعمال، وهو مجازيهم على ذلك جزاءهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ

﴿كُلٌّ يَجْرِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد بعينك ﴿أَنَّ اللّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ﴾ يقول: يزيد من نقصان ساعات الليل في ساعات النهار ﴿وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيلِ﴾ يقول: يزيد ما نقص من ساعات النهار في ساعات اللّيل. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أنَّ اللّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهارِ﴾ نقصان الليل في زيادة النهار ﴿وَيُولِجُ النَّهار فِي اللَّيْلِ﴾ نقصان النهار في زيادة الليل.

وقوله: ﴿وَسَخَّر الشَّمْسَ والقَمَرَ، كُلّ يَجْرِي إلى أجَل مُسَمَّى﴾ يقول تعالى ذكره: وسخر الشمس والقمر لمصالح خلقه ومنافعهم، ﴿كلّ يجري﴾ يقول: كلّ ذلك يجري بأمره إلى وقت معلوم، وأجل محدود إذا بلغه، كوّرت الشمس والقمر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ كُلّ يَجْرِي إلى أجَلٍ مُسَمَّى﴾ يقول: لذلك كله وقت، وحدّ معلوم، لا يجاوزه ولا يعدوه.

وقوله: ﴿وَأنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ يقول: وإن الله بأعمالكم أيها الناس من خير أو شرّ ذو خبرة وعلم، لا يخفى عليه منها شيء، وهو مجازيكم على جميع ذلك، وخرج هذا الكلام خطاباً لرسول الله ﷺ، والمعنيّ به المشركون، وذلك أنه تعالى ذكره، نبّه بقوله: ﴿أنَّ اللّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ في النَّهارِ، وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيلِ﴾ على موضع حجته من جهل عظمته، وأشرك في عبادته معه غيره، يدلّ على ذلك قوله: ﴿ذلكَ بأنَّ اللّهَ هُوَ الحَقُّ، وأنَّ ما يَدْعُونَ منْ دُونهِ الباطِلُ﴾. القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي أخبرتك يا محمد أن الله فعله من إيلاجه الليل في النهار، والنهار في الليل، وغير ذلك من عظيم قُدرته، إنما فعله بأنه الله حقا، دون ما يدعوه هؤلاء المشركون به، وأنه لا يقدر على فعل ذلك سواه، ولا تصلح الألوهة إلاّ لمن فعل ذلك بقُدرته. وقوله: ﴿وأنَّ ما يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الباطِلُ﴾ يقول تعالى ذكره: وبأن الذي يعبد هؤلاء المشركون من دون الله الباطل الذي يضمحلّ، فيبيد ويفني ﴿وأنَّ اللّهَ هُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ﴾ يقول تعالى ذكره: وبأن

الله هو العليّ، يقول: ذو العلوّ على كلّ شيء، وكلّ ما دونه فله متذلل منقاد، الكبير الذي كل شيء دونه، فله متصاغر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ألم تر يا محمد أن السفن تجري في البحر نعمة من الله على خلقه **﴿لِيُرِيَكُمْ مِنْ آياتِهِ﴾** يقول: ليريكم من عبره وحججه عليكم **﴿إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِكُلّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾** يقول: إن في جري الفلك في البحر دلالة على أن الله الذي أجراها هو الحقّ، وأنّ ما يدعون من دونه الباطل**﴿لِكُلّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾** يقول: لكلّ من صبر نفسه عن محارم الله، وشكره على نعمه فلم يكفره.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قال: كان مطرف يقول: إنّ من أحبّ عباد الله إليه: الصبّار الشّكور.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، قال: الصبر نصف الإيمان، والشكر نصف الإيمان، واليقين: الإيمان كله، ألم تر إلى قوله: **﴿إنَّ فِي ذلك لآياتٍ لكُلّ صَبَّارٍ شَكُورٍ، إنَّ في ذلكَ لآياتٍ للْمُوقِنينَ إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ للْمُؤْمِنينَ.**

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا سفيان، عن مغيرة، عن الشعبيّ **﴿إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لكُلّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾** قال: الصبر: نصف الإيمان، واليقين: الإيمان كله.

إن قال قائل: وكيف خصّ هذه الدلالة بأنها دلالة للصبّار الشّكور دون سائر الخلق؟ قيل: لأنّ الصبر والشكر من أفعال ذوي الحجى والعقول، فأخبر أن في ذلك لآيات لكلّ ذي عقل، لأن الآيات جعلها الله عبراً لذوي العقول والتمييز.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا غشي هؤلاء الذين يدعون من دون الله الآلهة والأوثان في البحر، إذا ركبوا في الفُلك، موج كالظُّل، وهي جمع ظُلَّة، شبّه بها الموج في شدة سواد كثرة الماء قال نابغة بني جعدة في صفة بحر:

يُـمـاشِـيـهِـنَّ أَخْـضَـرُ ذُو ظِـلالٍ ... عَـلـى حـافـاتِـهِ فِـلَـق الـدِّنـانِ(١)

وشبه الموج وهو واحد بالظلل، وهي جماع، لأن الموج يأتي شيء منه بعد شيء، ويركب بعضه بعضاً كهيئة الظلل. وقوله: ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ يقول تعالى ذكره: وإذا غشى هؤلاء موج كالظلل، فخافوا الغرق، فزعوا إلى الله بالدعاء مخلصين له الطاعة، لا يشركون به هنالك شيئاً، ولا يدعون معه أحداً سواه، ولا يستغيثون بغيره. قوله: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ﴾ مما كانوا يخافونه في البحر من الغرق والهلاك إلى البرّ. ﴿فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ يقول: فمنهم مقتصد في قوله وإقراره بربه، وهو مع ذلك مضمر الكفر به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ قال: المقتصد في القول وهو كافر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ قال: المقتصد الذي على صلاح من الأمر.

وقوله: ﴿وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وما يكفر بأدلتنا وحججنا إلاّ كلّ غدّار بعهده، والختر عند العرب: أقبح الغدر ومنه قول عمرو بن معدي كرب:

وَإِنَّـكَ لَـوْ رأيْـتَ أبـا عُـمَـيْـرٍ ... مَـلأْتَ يَـدَيْـكَ مِـنْ غَـدْرٍ وَخَـتْـرِ(٢)

وقوله: ﴿كَفُورٌ﴾ يعني: جحوداً للنِّعم، غير شاكر ما أسدى إليه من نعمة. وبنحو الذي قلنا في معنى الختار قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن ليث، عن مجاهد ﴿كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ قال: كلّ غدّار.

---

(١) البيت في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة الورقة (١٩١ ب) قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿وإذا غشيهم موج كالظلل﴾ واحدتها: ظلة. ومجازه: من شدة سواد كثرة الماء ومعظمه. قال النابغة الجعدي وهو يصف البحر: «يماشيهن.. فلق الدنان». يريد: أن البحر يمتد معهن في سيرهن. وظلال البحر: أمواجه، لأنها ترفع فتظل السفينة ومن فيها. والدنان بالدال المهملة: جمع دن بالفتح، هو راقود الخمر الكبير.

(٢) البيت في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة الورقة (١٩١ ب) عند تفسير قوله تعالى: ﴿كل ختار كفور﴾ قال: الختر: الكبر والغدر، قال عمرو بن معديكرب: «وإنك لو رأيت... البيت». وفي «اللسان» ختر: الختر شبيه بالغدر والخديعة وقيل: هو الخديعة بعينها. وقيل: هو أسوأ الغدر وأقبحه. ختر يختر، فهو خاتر، وختار للمبالغة. والفعل من بابي ضرب ونصر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله **﴿كُلُّ خَتَّارٍ﴾** قال: غدّار.

حدثني يعقوب وابن وكيع، قالا: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن، في قوله **﴿وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾** قال: غدّار.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة قوله **﴿وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾** الختار: الغدار، كلّ غدار بذمته كفور بربه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله **﴿وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾** قال: كلّ جحاد كفور.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله **﴿وَما يَجْحَدُ بِآياتِنا إلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾** قال: الختار: الغدّار، كما تقول: غدرني.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن مسعر، قال: سمعت قَتادة قال: الذي يغدر بعهده.

قال: ثنا المحاربي، عن جُوَيبر، عن الضحاك، قال: الغدّار.

قال: ثنا أبي: عن الأعمش، عن سمر بن عطية الكاهلي، عن عليّ رضي الله عنه قال: المكر غدر، والغدر كفر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أيها المشركون من قريش، اتقوا الله، وخافوا أن يحلّ بكم سخطه في يوم لا يغني والد عن ولده، ولا مولود هو مغن عن والده شيئاً، لأن الأمر يصير هنالك بيد من لا يغالب، ولا تنفع عنده الشفاعة والوسائل، إلاّ وسيلة من صالح الأعمال التي أسلفها في الدنيا. وقوله: **﴿إنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ﴾** يقول: اعلموا أن مجيء هذا اليوم حقّ، وذلك أن الله قد وعد عباده ولا خلف لوعده **﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَياةُ الدُّنيا﴾** يقول: فلا تخدعنكم زينة الحياة الدنيا ولذّاتها، فتميلوا إليها، وتدعوا الاستعداد لما فيه خلاصكم من عقاب الله ذلك اليوم. وقوله: **﴿وَلا يَغُرَّنَّكُمْ باللّه الغَرُورِ﴾** يقول: ولا يخدعنّكم بالله خادع. والغَرور بفتح الغين: هو ما غرّ الإنسان من شيء،

كائناً ما كان شيطاناً كان أو إنساناً، أو دنيا وأما الغُرور بضمّ الغين: فهو مصدر من قول القائل: غررته غروراً. وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ﴿وَلا يَغُرَّنَّكُمْ باللَّهِ الغَرُور﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿الغَرُور﴾ قال: الشيطان.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة قوله ﴿وَلا يَغُرَّنكُمْ بِاللَّهِ الغَرُورُ﴾ ذاكم الشيطان.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ الفضل بن خالد المروزي، يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله ﴿الغَرُورُ﴾ قال: الشيطان.

وكان بعضهم يتأوّل الغَرور بما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا ابن المبارك، عن ابن لهيعة، عن عطاء بن دينار، عن سعيد بن جُبَير، قوله: ﴿وَلا يَغُرَّنَّكُمْ باللَّهِ الغَرُورُ﴾ قال: إن تعمل بالمعصية وتتمنى المغفرة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿يا أيُّها النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ، وَاخْشَوْا يَوْما لا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ، وَلا مَوْلُودٌ هُوَ جازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئاً﴾ هو آتيكم علم إتيانه إياكم عند ربكم، لا يعلم أحد متى هو جائيكم، لا يأتيكم إلاّ بغتة، فاتقوه أن يفجأكم بغتة، وأنتم على ضلالتكم لم تنيبوا منها، فتصيروا من عذاب الله وعقابه إلى ما لا قِبل لكم به وابتدأ تعالى ذكره الخبر عن علمه بمجيء الساعة. والمعنى: ما ذكرت لدلالة الكلام على المراد منه، فقال: ﴿إنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ التي تقوم فيها القيامة، لا يعلم ذلك أحد غيره ﴿ويُنَزِّلُ الغَيْثَ﴾ من السماء، لا يقدر على ذلك أحد غيره ﴿وَيَعْلَمُ ما في الأرْحامِ﴾ أرحام الإناث ﴿وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذَا تَكْسِبُ غَداً﴾ يقول: وما تعلم نفس حيّ ماذا تعمل في غد، ﴿وَما تَدْرِي نَفْسٌ بأيّ أرْض تَمُوتُ﴾ يقول: وما تعلم نفس حيّ بأيّ أرض تكون منيتها ﴿إنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ يقول: إن الذي يعلم ذلك كله، هو الله دون كلّ أحد سواه، إنه ذو علم بكلّ شيء، لا يخفى عليه شيء، خبير بما هو كائن، وما قد كان. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**إِنَّ اللّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**﴾ قال: جاء رجل قال قال أبو جعفر: أحسبه أنا، قال إلى النبيّ ﷺ فقال: إنَّ امرأتي حُبلى، فأخبرني ماذا تلد؟ وبلادنا محل جدبة، فأخبرني متى ينزل الغيث؟ وقد علمت متى وَلدت، فأخبرني متى أموت، فأنزل الله: ﴿**إِنَّ اللّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَيُنَزِّلُ الغَيثَ...**﴾ إلى آخر السورة، قال: فكان مجاهد يقول: هنّ مفاتح الغيب التي قال الله ﴿**وَعِندَهُ مَفاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُها إلاَّ هُوَ**﴾.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**إِنَّ اللّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...**﴾ الآية، أشياء من الغيب، استأثر الله بهنّ، فلم يطلع عليهنّ ملَكاً مقرّباً، ولا نبياً مرسلاً ﴿**إِنَّ اللّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ**﴾ فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة، في أيّ سنة، أو في أيّ شهر، أو ليل، أو نهار ﴿**ويُنزّلُ الغَيْثَ**﴾ فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث، ليلاً أو نهاراً ينزل؟ ﴿**وَيَعْلَمُ ما فِي الأرْحام**﴾ فلا يعلم أحد ما فِي الأرحام، أذكر أو أنثى، أحمر أو أسود، أو ما هو؟ ﴿**وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذَا تَكْسِبُ غَداً**﴾ خير أم شرّ، ولا تدري يا ابن آدم متى تموت؟ لعلك الميت غداً، لعلك المصاب غداً ﴿**وَما تَدْرِي نَفْسٌ بأيّ أرْضٍ تَمُوتُ**﴾ ليس أحد من الناس يدري أين مضجعه من الأرض في بحر أو برّ أو سهل أو جبل، تعالى وتبارك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن الشعبيّ، قال: قالت عائشة: من قال: إن أحداً يعلم الغيب إلاَّ الله فقد كذب، وأعظمَ الفرية على الله. قال الله: ﴿**لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأرْضِ الْغَيْبَ إلاَّ اللّهُ**﴾.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن يونس بن عبيد، عن عمرو بن شُعيب أن رجلاً قال: يا رسول الله، هل من العلم علم لم تؤته؟ قال: «لَقَدْ أُوتِيتُ عِلْماً كَثِيراً، وَعِلْماً حَسَناً»، أو كما قال رسول الله ﷺ، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿**إِنَّ اللّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الغَيْثَ...**﴾ إلى ﴿**إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ «**لا يَعْلَمُهُنَّ إلاَّ اللّهُ تَبارَكَ وَتَعالى**».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني عمرو بن محمد، عن أبيه، عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال: «مَفاتِحُ الغَيْبِ خَمْسَةٌ، ثم قرأ هؤلاء الآيات ﴿**إِنَّ اللّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...**﴾ إلى آخرها».

حدثني عليّ بن سهل، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن عبد الله بن دينار، أنه سمع ابن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ: «مَفاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُهُنَّ إلاَّ اللّهُ، إنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، ويُنَزِّلُ الغَيْثَ، ويَعْلَمُ ما فِي الأرْحامِ...﴾ الآية، ثم قال: ﴿**لا يَعْلَمُ ما فِي غَد إلاَّ**

اللّهُ، وَلا يَعْلَمُ أحَدٌ مَتى يَنْزِلُ الغَيْثَ إلاَّ اللّهُ، وَلا يَعْلَمُ أحَدٌ مَتى قِيامُ السَّاعَةِ إلاَّ اللّهُ، وَلا يَعْلَمُ أحَدٌ ما فِي الأرْحامِ إلاَّ اللّهُ، وَلا تَدْرِي نَفْسٌ بأيّ أرْض تَمُوتُ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَفاتِحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لا يَعْلَمُها إلاَّ اللّهُ: إنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، ويُنَزّلُ الغَيْثَ، وَيَعْلَمُ ما فِي الأرْحامِ، وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذَا تَكْسِبُ غَداً، وَما تَدْرِي نَفْسٌ بأيّ أرْضٍ تَمُوتُ، إنَّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثني أبي، عن مسعر، عن عمرو بن مرّة، عن عبد الله بن سلمة، عن ابن مسعود قال: كلّ شيء أوتيه نبيكم ﷺ، إلاَّ علم الغيب الخمس: إنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، ويُنَزّلُ الغَيْثَ وَيَعْلَمُ ما في الأرْحامِ، وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذَا تَكْسِبُ غَداً، وَما تَدْرِي نَفْسٌ بأيّ أرْضٍ تَمُوتُ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن ابن أبي خالد، عن عامر، عن مسروق، عن عائشة، قالت: من حدّثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: ﴿**وَما تَدْرِي نَفْسٌ ماذَا تَكْسبُ غَداً**﴾.

قال: ثنا جرير وابن علية، عن أبي خباب، عن أبي زُرعة، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «خَمْسٌ لا يَعْلَمُهُنَّ إلاَّ اللّهُ: إنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ، ويُنَزّلُ الغَيْثَ... الآية».

حدثني أبو شُرَحبيل، قال: ثنا أبو اليمان، قال: ثنا إسماعيل، عن جعفر، عن عمرو بن مرّة، عن عبد الله بن سلمة، عن ابن مسعود، قال: كلّ شيء قد أوتي نبيكم غير مفاتح الغيب الخمس، ثم قرأ هذه الآية ﴿**إنَّ اللّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ...**﴾ إلى آخرها.

وقيل: ﴿**بأيّ أرض تموت**﴾. وفيه لغة أخرى: «بأيّةِ أرْضٍ» فمن قال: ﴿**بأيّ أرْضٍ**﴾ اجتزأ بتأنيث الأرض من أن يظهر في أيّ تأنيث آخر، ومن قال «بأيّة أرْضٍ» فأنث، أي قال: قد تجتزىء بأي مما أضيف إليه، فلا بدّ من التأنيث، كقول القائل: مررت بامرأة، فيقال له: بأية، ومررت برجل، فيقال له بأيّ ويقال: أيّ امرأة جاءتك وجاءك، وأية امرأة جاءتك.

آخر تفسير سورة لقمان

(٣٢) سورة السجدة مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ۝٣﴾.

قال أبو جعفر: قد مضى البيان عن تأويل قوله ﴿الم﴾ بما فيه الكفاية. وقوله: ﴿تنزيلُ الكِتابِ لا رَيبَ فِيهِ﴾ يقول تعالى ذكره: تنزيل الكتاب الذي نزّل على محمد ﷺ، لا شكّ فيه ﴿من ربّ العالمين﴾: يقول: من ربّ الثقلين: الجنّ، والإنس. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿الم تَنْزِيلُ الكِتابِ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ لا شكّ فيه. وإنما معنى الكلام: أن هذا القرآن الذي أُنزل على محمد لا شكّ فيه أنه من عند الله، وليس بشعر ولا سجع كاهن، ولا هو مما تخرّصه محمد ﷺ، وإنما كذّب جلّ ثناؤه بذلك قول الذين قالُوا ﴿أساطِيرُ الأوَّلِينَ اكْتَتَبَها فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وأصِيلاً﴾ وقول الذين قالوا: ﴿إنْ هَذَا إلاَّ إفْكٌ افْتَرَاهُ وأعانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾.

وقوله: ﴿أمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ يقول تعالى ذكره: يقول المشركون بالله: اختلق هذا الكتاب محمد من قِبل نفسه، وتكذّبه و «أم» هذه تقرير، وقد بيّنا في غير موضع من كتابنا، أن العرب إذا اعترضت بالاستفهام في أضعاف كلام قد تقدّم بعضه أن يستفهم بأم. وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك: ويقولون. وقال: أم بمعنى الواو، بمعنى بل في مثل هذا الموضع، ثم أكذبهم تعالى ذكره فقال: ما هو كما تزعمون وتقولون من أن محمداً افتراه، بل هو الحقّ والصدق من عند ربك يا محمد، أنزله إليك، لتنذر قوماً بأس الله وسطوته، أن يحلّ بهم على كفرهم به ﴿ما أتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾ يقول: لم يأت هؤلاء القوم الذين أرسلك ربك يا محمد إليهم، وهم قومه من قريش، نذير ينذرهم بأس الله على كفرهم قبلك. وقوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ يقول: ليتبيّنوا سبيل الحقّ فيعرفوه ويؤمنوا به. وبمثل الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أتاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ

قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ قال: كانوا أمّة أُمّيّة، لم يأتهم نذير قبل محمد ﷺ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلاَّ له أيها الناس **﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ وَما بَيْنَهُما﴾** من خلق **﴿فِي سِتَّةِ أيَّامٍ﴾** ثم استوى على عرشه في اليوم السابع بعد خلقه السموات والأرض وما بينهما. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿اللّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ والأرْضَ وَما بَيْنَهُما فِي سِتَّةِ أيَّام ثُمَّ اسْتَوَى عَلى العَرْشِ﴾** في اليوم السابع. يقول: مالكم أيها الناس إله إلاَّ من فعل هذا الفعل، وخلَق هذا الخَلْق العجيب في ستة أيام.

وقوله: **﴿ما لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَليّ وَلا شَفِيعٍ﴾** يقول: ما لكم أيها الناس دونه وليّ يلي أمركم وينصركم منه إن أراد بكم ضرّاً، ولا شفيع يشفع لكم عنده إن هو عاقبكم على معصيتكم إياه، يقول: فإياه فاتخذوا ولياً، وبه وبطاعته فاستعينوا على أموركم فإنه يمنعكم إذا أراد منعكم ممن أرادكم بسوء، ولا يقدر أحد على دفعه عما أراد بكم هو، لأنه لا يقهره قاهر، ولا يغلبه غالب **﴿أفَلا تَتَذَكَّرُونَ﴾** يقول تعالى ذكره: أفلا تعتبرون وتتفكَّرون أيها الناس، فتعلموا أنه ليس لكم دونه وليّ ولا شفيع، فتفردوا له الألوهة، وتخلصوا له العبادة، وتخلعوا ما دونه من الأنداد والآلهة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: الله هو الذي يدبر الأمر من أمر خلقه من السماء إلى الأرض، ثم يعرُج إليه.

واختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله **﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ ألْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾** فقال بعضهم: معناه: أن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض، ويصعد من الأرض إلى السماء في يوم واحد، وقدر ذلك ألف سنة مما تعدّون من أيام الدنيا، لأن ما بين الأرض إلى السماء خمس مئة عام، وما بين السماء إلى الأرض مثل ذلك، فذلك ألف سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عمرو بن معروف، عن ليث، عن مجاهد **﴿فِي يَوْمٍ كان مقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾** يعني بذلك نزول الأمر من السماء إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد، وذلك مقداره ألف سنة، لأن ما بين السماء إلى الأرض مسيرة خمس مئة عام.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة **﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّماءِ إلى الأرْض ثُمَّ يَعْرُجُ إلَيْهِ فِي يَوْمٍ﴾** من أيامكم **﴿كانَ مِقْدارُهُ ألْفَ سنة مِمَّا تَعُدُّونَ﴾** يقول: مقدار مسيره في ذلك اليوم ألف سنة مما تعدّون من أيامكم من أيام الدنيا خمس مئة سنة نزوله، وخمس مئة صعوده فذلك ألف سنة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو معاوية، عن جُوَيبر، عن الضحاك **﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ ألْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾** قال: تعرج الملائكة إلى السماء، ثم تنزل في يوم من أيامكم هذه، وهو مسيرة ألف سنة.

قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن سماك، عن عكرمة **﴿ألْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾** قال: من أيام الدنيا.

حدثنا هناد بن السري، قال: ثنا أبو الأحوص، عن أبي الحارث، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: **﴿يُدَبِّرُ الأمْرَ مِنَ السَّماءِ إلى الأرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إلَيْهِ فِي يَوْمٍ﴾** من أيامكم هذه، مسيرة ما بين السماء إلى الأرض خمس مئة عام.

وذكر عن عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة قال: تنحدر الأمور وتصعد من السماء إلى الأرض في يوم واحد، مقداره ألف سنة، خمس مئة حتى ينزل، وخمس مئة حتى يعرُج.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه في يوم من الأيام الستة التي خلق الله فيهنّ الخلق، كان مقدار ذلك اليوم ألف سنة مما تعدّون من أيامكم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس **﴿ألْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾** قال: ذلك مقدار المسير قوله **﴿كألف سنة مما تعدّون﴾**، قال: خلق السموات والأرض في ستة أيام، وكلّ يوم من هذه كألف سنة مما تعدّون أنتم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس

﴿فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدونَ﴾ قال: الستة الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله **﴿فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدونَ﴾** يعني هذا اليوم من الأيام الستة التي خلق الله فيهنّ السموات والأرض وما بينهما.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض بالملائكة، ثم تعرج إليه الملائكة، في يَوْمٍ كان مقداره ألف سنة من أيام الدنيا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله **﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾** قال: هذا في الدنيا تعرج الملائكة إليه في يوم كان مقداره ألف سنة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا غندر، عن شعبة، عن سماك، عن عكرمة **﴿فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾** قال: ما بين السماء والأرض مسيرة ألف سنة مما تعدّون من أيامَ الآخرة[1].

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن سماك، عن عكرمة أنه قال في هذه الآية: **﴿يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾** قال: ما بين السماء والأرض مسيرة ألف سنة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض في يوم كان مقدار ذلك التدبير ألف سنة مما تعدّون من أيام الدنيا، ثم يعرج إليه ذلك التدبير الذي دبره.

ذكر من قال ذلك:

ذُكر عن حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد، أنه قال: يقضي أمر كل شيء ألف سنة إلى الملائكة ثم كذلك حتى تمضي ألف سنة، ثم يقضي أمر كل شيء ألفاً، ثم كذلك أبداً، قال: يوم كان مقداره، قال: اليوم أن يقال لما يقضي إلى الملائكة ألف سنة، كن فيكون، ولكن سماه يوماً. سماه كما بيّنا كل ذلك عن مجاهد، قال: وقوله: **﴿إِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّك كأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّون﴾** قال: هو هوسواء.

---

(١) الذي في «**الدر المنثور**» من أيام الدنيا، وهو واضح ا هـ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إلى الله في يوم كان مقداره ألف سنة، مقدار العروج ألف سنة مما تعدّون.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾** قال بعض أهل العلم: مقدار ما بين الأرض حين يعرج إليه إلى أن يبلغ عروجه ألف سنة، هذا مقدار ذلك المعراج في ذلك اليوم حين يعرج فيه.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: معناه: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض، ثم يعرج إليه في يوم، كام مقدار ذلك اليوم في عروج ذلك الأمر إليه، ونزوله إلى الأرض ألف سنة مما تعدون من أيامكم خمس مئة في النزول، وخمس مئة في الصعود، لأن ذلك أظهر معانيه، وأشبهها بظاهر التنزيل.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: هذا الذي يفعل ما وصفت لكم في هذه الآيات، هو عالم الغيب، يعني عالم ما يغيب عن أبصاركم أيها الناس، فلا تبصرونه مما تكنه الصدور، وتخفيه النفوس، وما لم يكن بعد مما هو كائن، **﴿والشهادة﴾**: يعني ما شاهدته الأبصار فأبصرته وعاينته وما هو موجود **﴿العَزِيزُ﴾** يقول: الشديد في انتقامه ممن كفر به وأشرك معه غيره، وكذّب رسله **﴿الرَّحِيمُ﴾** بمن تاب من ضلالته، ورجع إلى الإيمان به وبرسوله، والعمل بطاعته، أن يعذّبه بعد التوبة.

وقوله: **﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾** اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأه بعض قراء مكة والمدينة والبصرة: «أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ» بسكون اللام. وقرأه بعض المدنيين وعامة الكوفيين: **﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾** بفتح اللام.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء صحيحتا المعنى، وذلك أن الله أحكم خلقه، وأحكم كل شيء خلَقه، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب.

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: أتقن كلّ شيء وأحكمه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني العباس بن أبي طالب، قال: ثنا الحسين بن إبراهيم إشكاب[١]، قال: ثنا شريك، عن خَصيف عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾ قال: أما إن است القرد ليست بحسنة، ولكن أحكم خلقها.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو النضر، قال: ثنا أبو سعيد المؤدّب، عن خصيف، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنه كان يقرؤها: ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾ قال: أما إن است القرد ليست بحسنة، ولكنه أحكمها.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾ قال: أتقن كلّ شيء خلقه.

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا عبد الله بن موسى، قال: ثنا إسرائيل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾: أحصى كلّ شيء.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الذي حسن خلق كل شيء.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله ﴿**الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ**﴾ حسن على نحو ما خلق.

وذُكر عن الحجاج، عن ابن جُرَيج، عن الأعرج، عن مجاهد قال: هو مثل ﴿**أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثم هَدَى**﴾ قال: فلم يجعل خلق البهائم في خلق الناس، ولا خلق الناس في خلق البهائم ولكن خلق كلّ شيء فقدّره تقديراً.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أعلم كل شيء خلقه، كأنهم وجهوا تأويل الكلام إلى أنه ألهم خلقه ما يحتاجون إليه، وأن قوله ﴿**أَحْسَنَ**﴾ إنما هو من قول القائل: فلان يحسن كذا إذا كان يعلمه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن شريك، عن خصيف، عن مجاهد ﴿**أَحْسَنَ كُلَّ**

---

(١) في التاج (شكب): إشكاب، لقب الحسين بن إبراهيم بن الحسن بن زعلان العامري، شيخ أبي بكر بن أبي الدنيا.

شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ قال: أعطى كلّ شيء خلقه، قال: الإنسان إلى الإنسان، والفرس للفرس، والحمار للحمار. وعلى هذا القول، الخَلْق والكلّ منصوبان بوقوع أحسن عليهما.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب على قراءة من قرأه ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ بفتح اللام قول من قال: معناه أحكم وأتقن، لأنه لا معنى لذلك إذ قرىء كذلك إلاّ أحد وجهين: إما هذا الذي قلنا من معنى الإحكام والإتقان أو معنى التحسين الذي هو في معنى الجمال والحُسن فلما كان في خلقه ما لا يشكّ في قُبحه وسماجته، علم أنه لم يُعن به أنه أحسن كلّ ما خلق، ولكن معناه أنه أحكمه وأتقن صنعته. وأما على القراءة الأخرى التي هي بتسكين اللام، فإن أولى تأويلاته به قول من قال: معنى ذلك أعلم وألهم كلّ شيء خلقه، هو أحسنهم، كما قال ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ لأن ذلك أظهر معانيه. وأما الذي وجه تأويل ذلك إلى أنه بمعنى: الذي أحسن خلق كلّ شيء، فإنه جعل الخلق نصباً بمعنى التفسير، كأنه قال: الذي أحسن كلّ شيء خلقاً منه. وقد كان بعضهم يقول: هو من المقدّم الذي معناه التأخير، ويوجهه إلى أنه نظير قول الشاعر:

وَظَعْنِي إلَيْك اللَّيْل حِضْنَيْهِ أنَّنِي ... لِتِلْكَ إذَا هابَ الهِدَانُ فَعُولُ[1]

يعني: وظعني حضني الليل إليك ونظير قول الآخر:

كأنَّ هِنْداً ثَنايَاها وبَهْجَتَها ... يَوْمَ الْتَقَيْنا عَلى أدْحالِ دَبَّاب[2]

أي كأن ثنايا هند وبهجتها.

وقوله: ﴿وَبَدأَ خَلْقَ الإنسانِ مِنْ طِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وبدأ خلق آدم من طين ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ﴾ يعني ذرّيته من سلالة، يقول: من الماء الذي انسلّ فخرج منه. وإنما يعني من إراقة من مائه، كما قال الشاعر:

---

(١) البيت في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة، الورقة (١٩٢/١) قال عند تفسير قوله تعالى: ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾ مجازه: أحسن خلق كل شيء: والعرب تفعل هذا، يقدمون ويؤخرون. قال: زظعني إليك... البيت معناه: «وظعني حين حضنني الليل إليك. وفي «اللسان» حضن وحضنا المفازة شقاها، والفلاة: ناحيتاها. وحضنا الليل: جانباه. وحضن الجبل ما يطيف به، وحضنا الشيء: جانباه. والهدان بوزن كتاب: الأحمق الجافي الوخم الثقيل في الحرب. وفي حديث عثمان: جبانا هدانا.

(٢) البيت في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة، الورقة (١٩٢/١) عن تفسير قوله تعالى: ﴿أحسن كل شيء خلقه﴾ بعد الشاهد السابق: «وظعني إليك» البيت بم قال: كأن تنايا هند وبهجتها. وهو أيضاً في «اللسان» دبب قال: قال الأزهري: وبالخلصاء رمل يقال له الدباب. وبحذائه دو حلان كثير (بضم الدال) ومنه قول الشاعر:

كأنَّ هِنْداً ثَنايَاها وبَهْجَتَها ... لَمَّا الْتَقَيْنا لَدَى أدْحالِ دَبَّاب

مَوْلِيَّةٌ أُنُفٌ جادَ الرَّبِيعُ بِها ... على أبارِقَ قَدْ هَمَّتْ بأعْشابِ

والأدحال والدحلان: جمعاً دحل، بالفتح، وهو ثقب ضيق فمه، ثم يتسع أسفله، حتى يمشي فيه.

فجاءَتْ بِهِ عَضْبَ الأدِيمِ غَضَنْفَراً سُلالَةَ فَرْجٍ كانَ غيرَ حَصِينِ[(١)]

وقوله: ﴿مِنْ ماءٍ مَهِينٍ﴾ يقول: من نطفة ضعيفة رقيقة. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿وَبَدأَ خَلْقَ الإنْسانِ مِنْ طِينٍ﴾ وهو خلق آدم، ثم جعل نسله: أي ذرّيته من سلالة من ماء مهين، والسلالة: هي الماء المهين الضعيف.

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال، عن أبي يحيى الأعرج، عن ابن عباس، في قوله ﴿مِنْ سُلالَةٍ﴾ قال: صفو الماء.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿مِنْ ماءٍ مَهِينٍ﴾ قال: ضعيف نطفة الرجل، ومهين: فعيل من قول القائل: مهن فلان، وذلك إذا زلّ وضعف.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ثم سوّى الإنسان الذي بدأ خلقه من طين خلقاً سوياً معتدلاً، ﴿ونَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ﴾ فصار حياً ناطقاً ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ والأبْصارَ والأفْئِدَةَ، قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ﴾ يقول: وأنعم عليكم أيها الناس ربكم بأن أعطاكم السمع تسمعون به الأصوات، والأبصار تبصرون بها الأشخاص والأفئدة، تعقلون بها الخير من السوء، لتشكروه على ما وهب لكم من ذلك. وقوله: ﴿قَلِيلاً ما تَشْكُرُونَ﴾ يقول: وأنتم تشكرون قليلاً من الشكر ربكم على ما أنعم عليكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾﴾.

(١) البيت: في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة الورقة (١٩٢ ـ ب) عند قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ في سورة المؤمنين الجزء (١٨/ ٨) فراجعه ثمة.

يقول تعالى ذكره: وقال المشركون بالله، المكذّبون بالبعث: ﴿أئِذَا ضَلَلْنا في الأرْض﴾ أي صارت لحومنا وعظامنا تراباً في الأرض وفيها لغتان: ضَلَلْنا، وضَلِلْنا، بفتح اللام وكسرها والقراءة على فتحها، وهي الجوداء، وبها نقرأ. وذكر عن الحسن أنه كان يقرأ: «أئِذَا صَلَلْنا» بالصاد، بمعنى: أنتنا، من قولهم: صلّ اللحم وأصلّ: إذا أنتن. وإنما عنى هؤلاء المشركون بقولهم: ﴿أئِذَا ضَلَلْنا فِي الأرْضِ﴾ أي إذا هلكت أجسادنا في الأرض، لأن كلّ شيء غلب عليه غيره حتى خفي فيما غلب، فإنه قد ضلّ فيه، تقول العرب: قد ضلّ الماء في اللبن: إذا غلب عليه حتى لا يتبين فيه ومنه قول الأخطل لجرير:

كُنتَ القَذَى في مَوْجِ أكْدَرَ مُزْبِدٍ ... قَذَفَ الأتِيُّ بِهِ فَضَلَّ ضَلالا[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن ليث، عن مجاهد ﴿أئِذَا ضَلَلْنا فِي الأرْضِ﴾ يقول: أئذا هلكنا.

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿أئِذَا ضَلَلْنا فِي الأرْضِ﴾ هلكنا.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد: قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله ﴿أئِذَا ضَلَلْنا فِي الأرْضِ﴾ يقول: أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أنبعث خلقاً جديداً؟ يكفرون بالبعث.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، ﴿وَقالُوا أئِذَا ضَلَلْنا في الأرْض أئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ قال: قالوا: أئذا كنا عظاماً ورفاتاً أئنا لمبعوثون خلقاً جديداً؟.

---

(١) البيت للأخطل ديوانه طبعة بيروت (ص ـ ٥٠). والقذى: ما يقع في العين من تراب أو تبن ونحوه، مما يطيره الريح والأكدر: الكدر، غير الصافي، لأنه أتى من بعيد، وهو شديد الجرى، يخالطه التراب والغثاء، ولذلك قال: «مزبد»، وهو الذي علاه الزبد لتحركه واضطرابه. والأتي: السيل يأتي من مكان بعيد، أو من بلد إلى بلد. وقبل هذا البيت بيت آخر مرتبط به في المعنى، قال الأخطل:

وَإذا سَما لِلْمَجْدِ فَرْعا وَائِلٍ ... واسْتَجْمَعَ الوَادِي عَلَيْكَ فَسالا

فرعا وائل هما بكر وتغلب، يريد أنه إذا اجتمع فرعا وائل في مكان يوم فخار مع القبائل، وصاروا أشبه بالسيل في كثرته تكن لم، أنت يا جرير بالإضافة إليهم إلا كقذاة غرقت في ذلك السيل الكدر، فضلت فيه وغابت، ولم يوقف لها على أثر. ولذلك قال شارح الديوان: والمراد من البيت أن أبا جرير حقير خسيس، بالقياس إلى من ذكرهم. والبيت شاهد على أن الضلال: غياب الشيء في الشيء، حتى لا يحس له أثر.

وقوله: ﴿بَلْ هُمْ بِلِقاء رَبِّهِمْ كافِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء المشركين جحود قدرة الله على ما يشاء، بل هم بلقاء ربهم كافرون، حذراً لعقابه، وخوف مجازاته إياهم على معصيتهم إياه، فهم من أجل ذلك يجحدون لقاء ربهم في المعاد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله: يتوفاكم ملك الموت، يقول: يستوفي عددكم بقبض أرواحكم ملك الموت الذي وكل بقبض أرواحكم ومنه قول الراجز:

إنَّ بَنِي الأَدْرَمِ لَيْسُوا مِنْ أحَدْ وَلا تَوَفَّاهُمْ قُرَيْشٌ فِي العَدَدْ[1]

﴿ثُمَّ إلى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ يقول: من بعد قبض ملك الموت أرواحكم إلى ربكم يوم القيامة تردّون أحياء كهيئتكم قبل وفاتكم، فيجازى المحسن منكم بإحسانه، والمُسيء بإساءته.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ قال: ملك الموت يتوفاكم، ومعه أعوان من الملائكة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله ﴿يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ﴾ قال: حُوِيَت له الأرض، فجُعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بزّة، عن مجاهد، بنحوه.

---

(١) البيتان لمنظور الوبري «اللسان» وفي قال: وتوفيت عدد القوم إذا عددتهم كلهم. وأنشد أبو عبيدة لمنظور الوبري (بسكون الباء):

إن بني الأدرد ليسوا من أحد

... البيتان». أي لا تجعلهم قريش تمام عددهم، ولا تستوفي بهم عددهم. وفي رواية «اللسان» الادرد في موضع الادرم في رواية أبي عبيدة لم يصرح أبو عبيدة بأسم الشاعر منظور الوبري ولعل صاحب اللسان رأي نسخة من «مجاز القرآن» فيها اسم الشاعر. وأنشد البيت صاحب التاج في (وفى) قال: وتوفيت عدد القوم: إذا عددتهم لهم، وأنشد أبو عبيدة لمنظور العنبري:

إن بنى الأردد ليسوا من أحد

والأدرد فيه بالدال آخر الحروف، لا بالميم، كما في نسخة «مجاز القرآن» التي بأيدينا. وفي «اللسان» (وفى): أورد ابن منظور البيت كرواية المؤلف، ونسبه إلى منظور الوبري ا هـ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: لو ترى يا محمد هؤلاء القائلين ﴿**أئِذَا ضَلَلْنا فِي الأرْضِ أئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ إذ هم ناكسوا رؤوسهم عند ربهم حياء من ربهم، للذي سلف منهم من معاصيه في الدنيا، يقولون: يا ﴿**رَبَّنَا أبْصَرنَا**﴾ ما كنا نكذّب به من عقابك أهل معاصيك ﴿**وَسَمِعْنَا**﴾ منك تصديق ما كانت رسلك تأمرنا به في الدنيا، ﴿**فارجعنا**﴾ يقول: فارددنا إلى الدنيا نعمل فيها بطاعتك، وذلك العمل الصالح ﴿**إنَّا مُوقِنُونَ**﴾ يقول: إنا قد أيقنا الآن ما كنا به في الدنيا جهالاً من وحدانيتك، وأنه لا يصلح أن يُعبد سواك، ولا ينبغي أن يكون ربّ سواك، وأنك تحيي وتميت، وتبعث من في القبور بعد الممات والفناء وتفعل ما تشاء.

وبنحو ما قلنا في قوله: ﴿**نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ**﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قوله ﴿**وَلَوْ تَرَى إذِ المُجْرِمونَ ناكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ**﴾ قال: قد حزنوا واستحيوا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وَلَوْ شِئْنَا**﴾ يا محمد ﴿**لآتَيْنَا**﴾ هؤلاء المشركين بالله من قومك وغيرهم من أهل الكفر بالله ﴿**هُدَاهَا**﴾ يعني: رشدها وتوفيقها للإيمان بالله ﴿**وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنِّي**﴾ يقول: وجب العذاب مني لهم، وقوله ﴿**لأمْلأنَّ جَهَنَّمَ منَ الجِنَّة والنَّاسِ أجمَعِينَ**﴾ يعني من أهل المعاصي والكفر بالله منهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَلَوْ شِئْنا لآتَينا كُلَّ نَفْسٍ هُداها**﴾ قال: لو شاء الله لهدى الناس جميعاً، لو شاء الله لأنزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين ﴿**وَلَكِنْ حَقَّ القَوْلُ مِنّي**﴾ حقّ القول عليهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (١٤)﴾.

يقول تعالى ذكره: يقال لهؤلاء المشركين بالله إذا هم دخلوا النار: ذوقوا عذاب الله بما نسيتم لقاء يومكم هذا في الدنيا، ﴿**إِنَّا نَسِيناكُمْ**﴾ يقول: إنا تركناكم اليوم في النار. وقوله: ﴿**وَذُوقُوا عَذَابَ الخُلْدِ**﴾ يقول: يقال لهم أيضاً: ذوقوا عذاباً تخلدون فيه إلى غير نهاية ﴿**بِما كُنْتُمْ**﴾ في الدنيا ﴿**تَعْمَلُونَ**﴾ من معاصي الله. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**فَذُوقُوا بِما نَسِيتُمْ لِقاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِيناكُمْ**﴾ قال: نسوا من كلّ خير، وأما الشرّ فلم ينسوا منه.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله﴿**إِنَّا نَسِيناكُمْ**﴾ يقول: تركناكم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ (١٥)﴾.

يقول تعالى ذكره: ما يصدق بحججنا وآيات كتابنا إلاّ القوم الذين إذا ذكروا بها ووعظوا ﴿**خرّوا**﴾ لله ﴿**سجداً**﴾ لوجوههم، تذلُّلاً له، واستكانة لعظمته، وإقراراً له بالعبوديّة ﴿**وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**﴾ يقول: وسبحوا الله في سجودهم بحمده، فيبرّؤونه مما يصفه أهل الكفر به، ويضيفون إليه من الصاحبة والأولاد والشركاء والأنداد ﴿**وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ**﴾ يقول: يفعلون ذلك، وهم لا يستكبرون عن السجود له والتسبيح، لا يستنكفون عن التذلُّل له والاستكانة. وقيل: إن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ، لأن قوماً من المنافقين كانوا يخرجون من المسجد إذا أقيمت الصلاة، ذُكر ذلك عن حجاج، عن ابن جُرَيج.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (١٦)﴾.

يقول تعالى ذكره: تتنحّى جُنوب هؤلاء الذين يؤمنون بآيات الله، الذين وصفت صفتهم،

وترتفع من مضاجعهم التي يضطجعون لمنامهم، ولا ينامون ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً﴾ في عفوه عنهم، وتفضُّله عليهم برحمته ومغفرته ﴿ومِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ في سبيل الله، ويؤدّون منه حقوق الله التي أوجبها عليهم فيه. وتتجافى: تتفاعل من الجفاء والجفاء: النبو، كما قال الراجز:

وَصَاحِبِي ذَاتُ هِبَابٍ دَمْشَقْ وَابنُ مِلاطٍ مُتجافٍ أرْفَقُ[1]

يعني: أن كرمها سجية عن ابن ملاط. وإنما وصفهم تعالى ذكره بتجافي جنوبهم عن المضاجع لتركهم الاضطجاع للنوم شغلاً بالصلاة.

واختلف أهل التأويل في الصلاة التي وصفهم جلّ ثناؤه، أن جنوبهم تتجافى لها عن المضطجع، فقال بعضهم: هي الصلاة بين المغرب والعشاء، وقال: نزلت هذه الآية في قوم كانوا يصلون في ذلك الوقت.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن أبي عروبة، قال: قال قتادة، قال أنس، في قوله ﴿كانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ قال: كانوا يتنفَّلون فيما بين المغرب والعشاء، وكذلك تتجافى جنوبهم.

قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس، في قوله ﴿تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ﴾ قال: يصلون ما بين هاتين الصلاتين.

---

(١) البيتان للزفيان (انظرهما في الملحق بديوان العجاج ١٠٠) والهباب: النشاط والإسراع في السير. والدمشق: الناقة الخفيفة السريعة، وأنشد وأبو عبيدة قول الزفيان:

وَمَنْهَلٍ طامٍ عَلَيْهِ الغَلْفَقُ يُنِيرُ أوْ يُسْدِي بِهِ الخَدَرْنَقُ
وَرَدْتُهُ واللَّيلُ دَاجٍ أبْلَقُ وَصَاحِبِي ذَات هِبابٍ دَمْشَقُ
كَأَنَّها بَعْدَ الكَلالِ زَوْرَقُ

ولم يذكر البيت الثاني، وهو محل الشاهد عند المؤلف. وفي «اللسان» ملط قال النضر: الملاطان: ما عن يمين الكركرة وشمالها. وابنا ملاطي البعير: هما العضدان، وقيل كتفاه، وابنا ملاط: العضدان والكتفان. الواحد: ابن ملاط. وقال ابن السكيت: ابنا ملاط: العضدان. والمتجافي: البائن عن جنبها، وذلك أقوى لسيرها. والأرفق: المنفتل المرفق عن الجنب، وهو أرفق وناقة رفقاء اهـ. وقال الأزهري: الذي حفظه بهذا المعنى: ناقة دفقاء، وجمل أدفق، إذا انفتق مرفقه عن جنبه. وفي «اللسان» دفق ورجل أدفق: إذا انحنى صلبه من كبر أوغم. وأنشد المفضل:

وابن ملاط متجاف أدفق

اهـ وأنشد أبو عبيدة البيتين في «مجاز القرآن» لورقة (١٩٣/١) ولم ينسبه. ثم قال: أدفق (بالدال) أي متنح عن كركرتها اهـ.

حدثني عليّ بن سعيد الكنديّ، قال: ثنا حفص بن غياث، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس ﴿**تَتجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ**﴾ قال: ما بين المغرب والعشاء.

حدثني محمد بن خلف، قال: ثنا يزيد بن حيان، قال: ثنا الحارث بن وجيه الراسبي، قال: ثنا مالك بن دينار، عن أنس بن مالك، أن هذه الآية نزلت في رجال من أصحاب النبيّ ﷺ، كانوا يصلون فيما بين المغرب والعشاء ﴿**تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المضَاجِعِ**﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن بشر، عن سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس: ﴿**تَتجافَى جُنُوبُهُمْ عَن المَضَاجِعِ**﴾ قال: كانوا يتطوّعون فيما بين المغرب والعشاء.

قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن رجل، عن أنس ﴿**تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَن المَضَاجِعِ**﴾ قال: ما بين المغرب والعشاء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ**﴾ قال: كانوا يتنفّلون ما بين صلاة المغرب وصلاة العشاء.

وقال آخرون: عنى بها صلاة المغرب[(١)].

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثني أبي، عن طلحة، عن عطاء ﴿**تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَن المَضَاجِعِ**﴾ قال: عن العتمة.

وذُكر عن حجاج، عن ابن جريج، قال: قال يحيى بن صَيفي، عن أبي سلمة، قال: العتمة.

وقال آخرون: لانتظار صلاة العتمة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: ثنا عبد العزيز بن عبد الله الأَويسي، عن سليمان بن بلال، عن يحيى بن سعيد، عن أنس بن مالك، أن هذه الآية ﴿**تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ**﴾ نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة.

وقال آخرون: عنى بها قيام الليل.

---

(١) لعله صلاة العتمة، يعني الغشاء، كما تفيده الآثار بعد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن ﴿**تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ**﴾ قال: قيام الليل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ**﴾ قال: هؤلاء المتهجدون لصلاة الليل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿**تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ**﴾ يقومون يصلون من الليل.

وقال آخرون: إنما هذه صفة قوم لا تخلو ألسنتهم من ذكر الله.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿**تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ، يَدْعُونَ رَبَّهُم خَوْفاً وَطَمَعاً**﴾ وهم قوم لا يزالون يذكرون الله، إما في صلاة، وإما قياماً، وإما قعوداً، وإما إذا استيقظوا من منامهم، هم قوم لا يزالون يذكرون الله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿**تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ...**﴾ إلى آخر الآية، يقول: تتجافى لذكر الله، كلما استيقظوا ذكروا الله، إما في الصلاة، وإما في قيام، أو في قعود، أو على جنوبهم فهم لا يزالون يذكرون الله.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هؤلاء القوم بأن جنوبهم تنبو عن مضاجعهم، شغلاً منهم بدعاء ربهم وعبادته خوفاً وطمعاً، وذلك نبوّ جنوبهم عن المضاجع ليلاً، لأن المعروف من وصف الواصف رجلاً بأن جنبه نبا عن مضجعه، إنما هو وصف منه له بأنه جفا عن النوم في وقت منام الناس المعروف، وذلك الليل دون النهار، وكذلك تصف العرب الرجل إذا وصفته بذلك، يدلّ على ذلك قول عبد الله بن رواحة الأنصاري رضي الله عنه في صفة نبيّ الله ﷺ:

يَبِيتُ يُجافِي جَنْبَهُ عَنْ فِراشِهِ ... إذا اسْتَثْقَلَت بالمُشْرِكِينَ المَضَاجِعُ[1]

---

(١) البيت لعبد الله بن رواحة الأنصاري أحد شعراء النبي ﷺ. ويجافي: يباعد. واستثقلت: ثقلت. والمضاجع: جمع مضجع، وهو الفراش ينام فيه أو موضعه. والبيت شاهد ثان على التجافي في قوله تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم على المضاجع﴾: معناه: تبعد. قال أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» الورقة (١٩٥/ب) أي ترتفع عنها وتتنحى، لأنهم يصلون بالليل ا هـ.

فإذا كان ذلك كذلك، وكان الله تعالى ذكره لم يخصص في وصفه هؤلاء القوم بالذي وصفهم به من جفاء جنوبهم عن مضاجعهم من أحوال الليل وأوقاته حالاً ووقتاً دون حال ووقت، كان واجباً أن يكون ذلك على كلّ آناء الليل وأوقاته. وإذا كان كذلك كان منْ صلى ما بين المغرب والعشاء، أو انتظر العشاء الآخرة، أو قام الليل أو بعضه، أو ذكر الله في ساعات الليل، أو صلى العتمة ممن دخل في ظاهر قوله: ﴿**تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ**﴾ لأن جنبه قد جفا عن مضجعه في الحال التي قام فيها للصلاة قائماً صلى أو ذكر الله، أو قاعداً بعد أن لا يكون مضطجعاً، وهو على القيام أو القعود قادر. غير أن الأمر وإن كان كذلك، فإن توجيه الكلام إلى أنه معنيّ به قيام الليل أعجب إليّ، لأن ذلك أظهر معانيه، والأغلب على ظاهر الكلام، وبه جاء الخبر عن رسول الله ﷺ. وذلك ما:

حدثنا به ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، قال: سمعت عروة بن الزبير يحدّث عن معاذ بن جبل، أن رسول الله ﷺ قال له: «ألا أدلُّكَ عَلى أبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُكَفِّرُ الخَطِيئَةَ، وَقِيامُ العَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ﴾. وتلا هذه الآية: ﴿**تَتَجافَى جُنُوبُهُم عَنِ المَضَاجِعِ، يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً، ومِمَّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ**».

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحيى بن حماد، قال: ثنا أبو أُسامة، عن سليمان، عن حبيب بن أبي ثابت والحكم، عن ميمون بن أبي شبيب، عن معاذ بن جبل، عن رسول الله ﷺ، بنحوه.

حدثني محمد بن خلف العسقلاني، قال: ثنا آدم، قال: ثنا سفيان، قال: ثنا منصور بن المعتمر، عن الحكم بن عُتيبة، عن ميمون بن أبي شبيب، عن معاذ بن جبل، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إنْ شِئْتَ أنبأْتُكَ بأبْوَابِ الخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تُكَفِّرُ الخَطِيئَةَ، وَقِيامُ الرَّجُلِ في جَوْفِ اللَّيْلِ» ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿**تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ**﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يزيد بن حيان، عن حماد بن سلمة، قال: ثنا عاصم بن أبي النجود، عن شهر بن حوشب، عن معاذ بن جبل، عن رسول الله ﷺ، في قوله ﴿**تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ**﴾ قال: «قِيامُ العَبْدِ مِنَ اللَّيْل».

حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع قال: ثني أبي، قال: ثني زياد بن خيثمة، عن أبي يحيى بائع القتّ، عن مجاهد، قال: ذكر رسول الله ﷺ قيام الليل، ففاضت عيناه حتى تحادرت دموعه، فقال: ﴿**تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ**﴾.

وأما قوله: ﴿**يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً...**﴾ الآية، فإن بنحو الذي قلنا[١] في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) انظر تفسير المؤلف للآية في صدر الكلام عليها (ص ـ٩٩)

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً وَطَمَعاً ومِمَّا رَزَقْناهُم يُنْفِقُونَ**﴾ قال: خوفاً من عذاب الله، وطمعاً في رحمة الله، ومما رزقناهم ينفقون في طاعة الله، وفي سبيله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فلا تعلم نفس ذي نفسٍ ما أخفى الله لهؤلاء الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم في هاتين الآيتين، مما تقرّ به أعينهم في جنانه يوم القيامة ﴿**جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ يقول: ثواباً لهم على أعمالهم التي كانوا في الدنيا يعملون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عبيد المحاربي، قال: ثنا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة[1]، قال: قال عبد الله: إن في التوراة مكتوباً: لقد أعدّ الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لم تر عين، ولم يخطر على قلب بشر، ولم تسمع أذن، وما لم يسمعه ملك مقرّب. قال: ونحن نقرؤها: ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ**.

حدثنا خلاد، قال: أخبرنا النضر بن شميل، قال: أخبرنا إسرائيل، قال: أخبرنا أبو إسحاق، عن عُبيدة بن ربيعة، عن ابن مسعود، قال: مكتوب في التوراة على الله للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، في القرآن ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ منْ قُرَّةِ أعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ**.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن عبد الله قال: خبيء لهم ما لا عين رأت، ولا أُذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قال سفيان: فيما علمت على غير وجه الشكّ.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي إسحاق قال: سمعت أبا عبيدة، قال: قال عبد الله، قال، يعني الله: أعددت لعبادي الصالحين ما لم تر

(١) عبيدة بن ربيعة بضم العين. وقيل هو عبيد بفتحها وبلا هاء. وهو الذي يروى عنه أبو إسحاق كما في «**الخلاصة**»، وفي الأصل أبي عبيدة. ولعل «أبي» زيادة من الناسخ.

عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب ناظر **﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِما كانُوا يَعْمَلونَ﴾**.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن صلت، عن قيس بن الربيع، عن أبي إسحاق، عن عبيدة بن ربيعة الحارثي، عن عبد الله بن مسعود، قال: إن في التوراة للذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع من الكرامة، ما لم تر عين، ولم يخطر على قلب بشر، ولم تسمع أذن، وإنه لفي القرآن **﴿فَلا تَعْلَمُ نَفسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُن**.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا الأشجعي، عن ابن أبجر، قال: سمعت الشعبيّ يقول: سمعت المغيرة بن شعبة يقول على المنبر: إن موسى ﷺ سأل عن أبخس أهل الجنة فيها حظاً، فقيل له: رجل يُؤتى به وقد دخل أهل الجنة الجنة، قال: فيقال له: ادخل، فيقول: أين وقد أخذ الناس أَخَذاتهم؟ فيقال: اعدد أربعة ملوك من ملوك الدنيا، فيكون لك مثل الذي كان لهم، ولك أخرى شهوة نفسك، فيقول: أشتهي كذا وكذا، وأشتهي كذا ويقال: لك أخرى، لك لذّة عينك، فيقول: ألذّ كذا وكذا، فيقال: لك عشرة أضعاف مثل ذلك، وسأله عن أعظم أهل الجنة فيها حظاً، فقال: ذاك شيء ختمت عليه يوم خلقت السموات والأرض. قال الشعبي: فإنها في القرآن: **﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْملونَ﴾**.

حدثني أحمد بن محمد الطُّوسي، قال: ثنا الحميدي، قال: ثنا ابن عُيينة وحدثني به القرقساني، عن ابن عيينة، عن مطرف بن طريف، وابن أبجر، سمعنا الشعبيّ يقول: سمعت المغيرة بن شعبة على المنبر يرفعه إلى النبيّ ﷺ: «إنَّ مُوسَى سألَ رَبَّهُ: أيْ رَبِّ، أيُّ أهْلِ الجَنَّةِ أدْنَى مَنْزِلةً؟ قال: رَجُلٌ يَجيءُ بَعْدَ ما دَخَلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فَيُقالُ لَهُ: ادْخُلْ، فَيَقُولُ: كَيْفَ أدْخُلُ وَقَدْ نَزَلُوا مَنازِلَهُمْ؟ فَيُقالُ لَهُ: أتَرْضَى أنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ ما كانَ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيا؟، فَيَقُولُ: بَخ أيْ رَبّ قَدْ رَضِيتُ فَيُقالُ لَهُ: إنَّ لَكَ هَذَا وَمِثْلَهُ وَمِثْلُهُ ومِثْلَهُ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ أيْ رَبّ رَضِيتُ، فَيُقالُ لَهُ: إنَّ لَكَ هَذَا وَعَشَرَةَ أمْثالِهِ مَعَهُ، فيَقُول: رَضِيتُ أيْ رَبّ، فَيُقالُ لَهُ: فإنَّ لَكَ مَعَ هَذَا ما اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ قالَ: فَقالَ مُوسَى: أيْ رَبّ، وأيُّ أهْل الجَنَّةَ أرْفَعُ مَنْزِلَةً؟ قالَ: إيَّاها أرَدْتُ، وسأحَدّثُكَ عَنْهُمْ غَرَسْتُ لَهُمْ كَرَامَتِي بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْها، فَلا عَيْنٌ رأتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ. قالَ: وَمِصْداق ذلكَ فِي كِتابِ اللّهِ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

حدثنا محمد بن منصور الطوسيّ، قال: ثنا إسحاق بن سليمان، قال: ثنا عمرو بن أبي قَيْس، عن ابن أبي ليلَى، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، في قوله: **﴿وكانَ عَرْشُهُ على المَاءِ﴾** وكان عرش الله على الماء، ثم اتخذ لنفسه جنة، ثم اتخذ دونها أخرى، ثم أطبقها بلؤلؤة واحدة قال: **﴿ومن دونهما جنتان﴾** قال: وهي التي لا تعلم نفس، أو

قال: هما التي ﴿لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾. قال: وهي التي لا تعلم الخلائق ما فيها، أو ما فيهما يأتيهم كلّ يوم منها أو منهما تحفة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن عنبسة، عن سالم الأفطس، عن سعيد بن جُبَير، بنحوه.

حدثنا سهل بن موسى الرازيّ، قال: ثنا الوليد بن مسلم، عن صفوان بن عمرو، عن أبي اليمان الهَوْزنيّ أو غيره، قال: الجنة مئة درجة، أوّلها درجة فضة، أرضها فضة، ومساكنها فضة، وآنيتها فضة، وترابها المِسك. والثانية ذهب، وأرضها ذهب، ومساكنها ذهب، وآنيتها ذهب، وترابها المسك. والثالثة لؤلؤ، وأرضها لؤلؤ، ومساكنها لؤلؤ، وآنيتها لؤلؤ، وترابها المسك. وسبع وتسعون بعد ذلك ما لا عينٌ رأته، ولا أذن سمعته، ولا خطر على قلب بشر، وتلا هذه الآية ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا المحاربي وعبد الرحيم، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قالَ اللّهُ: أعْدَدْتُ لِعِبادِي الصَّالِحِينَ ما لا عَيْنٌ رأتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ، وَاقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ، قالَ اللّهُ ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعْيُنٍ، جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾».

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا أبو معاوية وابن نمير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أعْدَدْتُ لِعِبادِي الصَّالِحِينَ، ما لا عَيْنٌ رأتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ» قال أبو هريرة: ومن بله ما أطلعكم عليه، اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعْيُنٍ، جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ﴾ قال أبو هريرة: نقرؤها: «قُرّاتِ أعيُنٍ».

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا معتمر بن سليمان، عن الحكم بن أبان، عن الغطريف، عن جابر بن زيد، عن ابن عباس، عن النبيّ ﷺ، عن الروح الأمين، قال: «يُؤْتَى بِحَسَناتِ العَبْدِ وَسَيِّئاتِهِ، فَيَنْقُصُ بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ، فإنْ بَقِيَتْ حَسَنَةٌ وَاحِدَةٌ، وَسَّعَ اللّهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ» قال: فدخلت على يزداد، فحدّث بمثل هذا قال: قلت: فأين ذهبت الحسنة؟ قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أحْسَنَ ما عَمِلُوا، وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئاتِهِمْ فِي أصحاب الجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كانُوا يُوعَدُونَ﴾، قلت: قوله ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعْيُنٍ﴾ قال: العبد يعمل سرّاً أسرّه إلى الله لم يعلم به الناس، فأسرّ الله له يوم القيامة قرّة عين.

حدثني العباس بن أبي طالب، قال: ثنا معلى بن أسد، قال: ثنا سلام بن أبي مطيع، عن قتادة، عن عقبة بن عبد الغافر، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله ﷺ، يروي عن ربه، قال: «أعْدَدْتُ لِعِبادِيَ الصَّالِحِينَ ما لا عَيْنٌ رأتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ».

حدثني أبو السائب، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني أبو صخر، أن أبا حازم حدثه، قال: سمعت سهل بن سعد يقول: شهدت من رسول الله ﷺ مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى، ثم قال في آخر حديثه: «فيهَا ما لا عَيْنٌ رأتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ» ثم قرأ هذه الآية: ﴿**تَتَجافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ المَضَاجِعِ**. . .﴾ إلى قوله: ﴿**جَزَاءً بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ**﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن عوف، عن الحسن، قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «قالَ رَبُّكُمْ: أعْدَدْتُ لِعِبادِي الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ ما لا عَيْنٌ رأتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال رسول الله ﷺ يروي ذلك عن ربه، «قالَ رَبُّكُمْ: أعْدَدْتُ لِعِبادِي الصَّالِحِينَ ما لا عَيْنٌ رأتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا سهل بن يوسف، عن عمرو، عن الحسن ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعْيُنٍ**﴾ قال: أخفوا عملاً في الدنيا، فأثابهم الله بأعمالهم.

حدثني القاسم بن بشر، قال: ثنا سليمان بن حرب، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أبي رافع، عن أبي هريرة، قال حماد: أحسبه عن النبيّ ﷺ قال: «مَنْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ يَنْعَمْ وَلا يَبْؤُسْ، لا تَبْلَى ثِيابُهُ، وَلا يَفْنَى شَبابُهُ، في الجَنَّةِ ما لا عَيْنٌ رأتْ، وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلا خَطَرَ عَلى قَلْبِ بَشَرٍ».

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أعْيُنٍ**﴾ فقرأ ذلك بعض المدنيين والبصريين، وبعض الكوفيين: ﴿**أُخْفِيَ**﴾ بضم الألف وفتح الياء بمعنى فُعِل. وقرأ بعض الكوفيين: «أُخْفِي لَهُمْ» بضم الألف وإرسال الياء، بمعنى أفعل، أخفي لهم أنا.

والصواب من القول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان، متقاربتا المعنى، لأن الله إذا أخفاه فهو مخفى، وإذا أخفى فليس له مخف غيره، و «ما» في قوله ﴿**فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ ما أُخْفِيَ لَهُمْ**﴾ فإنها إذا جعلت بمعنى الذي كانت نصباً بوقوع تعلم عليها كيف قرأ القارىء أخفى، وإذا وجهت إلى معنى أيّ كانت رفعاً إذا قرىء أخفى بنصب الياء وضم الألف، لأنه لم يسمّ فاعله، وإذا قرىء أُخْفِي بإرسال الياء كانت نصباً بوقوع أخفي عليها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن

يَخْرُجُوا مِنْهَآ أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أفهذا الكافر المكذِّب بوعد الله ووعيده، المخالف أمر الله ونهيه، كهذا المؤمن بالله، المصدّق بوعده ووعيده، المطيع له في أمره ونهيه؟ كلا لا يستوون عند الله. يقول: لا يعتدل الكفَّار بالله، والمؤمنون به عنده، فيما هو فاعل بهم يوم القيامة. وقال: ﴿**لا يَسْتَوُونَ**﴾ فجمع، وإنما ذكر قبل ذلك اثنين: مؤمناً، وفاسقاً، لأنه لم يرد بالمؤمن: مؤمناً واحداً، وبالفاسق: فاسقاً واحداً، وإنما أريد به جميع الفسَّاق، وجميع المؤمنين بالله. فإذا كان الاثنان غير مصمود لهما، ذهبت بهما العرب مذهب الجمع.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في عليّ بن أبي طالب، رضوان الله عليه، والوليد بن عُقبة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة بن الفضل، قال: ثني ابن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار، قال: نزلت بالمدينة، في عليّ بن أبي طالب، والوليد بن عقبة بن أبي معيط كان بين الوليد وبين عليّ كلام، فقال الوليد بن عقبة: أنا أبسط منك لساناً، وأحدّ منك سناناً، وأردُّ منك للكتيبة، فقال عليّ: اسكت، فإنك فاسق، فأنزل الله فيهما: ﴿**أفمَنْ كانَ مُؤْمِناً كمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ...**﴾ إلى قوله ﴿**بِهِ تُكَذّبُونَ**.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿**أفمَنْ كانَ مُؤْمِنًا كمَنْ كانَ فاسِقاً لا يَسْتَوُونَ**﴾ قال: لا والله ما استووا في الدنيا، ولا عند الموت، ولا في الآخرة.

وقوله: ﴿**أمّا الَّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصَّالِحاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ المأْوَى**﴾ يقول تعالى ذكره: أما الذين صدّقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله ورسوله، فلهم جنات المأوى: يعني بساتين المساكن التي يسكنونها في الآخرة ويأوون إليها. وقوله: ﴿**نُزُلاً بِما كانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ يقول: نزلاً بما أنزلهموها جزاء منه لهم بما كانوا يعملون في الدنيا بطاعته. وقوله: ﴿**وأمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا**﴾ يقول تعالى ذكره: وأما الذين كفروا بالله، وفارقوا طاعته ﴿**فَمأْوَاهُمُ النَّارُ**﴾ يقول: فمساكنهم التي يأوون إليها في الآخرة النار ﴿**كُلَّما أرَادوا أنْ يَخْرُجُوا مِنْها أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ**﴾ في الدنيا ﴿**تُكَذّبُونَ**﴾ أن الله أعدّها لأهل الشرك به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وأمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا**﴾ أشركوا ﴿**وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ به تَكَذّبُونَ**﴾ والقوم مكذّبون كما ترون.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢١﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في معنى العذاب الأدنى، الذي وعد الله أن يذيقه هؤلاء الفسقة، فقال بعضهم: ذلك مصائب الدنيا في الأنفس والأموال.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس **﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى﴾** يقول: مصائب الدنيا وأسقامها وبلاؤها مما يبتلي الله بها العباد حتى يتوبوا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله **﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ لعلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾** قال: العذاب الأدنى: بلاء الدنيا، قيل: هي المصائب.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، عن قتادة، عن عروة، عن الحسن العرني، عن ابن أبي ليلى، عن أُبيّ بن كعب **﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى﴾** قال: المصيبات في الدنيا. قال: والدخان قد مضى، والبطشة واللزام.

قال أبو موسى: ترك يحيى بن سعيد، يحيى بن الجزار، نقصان رجل.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا يحيى بن سعيد ومحمد بن جعفر، قالا: ثنا شعبة، عن قتادة، عن عروة، عن الحسن العرني، عن يحيى بن الجزار، عن ابن أبي لَيلى، عن أُبيّ بن كعب، أنه قال: في هذه الآية **﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ﴾** قال: مصيبات الدنيا، واللزوم والبطشة، أو الدخان شكّ شعبة في البطشة أو الدخان.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن قتادة، عن عروة، عن الحسن العرني، عن يحيى بن الجزّار، عن ابن أبي لَيلى، عن أُبيّ بن كعب، بنحوه، إلاّ أنه قال: المصيبات واللزوم والبطشة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا زيد بن حباب، عن شعبة، عن قتادة، عن عروة، عن الحسن العرني، عن يحيى بن الجزّار، عن عبد الرحمن بن أبي لَيلى، عن أُبيّ بن كعب، قال: المصيبات يصابون بها في الدنيا: البطشة، والدخان، واللزوم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع، عن أبي العالية

﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى**﴾ قال: المصائب في الدنيا.

قال: ثنا أبو خالد الأحمر، عن جُوَيبر، عن الضحاك ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ**﴾ قال: المصيبات في دنياهم وأموالهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، حدثه، عن الحسن، قوله ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى**﴾: أي مصيبات الدنيا.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى**﴾ قال: أشياء يُصابون بها في الدنيا.

وقال آخرون: عنى بها الحدود.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، عن شبيب، عن عكرمة، عن ابن عباس ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ**﴾ قال: الحدود.

وقال آخرون: عنى بها القتل بالسيف، قال: وقتلوا يوم بدر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن السديّ، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله، ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الأَدْنَى**﴾ قال: يوم بدر.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن السديّ، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله مثله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إسرائيل، عن السديّ، عن مسروق، عن عبد الله، مثله.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عوف عمن حدثه، عن الحسن بن عليّ، أنه قال ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ**﴾ قال: القتل بالسيف صبراً.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبد الأعلى، عن عوف، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأَدْنَى دُونَ العَذَابِ الأَكْبَرِ**﴾ قال: القتل بالسيف، كلّ شيء وعد الله هذه الأمة من العذاب الأدنى إنما هو السيف.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ**﴾ قال: القتل والجوع لقريش في الدنيا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان مجاهد يحدّث عن أُبيّ بن كعب أنه كان يقول ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ**﴾ يوم بدر.

وقال آخرون: عنى بذلك سنون أصابتهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ**﴾ قال: سنون أصابتهم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، مثله.

وقال آخرون: عنى بذلك: عذاب القبر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا عبيد الله، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد: ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ**﴾ قال: الأدنى في القبور وعذاب الدنيا.

وقال آخرون: ذلك عذاب الدنيا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ العَذَابِ الأدْنَى**﴾ قال: العذاب الأدنى: عذاب الدنيا.

وأولى الأقوال في ذلك أن يقال: إن الله وعد هؤلاء الفسقة المكذّبين بوعيده في الدنيا العذاب الأدنى، أن يذيقهموه دون العذاب الأكبر، والعذاب: هو ما كان في الدنيا من بلاء أصابهم، إما شدّة من مجاعة، أو قتل، أو مصائب يصابون بها، فكل ذلك من العذاب الأدنى، ولم يخصص الله تعالى ذكره، إذ وعدهم ذلك أن يعذّبهم بنوع من ذلك دون نوع، وقد عذّبهم بكل ذلك في الدنيا بالقتل والجوع والشدائد والمصائب في الأموال، فأوفى لهم بما وعدهم.

وقوله: ﴿**دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ**﴾ يقول: قبل العذاب الأكبر، وذلك عذاب يوم القيامة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن السديّ، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله ﴿دُونَ العَذابِ الأكْبَرِ﴾ قال: يوم القيامة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا إسرائيل، عن السديّ، عن مسروق، عن عبد الله مثله.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ﴾ يوم القيامة في الآخرة.

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا عبيد الله، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد ﴿دونَ العَذَابِ الأكْبَرِ﴾ يوم القيامة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ﴾ يوم القيامة. حدّث به قتادة، عن الحسن.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿دُونَ العَذَابِ الأكْبَرِ﴾ قال: العذاب الأكبر: عذاب الآخرة.

وقوله ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يقول: كي يرجعوا ويتوبوا بتعذيبهم العذاب الأدنى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن السديّ، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عبد الله ﴿لَعلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ قال: يتوبون.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن أبي جعفر الرازيّ، عن الربيع، عن أبي العالية ﴿لَعَلَّهُمْ يَرجعونَ﴾ قال: يتوبون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾: أي يتوبون.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ (٢٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: وأيّ الناس أظلم لنفسه ممن وعظه الله بحججه، وآي كتابه ورسله، ثم أعرض عن ذلك كله، فلم يتعظ بمواعظه، ولكنه استكبر عنها.

وقوله ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ يقول: إنا من الذين اكتسبوا الآثام، واجترحوا السيئات منتقمون.

وكان بعضهم يقول: عنى بالمجرمين في هذا الموضع: أهل القدر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا مروان بن معاوية، قال: أخبرنا وائل بن داود، عن مروان بن سفيح، عن يزيد بن رفيع، قال: إن قول الله في القرآن ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ هم أصحاب القدر، ثم قرأ ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ...﴾ إلى قوله ﴿خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا مروان، قال: أخبرنا وائل بن داود، عن ابن سفيح، عن يزيد بن رفيع بنحوه، إلاَّ أنه قال في حديثه: ثم قرأ وائل بن داود هؤلاء الآيات ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وسُعُرٍ...﴾ إلى آخر الآيات.

وقال آخرون في ذلك، بما:

حدثني به عمران بن بكار الكلاعي، قال: ثنا محمد بن المبارك، قال: ثنا إسماعيل بن عياش، قال: ثنا عبد العزيز بن عبيد الله، عن عبادة بن نسيّ، عن جنادة بن أبي أُميَّة، عن معاذ بن جبل، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ثَلاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ أجْرَمَ: مَنِ اعْتَقَدَ لِوَاءً فِي غيرِ حَقّ، أوْ عَقَّ وَالِدَيْهِ، أوْ مَشَى مَعَ ظالِمٍ يَنْصُرُهُ فَقَدْ أجْرَمَ. يَقُولُ اللّهُ: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾». القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد آتينا موسى التوراة، كما آتيناك الفرقان يا محمد ﴿فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقائِهِ﴾ يقول: فلا تكن في شكّ من لقائه فكان قتادة يقول: معنى ذلك: فلا تكن في شكّ من أنك لقيته، أو تلقاه ليلة أُسري بك، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله ﷺ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة عن أبي العالية الرياحي، قال: حدثنا ابن عمّ نبيكم، يعني ابن عباس، قال: قال نبيّ الله ﷺ: «أُرِيتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي مُوسَى بْنَ عِمْرَانَ رَجُلاً آدَمَ طِوَالاً جَعْداً، كأنَّهُ مِنْ رِجالِ شَنُوءَةَ، ورأيْتُ عِيسَى رَجُلاً مَرْبُوعَ الخَلْقِ إلى الحُمْرَةِ والبَياضِ، سَبْطَ الرأسِ، ورأيْتُ مالِكاً خازِنَ النَّارِ، والدَّجَّالَ» في آيات أرَاهُنَّ اللّهُ إيَّاهُ، فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقائِهِ أنه قد رأى موسى، ولقي موسى ليلة أُسري به.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرائِيلَ﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا موسى هدى لبني إسرائيل، يعني: رشاداً لهم يرشدون باتباعه، ويصيبون الحقّ بالاقتداء به، والائتمام بقوله. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرائِيلَ﴾ قال: جعل الله موسى هدى لبني إسرائيل.

وقوله: ﴿وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أئمَّةً﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا من بني إسرائيل أئمة، وهي جمع إمام، والإمام الذي يؤتمّ به في خير أو شرّ، وأريد بذلك في هذا الموضع أنه جعل منهم قادة في الخير، يؤتم بهم، ويُهْتَدى بهديهم. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أئمَّةً يَهْدُونَ بأمْرِنا﴾ قال: رؤساء في الخير. وقوله ﴿يَهْدُونَ بأمْرِنا﴾ يقول تعالى ذكره: يهدون أتباعهم وأهل القبول منهم بإذننا لهم بذلك، وتقويتنا إياهم عليه.

وقوله: ﴿لَمَّا صَبرُوا﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة، وبعض أهل الكوفة: ﴿لَمَّا صَبرُوا﴾ بفتح اللام وتشديد الميم، بمعنى: إذ صبروا، وحين صبروا. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «لِمَا» بكسر اللام وتخفيف الميم، بمعنى: لصبرهم عن الدنيا وشهواتها، واجتهادهم في طاعتنا، والعمل بأمرنا. وذُكر أن ذلك في قراءة ابن مسعودِ: «بِمَا صَبَرُوا». وما إذا كسرت اللام من «لِمَا» في موضع خفض، وإذا فتحت اللام وشدّدت الميم، فلا موضع لها، لأنها حينئذٍ أداة.

والقول عندي في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، قد قرأ بكل واحدة منهما عامة من القرّاء فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وتأويل الكلام إذا قُرىء ذلك بفتح اللام وتشديد الميم: وجعلنا منهم أئمة يهدون أتباعهم بإذننا إياهم، وتقويتنا إياهم على الهداية، إذ صبروا على طاعتنا، وعزفوا أنفسهم عن لذّات الدنيا وشهواتها. وإذا قرىء بكسر اللام[1] على ما قد وصفنا. وقد:

حدثنا ابن وكيع، قال: قال أبي، سمعنا في ﴿وَجَعَلْنا مِنْهُمْ أئمَّةً يَهْدُونَ بأمْرِنا لَمَّا صبَرُوا﴾ قال: عن الدنيا.

وقوله: ﴿وكانُوا بآياتِنا يُوقِنُونَ﴾ يقول: وكانوا أهل يقين بما دلهم عليه حججنا، وأهل

(١) لعله فيكون علّى الخ.

تصديق بما تبين لهم من الحقّ وإيمان برسلنا، وآيات كتابنا وتنزيلنا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥)﴾.

يقول تعالى ذكره: إن ربك يا محمد هو يبين جميع خلقه يوم القيامة فيما كانوا فيه في الدنيا يختلفون من أمور الدين والبعث والثواب والعقاب، وغير ذلك من أسباب دينهم، فيفرق بينهم بقضاء فاصل بإيجابه لأهل الحقّ الجنة، ولأهل الباطل النار.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ (٢٦)﴾.

يقول تعالى ذكره: أَوَ لم يبين لهم؟ كما:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس **﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾** يقول: أو لم يبين لهم.

وعلى القراءة بالياء في ذلك قرّاء الأمصار، وكذلك القراءة عندنا لإجماع الحجة من القرّاء، بمعنى: أو لم يبين لهم إهلاكنا القرون الخالية من قبلهم، سنتنا فيمن سلك سبيلهم من الكفر بآياتنا، فيتعظوا وينزجروا. وقوله **﴿كَمْ﴾** إذا قُرىء **﴿يهْدِ﴾** بالياء، في موضع رفع بيهد. وأما إذا قرىء ذلك بالنون «أَوَ لَمْ نَهْدِ» فإن موضع «كم» وما بعدها نصب. وقوله: **﴿يَمْشُونَ فِي مَساكِنهِمْ﴾** يقول تعالى ذكره: أو لم يبين لهن كثرة إهلاكنا القرون الماضية من قبلهم يمشون في بلادهم وأرضهم، كعاد وثمود. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿أَو لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ القُرُونِ﴾** عاد وثمود وأنهم إليهم لا يُرجعون.

وقوله: **﴿إِنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ﴾** يقول تعالى ذكره: إن في خلاء مساكن القرون الذين أهلكناهم من قبل هؤلاء المكذّبين بآيات الله من قريش من أهلها الذين كانوا سكانها وعمّارها بإهلاكنا إياهم لما كذّبوا رسلنا، وجحدوا بآياتنا، وعبدوا من دون الله آلهة غيره التي يمرّون بها فيعاينونها، لآيات لهم وعظات يتعظون بها، لو كانوا أولي حجا وعقول. يقول الله: **﴿أفَلا يَسْمَعُونَ﴾** عظات الله وتذكيره إياهم آياته، وتعريفهم مواضع حججه؟ **القول في تأويل قوله تعالى:**

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أو لم ير هؤلاء المكذّبون بالبعث بعد الموت والنشر بعد الفناء، أنا بقُدرتنا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الغليظة التي لا نبات فيها وأصله من قولهم: ناقة جرز: إذا كانت تأكل كلّ شيء، وكذلك الأرض الجروز: التي لا يبقى على ظهرها شيء إلاّ أفسدته، نظير أكل الناقة الجراز كلّ ما وجدته، ومنه قولهم للإنسان الأكول: جَرُوز، كما قال الراجز:

خَبٌّ جَرُوزٌ وَإذَات............. (١)

ومنه قيل للسيف إذا كان لا يبقي شيئاً إلاّ قطعه: سيف جراز، فيه لغات أربع: أرض جُرُز، وجَرْز، وجِرز وجُرْز، والفتح لبني تميم فيما بلغني. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن عمرو، عن ابن عباس ﴿**الأرْضِ الجُرُزِ**﴾ أرض باليمن.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن ابن عباس، قال: أرض باليمن.

قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا عبد الله بن المبارك عن معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**أوَ لَمْ يَرَوْا أنَّا نَسُوقُ المَاءَ إلى الأرْضِ الجُرُزِ**﴾ قال: أبين(٢) ونحوها.

حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة، قال: ثنا عبد الرزاق بن عمر، عن ابن المبارك، قال: أخبرنا معمر، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، مثله، إلاّ أنه قال: ونحوها من الأرض.

---

(١) هذا جزء من بيت من مشوطر الرجز، أورده الشوكاني في تفسيره المسمى «**فتح القدير**»(٤/٢٤٩) طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده». وهاك البيت بتمامه مع ما يليه:

خَبٌّ جَرُوزٌ وإذَا جَاعَ بَكَى ويَأكُلُ التَّمْرَ ولا يُلْقِي النَّوَى

وهو شاهد عند تفسير قوله تعالى: ﴿أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز﴾. قال أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» الورقة (١٩٣/١) الأرض الجرز: أي اليابسة الغليظة التي لم يصبها مطر. ا هـ. وقال فراء في «**معاني القرآن**» الورقة (٢٥٣) الجرز التي لا نبات فيها ويقال للناقة إنها لجراز: إذا كانت تأكل كل شيء، وللإنسان إنه لجروز: إذا كان أكولا. وسيف جراز: إذا كان لا يبقى شيئاً إلا قطعه.

(٢) إبين بكسر الهمزة وفتحها وسكون الباء، وياء مفتوحة: اسم رجل كان في الزمان القديم، ويقال: ذو أبين، وهو الذي ينسب إلي عدن إبين عدن إبين من بلاد اليمن. فلعلى راوي الأثر يريد هذا الموضع. (انصر الكبري في المعجم).

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن رجل، عن ابن عباس، في قوله ﴿**إلى الأرْضِ الجُرُزِ**﴾ قال: الجرز: التي لا تُمطر إلاّ مطراً لا يغني عنها شيئاً، إلاّ ما يأتيها من السيول.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن يزيد، عن جُوَيبر، عن الضحاك ﴿**إلى الأرْضِ الجُرُزِ**﴾ ليس فيها نبت.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**أوَ لَمْ يَرَوْا أنّا نَسوقُ المَاءَ إلى الأرْضِ الجُرُزِ**﴾ المغبرة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**أوَ لَمْ يَرَوْا أنّا نَسُوقُ المَاءَ إلى الأرْضِ الجُرزِ**﴾ قال: الأرض الجرز: التي ليس فيها شيء، ليس فيها نبات. وفي قوله: ﴿**صَعيداً جُرُزاً**﴾ قال: ليس عليها شيء وليس فيها نبات ولا شيء.

﴿**فنخرجُ به زرعاً تأكلُ منهُ أنعامهُمْ وَأنْفُسهُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: فنخرج بذلك الماء الذي نسوقه إليها على يبسها وغلظها وطول عهدها بالماء زرعاً خضراً تأكل منه مواشيهم، وتغذّى به أبدانهم وأجسامهم فيعيشون به ﴿**أفَلا يُبْصِرُونَ**﴾ يقول تعالى ذكره: أفلا يرون ذلك بأعينهم، فيعلموا برؤيتهموه أن القدرة التي بها فعلت ذلك لا يتعذّر عليّ أن أحيى بها الأموات وأُنشرهم من قبورهم، وأعيدهم بهيئاتهم التي كانوا بها قبل وفاتهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وَيَقُولُونَ**﴾ هؤلاء المشركون بالله يا محمد لك ﴿**مَتى هَذَا الْفَتْحُ**﴾. واختلف في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم، ومتى يكون هذا الثواب والعقاب.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله ﴿**وَيَقُولُونَ مَتى هَذَا الفَتْحُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ قال: قال أصحاب نبيّ الله ﷺ: إن لنا يوماً أوشك أن نستريح فيه وننعم فيه، فقال المشركون ﴿**مَتى هَذَا الفَتْحُ إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾.

وقال آخرون: بل عنى بذلك: فتح مكة.

والصواب من القول في ذلك قول من قال: معناه: ويقولون متى يجيء هذا الحكم بيننا وبينكم، يعنون العذاب، يدلّ على أن ذلك معناه قوله: ﴿**قُلْ يَوْمَ الفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ**﴾ ولا شكَّ أن الكفار قد كان جعل الله لهم التوبة قبل فتح مكة وبعده، ولو كان معنى قوله ﴿**مَتى هَذَا الفَتْحُ**﴾ على ما قاله من قال: يعني به: فتح مكة، لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح مكة، ولا شكّ أن الله قد تاب على بشر كثير من المشركين بعد فتح مكة، ونفعهم بالإيمان به وبرسوله فمعلوم بذلك صحة ما قلنا من التأويل، وفساد ما خالفه. وقوله: ﴿**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**﴾ يعني: إن كنتم صادقين في الذي تقولون من أنا معاقبون على تكذيبنا محمداً ﷺ، وعبادتنا الآلهة والأوثان.

وقوله: ﴿**قُلْ يَوْمَ الفَتْحِ**﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهم يوم الحكم، ومجيء العذاب: لا ينفع من كفر بالله وبآياته إيمانهم الذي يحدثونه في ذلك الوقت. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**قُلْ يَوْمَ الفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ**﴾ قال: يوم الفتح إذا جاء العذاب.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**يَوْمَ الفَتْحِ**﴾ يوم القيامة. ونصب اليوم في قوله ﴿**قُلْ يَوْمَ الفَتْحِ**﴾ ردًا على متى، وذلك أن «متى» في موضع نصب. ومعنى الكلام: أني حينُ هذا الفتح إن كنتم صادقين، ثم قيل يوم كذا، وبه قرأ القرّاء.

وقوله: ﴿**وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ**﴾ يقول: ولا هم يؤخرون للتوبة والمراجعة. وقوله ﴿**فأَعْرِضْ عَنْهُمْ وانْتَظِرْ إنَّهُمْ مُنْتَظِرونَ**﴾ يقول لنبيه محمد ﷺ: فأعرض يا محمد عن هؤلاء المشركين بالله، القائلين لك: متى هذا الفتح، المستعجليك بالعذاب، وانتظر ما الله صانع بهم، إنهم منتظرون ما تعدهم من العذاب ومجيء الساعة. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ، وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظِرُونَ**﴾ يعني يوم القيامة.

آخر تفسير سورة السجدة، ولله الحمد والمنة.

٣٣ - سورة الأحزاب مدنيّة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: **﴿يا أيُها النَّبِيّ اتّقِ اللّهَ﴾** بطاعته، وأداء فرائضه، وواجب حقوقه عليك، والانتهاء عن محارمه، وانتهاك حدوده **﴿وَلا تُطِع الكافِرِينَ﴾** الذين يقولون لك: اطرد عنك أتباعك من ضعفاء المؤمنين بك حتى نجالسك **﴿وَالـمُنافِقِينَ﴾** الذين يظهرون لك الإيمان بالله والنصيحة لك، وهم لا يألونك وأصحابك ودينك خبالاً، فلا تقبل منهم رأياً، ولا تستشرهم مستنصحاً بهم، فإنهم لك أعداء **﴿إنَّ اللّهَ كانَ عَلِيماً حَكِيماً﴾** يقول: إن الله ذو علم بما تضمره نفوسهم، وما الذي يقصدون في إظهارهم لك النصيحة، مع الذي ينطوون لك عليه، حكيم في تدبير أمرك وأمر أصحابك ودينك، وغير ذلك من تدبير جميع خلقه. **﴿وَاتَّبِعْ ما يُوحَى إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾** يقول: واعمل بما ينزل الله عليك من وحيه، وآي كتابه **﴿إنَّ اللّهَ كانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾** يقول: إن الله بما تعمل به أنت وأصحابك من هذا القرآن، وغير ذلك من أموركم وأمور عباده **﴿خبيراً﴾** أي ذا خبرة، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو مجازيكم على ذلك بما وعدكم من الجزاء. وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: **﴿وَاتَّبِعْ ما يُوحَى إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾** قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة **﴿وَاتَّبِعْ ما يُوحَى إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾** أي هذا القرآن **﴿إنَّ اللّهَ كانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾**. القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وفوّض إلى الله أمرك يا محمد، وثق به **﴿وكَفَى باللّهِ وَكِيلاً﴾** يقول: وحسبك بالله فيما يأمرك وكيلاً، وحفيظاً بك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في المراد من قول الله ﴿ما جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ فقال بعضهم: عنى بذلك تكذيب قوم من أهل النفاق، وصفوا نبيّ الله ﷺ بأنه ذو قلبين، فنفى الله ذلك عن نبيه، وكذّبهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا حفص بن نفيل، قال: ثنا زهير بن معاوية، عن قابوس بن أبي ظبيان أن أباه حدثه، قال: قلنا لابن عباس: أرأيت قول الله ﴿ما جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْن فِي جَوْفِه﴾ ما عنى بذلك؟ قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فصلى، فخطر خطرة[١] فقال المنافقون الذين يصلون معه: إن له قلبين، قلباً معكم، وقلباً معهم، فأنزل الله: ﴿ما جَعَلَ الله لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبين في جَوْفِهِ﴾.

وقال آخرون: بل عنى بذلك: رجل من قريش كان يُدعى ذا القلبين من دِهْيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿ما جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ قال: كان رجل من قريش يسمى من دهيه[٢] ذا القلبين، فأنزل الله هذا في شأنه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿ما جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبين فِي جَوْفِهِ﴾ قال: إن رجلاً من بني فهر، قال: إن في جوفي قلبين، أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد «وكذب».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿ما جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ قال قتادة: كان رجل على عهد رسول الله ﷺ يسمى ذا القلبين، فأنزل الله فيه ما تسمعون.

---

(١) خطر خطرة: سها سهوة.
(٢) الدهر والدهى والدهاء: العقل.

قال قتادة: وكان الحسن يقول: كان رجل يقول لي: نفس تأمرني، ونفس تنهاني، فأنزل الله فيه ما تسمعون.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن خصيف، عن عكرمة، قال: كان رجل يسمى ذا القلبين، فنزلت ﴿**ما جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِه**﴾.

وقال آخرون: بل عنى بذلك زيد بن حارثة من أجل أن رسول الله ﷺ كان تبنَّاه، فضرب الله بذلك مثلاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، في قوله: ﴿**ما جَعَلَ اللّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ**﴾ قال: بلغنا أن ذلك كان في زيد بن حارثة، ضرب الله له مثلاً يقول: ليس ابن رجل آخر ابنك.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك تكذيب من الله تعالى قول من قال لرجل في جوفه قلبان يعقل بهما، على النحو الذي رُوي عن ابن عباس وجائز أن يكون ذلك تكذيباً من الله لمن وصف رسول الله ﷺ بذلك، وأن يكون تكذيباً لمن سمى القرشيّ الذي ذُكر أنه سمي ذا القلبين من دهيه، وأيّ الأمرين كان فهو نفي من الله عن خلقه من الرجال أن يكونوا بتلك الصفة.

وقوله: ﴿**وَما جَعَلَ أزْوَاجَكُمُ اللائِّي تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أمَّهاتِكُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: ولم يجعل الله أيها الرجال نساءكم اللائي تقولون لهنّ: أنتن علينا كظهور أمهاتنا أمهاتكم، بل جعل ذلك من قيلكم كذباً، وألزمكم عقوبة لكم كفَّارة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿**وَما جَعَلَ أزْوَاجَكُمُ اللائّي تُظاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهاتِكُمْ**﴾: أي ما جعلها أمك فإذا ظاهر الرجل من امرأته، فإن الله لم يجعلها أمه، ولكن جعل فيها الكفَّارة.

وقوله: ﴿**وَما جَعَلَ أدعِياءَكُمْ أبْناءَكُمْ**﴾ يقول: ولم يجعل الله من ادّعيت أنه ابنك، وهو ابن غيرك ابنك بدعواك. وذُكر أن ذلك نزل على رسول الله ﷺ من أجل تبنيه زيد بن حارثة. ذكر الرواية بذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**أدْعِياءَكُمْ أبْناءَكُمْ**﴾

قال: نزلت هذه الآية في زيد بن حارثة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَما جَعَلَ أدْعِياءَكُمْ أبْناءَكُمْ﴾** قال: كان زيد بن حارثة حين منّ الله ورسوله عليه، يقال له: زيد بن محمد، كان تبنَّاه، فقال الله: **﴿ما كانَ مُحَمَّدٌ أبا أحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ﴾** قال: وهو يذكر الأزواج والأخت، فأخبره أن الأزواج لم تكن بالأمهات أمهاتكم، ولا أدعياءكم أبناءكم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَما جَعَلَ أدْعِياءَكُمْ أبْناءَكُمْ﴾** وما جعل دعَّيك ابنك، يقول: إذا ادّعى رجل رجلاً وليس بابنه **﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بأفْوَاهِكُمْ. . .﴾** الآية. وذُكر لنا أن النبيّ ﷺ كان يقول: «من ادّعى إلى غير أبِيهِ مُتَعَمِّداً حَرَّمَ اللّهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ».

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن أبي زائدة، عن أشعث، عن عامر، قال: ليس في الأدعياء زيد.

وقوله **﴿ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بأفْوَاهِكُمْ﴾** يقول تعالى ذكره هذا القول وهو قول الرجل لامرأته: أنت عليّ كظهر أمي، ودعاؤه من ليس بابنه أنه ابنه، إنما هو قولكم بأفواهكم لا حقيقة له، لا يثبت بهذه الدعوى نسب الذي ادّعيت بنوّته، ولا تصير الزوجة أمًّا بقول الرجل لها: أنت عليّ كظهر أمي **﴿وَاللّهُ يقُولُ الحَقَّ﴾** يقول: والله هو الصادق الذي يقول الحقّ، وبقوله يثبت نسب من أثبت نسبه، وبه تكون المرأة للمولود، أمًّا إذا حكم بذلك **﴿وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾** يقول تعالى ذكره: والله يبين لعباده سبيل الحقّ، ويرشدهم لطريق الرشاد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَـٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾.

يقول الله تعالى ذكره: انسبوا أدعياءكم الذين ألحقتم أنسابهم بكم لآبائهم. يقول لنبيه محمد ﷺ: ألحق نسب زيد بأبيه حارثة، ولا تدعه زيداً بن محمد. وقوله **﴿هُوَ أقْسَطُ عِنْدَ اللهِ﴾** يقول: دعاؤكم إياهم لآبائهم هو أعدل عند الله، وأصدق وأصوب من دعائكم إياهم لغير آبائهم ونسبتكموهم إلى من تبنّاهم وادّعاهم وليسوا له بنين. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿ادْعُوهُمْ لآبائِهِمْ هُوَ أقْسَطُ عِنْدَ اللّهِ﴾**: أي أعدل عند الله، وقوله: **﴿فإنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فَإخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ﴾** يقول تعالى ذكره: فإن أنتم أيها الناس لم تعلموا آباء أدعيائكم من هم فتنسبوهم

إليهم، ولم تعرفوهم، فتلحقوهم بهم، ﴿فإخوانكم في الدين﴾ يقول: فهم إخوانكم في الدين، إن كانوا من أهل ملّتكم، ومواليكم إن كانوا محرّريكم وليسوا ببنيكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**ادْعُوهُمْ لآبائهمْ هُوَ أقْسَطُ عِنْدَ اللّهِ**﴾: أي أعدل عند الله ﴿**فإنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فإخْوَانُكُمْ فِي الدّينِ وَمَوَالِيكُمْ**﴾ فإن لم تعلموا من أبوه فإنما هو أخوك ومولاك.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن عُيينة بن عبد الرحمن، عن أبيه، قال: قال أبو بكرة: قال الله ﴿**ادْعُوهُمْ لآبائِهِمْ هُوَ أقْسَطُ عِنْدَ اللّهِ، فإنْ لَمْ تَعْلَمُوا آباءَهُمْ فإخْوَانُكُمْ فِي الدّينِ وَمَوَالِيكُمْ**﴾ فأنا ممن لا يُعرف أبوه، وأنا من إخوانكم في الدين، قال: قال أبي: والله إني لأظنه لو علم أن أباه كان حمّاراً لانتمى إليه.

وقوله: ﴿**وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ فِيما أخْطأْتُمْ بِهِ**﴾ يقول: ولا حرج عليكم ولا وزر في خطأ يكون منكم في نسبة بعض من تنسبونه إلى أبيه، وأنتم ترونه ابن من ينسبونه إليه، وهو ابن لغيره ﴿**وَلَكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾ يقول: ولكن الإثم والحرج عليكم في نسبتكموه إلى غير أبيه، وأنتم تعلمونه ابن غير من تنسبونه إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُناحٌ فِيما أخْطأْتُمْ بِهِ**﴾ يقول: إذا دعوت الرجل لغير أبيه، وأنت ترى أنه كذلك ﴿**وَلَكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾ يقول الله: لا تدعه لغير أبيه متعمداً. أما الخطأ فلا يؤاخذكم الله به ﴿**وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾ قال: فالعمد ما أتى بعد البيان والنهي في هذا وغيره.

و «ما» التي في قوله ﴿**وَلَكِنْ ما تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ**﴾ خفض ردًا على «ما» التي في قوله ﴿**فِيما أخطأْتُمْ بِهِ**﴾ وذلك أن معنى الكلام: ليس عليكم جناح فيما أخطأتم به، ولكن فيما تعمدت قلوبكم.

وقوله: ﴿**وكانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً**﴾ يقول الله تعالى ذكره: وكان الله ذا ستر على ذنب من ظاهر زوجته فقال الباطل والزور من القول، وذنب من ادّعى ولد غيره ابناً له، إذا تابا وراجعا أمر

الله، وانتهيا عن قيل الباطل بعد أن نهاهما ربهما عنه ذا رحمة بهما أن يعاقبهما على ذلك بعد توبتهما من خطيئتهما.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: النبيّ محمد أولى بالمؤمنين، يقول: أحقّ بالمؤمنين به من أنفسهم، أن يحكم فيهم بما يشاء من حكم، فيجوز ذلك عليهم. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد **﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بالـمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾** كما أنت أولى بعبدك ما قضى فيهم من أمر جاز، كما كلما قضيت على عبدك جاز.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿النَّبِيُّ أولى بالـمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾** قال: هو أب لهم.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عثمان بن عمر، قال: ثنا فليح، عن هلال بن عليّ، عن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «ما مِنْ مُؤْمِنٍ إلاَّ وأنا أوْلَى النَّاسِ بِهِ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ، اقْرَءُوا إنْ شِئْتُمْ **﴿النَّبِيُّ أوْلَى بالـمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾** وأيُّمَا مُؤْمِنٍ تَرَكَ مالاً فَلِوَرَثَتِهِ وَعَصَبَتِهِ مَنْ كانُوا، وَإنْ تَرَكَ دَيْناً أوْ ضِياعاً فَلْيأْتِنِي وأنا مَوْلاهُ».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا حسن بن عليّ، عن أبي موسى إسرائيل بن موسى، قال: قرأ الحسن هذه الآية **﴿النَّبِيُّ أوْلَى بالـمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، وأزْوَاجُهُ أُمّهاتُهُمْ﴾** قال: قال الحسن: قال النبيّ ﷺ: «أنا أوْلَى بكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِه» قال الحسن: وفي القراءة الأولى: «أوْلَى بالـمُؤمنينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ، وَهُوَ أبٌ لَهُمْ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال في بعض القراءة: «النَّبِيُّ أوْلَى بالـمُؤْمِنِينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ وَهُوَ أبٌ لَهُمْ» وذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ قال: «أيُّمَا رَجُلٍ تَرَكَ ضِياعاً فَأنا أوْلَى بِهِ، وَإنْ تَرَكَ مالاً فَهُوَ لِوَرَثَتِهِ».

وقوله: **﴿وأزْوَاجُهُ أُمّهاتُهُمْ﴾** يقول: وحرمة أزواجه حرمة أمهاتهم عليهم، في أنهن يحرم عليهن نكاحهن من بعد وفاته، كما يحرمُ عليهم نكاح أمهاتهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**النَّبِيُّ أوْلَى بالمُؤْمِنينَ مِنْ أنْفُسِهِمْ، وأزْوَاجُهُ أُمَّهاتُهُمْ**﴾ يعظّم بذلك حقهنّ، وفي بعض القراءة: «وَهُوَ أبٌ لَهُمْ».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**وأزْوَاجُهُ أُمَّهاتُهُمْ**﴾ محرّمات عليهم.

وقوله: ﴿**وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُهاجِرِينَ**﴾ يقول تعالى ذكره: وأولوا الأرحام الذين وَرَّثْتُ بعضهم من بعض، هم أولى بميراث بعض من المؤمنين والمهاجرين أن يرث بعضهم بعضاً، بالهجرة والإيمان دون الرحم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُهاجِرِينَ**﴾ لبث المسلمون زماناً يتوارثون بالهجرة، والأعرابيّ المسلم لا يرث من المهاجرين شيئاً، فأنزل الله هذه الآية، فخلط المؤمنين بعضهم ببعض، فصارت المواريث بالملل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله ﴿**وأُولُوا الأرْحامِ بَعْضُهُمْ أوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتابِ اللّهِ مِنَ المُؤْمِنِينَ والمُهاجِرِينَ إلاَّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً**﴾ قال: كان النبيّ ﷺ قد آخى بين المهاجرين والأنصار أوّل ما كانت الهجرة، وكانوا يتوارثون على ذلك، وقال الله ﴿**وَلِكُلّ جَعَلْنا مَوَالِيَ ممَّا تَرَكَ الوَالِدَانِ والأقْرَبُونَ والَّذِينَ عَقَدَتْ أيمَانُكُمْ، فآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ**﴾ قال: إذا لم يأت رحم لهذا يحول دونهم، قال: فكان هذا أوّلاً، فقال الله: ﴿**إلاَّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائكُمْ مَعْرُوفاً**﴾ يقول: إلاَّ أن تُوصُوا لهم ﴿**كانَ ذلكَ فِي الكِتابِ مَسْطُوراً**﴾ أنّ أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، قال: وكان المؤمنون والمهاجرون لا يتوارثون إن كانوا أولي رحم، حتى يهاجروا إلى المدينة، وقرأ قال الله: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا ولَمْ يُهاجِرُوا ما لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حتى يُهاجِرُوا...**﴾ إلى قوله ﴿**وَفَسادٌ كَبِيرٌ**﴾، فكانوا لا يتوارثون، حتى إذا كان عام الفتح، انقطعت الهجرة، وكثر الإسلام، وكان لا يُقْبل من أحد أن يكون على الذي كان عليه النبيّ ومن معه إلاَّ أن يهاجر قال: وقال رسول الله ﷺ لمن بَعَث: «اغْدُوا عَلى اسْمِ اللّهِ لا تَغُلُّوا وَلا تُوَلُّوا، ادْعُوهُمْ إلى الإسْلام، فإنْ أجابُوكُمْ فاقْبَلُوا وَادْعُوهُمْ إلى الهِجْرَةِ، فإنْ هاجَرُوا مَعَكُمْ، فَلَهُمْ ما لَكُمْ، وَعَلَيْهِمْ ما عَلَيْكُمْ، فإنْ أبَوْا ولَمْ يُهاجِرُوا وَاخْتارُوا دَارَهُمْ فَأقِرُّوهُمْ فِيها، فَهُمْ كالأعْرابِ تَجْرِي عَلَيْهِمْ أحْكامُ الإسْلامِ، ولَيْسَ لَهُمْ فِي هَذَا الفَيْءِ نَصِيبٌ». قال: فلما جاء الفتح، وانقطعت الهجرة، قال رسول الله ﷺ: «لا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ» وكثر الإسلام، وتوارث

الناس على الأرحام حيث كانوا، ونسخ ذلك الذي كان بين المؤمنين والمهاجرين، وكان لهم في الفيء نصيب، وإن أقاموا وأبَوا، وكان حقهم في الإسلام واحد، المهاجر وغير المهاجر والبدوي وكلّ أحد، حين جاء الفتح.

فمعنى الكلام على هذا التأويل: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض من المؤمنين والمهاجرين ببعضهم أن يرثوهم بالهجرة، وقد يحتمل ظاهر هذا الكلام أن يكون من صلة الأرحام من المؤمنين والمهاجرين، أوْلى بالميراث، ممن لم يؤمن، ولم يهاجر.

وقوله: ﴿**إلاَّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً**﴾ اختلف أهل التأويل في تأويله، فقال بعضهم: معنى ذلك: إلاَّ أن توصوا لذوي قرابتكم من غير أهل الإيمان والهجرة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو معاوية، عن حجّاج، عن سالم، عن ابن الحنفية ﴿**إلاَّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً**﴾ قالوا: يوصي لقرابته من أهل الشرك.

قال: ثنا عبدة، قال: قرأت على ابن أبي عروبة، عن قتادة ﴿**إلاَّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً**﴾ قال: للقرابة من أهل الشرك وصية، ولا ميراث لهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿**إلاَّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً**﴾ قال: إلى أوليائكم من أهل الشرك وصية، ولا ميراث لهم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أحمد الزبيري ويحيى بن آدم، عن ابن المبارك، عن معمر، عن يحيى بن أبي كثير، عن عكرِمة ﴿**إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً**﴾ قال: وصية.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني محمد بن عمرو، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء: ما قوله ﴿**إلاَّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً**﴾ فقال: العطاء، فقلت له: المؤمن للكافر بينهما قرابة؟ قال: نعم عطاؤه إياه حباء ووصية له.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إلاَّ أن تمسكوا بالمعروف بينكم بحقّ الإيمان والهجرة والحلف، فتؤتونهم حقهم من النصرة والعقل عنهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**إلاَّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً**﴾ قال: حلفاؤكم الذين والى بينهم النبيّ ﷺ من المهاجرين والأنصار، إمساك بالمعروف والعقل والنصر بينهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أن توصوا إلى أوليائكم من المهاجرين وصية.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد **﴿إلاَّ أنْ تَفْعَلُوا إلى أوْلِيائِكُمْ مَعْرُوفاً﴾** يقول: إلاَّ أن توصوا لهم.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: معنى ذلك إلاَّ أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين كان رسول الله ﷺ آخَى بينهم وبينكم من المهاجرين والأنصار، معروفاً من الوصية لهم، والنصرة والعقل عنهم، وما أشبه ذلك، لأن كلّ ذلك من المعروف الذي قد حثّ الله عليه عباده.

وإنما اخترت هذا القول، وقلت: هو أولى بالصواب من قيل من قال: عنى بذلك الوصية للقرابة من أهل الشرك، لأن القريب من المشرك، وإن كان ذا نسب فليس بالمولى، وذلك أن الشرك يقطع ولاية ما بين المؤمن والمشرك، وقد نهى الله المؤمنين أن يتخذوا منهم ولياً بقوله: **﴿لا تَتَّخِذُوا عَدُوّي وَعَدُوَّكُمْ أوْلِياءَ﴾** وغير جائز أن ينهاهم عن اتخاذهم أولياء، ثم يصفهم جلّ ثناؤه بأنهم لهم أولياء. وموضع «أن» من قوله **﴿إلاَّ أنْ تَفْعَلُوا﴾** نصب على الاستثناء. ومعنى الكلام: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين، إلاَّ أن تفعلوا إلى أوليائكم الذين ليسوا بأولِي أرحام منكم معروفاً.

وقوله: **﴿كانَ ذلكَ فِي الكِتابِ مَسْطُوراً﴾** يقول: كان أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله: أي في اللوح المحفوظ **﴿مسطوراً﴾** أي مكتوباً، كما قال الراجز:

فِي الصُّحُفِ الأُولَى الَّتِي كَانَ سَطَرْ[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله **﴿كانَ ذلكَ فِي الكِتابِ مَسْطُوراً﴾**: أي أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله.

وقال آخرون: معنى ذلك: كان ذلك في الكتاب مسطوراً: لا يرث المشرك المؤمن.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا

---

(١) البيت من مشطور الرجز، وهو للعجاج الراجز، من أرجوزته المطولة التي مدح بها عمر بن عبد الله بن معمر وقد بعثه عبد الملك لحرب أبي فديك الخارجي، فانتصر عليه. ديوان العجاج طبع ليبسج سنة ١٩٠٣ (ص ١٩) والبيت شاهد على أن معنى سطر: كتب والسطر: الخط والكتابة.

مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: كان ذلك في الكتاب مسطوراً، إذ كتبنا كلّ ما هو كائن في الكتاب ﴿**وَإِذْ أَخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ**﴾ كان ذلك أيضاً في الكتاب مسطوراً، ويعني بالميثاق: العهد، وقد بيَّنا ذلك بشواهده فيما مضى قبل. ﴿**وَمِنْكَ**﴾ يا محمد ﴿**وَمِنْ نُوحٍ وإبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وأخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً**﴾ يقول: وأخذنا من جميعهم عهداً مؤكداً أن يصدّق بعضهم بعضاً. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَإِذْ أخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ**﴾ قال: وذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ كان يقول: «كُنْتُ أوَّلَ الأنْبِياءِ فِي الخَلْقِ، وآخِرَهُمْ فِي البَعْثِ»، وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، وأخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً﴾ ميثاق أخذه الله على النبيين، خصوصاً أن يصدّق بعضهم بعضاً، وأن يتبع بعضهم بعضاً.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، قال: كان قتادة إذا تلا هذه الآية ﴿**وَإِذْ أخَذْنا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ**﴾ قال: كان نبيّ الله ﷺ في أوّل النبيين في الخلق.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله ﴿**مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ**﴾ قال: في ظهر آدم.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وأخَذْنا مِنْهُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً**﴾ قال: الميثاق الغليظ: العهد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أخذنا من هؤلاء الأنبياء ميثاقهم كيما أسأل المرسلين عما أجابتهم به أممهم، وما فعل قومهم فيما أبلغوهم عن ربهم من الرسالة. وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن ليث، عن مجاهد ﴿**لِيَسْألَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ**﴾ قال: المبلغين المؤدّين من الرسل.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾** قال: المبلغين المؤدّين من الرسل.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو أُسامة، عن سفيان، عن رجل، عن مجاهد **﴿لِيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ﴾** قال: الرسل المؤدّين المبلغين.

وقوله: **﴿وأعَدَّ للكافِرِينَ عَذَاباً أَلِيماً﴾** يقول: وأعدّ للكافرين بالله من الأمم عذاباً موجعاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ﴾** التي أنعمها على جماعتكم وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله ﷺ أيام الخندق **﴿إذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾**: جنود الأحزاب: قُريش، وغَطفان، ويهود بني النضير **﴿فأرْسَلْنا عَلَيهِمْ رِيحاً﴾** وهي فيما ذكر: ريح الصَّبا. كما:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عكرمة، قال: قالتِ الجنوبُ للشمال ليلة الأحزاب: انطلقي ننصر رسول الله ﷺ، فقال الشمال: إن الحرّة لا تسري بالليل، قال: فكانت الريح التي أُرسلت عليهم الصَّبا.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثني الزبير، يعني ابن عبد الله، قال: ثني ربيح بن أبي سعيد، عن أبيه، عن أبي سعيد، قال: قلنا يوم الخندق: يا رسول الله بلغت القلوب الحناجر، فهل من شيء تقوله؟ قال: «نَعَمْ قُولُوا: اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِنا، وآمِنْ رَوْعاتِنا»، فَضَرَبَ اللّهُ وُجُوهَ أعْدائهِ بالرِّيحِ، فهَزَمَهُمُ اللّهُ بالرِّيحِ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني عبد الله بن عمرو، عن نافع، عن عبد الله، قال: أرسلني خالي عثمان بن مظعون ليلة الخندق في برد شديد وريح، إلى المدينة، فقال: ائتنا بطعام ولحاف قال: فاستأذنت رسول الله ﷺ، فأذن لي وقال: «مَنْ لَقِيتَ مِنْ أصحَابِي فَمُرْهُم يَرْجِعُوا». قال: فذهبت والريح تَسْفِي كل شيء، فجعلت لا ألقى أحداً إلاَّ أمرته بالرجوع إلى النبيّ ﷺ، قال: فما يَلْوِي أحد منهم عنقه قال: وكان معي تُرْس لي، فكانت الريح تضربه عليّ، وكان فيه حديد، قال: فضربته الريح حتى وقع بعض ذلك الحديد على كفي، فأنفذها إلى الأرض.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة: قال: ثني محمد بن إسحاق، عن يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القُرَظِيّ، قال: قال فتى من أهل الكوفة لحُذَيفة بن اليمان: يا أبا عبد الله، رأيتم رسول الله ﷺ وصحبتموه؟ قال: نعم يا بن أخي، قال: فكيف كنتم تصنعون؟ قال: والله لقد كنا نَجْهَد، قال الفتى: والله لو أدركناه ما تركناه يمشيء على الأرض، لحملناه على أعناقنا. قال حُذَيفة: يا بن أخي، والله لقد رأيتُنا مع رسول الله ﷺ بالخندق، وصلى رسول الله هَوِيًا من الليل[1]، ثم التفت إلينا فقال: «من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم؟ يشرط له رسول الله ﷺ إن يرجع أدخله الله الجنة»، فما قام أحد، ثم صلى رسول الله ﷺ هَوِياً من الليل، ثم التفت إلينا فقال مثله، فما قام منا رجل، ثم صلى رسول الله ﷺ هَوِياً من الليل، ثم التفت إلينا فقال: «مَنْ رَجُلٌ يَقُومُ فَيَنْظُرُ لَنا ما فَعَلَ القَوْمُ ثُمَّ يَرْجِعُ، يَشْتَرِطُ لَهُ رَسُولُ اللّهِ صَلى اللّهُ عليهِ وسلَّمَ الرَّجْعَةَ، أسألُ اللّهَ أنْ يكُونَ رَفِيقي فِي الجَنَّةِ» فما قام رجل من شدّة الخوف، وشدّة الجوع، وشدّة البرد فلما لم يقم أحد، دعاني رسول الله ﷺ، فلم يكن لي بدّ من القيام حين دعاني، فقال: «يا حُذَيْفَةُ اذْهَبْ فادْخُلْ فِي القَوْمِ فانْظُرْ ما يَفْعَلونَ، وَلا تُحْدِثَنَّ شَيْئاً حتى تَأْتِيَنا». قال: فذهبت فدخلت في القوم، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل، لا تُقِرّ لهم قِدراً ولا ناراً ولا بناء فقام أبو سُفيان فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ من جليسه، فقال حُذَيفة: فأخذت بيد الرجل الذي إلى جنبي، فقلت: من أنت؟ فقال: أنا فلان بن فلان ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام، ولقد هلك الكراع والخفّ، واختلفت بنو قريظة، وبلغنا عنهم الذي نكره، ولقينا من هذه الريح ما ترون، والله ما يطمئنّ لنا قدر، ولا تقوم لنا نار، ولا يستمسك لنا بناء، فارتحلوا فإني مرتحل. ثم قام إلى جمله وهو معقول، فجلس عليه، ثم ضربه فوثب به على ثلاث، فما أطلق عقاله إلاَّ وهو قائم. ولولا عهد رسول الله ﷺ إليّ أن «لا تُحدث شيئاً حتى تأتيني»، لو شئت لقتلته بسهم قال حُذَيفة: فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في مرط لبعض نسائه فلما رآني أدخلني بين رجليه، وطرح عليّ طرَف المِرط، ثم ركع وسجد وإني لفيه فلما سلم أخبرته الخبر، وسمعت غَطفان بما فعلت قريش، فانشمروا راجعين إلى بلادهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله **﴿إِذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ﴾** قال: الأحزاب: عيينة بن بدر، وأبو سفيان، وقريظة.

وقوله: **﴿فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً﴾** قال: ريح الصبا أرسلت على الأحزاب يوم الخندق، حتى كفأت قدورهم على أفواهها، ونزعت فساطيطهم حتى أظعنتهم. وقوله: **﴿وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْها﴾** قال: الملائكة ولم تقاتل يومئذ.

---

(١) هويا، بهاء مفتوحة أو مضمومة، وياء مشددة، وهو الساعة الممتدة من الليل «**اللسان**» هوى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿**يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ، إذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فأرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْها**﴾ قال: يعني الملائكة، قال: نزلت هذه الآية يوم الأحزاب وقد حصر رسول الله ﷺ شهراً فخندق رسول الله ﷺ، وأقبل أبو سفيان بقريش ومن تبعه من الناس، حتى نزلوا بعقوة[1] رسول الله ﷺ، وأقبل عُيينة بن حصن، أحد بني بدر ومن تبعه من الناس حتى نزلوا بعقوة رسول الله ﷺ، وكاتبت اليهود أبا سفيان وظاهروه، فقال حيث يقول الله تعالى: ﴿**إذْ جاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أسْفَلَ مِنْكُمْ**﴾ فبعث الله عليهم الرعب والريح، فذكر لنا أنهم كانوا كلما أوقدوا ناراً أطفأها الله، حتى لقد ذكر لنا أن سيد كلّ حيّ يقول: يا بني فلان هلمّ إليّ، حتى إذا اجتمعوا عنده فقال: النجاء النجاء، أتيتم لما بعث الله عليهم من الرعب.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ...**﴾ الآية، قال: كان يوم أبي سفيان يوم الأحزاب.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني يزيد بن رومان، في قول الله: ﴿**يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إذْ جاءَتْكُمْ جُنُودٌ فأَرْسَلْنا عَلَيْهِم رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْها**﴾ والجنود قريش وغطفان وبنو قريظة، وكانت الجنود التي أرسل الله عليهم مع الريح: الملائكة.

وقوله: ﴿**وكانَ اللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً**﴾ يقول تعالى ذكره: وكان الله بأعمالكم يومئذٍ، وذلك صبرهم على ما كانوا فيه من الجَهْد والشدّة، وثَباتهم لعَدُوّهم، وغير ذلك من أعمالهم، بصيراً لا يخفى عليه من ذلك شيء، يُحصيه عليهم، ليجزيَهُمْ عليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وكان الله بما تعملون بَصِيراً، إذ جاءتكم جنودُ الأحزاب من فوقِكم، ومن أسفلَ منكم. وقيل: إن الذين أتَوْهم من أسفل منهم، أبو سفيان في قريش ومن معه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

(١) العقوة: الساحة وما حول الدار. عن «**اللسان**»: عقا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**إِذْ جاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ**﴾ قال عيينة بن بذر[1] في أهل نجد، ومن أسفل منكم، قال: أبو سفيان. قال: وواجَهَتْهم قُرَيظة.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا عبدة، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة: ذكرت يوم الخندق وقرأت: ﴿**إِذْ جاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ، وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ**﴾ قالت: هو يوم الخندق.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلَمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن يزيد بن رُومان مولى آل الزبير، عن عُروة بن الزبير، وعمن لاأتهم، عن عُبيد الله بن كعب بن مالك، وعن الزُهريّ، وعن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعن محمد بن كعب القُرَظيّ، وعن غيرهم من علمائنا: أنه كان من حديث الخندق، أن نَفَراً من اليهود، منهم سلام بن أبي الحُقيق النَضريّ، وحُييّ بن أخطب النَّضَري، وكِنانة بن الرَّبيع[2] بن أبي الحُقَيق النضريّ، وهَوْذَة بن قيس الوائليّ، وأبو عمار الوائليّ، في نفر من بني النضير، ونفر من بني وائل، وهم الذين حَزَّبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ، خرجوا حتى قدِموا مكة على قريش، فدعَوْهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وقالوا: إنا سنكون معكم عليه، حتى نستأصلَه. فقال لهم قريش: يا معشر يهود، إنكم أهل الكتاب الأوّل، والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد، أَفَدِيننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أولى بالحقّ منه[3]. قال: فهم الذين أنزل الله فيهم: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الكِتابِ يُؤْمِنُونَ بالجِبْتِ والطَّاغُوتِ، وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً...**﴾ إلى قوله: ﴿**وكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيراً**﴾ فلما قالوا ذلك لقريش، سرّهم ما قالوا، ونشطوا لما دعوهم له من حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا لذلك، واتعدوا له. ثم خرج أولئك النفر من اليهود، حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان، فدعوهم إلى حرب رسول الله ﷺ، وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه، وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك، فاجتمعوا فيه، فأجابوهم[4] فخرجت قريش وقائدها أبو سفيان بن حرب، وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حُذَيفة بن بدر في بني فزارة، والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرّة، ومسْعر بن رخيلة بن نُوَيرة بن طريف بن سحمة بن

---

(١) نسبه إلى أبيه الأعلى.

(٢) في بعض نسخ السيرة لابن إسحاق، وكنانة بن أبي الحقيق، وليس فيه ابن الربيع.

(٣) كذا في السيرة (٣/ ٢٢٥) طبعة الحلبي. وفي الأصل: منهم.

(٤) في «السيرة» الحلبي (٣/ ٢٦) فاجتمعوا معهم فيه، وسقط منها قوله: فأجابوهم.

عبدالله بن هلال بن خلاوة بن أشجع بن ريث بن غطفان، فيمن تابعه من قومه من أشجع فلما سمع بهم رسول الله ﷺ وبما اجتمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة فلما فرغ رسول الله ﷺ من الخندق، أقبلت قريش حتى نزلت بمجتمع الأسيال من رومة بين الجرف والغابة[١] في عشرة آلاف من أحابيشهم، ومن تابعهم من بني كنانة وأهل تهامة، وأقبلت غطَفان ومن تابعهم من أهل نجد، حتى نزلوا بذنب نَقَمَى إلى جانب أحد، وخرج رسول الله ﷺ والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سَلْع في ثلاثة آلاف من المسلمين، فضرب هنالك عسكره، والخندق بينه وبين القوم، وأمر بالذّراري والنساء، فرفعوا في الآطام، وخرج عدوّ الله حيي بن أخطب النضري، حتى أتى كعب بن أسد القرظيّ، صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وكان قد وادع رسول الله ﷺ على قومه، وعاهده على ذلك وعاقده، فلما سمع كعب بحييّ بن أخطب، أغلق دونه حصنه، فاستأذن عليه، فأبى أن يفتح له، فناداه حييّ: يا كعب افتح لي، قال: ويحك يا حييّ، إنك امرؤ مشؤوم، إني قد عاهدت محمداً، فلست بناقض ما بيني وبينه، ولم أر منه إلاّ وفاء وصدقاً قال: ويحك افتح لي أكلمك، قال: ما أنا بفاعل. قال: والله إن أغلقت دوني إلاّ تخوّفت على جشيشتك أن آكل معك منها، فأحفظ الرجل، ففتح له، فقال: يا كعب جئتك بعزّ الدهر، وببحر طمّ، جئتك بقريش على قاداتها وساداتها، حتى أنزلتهم بمجتمع الأسيال من رُومَة، وبغطَفان على قاداتها وساداتها حتى أنزلتهم بذنب نَقَمَى إلى جانب أُحد، قد عاهدوني وعاقدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه، فقال له كعب بن أسد: جئتني والله بذلّ الدهر، وبجهام قد هراق ماءه، يرعد ويبرق، ليس فيه شيء، فدعني ومحمداً وما أنا عليه، فلم أر من محمد إلاّ صدقاً ووفاء فلم يزل حييّ بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاهم عهداً من الله وميثاقاً لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمداً أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك. فنقض كعب بن أسد عهده، وبرىء مما كان عليه، فيما بينه وبين رسول الله ﷺ فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ الخبر، وإلى المسلمين، بعث رسول الله ﷺ سعد بن معاذ بن النعمان بن امرىء القيس، أحد بني الأشهل، وهو يومئذٍ سيد الأوس، وسعد بن عبادة بن ديلم أخي بني ساعدة بن كعب بن الخزرج، وهو يومئذٍ سيد الخزرج، ومعهما عبد الله بن رواحة أخو بلحرث بن الخزرج، وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف، فقال: انطلقوا حتى تنظروا أحقّ ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا؟، فإن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه، ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم، فاجهروا به للناس. فخرجوا حتى أتوهم، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، ونالوا[٢] من رسول الله ﷺ وقالوا:

---

(١) في «السيرة» الحلبي (٣/ ٢٣٠) زغابة، بزاي مفتوحة، وغين وانظر السهيلي (٢/ ١٨٩).

(٢) في إحدى نسخ «السيرة» الحلبي (٣/ ٢٣٣) فيما نالوا.. الخ.

لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد، فشاتمهم سعد بن عبادة وشاتموه، وكان رجلاً فيه حدّة، فقال له سعد بن معاذ: دع عنك مشاتمتهم، فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة. ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله ﷺ، فسلموا عليه، ثم قالوا: عضل والقارة: أي[1] كغدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله ﷺ أصحاب الرجيع خبيب بن عديّ وأصحابه، فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر، أبشروا يا معشر المسلمين»، وعظم عند ذلك البلاء، واشتدّ الخوف، وأتاهم عدوّهم من فوقهم، ومن أسفل منهم، حتى ظنّ المسلمون كلّ ظنّ، ونجم النفاق من بعض المنافقين، حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط، وحتى قال أوس بن قيظي أحد بني حارثة بن الحارث: يا رسول الله إن بيوتنا لعورة من العدوّ، وذلك عن ملإ من رجال قومه، فأذن لنا فلنرجع إلى دارنا، وإنها خارجة من المدينة، فأقام رسول الله ﷺ بضعا وعشرين ليلة قريباً من شهر، ولم يكن بين القوم حرب إلاّ الرمي بالنبل والحصار»[2].

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، قال: ثني يزيد بن رومان، قوله ﴿**إِذْ جاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ**﴾ فالذين جاءوهم من فوقهم: قريظة، والذين جاءوهم من أسفل منهم: قريش وغطفان.

وقوله: ﴿**وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ**﴾ يقول: وحين عدلت الأبصار عن مقرّها، وشخصت طامحة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ**﴾: شخصت.

وقوله: ﴿**وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ**﴾ يقول: نبت القلوب عن أماكنها من الرعب والخوف، فبلغت إلى الحناجر. كما:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا سويد بن عمرو، عن حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرِمة: ﴿**وَبَلَغَتِ القُلُوبُ الحَناجِرَ**﴾ قال: من الفزع.

وقوله: ﴿**وَتَظُنُّونَ باللّهِ الظُّنُونا**﴾ يقول: وتظنون بالله الظنونَ الكاذبة، وذلك كظنّ من ظنّ منهم أن رسول الله ﷺ يُغلب، وأن ما وعده الله من النصر أن لا يكون، ونحو ذلك من ظنونهم الكاذبة التي ظنها من ظنّ ممن كان مع رسول الله ﷺ في عسكره.

---

(١) كذا في «السيرة» الحلبي (٣/ ٢٣٣) وفي الأصل بدون أي.

(٢) في بعض المراجع: والحصا. وكتبها بالألف.

حدثنا بشر، قال: ثنا هوذة بن خليفة، قال: ثنا عوف، عن الحسن ﴿**وَتَظُنُّونَ باللهِ الظُّنُونا**﴾ قال: ظنوناً مختلفة: ظنّ المنافقون أن محمداً وأصحابه يُستأصلون، وأيقن المؤمنون أن ما وعدهم الله حق، أنه سيظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**وَتَظُنُّونَ باللهِ الظُّنُونا**﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة، وبعض الكوفيين: ﴿**الظُّنونا**﴾ بإثبات الألف، وكذلك ﴿**وأطَعْنا الرَّسُولا فأضَلُّونا السَّبِيلا**﴾ في الوصل والوقف وكان اعتلال المعتلّ في ذلك لهم، أن ذلك في كل مصاحف المسلمين بإثبات الألف في هذه الأحرف كلها. وكان بعض قرّاء الكوفة يثبت الألف فيهنّ في الوقف، ويحذفها في الوصل اعتلالاً بأن العرب تفعل ذلك في قوافي الشعر ومصاريعها، فتلحق الألف في موضع الفتح للوقوف، ولا تفعل ذلك في حشو الأبيات، فإن هذه الأحرف، حسُن فيها إثبات الألفات، لأنهنّ رؤوس الآي تمثيلاً لها بالقوافي. وقرأ ذلك بعض قرّاء البصرة والكوفة بحذف الألف من جميعه في الوقف والوصل، اعتلالاً بأن ذلك غير موجود في كلام العرب إلاّ في قوافي الشعر دون غيرها من كلامهم، وأنها إنما تفعل ذلك في القوافي طلباً لإتمام وزن الشعر، إذ لو لم تفعل ذلك فيها لم يصحّ الشعر، وليس ذلك كذلك في القرآن، لأنه لا شيء يضطرهم إلى ذلك في القرآن، وقالوا: هنّ مع ذلك في مصحف عبد الله بغير ألف.

وأولى القرَاءات في ذلك عندي بالصواب، قراءة من قرأه بحذف الألف في الوصل والوقف، لأن ذلك هو الكلام المعروف من كلام العرب، مع شهرة القراءة بذلك في قرّاء المصرين: الكوفة، والبصرة ثم القراءة بإثبات الألف فيهنّ في حالة الوقف والوصل، لأن علة من أثبت ذلك في حال الوقف أنه كذلك في خطوط مصاحف المسلمين. وإذا كانت العلة في إثبات الألف في بعض الأحوال كونه مثبتاً في مصاحف المسلمين، فالواجب أن تكون القراءة في كل الأحوال ثابتة، لأنه مثبت في مصاحفهم. وغير جائز أن تكون العلة التي توجب قراءة ذلك على وجه من الوجوه في بعض الأحوال موجودة في حال أخرى، والقراءة مختلفة، وليس ذلك لقوافي الشعر بنظير، لأن قوافي الشعر إنما تلحق فيها الألفات في مواضع الفتح، والياء في مواضع الكسر، والواو في مواضع الضمّ طلباً لتتمة الوزن، وأن ذلك لو لم يفعل كذلك بطل أن يكون شعراً لاستحالته عن وزنه، ولا شيء يضطرّ تالي القرآن إلى فعل ذلك في القرآن.

وقوله: ﴿**هُنالكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ**﴾ يقول: عند ذلك اختبر إيمان المؤمنين، ومحّص القوم وعرف المؤمن من المنافق. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿**هُنالكَ ابْتُلِيَ المُؤْمِنُونَ**﴾ قال: محصوا.

وقوله: ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً﴾ يقول: وحرّكوا بالفتنة تحريكاً شديداً، وابتلوا وفتنوا.

وقوله: ﴿وَإِذْ يقُولُ المُنافِقونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾: شَكٌّ في الإيمان، وضعف في اعتقادهم إياه: ما وعدنا الله ورسوله إلاَّ غُروراً، وذلك فيما ذُكِر قولُ معتِّب بن قُشَير. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني يزيد بن رُومان ﴿وَإِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: ما وَعَدَنا اللّهُ وَرَسُولُهُ إلاَّ غُرُوراً﴾ يقول: مُعَتِّب بن قُشَير، إذ قال ما قال يوم الخندق.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿وَإِذْ يَقُولُ المنافقون والَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ قال: تكلُّمهم بالنفاق يومئذٍ، وتَكَلّمَ المؤمنون بالحقّ والإيمان، قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿وَإِذْ يَقولُ المُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ: ما وَعَدَنا اللّهُ وَرَسُولُهُ إلاَّ غُرُوراً﴾ قال: قال ذلك أُناس من المنافقين: قد كان محمد يعدُنا فتح فارس والروم، وقد حُصِرنا هاهنا، حتى ما يستطيع أحدُنا أن يبرُز لحاجته ما وعدنا الله ورسوله إلاَّ غروراً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قال: قال رجل يوم الأحزاب لرجل من صحابة النبيّ ﷺ: يا فلان أرأيت إذ يقول رسول الله ﷺ: «إذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلا قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَإذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلا كِسْرَى بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُنْفَقَنَّ كُنُوزُهُما فِي سَبِيلِ اللّهِ». فأينَ هذا من هذا، وأحدُنا لا يستطيع أن يخرج يبول من الخوف؟ ﴿ما وَعَدَنا اللّهُ وَرَسُولُهُ إلاَّ غُرُوراً﴾. فقال له: كذبت، لأُخبِرَنّ رسول الله ﷺ خبرك، قال: فأتى رسولَ الله ﷺ، فأخبره، فدعاه فقال: «ما قلت؟» فقال: كذبَ عليّ يا رسول الله، ما قلت شيئاً، ما خرج هذا من فمي قطّ ﴿قال الله: يَحْلِفُونَ بالله ما قالُوا، وَلَقَدْ قالُوا كَلِمَةَ الكُفْرِ. . .﴾ حتى بلغ ﴿وَما لَهُمْ مِنْ وَلِيّ وَلا نَصِيرٍ﴾ قال: «فهذا قول الله: ﴿إنْ نَعْفُ عَنْ طائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذّبْ طائِفَةً﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن خالد بن عَثْمة، قال: ثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المُزَنيّ، قال: ثني أبي، عن أبيه، قال: خطّ رسول الله ﷺ الخندق عام ذُكِرت

الأحزاب، من أحمر الشيخين[(١)]، طرف بني حارثة، حتى بلغ المَذَاد، ثم جعل أربعين ذراعاً بين كلّ عشرة، فاختلف المهاجرون والأنصار في سَلْمان الفارسيّ، وكان رجلاً قويًا، فقال الأنصار: سَلْمان منا، وقال المهاجرون: سلمان منا، فقال النبيّ ﷺ: «سَلْمانُ مِنَّا أَهْلَ البَيْتِ». قال عمرو بن عوف: فكنت أنا وسَلْمانُ وحُذَيفةُ بن اليمان والنُّعمانُ بن مُقَرّن المُزَنيّ، وستةٌ من الأنصار، في أربعين ذراعاً، فحفَرنا تحت دوبار حتى بلغنا[(٢)] الصَّرَى، أخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة[(٣)]، فكسرت حديدنا، وشقَّت علينا، فقلنا: يا سلمان، ارْقَ إلى رسول الله ﷺ، فأخبره خبر هذه الصخرة، فإما أن نعدل عنها، فإن المعدل قريب، وإما أن يأمرنا فيها بأمره، فإنا لا نحبّ أن نجاوز خَطَّه. فرقي سَلمان حتى أتى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قُبةً تركية، فقال: يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا، خرجت صخرة بيضاء من بطن الخندق، مَرْوَة، فكسرت حديدنا، وشقَّت علينا، حتى ما يجيء منها قليل ولا كثير، فمرنا فيها بأمرك، فإنا لا نحبّ أن نجاوز خَطَّك. فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان في الخندق، ورَقِينا نحن التسعة على شَفَة الخندق، فأخذ رسولُ الله ﷺ المِعْول من سَلمان، فضرب الصخرة ضربة صَدَعها، وبَرَقت منها بَرْقة أضاءت ما بين لابتيها، يعني: لابتي المدينة، حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبّر رسول الله ﷺ تكبير فتح، وكبر المسلمون. ثم ضربها رسول الله ﷺ الثانية، فصَدَعها وبَرَقت منها بَرْقة أضاءت ما بين لابتيها، حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبَّر رسول الله ﷺ تكبير فتح، وكبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثالثة، فكسرها، وبَرَقت منها بَرْقة أضاءت ما بين لابتيها، حتى لكأن مصباحاً في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح، ثم أخذ بيد سَلْمانَ فَرقي، فقال سلمان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد رأيت شيئاً ما رأيته قطّ، فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم، فقال: «هَلْ رأَيْتُمْ ما يقُولُ سَلْمانُ؟» قَالُوا: نعم يا رسول الله، بأبينا أنت وأمنا قد رأيناك تضرب، فيخرج بَرْق كالموج، فرأيناك تكبّر فنكبر، ولا نرى شيئاً غير ذلك، قال: «صَدَقْتُمْ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الأولى، فبَرَقَ الَّذِي رأيتُمْ، أضَاءَ لي مِنْهُ قُصُورُ الْحِيرَةِ وَمَدَائِنُ كِسْرَى، كأنَّها أنْيابُ الكِلابِ، فأَخْبَرَنِي جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ أنَّ أُمَّتِي ظاهِرَةٌ عَلَيْها، ثُمَّ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الثَّانِيَةَ، فبَرَقَ الَّذِي رأيْتُمْ، أضَاءَ لي مِنْهُ قُصُورُ الحُمْرِ مِنْ أرْضِ الرُّومِ، كأنَّها أنْيابُ الكِلابِ، وأخْبَرَنِي جَبْرائِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ أنَّ أُمَّتِي ظاهِرَةٌ عَلَيْها، ثُمَّ ضَرَبْتُ ضَرْبَتِي الثَّالِثَةَ، وَبَرَقَ مِنها الَّذِي رأيْتُمْ، أضَاءَتْ لي مِنها قُصُورُ صَنْعاءَ، كأنَّها أنْيابُ الكِلابِ، وأخْبَرَنِي جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ

---

(١) في المواهب اللدنية بشرح الزرقاني (٢/ ١٠٢) روى الطبراني بسند لا بأس به عن عمرو بن عوف المزني، أنه ﷺ خط الخندق من أحمر الشيخين.... وهما أطمان طرف بني حارثة، حتى بلغ المذاد....

(٢) هكذا جاءت هذه العبارة، ولعلها محرفة. و«ذوبار»: لفظة فارسية، معناها: مرتين. وقوله حتى بلغنا: لعلها حتى إذا بلغنا.

(٣) في بعض المراجع: مدورة. والصرى: الماء.

السَّلامُ أنَّ أُمَّتِي ظاهِرَةٌ عَلَيْها، فأَبْشِرُوا، يُبَلِّغُهُمُ النصرُ، وأبْشِرُوا، يُبَلِّغُهُمُ النَّصْرُ، وأبْشِرُوا يُبَلِّغُهُم النَّصْرُ». فاستبشر المسلمون، وقالوا: الحمد لله موعود صدق، بأن وعَدَنا النصر بعد الحَصْر، فطَبَّقت الأحزاب، فقال المسلمون ﴿هَذا ما وَعَدَنا اللّهُ وَرَسولُهُ...﴾ الآية، وقال المنافقون: ألا تعجبون.؟ يُحَدِّثكم ويمنيكم ويَعِدكم الباطل، يُخْبركم أنه يبصر من يثربَ قصور الحِيرة ومدائن كسرى، وأنها تفتَح لكم، وأنتم تحفرون الخندق من الفَرَق، ولا تستطيعون أن تَبْرزُوا؟ وأنزل القرآن: ﴿وَإِذْ يَقُولُ المُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ما وَعَدَنا اللّهُ وَرَسُولُهُ إلاَّ غُرُوراً﴾.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَـَٔاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾.

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنهُمْ يا أهْلَ يَثْرِبَ لا مُقامَ لَكُمْ﴾ وإذ قال بعضهم: يا أهل يثرب، ويثرب: اسم أرض، فيقال: إن مدينة رسول الله ﷺ في ناحية من يثرب. وقوله: «لا مَقامَ لَكُمْ فارْجِعُوا» بفتح الميم من مقام. يقول: لا مكان لكم، تقومون فيه، كما قال الشاعر:

فأَيِّي ما وأَيُّكَ كانَ شَرّا ... فَقِيدَ إلى المَقامَةِ لا يَرَاها[1]

قوله ﴿فارْجِعُوا﴾ يقول: فارجعوا إلى منازلكم أمرهم بالهرب من عسكر رسول الله ﷺ والفرار منه، وترك رسول الله ﷺ. وقيل: إن ذلك من قيل أوس بن قيظي ومن وافقه على رأيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني يزيد، بن رومان ﴿وَإِذْ قالَتْ طائِفَةٌ مِنهُمْ يا أهْلَ يَثْرِبَ...﴾ إلى ﴿فِراراً﴾ يقول: أوس بن قيظي، ومن كان على ذلك من رأيه من قومه. والقراءة على فتح الميم من قوله: «لا مَقامَ لَكُمْ» بمعنى: لا موضع قيام لكم، وهي القراءة التي لا أستجيز القراءة بخلافها، لإجماع الحجة من القرّاء عليها. وذُكر عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قرأ ذلك: ﴿لا مُقامَ لَكُمْ﴾ بضم الميم، يعني: لا إقامة لكم.

وقوله: ﴿وَيَسْتأذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾ يقول تعالى

---

(١) البيت لعباس بن مرداس، وقد سبق الاستشهاد به في (٦٦/٢٠) قال أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» الورقة (١٩٣/ب) عند تفسير قوله تعالى: ﴿لا مقام لكم﴾: مفتوحة الأولى. ومجازها: لا مكان لكم تقومون فيه. ومنه قوله: «فأيي ما وأيك كان شرا»... البيت.

ذكره: ويستأذن بعضهم رسول الله ﷺ في الإذن بالانصراف عنه إلى منزله، ولكنه يريد الفرار والهرب من عسكر رسول الله ﷺ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَيَسْتأْذِنُ فَرِيقٌ مِنهُمُ النَّبِيّ...**﴾ إلى قوله ﴿**إلاّ فِرَاراً**﴾ قال: هم بنو حارثة، قالوا: بيوتنا مخلية نخشى عليها السرق.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**إنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ**﴾ قال: نخشى عليها السرق.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَيَسْتأْذِنُ فَرِيقٌ مِنهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ**﴾ وإنها مما يلي العدوّ، وإنا نخاف عليها السرّاق، فبعث النبيّ ﷺ، فلا يجد بها عدوّا، قال الله: ﴿**إنْ يُرِيدُونَ إلاّ فِرَاراً**﴾ يقول: إنما كان قولهم ذلك ﴿**إنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ**﴾ إنما كان يريدون بذلك الفرار.

حدثنا محمد بن سنان القزاز، قال: ثنا عبيد الله بن حمران، قال: ثنا عبد السلام بن شدّاد أبو طالوت عن أبيه في هذه الآية ﴿**إنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ، وَما هِيَ بِعَوْرَةٍ**﴾ قال: ضائعة.

وقوله: ﴿**وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيهِمْ مِنْ أقْطارِها**﴾ يقول: ولو دخلت المدينة على هؤلاء القائلين ﴿**إنَّ بُيُوتَنا عَوْرَةٌ**﴾ من أقطارها، يعني: من جوانبها ونواحيها، واحدها: قطر، وفيها لغة أخرى: قُتر، وأقتار ومنه قول الراجز:

إنْ شِئْتَ أنْ تدهن أو تمرا ... فَوَلِّهِنَّ قُتْرَكَ الأشَرَّا[1]

وقوله: ﴿**ثُمَّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ**﴾ يقول: ثم سئلوا الرجوع من الإيمان إلى الشرك ﴿**لآتَوْها**﴾ يقول: لفعلوا ورجعوا عن الإسلام وأشركوا. وقوله: ﴿**وَما تَلَبَّثُوا بها إلاّ يَسِيراً**﴾ يقول: وما احتبسوا عن إجابتهم إلى الشرك إلاّ يسيراً قليلاً، ولأسرعوا إلى ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) البيتان من مشطور الرجز. ولم أقف على قائلهما. والشاهد فيهما في قوله «قترك» بضم فسكون بمعنى القطر، وهو الجانب والناحية. قال أبو عبيدة: «من أقطارها» أي من جوانبها ونواحيها. وواحدها. قطر، وفي «اللسان» قتر» القتر «بضم فسكون» و(القتر) بضمتين: الناحية والجانب. لغة في القطر. وهي الأقتار ا هـ. وفي «اللسان» قطر وفي التنزيل العزيز «من أقطار السموات والأرض»: أقطارها نواحيها واحدها قطر، وكذلك أقتارها، واحدها قتر ا هـ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أقْطارِها**﴾ أي لو دخل عليهم من نواحي المدينة ﴿**ثُمَّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ**﴾: أي الشرك ﴿**لآتَوْها**﴾ يقول: لأعطوها، ﴿**وَما تَلَبَّثُوا بِها إلاَّ يَسِيراً**﴾ يقول: إلاَّ أعطوه طيبة به أنفسهم ما يحتبسونه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أقْطارِها**﴾ يقول: لو دخلت المدينة عليهم من نواحيها ﴿**ثُمَّ سُئِلُوا الفِتْنَةَ لآتَوْها**﴾ سئلوا أن يكفروا لكفروا قال: وهؤلاء المنافقون لو دخلت عليهم الجيوش، والذين يريدون قتالهم ثم سئلوا أن يكفروا لكفروا قال: والفتنة: الكفر، وهي التي يقول الله ﴿**الفِتْنَةُ أشَدُّ مِنَ القَتْلِ**﴾ أي الكفر يقول: يحملهم الخوف منهم، وخبث الفتنة التي هم عليها من النفاق على أن يكفروا به.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**لآتَوْها**﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة وبعض قرّاء مكة: «لأَتَوْها» بقصر الألف، بمعنى جاءوها. وقرأه بعض المكيين وعامة قرّاء الكوفة والبصرة: ﴿**لآتَوْها**﴾ بمدّ الألف، بمعنى: لأعطوها، لقوله: ثم سئلوا الفتنة وقالوا: إذا كان سؤال كان إعطاء، والمدّ أعجب القراءتين إليّ لما ذكرت، وإن كانت الأخرى جائزة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد كان هؤلاء الذين يستأذنون رسول الله ﷺ في الانصراف عنه، ويقولون إن بيوتنا عورة، عاهدوا الله من قبل ذلك، إن لا يولوا عدوّهم الأدبار، إن لقولهم في مشهد لرسول الله ﷺ معهم، فما أوفوا بعهدهم ﴿**وكانَ عَهْد اللّهِ مَسْئُولاً**﴾ يقول: فيسأل الله ذلك من أعطاه إياه من نفسه. وذُكر أن ذلك نزل في بني حارثة لما كان من فعلهم في الخندق بعد الذي كان منهم بأحد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني يزيد بن رومان ﴿**وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأدْبارَ، وكانَ عَهْدُ اللّهِ مَسْئُولاً**﴾ وهم بنو حارثة، وهم الذين همّوا أن يفشلوا يوم أُحد مع بني سلمة حين همّا بالفشل يوم أُحد، ثم عاهدوا الله لا يعودون لمثلها، فذكر الله لهم الذي أعطوه من أنفسهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿**وَلَقَدْ كانُوا عاهَدُوا اللّهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الأدْبارَ وكانَ عَهْدُ اللّهِ مَسْئُولاً**﴾ قال: كان ناس غابوا عن وقعة بدر، ورأوا ما أعطى

الله أصحاب بدر من الكرامة والفضيلة، فقالوا: لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلن، فساق الله ذلك إليهم حتى كان في ناحية المدينة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء الذين يستأذنوك في الانصراف عنك ويقولون إن بيوتنا عورة: ﴿لَنْ يَنفَعَكُمُ الفِرَارُ إنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أوِ القَتْل﴾ يقول: لأن ذلك، أو ما كتب الله منهما واصل إليكم بكل حال، كرهتم أو أحببتم. ﴿وإذاً لا تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَلِيلاً﴾ يقول: وإذا فررتم من الموت أو القتل لم يزد فراركم ذلك في أعماركم وآجالكم، بل إنما تمتعون في هذه الدنيا إلى الوقت الذي كتب لكم، ثم يأتيكم ما كتب لكم وعليكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الفِرَارُ إنْ فَرَرْتُمْ مِنَ المَوْتِ أوِ القَتْلِ، وَإذاً لا تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَلِيلاً﴾ وإنما الدنيا كلها قليل.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن يمان، عن سفيان، عن منصور، عن أبي رزين، عن ربيع بن خيثم ﴿وَإذاً لا تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَلِيلاً﴾ قال: إلى آجالهم.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن أبي رزين، عن ربيع بن خيثم ﴿وَإذاً لا تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَلِيلاً﴾ قال: ما بينهم وبين الأجل.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى وعبد الرحمن قالا: ثنا سفيان، عن منصور، عن الأعمش، عن أبي رزين، عن الربيع بن خيثم مثله، إلاَّ أنه قال: ما بينهم وبين آجالهم.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن منصور، عن أبي رزين، أنه قال في هذه الآية ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَليلاً وَلْيَبْكوا كَثِيراً﴾ قال: ليضحكوا في الدنيا قليلاً، وليبكوا في النار كثيراً. وقال في هذه الآية: ﴿وَإذاً لا تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَلِيلاً﴾ قال: إلى آجالهم. أحد هذين الحديثين رفعه إلى ربيع بن خيثم.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثني أبي، عن الأعمش، عن أبي رزين، عن الربيع بن خيثم

﴿وَإِذًا لا تُمَتَّعُونَ إلاَّ قَلِيلاً﴾ قال: الأجل. ورفع قوله ﴿تُمَتَّعُونَ﴾ ولم ينصب بإذن للواو التي معها، وذلك أنه إذا كان قبلها واو، كان معنى «إذاً» التأخير بعد الفعل، كأنه قيل: ولو فرّوا لا يمتَّعون إلاَّ قليلاً إذاً، وقد يُنصب بها أحياناً، وإن كان معها واو، لأن الفعل متروك، فكأنها لأوّل الكلام.

وقوله ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللّهِ إنْ أرَادَ بِكُمْ سُوءاً أوْ أرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء الذين يستأذنونك ويقولون: إن بيوتنا عورة هرباً من القتل: من ذا الذي يمنعكم من الله إن هو أراد بكم سوءاً في أنفسكم، من قتل أو بلاء أو غير ذلك، أو عافية وسلامة؟ وهل ما يكون بكم في أنفسكم من سوء أو رحمة إلاَّ من قِبَله؟ كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني يزيد بن رومان ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللّهِ إنْ أرَادَ بِكُمْ سُوءاً أوْ أرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ أي أنه ليس الأمر إلاَّ ما قضيت.

وقوله: ﴿وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً﴾ يقول تعالى ذكره: ولا يجد هؤلاء المنافقون إن أراد الله بهم سوءاً في أنفسهم وأموالهم من دون الله ولياً يليهم بالكفاية ولا نصيراً ينصرهم من الله فيدفع عنهم ما أراد الله بهم من سوء في ذلك.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قد يعلم الله الذين يعوّقون الناس منكم عن رسول الله ﷺ فيصدّونهم عنه، وعن شهود الحرب معه، نفاقاً منهم، وتخذيلاً عن الإسلام وأهله ﴿والقائِلِينَ لإخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إلَيْنا﴾: أي تعالوا إلينا، ودعوا محمداً، فلا تشهدوا معه مشهده، فإنا نخاف عليكم الهلاك بهلاكه. ﴿وَلا يَأْتُونَ البأْسَ إلاَّ قَلِيلاً﴾ يقول: ولا يشهدون الحرب والقتال إن شهدوا إلاَّ تعذيراً، ودفعاً عن أنفسهم المؤمنين. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ المُعَوّقِينَ مِنْكُمْ والقائِلِينَ لإخْوَانِهِمْ﴾ قال: هؤلاء ناس من المنافقين كانوا يقولون لإخوانهم: ما محمد

وأصحابه إلاَّ أكلة رأس، ولو كانوا لحماً لالتهمهم أبو سفيانَ وأصحابه، دعوا هذا الرجل فإنه هالك.

وقوله: ﴿وَلا يَأْتُونَ البأْسَ إلاَّ قَلِيلاً﴾: أي لا يشهدون القتال، يغيبون عنه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثنا يزيد بن رومان ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ المُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾: أي أهل النفاق ﴿وَالقائِلِينَ لإخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إلَيْنا، وَلا يَأْتُونَ البأْسَ إلاَّ قَلِيلاً﴾: أي إلاَّ دفعاً وتعذيراً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ المُعَوِّقِينَ مِنكُمْ، والقائِلِينَ لإخْوَانِهِمْ. . .﴾ إلى آخر الآية، قال: هذا يوم الأحزاب، انصرف رجل من عند رسول الله ﷺ، فوجد أخاه بين يديه شواء ورغيف ونبيذ، فقال له: أنت ههنا في الشواء والرغيف والنبيذ، ورسول الله ﷺ بين الرماح والسيوف؟ فقال: هلمّ إلى هذا، فقد بلغ بك وبصاحبك، والذي يحلف به لا يستقبلها[1] محمد أبداً، فقال: كذبت والذي يحلف به قال، وكان أخاه من أبيه وأمّه: أما والله لأخبرنّ النبيّ ﷺ أمرك قال: وذهب إلى رسول الله ﷺ ليخبره قال: فوجده قد نزل جبرائيل عليه السلام بخبره ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ المُعَوِّقِين مِنكُمْ والقائِلِينَ لإخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إلَيْنا، وَلا يَأْتُون البأْسَ قَلِيلاً﴾.

وقوله ﴿أشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف الله به هؤلاء المنافقين، في هذا الموضع من الشحّ، فقال بعضهم: وصفهم بالشُّحّ عليهم في الغنيمة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ في الغنيمة.

وقال آخرون: بل وصفهم بالشحّ عليهم بالخير.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثني عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿أشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ قال: بالخير، المنافقون. وقال غيره: معناه: أشحة عليكم بالنفقة على ضعفاء المؤمنين منكم.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله وصف هؤلاء المنافقين بالجبن والشُّحّ، ولم يخصُص وصفهم من معاني الشحّ، بمعنى دون معنى، فهم كما وصفهم الله به أشحة

(١) كذا في الأصل، وفي «الدر المنثور» للسيوطي لا يستقى لها.

على المؤمنين بالغنيمة والخير والنفقة في سبيل الله، على أهل مسكنة المسلمين. ونصب قوله ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ على الحال من ذكر الاسم الذي في قوله ﴿وَلا يأْتُونَ البأْسَ﴾، كأنه قيل: هم جبناء عند البأس، أشحاء عند قَسْم الغنيمة، بالغنيمة. وقد يحتمل أن يكون قَطْعاً من قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللّهُ المُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾ فيكون تأويله: قد يعلم الله الذين يعوّقون الناس عن القتال، ويَشِحُّون عند الفتح بالغنيمة. ويجوز أن يكون أيضاً قَطْعاً من قوله: ﴿هلم إلينا﴾ أشحة، وهم هكذا أشحة. ووصفهم جلّ ثناؤه بما وصفهم من الشحّ على المؤمنين، لِما في أنفسهم لهم من العداوة والضِّغْن. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني يزيد بن رُومان ﴿أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ﴾ أي للضِّغْن الذي في أنفسهم.

وقوله: ﴿فإذَا جاءَ الخَوْفُ. . .﴾ إلى قوله ﴿مِنَ المَوْتِ﴾ يقول تعالى ذكره: فإذا حضر البأْس، وجاء القتال، خافوا الهلاك والقتْل، رأيتهم يا محمد ينظرون إليك لِواذاً بك، تَدُور أعينهم، خوفاً من القتل، وفراراً منه. ﴿كالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ المَوْتِ﴾ يقول: كدَوَران عين الذي يُغْشَى عليه من الموت النازل به ﴿فإذَا ذَهَبَ الخَوْفُ﴾ يقول: فإذا انقطعت الحربُ واطمأنوا ﴿سَلَقُوكُمْ بألْسِنَةٍ حِدادٍ﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فإذَا جاءَ الخَوْفُ رأيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إلَيْكَ تَدُورُ أعْيُنُهُمْ﴾ من الخوف.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني يزيد بن رومان ﴿فإذَا جاءَ الخَوْفُ رأيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إلَيْكَ تَدُورُ أعْيُنُهُمْ كالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ منَ المَوْتِ﴾: أي إعظاماً وفَرقاً منه.

وأما قوله ﴿سَلَقُوكُمْ بألْسنَةٍ حِدادٍ﴾. فإنه يقول: عَضُوكم بألسنة ذَرِبة. ويقال للرجل الخطيب الذَّرِب اللسان: خطيب مِسْلَق ومِصْلَق، وخطيب سَلاّق وصَلاّق.

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف تعالى ذكره هؤلاء المنافقين أنهم يَسْلُقون المؤمنين به، فقال بعضهم: ذلك سَلْقُهم إياهم عند الغنيمة، بمسألتهم القَسْمَ لهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فإذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بألْسِنَةٍ حِدادٍ﴾ أما عند الغنيمة، فأشحّ قوم، وأسوأ مُقاسَمَة: أعطُونا أعطُونا، فإنا قد شِهدنا معكم. وأما عند البأس فأجبن قوم، وأخذله للحق.

وقال آخرون: بل ذلك سَلْقُهُمْ إياهم بالأذى. ذكر ذلك عن ابن عباس:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله **﴿سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ﴾** قال: استقبلوكم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد **﴿سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدادٍ﴾** قال: كَلّموكم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أنهم يَسْلُقونهم من القول بما تُحبون، نفاقاً منهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني يزيد بن رُومان **﴿فإذَا ذَهَبَ الخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِألْسِنَةٍ حِدَادٍ﴾** في القول بما تحبون، لأنهم لا يرجون آخرة، ولا تَحمُلهم حِسْبة، فهم يهابون الموت هيبة من لا يرجو ما بعده.

وأشبه هذه الأقوال بما دلّ عليه ظاهر التنزيل قول من قال **﴿سَلَقُوكُمْ بِألْسِنَةٍ حِدَادٍ أشِحَّةً عَلى الخَيْرِ﴾** فأخبر أن سَلْقَهُمْ المسلمين شُحّاً منهم على الغنيمة والخير، فمعلوم إذ كان ذلك كذلك، أن ذلك لطلب الغنيمة. وإذا كان ذلك منهم لطلب الغنيمة، دخل في ذلك قول من قال: معنى ذلك: سَلَقوكم بالأذى، لأن فعلهم ذلك كذلك، لا شكّ أنه للمؤمنين أذى.

وقوله: **﴿أشِحَّةً عَلى الخَيْرِ﴾** يقول: أشحّة على الغنيمة، إذا ظفر المؤمنون. وقوله: **﴿لَمْ يُؤْمِنُوا فأحْبَطَ اللّهُ أعمالَهُمْ﴾** يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفتُ لك صفتهم في هذه الآيات، لم يصدّقوا الله ورسوله، ولكنهم أهل كفر ونِفاق. **﴿فأحبط الله أعمالهم﴾** يقول: فأذهب الله أجورَ أعمالهم وأبطلَها. وذُكر أن الذي وُصِفَ بهذه الصفة كان بَدْرِيًّا، فأحبط الله عمله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله **﴿فَأَحْبَطَ اللّهُ أعمالَهُمْ وكانَ ذلكَ على اللّهِ يَسِيراً﴾** قال: فحدثني أبي أنه كان بدرياً، وأن قوله: **﴿أحْبَطَ اللّهُ أعمالَهُمْ﴾**: أحبط الله عمله يوم بدر.

وقوله: **﴿وكانَ ذلكَ على اللّهِ يَسِيراً﴾** يقول تعالى ذكره: وكان إحباط عملهم الذي كانوا عملوا قبل ارتدادهم ونفاقهم على الله يسيراً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ

يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَآئِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾».

يقول تعالى ذكره: يحسب هؤلاء المنافقون الأحزاب، وهم قريش وغطفان. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني يزيد بن رومان ﴿**يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا**﴾ قريش وغطفان.

وقوله: ﴿**لَمْ يَذْهَبُوا**﴾ يقول: لم ينصرفوا، وإن كانوا قد انصرفوا جبناً وهَلعاً منهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا**﴾ قال: يحسبونهم قريباً.

وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «يَحْسَبُونَ الأَحْزَابَ قَدْ ذَهَبُوا، فإِذَا وَجَدُوهُمْ لَمْ يَذْهَبُوا وَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الأَعْرَابِ».

وقوله: ﴿**وَإِنْ يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنهُمْ بادُونَ فِي الأَعْرَابِ**﴾ يقول تعالى ذكره: وإن يأت المؤمنين الأحزاب وهم الجماعة: واحدهم حزب ﴿**يَوَدُّوا**﴾ يقول: يتمنوا من الخوف والجبن أنهم غيب عنكم في البادية مع الأعراب خوفاً من القتل. وذلك أن قوله: ﴿**لَوْ أَنَّهُمْ بادُونَ فِي الأَعْرَابِ**﴾ تقول: قد بدا فلان إذا صار في البدو فهو يبدو، وهو باد وأما الأعراب: فإنهم جمع أعرابيّ، وواحد العرب عربيّ، وإنما قيل أعرابيّ لأهل البدو، فرقاً بين أهل البوادي والأمصار، فجعل الأعراب لأهل البادية، والعرب لأهل المصر.

وقوله: ﴿**يَسأَلُونَ عَنْ أَنبائِكُمْ**﴾ يقول: يستخبر هؤلاء المنافقون أيها المؤمنون الناس عن أنبائكم، يعني عن أخباركم بالبادية، هل هلك محمد وأصحابه؟ نقول: يتمنون أن يسمعوا أخباركم بهلاككم، أن لا يشهدوا معكم مشاهدكم. ﴿**وَلَوْ كانُوا فِيكُمْ ما قاتَلُوا إلاَّ قَلِيلاً**﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين: ولو كانوا أيضاً فيكم ما نفعوكم، وما قاتلوا المشركين إلاّ قليلاً. يقول: إلاّ تعذيراً، لأنهم لا يقاتلونهم حسبة ولا رجاء ثواب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله ﴿**يَسأَلُونَ عَنْ أَنبائِكُمْ**﴾ قال: أخباركم. وقرأت قرّاء الأمصار جميعاً سوى عاصم الجحدري: ﴿**يَسأَلُونَ عَنْ أَنبائِكُمْ**﴾

بمعنى: يسألون من قدم عليهم من الناس عن أنباء عسكركم وأخباركم، وذكر عن عاصم الجحدري أنه كان يقرأ ذلك: «يَسَّاءَلونَ» بتشديد السين، بمعنى: يتساءلون: أي يسأل بعضهم بعضاً عن ذلك.

والصواب من القول في ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار، لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿أُسْوَةٌ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار: «إِسْوَةٌ» بكسر الألف، خلا عاصم بن أبي النجود، فإنه قرأه بالضمّ: ﴿أُسْوَةٌ﴾. وكان يحيى بن وثاب يقرأ هذه بالكسر، ويقرأ قوله ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ﴾ بالضمّ، وهما لغتان. وذُكر أن الكسر في أهل الحجاز، والضمّ في قيس. يقولون: أسوة، وأُخوة. وهذا عتاب من الله للمتخلفين عن رسول الله ﷺ وعسكره بالمدينة، من المؤمنين به. يقول لهم جلّ ثناؤه: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، أن تتأسوا به، وتكونوا معه حيث كان، ولا تتخلّفوا عنه. ﴿لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللّهَ﴾ يقول: فإن من يرجو ثواب الله ورحمته في الآخرة لا يرغب بنفسه، ولكنه تكون له به أُسوة في أن يكون معه حيث يكون هو. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني يزيد بن رومان، قال: ثم أقبل على المؤمنين، فقال ﴿لَقَدْ كانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كانَ يَرْجُو اللّهَ وَاليَوْمَ الآخِرَ﴾ أن لا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه، ولا عن مكان هو به. ﴿وَذَكَرَ اللّهَ كَثِيراً﴾ يقول: وأكثر ذكر الله في الخوف والشدّة والرخاء.

وقوله: ﴿ولَمَّا رأى المُؤْمِنُونَ الأحْزَابَ﴾ يقول: ولمَّا عاين المؤمنون بالله ورسوله جماعات الكفار قالوا تسليماً منهم لأمر الله، وإيقاناً منهم بأن ذلك إنجاز وعده لهم، الذي وعدهم بقوله ﴿أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ ولَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ...﴾ إلى قوله ﴿قَرِيبٌ﴾ هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، فأحسن الله عليهم بذلك من يقينهم، وتسليمهم لأمره الثناء، فقال: وما زادهم اجتماع الأحزاب عليهم إلاَّ إيماناً بالله وتسليماً لقضائه وأمره، ورزقهم به النصر والظفر على الأعداء. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**ولَمَّا رأى المُؤمِنُونَ الأحْزَابَ...**﴾ الآية قال: ذلك أن الله قال لهم في سورة البقرة ﴿**أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ...**﴾ إلى قوله ﴿**إنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾ قال: فلما مسهم البلاء حيث رابطوا الأحزاب في الخندق، تأوّل المؤمنون ذلك، ولم يزدهم ذلك إلاّ إيماناً وتسليماً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني يزيد بن رومان، قال: ثم ذكر المؤمنين وصدقهم وتصديقهم بما وعدهم الله من البلاء يختبرهم به ﴿**قالُوا هَذَا ما وَعَدَنا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَما زَادَهُمْ إلاَّ إيماناً وَتَسْلِيماً**﴾: أي صبراً على البلاء، وتسليماً للقضاء، وتصديقاً بتحقيق ما كان الله وعدهم ورسوله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**ولَمَّا رأى المُؤْمِنُونَ الأحْزَابَ قالُوا هَذَا ما وَعَدَنا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**﴾ وكان الله قد وعدهم في سورة البقرة فقال: ﴿**أمْ حَسِبْتُمْ أنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ ولَمَّا يَأتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ البأساءُ والضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حتى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ**﴾ خيرهم وأصبرهم وأعلمهم بالله ﴿**مَتى نَصْرُ اللَّهِ ألا إنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ**﴾ هذا والله البلاء والنقص الشديد، وإن أصحاب رسول الله ﷺ لما رأوا ما أصابهم من الشدّة والبلاء ﴿**قالُوا هَذَا ما وَعَدَنا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَما زَادَهُمْ إلاَّ إيمَاناً وَتَسْلِيماً**﴾ وتصديقاً بما وعدهم الله، وتسليماً لقضاء الله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّـٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره ﴿**مِنَ المُؤْمِنِينَ**﴾ بالله ورسوله ﴿**رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللَّهَ عَلَيهِ**﴾ يقول: أوفوا بما عاهدوه عليه من الصبر على البأساء والضرّاء، وحين البأس ﴿**فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ**﴾ يقول: فمنهم من فرغ من العمل الذي كان نذره الله وأوجبه له على نفسه، فاستشهد بعض يوم بدر، وبعض يوم أُحد، وبعض في غير ذلك من المواطن ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ**﴾ قضاءه والفراغ منه، كما قضى من مضى منهم على الوفاء لله بعهده، والنصر من الله، والظفر على عدوّه. والنَّحب: النذر في كلام العرب. وللنحب أيضاً في كلامهم وجوه غير ذلك، منها الموت، كما قال الشاعر:

قَضَى نَحْبَهُ فِي مُلْتَقَى القَوْمِ هَوْبَرُ(١)

يعني: منيته ونفسه ومنها الخطر العظيم، كما قال جرير:

بِطَخْفَةَ جالَدْنا المُلُوكَ وَخَيْلُنَا عَشِيَّةَ بِسْطامٍ جَرَيْنَ عَلى نَحْبِ(٢)

أي على خطر عظيم ومنها النحيب، يقال: نحب في سيره يومه أجمع: إذا مدّ فلم ينزل يومه وليلته ومنها التنحيب، وهو الخطار، كما قال الشاعر:

وإذْ نَحَّبَتْ كَلْبٌ على النَّاس أيُّهُمْ أحَقُّ بِتاجِ المَاجِدِ المُتَكَرِّمِ؟(٣)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني يزيد بن رومان **﴿مِنَ المُؤْمِنينَ رجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ﴾**: أي وفوا الله بما عاهدوه عليه **﴿فمنهم من قَضَى نَحْبَهُ﴾** أي فرغ من عمله، ورجع إلى ربه، كمن استشهد يوم بدر ويوم أُحد **﴿ومنهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾** ما وعد الله من نصره والشهادة على ما مضى عليه أصحابه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾** قال: عهده فقتل أو عاش **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾** يوماً فيه جهاد، فيقضي نحبه عهده، فيقتل أو يصدق في لقائه.

---

(١) هذا عجز بيت لذي الرمة وصدره:

عشية فر الحارثيون بعدما

وهو بر: اسم رجل، أراد ابن هوبر «اللسان» هبر. وقال أبو عبيدة في «مجاز القرآن»، عند قوله تعالى: ﴿فمنهم من قضى نحبه﴾: أي نذره الذي كان. والنحب أيضاً النفس: أي الموت. قال ذو الرمة: قضى نحبه... أي نفسه، وإنما هو أيضاً يزيد بن هوبر، ا هـ وفي الديوان طبعة كمبردج سنة ١٩١٩ (ص ـ ٢٣٥) أراد يزيد بن هوبر، وهو رجل من بني الحارث بن كعب.

(٢) البيت لجرير بن عطية بن الخطفي أبو عبيدة، «مجاز القرآن» الورقة (١٧٤/ب) و «اللسان» نحب قال: وجعله جرير ابن الخطفي: الخطر العظيم، قال: «بطخفة... البيت» أي خطر عظيم وطخفة، بفتح الطاء وكسرها: جبل أحمر طويل في ديار بني تميم. كانت به وقعة بين بني يربوع، وقابوس بن النعمان، وكان النعمان قد بعث إليهم جيشاً، وأمر عليه ابنه قابوس وأخاه حسان، فهزمتهم بنو يربوع بطخفة، وأسروها حتى منوا عليهما، فذلك الذي أراد جرير (انظر معجم ما استعجم للبكري طخفة).

(٣) البيت للفرزدق ديوانه طبعة الصاوي بالقاهرة (ص ـ ٧٥٩) والتنحيب هنا مصدر نحب، بشد الحاء أي صاح أو نادى بشدة. وأصل التنحيب: الدأب عن الشيء، والإكباب عليه لا يفارقه «اللسان» نحب. وجعله المؤلف بمعنى الخطار، ولعله يريد المخاطر بالنفس.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن ابن جريج، عن مجاهد **﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾** قال: عهده **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾** قال: يوماً فيه قتال، فيصدق في اللقاء.

قال: ثنا أبي، عن سفيان، عن مجاهد **﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾** قال: مات على العهد.

قال: ثنا أبو أُسامة، عن عبد الله بن فلان قد سماه ذهب عني اسمه عن أبيه **﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾** قال: نذره.

حدثنا ابن إدريسّ، عن طلحة بن يحيى، عن عمه عيسى بن طلحة: أن أعرابياً أتى النبيّ ﷺ، فسأله: من الذين قضوا نحبهم؟ فأعرض عنه، ثم سأله، فأعرض عنه، ودخل طلحة من باب المسجد وعليه ثوبان أخضران، فقال: «هَذَا مِنَ الَّذِينَ قَضَوْا نَحْبَهُمْ».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا هوّذة، قال: ثنا عوف، عن الحسن، قوله **﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾** قال: موته على الصدق والوفاء. **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾** الموت على مثل ذلك، ومنهم من بدّل تبديلا[(١)].

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن سعيد بن مسروق، عن مجاهد **﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾** قال: النحب: العهد.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة **﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدوا اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾** على الصدق والوفاء **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾** من نفسه الصدق والوفاء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله **﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾** قال: مات على ما هو عليه من التصديق والإيمان **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾** ذلك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي بكير، قال شريك بن عبد الله، أخبرناه عن سالم، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس **﴿فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ﴾** قال: الموت على ما عاهد الله عليه **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ﴾** الموت على ما عاهد الله عليه.

وقيل: إن هذه الآية نزلت في قوم لم يشهدوا بدراً، فعاهدوا الله أن يفوا قتالاً للمشركين مع رسول الله ﷺ، فمنهم من أوفى فقضى نحبه، ومنهم من بدّل، ومنهم من أوفى ولم يقض نحبه، وكان منتظراً، على ما وصفهم الله به من صفاتهم في هذه الآية.

---

(١) الذي في «الدر المنثور» بدله وآخرون ما بدلوا تبديلاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، أن أنس بن النضر تغيب عن قتال بدر، فقال: تغيبت عن أوّل مشهد شهده رسول الله ﷺ، لئن رأيت قتالاً ليرينّ الله ما أصنع فلما كان يوم أُحُد، وهُزم الناس، لقي سعد بن معاذ فقال: والله إني لأجدُ ريح الجنة، فتقدّم فقاتل حتى قُتل، فنزلت فيه هذه الآية: ﴿**مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ فَمِنهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ**﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الله بن بكير، قال: ثنا حميد، قال: زعم أنس بن مالك قال: غاب أنس بن النضر، عن قتال يوم بدر، فقال: غبت عن قتال رسول الله ﷺ المشركين، لئن أشهدني الله قتالاً، ليرينّ الله ما أصنع فلما كان يوم أُحُد، انكشف المسلمون، فقال: اللهم إني أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء المشركون، وأعتذر إليك مما صنع هؤلاء، يعني المسلمين، فمشى بسيفه، فلقيه سعد بن معاذ، فقال: أي سعد إني لأجد ريح الجنة دون أُحُد. فقال سعد: يا رسول الله فما استطعت أن أصنع ما صنع. قال أنس بن مالك: فوجدناه بين القتلى، به بضع ثمانون جراحة، بين ضربة بسيف، وطعنة برمح، ورمية بسهم، فما عرفناه حتى عرفته أخته ببنانه. قال أنس: فكنا نتحدّث أن هذه الآية ﴿**مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ**﴾ نزلت فيه، وفي أصحابه.

حدثنا سوار بن عبد الله، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت حميداً يحدّث، عن أنس بن مالك، أن أنس بن النضر، غاب عن قتال بدر، ثم ذكر نحوه.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا طلحة بن يحيى، عن موسى وعيسى بن طلحة عن طلحة أن أعرابياً أتى رسول الله ﷺ، قال: وكانوا لا يجرءون على مسألته، فقالوا للأعرابي: سله ﴿**مَنْ قَضَى نَحْبَهُ**﴾ من هو؟ فسأله، فأعرض عنه، ثم سأله، فأعرض عنه، ثم دخلت من باب المسجد وعليّ ثياب خُضر فلما رآني رسول الله ﷺ قال: «أيْنَ السَّائِلُ عَمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ؟» قال الأعرابيّ: أنا يا رسول الله، قال: «هَذَا مِمَّنْ قَضَى نَحْبَهُ».

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا عبد الحميد الحِمَّاني، عن إسحاق بن يحيى الطَّلْحِي، عن موسى بن طلحة، قال: قام معاوية بن أبي سفيان، فقال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «طَلْحَةُ ممَّنْ قَضَى نَحْبَهُ».

حدثني محمد بن عمرو بن تمام الكلبي، قال: ثنا سليمان بن أيوب، قال: ثني أبي، عن إسحاق، عن يحيى بن طلحة، عن عمه موسى بن طلحة، عن أبيه طلحة، قال: لما قدمنا

من أُحُد وصرنا بالمدينة، صعد النبيّ ﷺ المنبر، فخطب الناس وعزّاهم، وأخبرهم بما لهم فيه من الأجر، ثم قرأ: ﴿**رِجالٌ صَدَقُوا ما عاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ. . .**﴾ الآية، قال: فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، من هؤلاء؟ فالتفت وعليّ ثوبات أخضران، فقال: «أيُّها السَّائِلُ هَذَا مِنْهُمْ».

وقوله: ﴿**وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾: وما غيروا العهد الذي عاقدوا ربهم تغييراً، كما غيره المعوّقون القائلون لإخوانهم: هلّ إلينا، والقائلون: إن بيوتنا عورة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾ يقول: ما شكُّوا وما تردّدوا في دينهم، ولا استبدلوا به غيره.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**وَما بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾: لم يغيروا دينهم كما غير المنافقون.

وقوله: ﴿**لِيَجْزِيَ اللّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ**﴾ يقول تعالى ذكره ﴿**مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللّهَ عَلَيْهِ لِيَجْزِيَ اللّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ**﴾: يقول: ليثيب الله أهل الصدق بصدقهم الله بما عاهدوه عليه، ووفائهم له به ﴿**وَيُعَذِّبَ المُنافِقِينَ إنْ شاءَ**﴾ بكفرهم بالله ونفاقهم ﴿**أوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**﴾ من نفاقهم، فيهديهم للإيمان. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**وَيُعَذِّبَ المُنافِقِينَ إنْ شاءَ، أوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**﴾ يقول: إن شاء أخرجهم من النفاق إلى الإيمان.

إن قال قائل: ما وجه الشرط في قوله ﴿**وَيُعَذِّبَ المُنافِقِينَ**﴾ بقوله: ﴿**إنْ شاءَ**﴾ والمنافق كافر وهل يجوز أن لا يشاء تعذيب المنافق، فيقال ويعذّبه إن شاء؟ قيل: إن معنى ذلك على غير الوجه الذي توهمته. وإنما معنى ذلك: ويعذّب المنافقين بأن لا يوفقهم للتوبة من نفاقهم حتى يموتوا على كفرهم إن شاء، فيستوجبوا بذلك العذاب، فالاستثناء إنما هو من التوفيق لا من العذاب إن ماتوا على نفاقهم.

وقد بين ما قلنا في ذلك قوله: ﴿**أوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ**﴾ فمعنى الكلام إذن: ويعذّب المنافقين إذ لم يهدهم للتوبة، فيوفقهم لها، أو يتوب عليهم فلا يعذّبهم.

وقوله: ﴿**إنَّ اللّهَ كانَ غَفُوراً رَحِيماً**﴾ يقول: إن الله كان ذا ستر على ذنوب التائبين، رحيماً بالتائبين أن يعاقبهم بعد التوبة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥)﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وردَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا**﴾ به وبرسوله من قُرَيش وغطفان ﴿**بغَيْظِهِمْ**﴾ يقول: بكربهم وغمهم، بفوتهم ما أمَّلوا من الظفر، وخيبتهم مما كانوا طَمِعوا فيه من الغَلَبة ﴿**لَمْ يَنَالُوا خَيْراً**﴾ يقول: لم يصيبوا من المسلمين مالاً ولا إساراً ﴿**وكَفَى اللَّهُ المُؤمِنِينَ القِتالَ**﴾ بجنود من الملائكة والريح التي بعثها عليهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً**﴾ الأحزاب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً**﴾ وذلك يوم أبي سفيان والأحزاب، ردّ الله أبا سفيان وأصحابه بغيظهم لم ينالوا خيراً ﴿**وكَفَى اللَّهُ المُؤْمِنِينَ القِتالَ**﴾ بالجنود من عنده، والريح التي بعث عليهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني يزيد بن رومان ﴿**وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنالُوا خَيْراً**﴾: أي قريش وغطفان.

حدثني الحسين بن عليّ الصُّدائي، قال: ثنا شبابة، قال: ثنا ابن أبي ذئب، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري، عن أبيه، قال: حُبِسنا يوم الخندق عن الصلاة، فلم نصلّ الظهر، ولا العصر، ولا المغرب، ولا العشاء، حتى كان بعد العشاء بهويّ كفينا، وأنزل الله: ﴿**وكَفَى اللَّهُ المُؤْمِنِينَ القِتالَ، وكانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً**﴾ فأمر رسول الله ﷺ بلالاً، فأقام الصلاة، وصلى الظهر، فأحسن صلاتها، كما كان يصليها في وقتها، ثم صلى العصر كذلك، ثم صلى المغرب كذلك، ثم صلى العشاء كذلك، جعل لكل صلاة إقامة، وذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف ﴿**فإنْ خِفْتُمْ فِرِجالاً أوْ رُكْباناً**﴾.

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا ابن أبي فديك، قال: ثنا ابن أبي ذئب، عن المقبري عن عبد الرحمن بن أبي سعيد، عن أبي سعيد الخدري قال: حُبسنا يوم الخندق، فذكر نحوه.

وقوله: ﴿**وكانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً**﴾ يقول: وكان الله قوياً على فعل ما يشاء فعله بخلقه، فينصر

من شاء منهم على من شاء أن يخذله، لا يغلبه غالب ﴿عزيزاً﴾ يقول: هو شديد انتقامه ممن انتقم منه من أعدائه. كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وكانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزاً﴾: قوياً في أمره، عزيزاً في نقمته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وأنزل الله الذين أعانوا الأحزاب من قريش وغطفان على رسول الله ﷺ وأصحابه، وذلك هو مظاهرتهم إياه، وعنى بذلك بني قريظة، وهم الذين ظاهروا الأحزاب على رسول الله ﷺ. وقوله ﴿مِنْ أهْلِ الكِتابِ﴾ يعني: من أهل التوراة، وكانوا يهود: وقوله: ﴿مِنْ صَياصِيهِمْ﴾ يعني: من حصونهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وأنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ﴾ قال قريظة، يقول: أنزلهم من صياصيهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿وأنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ﴾ وهم بنو قُرَيظة، ظاهروا أبا سفيان وراسلوه، فنكثوا العهد الذي بينهم وبين نبيّ الله. قال: فبينا رسول الله ﷺ عند زينب بنت جحش يغسل رأسه، وقد غسلت شقه، إذ أتاه جبرائيل ﷺ، فقال: عفا الله عنك، ما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة، فانهض إلى بني قريظة، فإني قد قطعت أوتارهم، وفتحت أبوابهم، وتركتهم في زلزال وبلبال قال: فاستلأم رسول الله ﷺ، ثم سلك سكة بني غنم، فاتبعه الناس وقد عصب حاجبه بالتراب قال: فأتاهم رسول الله ﷺ فحاصروهم وناداهم: يا إخوان القردة، فقالوا: يا أبا القاسم ما كنت فحاشاً، فنزلوا على حكم ابن معاذ، وكان بينهم وبين قومه حلف، فرجوا أن تأخذه فيهم هوادة، وأومأ إليهم أبو لبابة أنه الذبح، فأنزل الله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ والرَّسُولَ وتَخُونُوا أماناتكمْ وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وأن تسبى ذراريهم، وأن عقارهم للمهاجرين دون الأنصار، فقال قومه وعشيرته: آثرت المهاجرين بالعقار علينا قال: فإنكم كنتم ذوي عقار، وإن

المهاجرين كانوا لا عقار لهم. وذُكر لنا أن رسول الله ﷺ كبر وقال: «قَضَى فِيكُمْ بِحُكْمِ اللّهِ».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما انصرف رسول الله ﷺ عن الخندق راجعاً إلى المدينة والمسلمون، ووضعوا السلاح، فلما كانت الظهر أتى جبريل رسول الله ﷺ. كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن ابن شهاب الزهري معتجراً بعمامة من استبرق، على بغلة عليها رحالة، عليها قطيفة من ديباج فقال: أقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: «نعم»، قال جبريل: ما وضعت الملائكة السلاح بعد، ما رجعت الآن إلاَّ من طلب القوم، إن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة، وأنا عامد إلى بني قريظة، فأمر رسول الله ﷺ منادياً، فأذّن في الناس: إن من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلينّ العصر إلاَّ في بني قريظة. وقدّم رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه برايته إلى بني قريظة وابتدرها الناس، فسار عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه حتى إذا دنا من الحصون، سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ﷺ منهم فرجع حتى لقي رسول الله ﷺ بالطريق، فقال: يا رسول الله لا عليك ألاَّ تدنو من هؤلاء الأخباث، قال: «لِمَ؟ أظُنُّكَ سَمِعْتَ لي مِنْهُمْ أذًى»، قال: نعم يا رسول الله. قال: «لَوْ قَدْ رأَوْنِي لَمْ يقُولُوا مِنْ ذلكَ شَيْئاً». فلما دنا رسول الله ﷺ من حصونهم قال: «يا إخْوَانَ القِرَدَة هَلْ أخْزَاكُمُ اللّهُ وأنْزَلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ؟» قالُوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولاً ومرّ رسول الله ﷺ على أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال: «هل مَرَّ بِكُمْ أحَدٌ؟» فقالوا: يا رسول الله، قد مرّ بنا دِحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج، فقال رسول الله ﷺ: «ذَاكَ جَبْرَائِيلُ بعِثَ إلى بَنِي قُرَيْظَةَ يُزَلْزِلُ بِهِمْ حُصُونَهُمْ، وَيَقْذفُ الرُّعْبَ فِي قُلُوبِهِمْ» فلما أتى رسول الله ﷺ قريظة نزل على بئر من آبارها في ناحية من أموالهم يقال لها: بئر أنا، فتلاحق به الناس، فأتاه رجال من بعد العشاء الآخرة، ولم يصلوا العصر لقول رسول الله ﷺ: «لا يُصَلِّيَنَّ أحَدٌ العَصْرَ إلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»، فصلوا العصر فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسوله.

والحديث عن محمد بن إسحاق، عن أبيه، عن معبد بن كعب بن مالك الأنصاري، قال: وحاصرهم رسول الله ﷺ خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب. وقد كان حُيَيُّ بن أخطب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده عليه فلما أيقنوا بأن رسول الله ﷺ غير منصرف عنهم حتى يناجزهم، قال كعب بن أسد لهم: يا معشر يهود، إنه قد نزل بكم من الأمر ما ترون، وإني عارض عليكم خلالاً ثلاثاً، فخذوا أيها قالوا: وما هنّ؟ قال: نبايع هذا الرجل ونصدّقه، فوالله لقد تبين لكم إنه لنبيّ مرسل، وإنه الذي كنتم تجدونه في كتابكم، فتأمنوا على دمائكم وأموالكم

وأبنائكم ونسائكم، قالوا: لا نفارق حكم التوراة أبداً، ولا نستبدل به غيره قال: فإذا أبيتم هذه عليّ، فهلمّ فلنقتل أبناءنا ونساءنا، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مصلتين بالسيوف، ولم نترك وراءنا ثقلاً يهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا شيئاً نخشى عليه، وإن نظهر فلعمري لنتخذنّ النساء والأبناء، قالوا: نقتل هؤلاء المساكين، فما خير العيش بعدهم قال: فإذا أبيتم هذه عليّ، فإن الليلة ليلة السبت، وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا، فانزلوا لعلنا أن نصيب من محمد وأصحابه غرّة. قالوا: نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا؟ أما من قد علمت فأصابهم من المسخ ما لم يخف عليك؟ قال: ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً، قال: ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله ﷺ: أن ابعث إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف، وكانوا من حلفاء الأوس، نستشيره في أمرنا فأرسله رسول الله ﷺ فلما رأوه قام إليه الرجال، وجهش إليه النساء والصبيان يبكون في وجهه، فرقّ لهم وقالوا له: يا أبا لبابة، أترى أن ننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، إنه الذبح قال أبو لبابة: فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت أني قد خُنت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه، ولم يأت رسول الله ﷺ حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عُمده وقال: لا أبرح مكاني حتى يتوب الله عليّ مما صنعت وعاهد الله لا يطأ بني قريظة أبداً ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً. فلما بلغ رسول الله ﷺ خبره، وكان قد استبطأه، قال: «أما إِنَّهُ لَوْ كانَ جاءَنِي لاسْتَغْفَرْتُ لَهُ. أمَّا إِذْ فَعَلَ ما فَعَلَ، فَمَا أنا بالَّذي أُطْلِقُهُ مِنْ مَكانِهِ حتى يَتُوبَ اللَّهُ عَلَيْهِ» ثم إن ثعلبة بن سعية، وأسيد بن سعية، وأسد بن عبيد، وهم نفر من بني هذيل ليسوا من بني قريظة، ولا النضير، نسبهم فوق ذلك، هم بنو عمّ القوم، أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها قريظة على حكم رسول الله ﷺ، وخرج في تلك الليلة عمرو بن سعدى القرظي، فمرّ بحرس رسول الله ﷺ، وعليه محمد بن مسلمة الأنصاري تلك الليلة فلما رآه قال: مَنْ هَذَا؟ قال: عمرو بن سعدى وكان عمرو قد أبى أن يدخل مع بني قريظة في غدرهم برسول الله ﷺ وقال: لا أغدر بمحمد أبداً، فقال محمد بن مسلمة حين عرفه: اللهمّ لا تحرمني إقالة عثرات الكرام، ثم خلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة، ثم ذهب، فلا يُدرى أين ذهب من أرض الله إلى يومه هذا فذُكر لرسول الله ﷺ شأنه، فقال: «ذَاكَ رَجُلٌ نَجّاهُ اللَّهُ بِوَفائِهِ». قال: وبعض الناس كان يزعم أنه كان أُوثق برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فأصبحت رمته مُلقاة، ولا يُدرَى أين ذهب، فقال رسول الله ﷺ تلك المقالة، فالله أعلم.

فلما أصبحوا، نزلوا على حكم رسول الله ﷺ، فتواثبت الأوس، فقالوا: يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج، وقد فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت، وقد كان رسول الله ﷺ قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع، وكانوا حلفاء الخزرج، فنزلوا على حكمه، فسأله إياهم

عبد الله بن أُبيّ بن سلول، فوهبهم له فلما كلَّمته الأوس، قال رسول الله ﷺ: «ألا تَرْضَوْنَ يا مَعْشَرَ الأَوْسِ أنْ يَحْكُمَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْكُمْ؟» قالوا: بلى، قال: «فَذَاكَ إلى سَعْدِ بْنِ مُعاذٍ» وكان سعد بن معاذ قد جعله رسول الله ﷺ في خيمة امرأة من أسلم يقال لها رفيدة في مسجده، كانت تداوي الجَرْحَى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين. وكان رسول الله ﷺ قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخندق: «اجْعَلُوهُ فِي خَيْمَةِ رُفِيْدَةَ حتى أعُودَهُ مِنْ قَرِيبٍ» فلما حكَّمه رسول الله ﷺ في بني قريظة، أتاه قومه فاحتملوه على حمار، وقد وطئوا له بوسادة من أدم، وكان رجلاً جسيماً، ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ، وهم يقولون: يا أبا عمرو أحسن في مواليك، فإن رسول الله ﷺ ولاك ذلك لتُحسن فيهم فلما أكثروا عليه قال: قد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل، فنعى إليهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ من كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد إلى رسول الله ﷺ والمسلمين، قال: قوموا إلى سيدكم، فقاموا إليه فقالوا: يا أبا عمرو إن رسول الله ﷺ ولاك مواليَك لتحكم فيهم، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه، إن الحكم فيهم كما حكمت، قال: نعم، قال: وعلى من ههنا في الناحية التي فيها رسول الله ﷺ، وهو معرض عن رسول الله ﷺ إجلالاً له، فقال رسول الله ﷺ: «نَعَمْ»، قال سعد: فإني أحكم فيهم أن تُقتل الرجال، وتقسَّم الأموال، وتُسبى الذراري والنساء.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: فحدثني محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن عبد الرحمن بن عمرو بن سعد بن معاذ، عن علقمة بن وقاص الليثي، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعَةِ أَرْقِعَةٍ»، ثم استنزلوا، فحبسهم رسول الله ﷺ في دار ابنة الحارث امرأة من بني النَّجار. ثم خرج رسول الله ﷺ إلى سوق المدينة، التي هي سوقها اليوم، فخندق بها خنادق، ثم بعث إليهم، فضرب أعناقهم في تلك الخنادق، يخرج بهم إليه أرسالاً، وفيهم عدوّ الله حُيَيّ بن أخطب، وكعب بن أسد رأس القوم، وهم ستّ مئة أو سبع مئة، والمكثر منهم يقول: كانوا من الثمان مئة إلى التسع مئة، وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم إلى رسول الله ﷺ أرسالاً: يا كعب، ما ترى ما يُصنع بنا؟ فقال كعب: أفي كلّ موطن لا تعقلون؟ ألا ترون الداعي لا ينزع، وإنه من يُذهب به منكم فما يرجع، هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم رسول الله ﷺ، وأُتي بحُييّ بن أخطب عدوّ الله، وعليه حلة له فُقَّاحية قد شققها عليه من كل ناحية كموضع الأنملة أنملة أنملة، لئلا يسلبها مجموعة يداه إلى عنقه بحبل، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ قال: أما والله ما لمت نفسي في عداوتك، ولكنه من يخذل الله يُخذَل ثم أقبل على الناس فقال: أيها الناس، إنه لا بأس بأمر الله، كتابَ الله وقدره، وملحمة قد كُتِبت على بني إسرائيل، ثم جلس فضربت عنقه فقال جبل بن جوّال الثعلبي:

لعَمرُكَ ما لامَ ابنُ أخطَبَ نَفسه ولكنَّهُ مَنْ يَخذُلِ اللّهَ يُخذَلِ
لجَاهَدَ حتى أبلَغَ النَّفسَ عُذرَها وقَلقَلَ يَبغي العِزَّ كلَّ مُقلْقَلِ[1]

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن جعفر بن الزبير، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، قالت: لم يقتل من نسائهم إلاّ امرأة واحدة، قالت: والله إنها لعندي تحدّث معي وتضحك ظهراً، ورسول الله ﷺ يقتل رجالهم بالسوق، إذ هتف هاتف باسمها: أين فلانة؟ قالت: أنا والله. قالت: قلت: ويلك ما لك؟ قالت: أقتل؟ قلت: ولِمَ؟ قالت: لحدث أحدثته قال: فانطلق بها، فضُربت عنقها، فكانت عائشة تقول: ما أنسى عجبي منها طيب نفس، وكثرة ضحك، وقد عرفت أنها تُقتل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني زيد بن رومان ﴿**وأنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ**﴾ والصياصي: الحصون والآطام التي كانوا فيها ﴿**وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ**.

حدثنا عمرو بن مالك البكري، قال: ثنا وكيع بن الجرّاح وحدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة ﴿**مِنْ صَياصِيهِمْ**﴾ قال: من حصونهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعاً، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**مِنْ صَياصِيهِمْ**﴾ يقول: أنزلهم من صياصيهم، قال: قصورهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿**مِنْ صَياصِيهِمْ**﴾: أي من حصونهم وآطامهم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وأنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهمْ مِنْ أهْلِ الكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ**﴾ قال: الصياصي: حصونهم التي ظنوا أنها مانعتهم من الله تبارك وتعالى.

وأصل الصياصي: جمع صيصة وعنى بها ههنا: حصونهم والعرب تقول لطرف الجبل: صيصة ويقال لأصل الشيء: صيصة يقال: جزّ الله صيصة فلان: أي أصله ويقال لشوك الحاكة: صياصي، كما قال الشاعر:

---

(١) البيتان لجبل بن جوال الثعلبي، ومن بني ثعلبة بن سعد بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان، وكان يهودياً فأسلم، وكانت له صحبة عن «**الروض الأنف**» للسهيلي، و «**الاستيعاب**» لابن عبد البر. وانظر «**سيرة ابن هشام**» طبعة الحلبي (٣/ ٢٥٢) ومعنى قلقل: أي تحرك. وقد قال البيتين عند مقتل حي بن أخطب رأس بني قريظة.

كَوَقْعِ الصَّياصِي فِي النَّسِيجِ المُمَدَّدِ[(١)]

وهي شوكتا الديك. وقوله: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ يقول: وألقى في قلوبهم الخوف منكم ﴿فَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ يقول: تقتلون منهم جماعة، وهم الذين قتل رسول الله ﷺ منهم حين ظهر عليهم ﴿وتَأْسِرُونَ فَرِيقاً﴾ يقول: وتأسرون منهم جماعة، وهم نساؤهم وذراريهم الذين سبوا، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَرِيقاً تَقْتُلُونَ﴾ الذين ضربت أعناقهم ﴿وتَأْسِرُونَ فَرِيقاً﴾ الذين سبوا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني يزيد بن رومان ﴿فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وتَأْسِرُونَ فَرِيقاً﴾ أي قتل الرجال وسبى الذراريّ والنساء. ﴿وأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيارَهُمْ وأمْوَالَهُم﴾ يقول: وملّككم بعد مهلكهم أرضهم، يعني مزارعهم ومغارسهم ﴿وديارهم﴾ يقول: ومساكنهم ﴿وأموالهم﴾ يعني سائر الأموال غير الأرض والدور.

وقوله: ﴿وأَرْضاً لَمْ تَطَئُوها﴾ اختلف أهل التأويل فيها، أيّ أرض هي؟ فقال بعضهم: هي الروم وفارس ونحوها من البلاد التي فتحها الله بعد ذلك على المسلمين.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وأَرْضاً لَمْ تَطَئُوها﴾ قال: قال الحسن: هي الروم وفارس، وما فتح الله عليهم.

وقال آخرون: هي مكة. وقال آخرون: بل هي خيبر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: ثني يزيد بن رومان ﴿وأَرْضاً

---

(١) هذا عجز بيت لدريد بن الصمة، وصدره:

فجئت إليه والرماح تنوشه

«**لسان العرب**» صيص. قال أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» الورقة (١٩٤/ ١) عند قوله تعالى: ﴿من صياصيهم﴾: أي من حصونهم وأصولهم. وهي أيضاً شوكة الحاكة، قال:

كوقع الصياصي في النسيج المدد

وهي شوكتا الديك، وهي قرن للبقرة أيضاً ا هـ. وفي «**اللسان**» صيص: والصيصة: شوكة الحائك التي يسوي بها السداة واللحمة، قال دريد بن الصمة. فجئت إليه.. البيت». ومنه صيصية الديك التي في رجله. وصياصي البقر: قرونها. وربما كانت تركب في الرماح مكان الأسنة. والصياصي: الحصون. وكل شيء امتنع به وتحصن به فهو صيصية. ومنه قيل للحصون الصياصي.

لَمْ تَطَئُوها﴾ قال: خيبر.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿وأوْرَثَكُمْ أرْضَهُمْ وَدِيارَهُمْ﴾ قال: قُرَيظة والنضير أهل الكتاب ﴿وأرْضاً لَمْ تَطَئُوها﴾ قال: خيبر.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنه أورث المؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ أرض بني قريظة وديارهم وأموالهم، وأرضاً لم يطئوها يومئذٍ ولم تكن مكة ولا خَيبر، ولا أرض فارس والروم ولا اليمن، مما كان وطئوه يومئذٍ، ثم وطئوا ذلك بعد، وأورثهموه الله، وذلك كله داخل في قوله ﴿وأرْضاً لَمْ تَطَئُوها﴾ لأنه تعالى ذكره لم يخصص من ذلك بعضاً دون بعض. ﴿وكانَ اللّهُ على كُلّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾ يقول تعالى ذكره: وكان الله على أن أورث المؤمنين ذلك، وعلى نصره إياهم، وغير ذلك من الأمور ذا قدرة، لا يتعذّر عليه شيء أراده، ولا يمتنع عليه فعل شيء حاول فعله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٢٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿لأزْوَاجِكَ إنْ كُنتنَّ تُرِدْنَ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ يقول فإني أمتعكن ما أوجب الله على الرجال للنساء من المتعة عند فراقهم إياهنّ بالطلاق بقوله: وَمَتِّعُوهُنَّ على المُوسِعِ قَدَرُهُ، وَعلى المُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتاعاً بالمَعْرُوفِ حَقًّا على المُحْسِنِينَ وقوله: ﴿وأُسَرِّحْكُنَّ سَراحاً جَمِيلاً﴾ يقول: وأطلقكنّ على ما أذن الله به، وأدّب به عباده بقوله: ﴿إذَا طَلَّقْتُمُ النِّساءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾. ﴿وَإنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾ يقول: وإن كنتنّ تردن رضا الله ورضا رسوله وطاعتهما فأطعنهما ﴿فإنَّ اللّهَ أعَدَّ للْمُحْسِناتِ مِنْكُنَّ﴾ وهن العاملات منهنّ بأمر الله وأمر رسوله ﴿أجْراً عَظِيماً﴾.

وذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ من أجل أن عائشة سألت رسول الله ﷺ شيئاً من عرض الدنيا، إما زيادة في النفقة، أو غير ذلك، فاعتزل رسول الله ﷺ نساءه شهراً فيما ذكر، ثم أمره الله أن يخيرهنّ بين الصبر عليه، والرضا بما قسم لهنّ، والعمل بطاعة الله، وبين أن يمتِّعهنّ ويفارقهنّ إن لم يرضين بالذي يقسم لهن. وقيل: كان سبب ذلك غيرة كانت عائشة غارتها. ذكر الرواية بقول من قال: كان ذلك من أجل شيء من النفقة وغيرها.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، عن أيوب، عن أبي الزبير، أن رسول

الله ﷺ لم يخرج صلوات، فقالوا: ما شأنه؟ فقال عمر: إن شئتم لأعلمنّ لكم شأنه فأتى النبيّ ﷺ، فجعل يتكلم ويرفع صوته، حتى أذن له. قال: فجعلت أقول في نفسي: أيّ شيء أكلم به رسول الله ﷺ لعله يضحك، أو كلمة نحوها؟ فقلت: يا رسول الله لو رأيت فلانة وسألتني النفقة فصككتها صكة، فقال: «ذلكَ حَبَسَنِي عَنكُمْ» قال: فأتى حفصة، فقال: لا تسألي رسول الله ﷺ شيئاً، ما كانت لك من حاجة فإليّ ثم تتبع نساء النبيّ ﷺ، فجعل يكلمهنّ، فقال لعائشة: أيغرّك أنك امرأة حسناء، وأن زوجك يحبك؟ لتنتهينّ، أو لينزلنّ فيك القرآن قال: فقالت أمّ سلمة: يا ابن الخطّاب، أو مَا بقي لك إلاّ أن تدخل بين رسول الله ﷺ وبين نسائه، ولن تسأل المرأة إلا لزوجها قال: ونزل القرآن ﴿**يا أيُها النَّبِيُ قُلْ لأَزْوَاجِكَ إنْ كُنتُنَّ تُرِدْنَ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَهَا...**﴾ إلى قوله ﴿**أجْراً عَظِيماً**﴾ قال: فبدأ بعائشة فخيرها، وقرأ عليها القرآن، فقالت: هل بدأت بأحد من نسائك قبلي؟ قال: «لا»، قالت: فإني أختار الله ورسوله، والدار الآخرة، ولا تخبرهنّ بذلك قال: ثم تتبعهنّ فجعل يخيرهنّ ويقرأ عليهنّ القرآن، ويخبرهن بما صنعت عائشة، فتتابعن على ذلك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يا أيُها النَّبِيُ قُلْ لاِءَزْوَاجِكَ إنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً...**﴾ إلى قوله: ﴿**أجْراً عَظِيماً**﴾ قال: قال الحسن وقتادة: خيرهنّ بين الدنيا والآخرة والجنة والنار في شيء كنّ أردنه من الدنيا. وقال عكرمة في غيرة: كانت غارتها عائشة، وكان تحته يومئذٍ تسع نسوة، خمس من قُرَيش: عائشة، وحفصة، وأمّ حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأمّ سلمة بنت أبي أميّة، وكانت تحته صفية ابنة حُييّ الخَيبرية، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وزينب بنت جحش الأسدية، وجُوَيرية بنت الحارث من بني المصطلق، وبدأ بعائشة، فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة، رُئي الفرح في وجه رسول الله ﷺ، فتتابعن كلهنّ على ذلك واخترن الله ورسوله والدار الآخرة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، وهو قول قتادة، في قول الله ﴿**يا أيُها النَبِيُ قُلْ لاِءَزْوَاجِكَ إنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها...**﴾ إلى قوله ﴿**عَظِيماً**﴾ قالا: أمره الله أن يخيرهنّ بين الدنيا والآخرة والجنة والنار قال قتادة: وهي غيرة من عائشة في شيء أرادته من الدنيا، وكان تحته تسع نسوة: عائشة، وحفصة، وأمّ حبيبة بنت أبي سفيان، وسودة بنت زمعة، وأمّ سلمة بنت أبي أميّة، وزينب بنت جحش، وميمونة بنت الحارث الهلالية، وجُوَيرية بنت الحارث من بني المصطلق، وصفية بنت حُييّ بن أخطب فبدأ بعائشة، وكانت أحبهنّ إليه فلما اختارت الله ورسوله والدار الآخرة، رُئي الفرح في وجه رسول الله ﷺ فتتابعن على ذلك.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، وهو قول قتادة قال: لما اخترْنَ الله ورسوله شكرهنّ الله على ذلك فقال ﴿**لا يحلُّ لكَ النساءُ مِنْ بَعدُ وَلاَ أنْ تَبَدَّلَ بهنَّ مِنْ أزْوَاجٍ وَلَوْ أعْجبكَ حُسنُهنَّ**﴾ فقصره الله عليهنّ، وهنّ التسع اللاتي اخترن الله ورسوله.

ذكر من قال ذلك من أجل الغيرة:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿**تُرْجِي مَنْ تشاءُ مِنْهُنَّ، وَتُؤْوِي إلَيكَ مَنْ تَشاءُ...**﴾ الآية، قال: كان أزواجه قد تغايرن على النبيّ ﷺ، فهجرهنّ شهراً، نزل التخيير من الله له فيهنّ ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لاِءَزْوَاجِكَ إنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَياةَ الدُّنيا وَزِينَتَها**﴾ فقرأ حتى بلغ ﴿**وَلا تبرَّجْنَ تَبرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأولى**﴾ فخيرهنّ بين أن يخترن أن يخلي سبيلهنّ ويسرّحهنّ، وبين أن يقمن إن أردن الله ورسوله على أنهنّ أمّهات المؤمنين، لا ينكحن أبداً، وعلى أنه يؤوي إليه من يشاء منهنّ، لمن وهب نفسه له حتى يكون هو يرفع رأسه إليها، ويرجي من يشاء حتى يكون هو يرفع رأسه إليها، ومن ابتغى ممن هي عنده وعزل فلا جناح عليه، ذلك أدنى أن تقرّ أعينهنّ، ولا يحزنّ، ويرضين إذا علمن أنه من قضائي عليهنّ، إيثار بعضهنّ على بعض، أدنى أن يرضين قال: ﴿**ومن ابتغيت ممن عزلت**﴾ من ابتغى أصابه، ومن عزل لم يصبه، فخيرهنّ بين أن يرضين بهذا، أو يفارقهنّ، فاخترن الله ورسوله، إلاّ امرأة واحدة بدوية ذهبت وكان على ذلك، وقد شرط له هذا الشرط، ما زال يعدل بينهنّ حتى لقي الله.

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي، قال: ثنا أبو عوانة، عن عمر بن أبي سلمة، عن أبيه، قال: قالت عائشة: لما نزل الخيار، قال لي رسول الله ﷺ: «إنّي أُرِيدُ أنْ أذْكُرَ لَكِ أمْراً فَلا تَقْضِي فِيهِ شَيْئاً حتى تَسْتأْمِرِي أبَوَيْكِ» قالت: قلت: وما هو يا رسول الله؟ قال: فردّه عليها، فقالت: ما هو يا رسول الله؟ قال: فقرأ عليهنّ ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لأزْوَاجِكَ إنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَياةَ الدُّنيا وَزِينَتَها...**﴾ إلى آخر الآية قالت: قلت: بل نختار الله ورسوله قالت: ففرح بذلك النبيّ ﷺ.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن بشر، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن عائشة، قالت: لما نزلت آية التخيير، بدأ النبيّ ﷺ بعائشة، فقال: «يا عائِشَةُ إنّي عارضٌ عَلَيْكِ أمْراً فَلا تَفْتاتِي فِيهِ بِشَيْءٍ حتى تَعْرِضِيهِ على أبَوَيْكِ، أبي بَكْر وأُمّ رُومانَ» فقالت: يا رسول الله وما هو؟ قال: «قال الله يا أيُّها النَّبِي قُلْ لأزْوَاجكَ إنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَياةَ الدُّنيا وَزِينَتَها﴾ إلى ﴿**عَظِيماً**﴾، فقلت: إني أريد الله ورسوله، والدار الآخرة، ولا أؤامر في ذلك أبويّ أبا بكر وأمّ رومان، فضحك رسول الله ﷺ، ثم استقرأ الحُجَرَ فقال: «إن عائشة قالت كذا»، فقلن: ونحن نقول مثل ما قالت عائشة.

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي، قال: ثنا أبي، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي

بكر، عن عمرة، عن عائشة، أن النبيّ ﷺ لما نزل إلى نسائه أُمر أن يخيرهنّ، فدخل عليّ فقال: «سأذكر لَكِ أمْراً وَلا تَعْجَلِي حتى تَسْتَشِيرِي أباكِ»، فقلت: وما هو يا نبيّ الله؟ قال: «إنّي أُمِرْتُ أنْ أُخَيِّرَكُنَّ»، وتلا عليها آية التخيير إلى آخر الآيتين قالت: قلت: وما الذي تقول؟ لا تعجلي حتى تستشيري أباك، فإني أختار الله ورسوله فسُرّ بذلك، وعرض على نسائه، فتتابعن كلهنّ، فاخترن الله ورسوله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني موسى بن عليّ، ويونس بن يزيد، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، أن عائشة زوج النبيّ ﷺ قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه، بدأني، فقال: «إنّي ذَاكِرٌ لَكِ أمْراً، فَلا عَلَيْكِ أنْ لا تَعْجَلِي حتى تَستأْمِرِي أبَوَيْكِ» قالت: قد علم أن أبويّ لم يكونا ليأمراني بفراقه قالت: ثم تلا هذه الآية: ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لأزْوَاجِكَ إنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الحَياةَ الدُّنْيا وَزِينَتَها فَتَعالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً**﴾ قالت: فقلت: ففي أيّ هذا استأمر أبويّ؟ فإني أريد الله ورسوله، والدار الآخرة قالت عائشة: ثم فعل أزواج النبيّ ﷺ مثل ما فعلت، فلم يكن ذلك حين قاله لهنّ رسول الله ﷺ، فاخترنه طلاقاً من أجل أنهنّ اخترنه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا (٣٠)﴾.

يقول تعالى ذكره لأزواج النبيّ ﷺ: ﴿**يا نِساء النَّبِيّ مَنْ يَأْتِ مِنكُنَّ بفاحِشَةٍ مَبَيِّنَةٍ**﴾ يقول: من يزن منكنّ الزنى المعروف الذي أوجب الله عليه الحدّ، يضاعف لها العذاب على فجورها في الآخرة ضعفين على فجور أزواج الناس غيرهم، كما:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**يُضَاعَفْ لَهَا العَذَابُ ضِعْفَيْنِ**﴾ قال: يعني عذاب الآخرة.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار: ﴿**يُضَاعَفْ لَهَا العَذَابُ**﴾ بالألف، غير أبي عمرو، فإنه قرأ ذلك: «يُضَعَّفْ» بتشديد العين تأوّلاً منه في قراءته ذلك أن يضعَّف، بمعنى: تضعيف الشيء مرّة واحدة، وذلك أن يجعل الشيء شيئين، فكأن معنى الكلام عنده: أن يجعل عذاب من يأتي من نساء النبيّ ﷺ بفاحشة مبينة في الدنيا والآخرة، مثلي عذاب سائر النساء غيرهنّ، ويقول: إنَّ ﴿**يُضَاعَفْ**﴾ بمعنى أنْ يجْعَل إلى الشيء مثلاه، حتى يكون ثلاثة أمثاله فكأن معنى من قرأ ﴿**يُضَاعَفْ**﴾ عنده كان أن عذابها ثلاثة أمثال عذاب غيرها من النساء من غير أزواج النبيّ ﷺ، فلذلك اختار «يضعّف» على يضاعف. وأنكر الآخرون الذين قرءوا ذلك

يضاعف ما كان يقول في ذلك، ويقولون: لا نعلم بين: ويُضاعَفْ ويُضَعَّفْ فرقاً.

والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قرّاء الأمصار، وذلك ﴿**يُضَاعَفْ**﴾. وأما التأويل الذي ذهب إليه أبو عمرو، فتأويل لا نعلم أحداً من أهل العلم ادّعاه غيره، وغير أبي عُبيدة معمر بن المثنى، ولا يجوز خلاف ما جاءت به الحجة مجمعة عليه بتأويل لا برهان له من الوجه الذي يجب التسليم له.

وقوله: ﴿**وكانَ ذلكَ على اللهِ يَسِيراً**﴾ يقول تعالى ذكره: وكانت مضاعفة العذاب على من فعل ذلك منهن على الله يسيراً، والله أعلم.

محتوى الجزء الحادي والعشرين تفسير الطبري

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٦	ولا تجادلوا أهل الكتاب	٥
٤٧	وكذلك أنزلنا إليك الكتاب	٨
٤٨	وما كنت تتلوا من قبله من كتاب .	٨
٤٩	بل هو آيات بينات في صدور	٩
٥٠	وقالوا لولا أنزل عليه آيات	١١
٥١	أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب	١١
٥٢	قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً ..	١٢
٥٣	ويستعجلونك بالعذاب	١٢
٥٤	يستعجلونك بالعذاب	١٢
٥٥	يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ...	١٣
٥٦	يا عبادي الذين آمنوا	١٣
٥٧	كلّ نفس ذائقة الموت	١٥
٥٨	والذين آمنوا وعملوا الصالحات ..	١٥
٥٩	الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون	١٥
٦٠	وكأين من دابة لا تحمل رزقها	١٥
٦١	ولئن سألتهم من خلق السموات ..	١٦
٦٢	الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده	١٦
٦٣	ولئن سألتهم من نزّل من السماء ماء	١٧
٦٤	وما هذه الحياة الدنيا إلاّ لهو ولعب	١٧
٦٥	فإذا ركبوا في الفلك دعُوا الله مخلصين	١٨
٦٦	ليكفروا بما آتيناهم وليتمتعوا	١٨
٦٧	أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمنا	١٨
٦٨	ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً	١٩
٦٩	والذين جاهدوا فيما لنهدينهم سبلنا	٢٠

تفسير سورة الروم

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	آلم	٢١
٢	غلبت الروم	٢١
٣	في أدنى الأرض	٢١
٤	في بضع سنين لله الأمر	٢١
٥	بنصر الله ينصر من يشاء	٢٧
٦	وعد الله لا يخلف الله وعده	٧
٧	يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا	٢٨
٨	أو لم يتفكروا في أنفسهم	٢٩
٩	أو لم يسيرا في الأرض فينظروا ..	٣٠
١٠	ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوأى	٣١
١١	الله يبدأ الخلق ثم يعيده	٣١
١٢	ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون	٣١
١٣	ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء	٣٢
١٤	ويوم تقوم الساعةِ يومئذٍ يتفرّقون .	٣٣
١٥	فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات	٣٥

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٦	وأما الذين كفروا وكذّبوا بآياتنا	٣٥
١٧	فسبحان الله حين تمسون	٣٥
١٨	وله الحمد في السموات والأرض	٣٥
١٩	يخرج الحيّ من الميت	٣٦
٢٠	ومن آياته أن خلقكم من تراب	٣٧
٢١	ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم	٣٨
٢٢	ومن آياته خلق السموات والأرض	٣٨
٢٣	ومن آياته مناكم بالليل والنهار	٣٨
٢٤	ومن رياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً	٣٩
٢٥	ومن آياته أن تقوم السماء	٤١
٢٦	وله من في السموات والأرض	٤١
٢٧	وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده	٤١
٢٨	ضرب لكم مثلاً من أنفسكم	٤٥
٢٩	بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم	٤٧
٣٠	فأقم وجهك للدين حنيفاً	٤٧
٣١	منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة .	٥٠
٣٢	من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً	٥٠
٣٣	وإذا مسّ النار ضرّ دعوا	٥١
٣٤	ليكفروا بما آتيناهم	٥١
٣٥	أم أنزلنا عليهم سلطاناً	٥٢
٣٦	وإذا أذقنا الناس رحمة فرحوا	٥٢
٣٧	أو لم يروا أن الله يبسط الرزق	٥٣
٣٨	فآت ذا القربى حقه	٥٣
٣٩	وما آتيتم من ربا ليربو	٥٣
٤٠	الله الذي خلقكم ثم رزقكم	٥٦
٤١	ظهر الفساد في البرّ والبحر	٥٧
٤٢	قل سيروا في الأرض	٥٩
٤٣	فأقم وجهك للدين القيم	٦٠
٤٤	من كفر فعليه كفره	٦٠
٤٥	ليجزى الذين آمنوا	٦١
٤٦	ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات	٦١
٤٧	ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً	٦٢
٤٨	الله الذي يرسل الرياح فتاثير سحاباً	٦٢
٤٩	وإن كانوا من قبل	٦٣
٥٠	فانظر إلى آثار رحمة الله	٦٤
٥١	ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً ...	٦٤
٥٢	فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصمّ	٦٥
٥٣	وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم	٦٥
٥٤	الله الذي خلقكم من ضعف	٦٦
٥٥	ويوم تقوم الساعة	٦٧
٥٦	وقال الذين أوتوا العلم	٦٧
٥٧	فيومئذٍ لا ينفع الذين ظلموا	٦٧
٥٨	ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن	٦٧
٥٩	كذلك يطبع الله على قلوب	٦٨
٦٠	فاصبر إن وعد الله حقّ	٦٨

تفسير سورة لقمان

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	الۤم	٧٠
٢	تلك آيات الكتاب الحكيم	٧٠
٣	هدى ورحمة للمحسنين	٧٠
٤	الذين يقيمون الصلاة	٧٠
٥	أولئك على هدى من ربهم	٧٠
٦	ومن الناس من يشترى	٧١

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٧	وإذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبراً	٧٥
٨	إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات	٧٦
٩	خالدين فيها	٧٦
١٠	خلق السموات بغير عمد ترونها ..	٧٦
١١	هذا خلق الله فأروني ماذا خلق	٧٨
١٢	ولقد آتينا لقمان الحكمة	٧٨
١٣	وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه	٨٠
١٤	ووصينا الإنسان بوالديه	٨٠
١٥	وإن جاهداك على أن تشرك بي ...	٨٣
١٦	يا بني إنها إن تك مثقال حبة	٨٣
١٧	يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف	٨٥
١٨	ولا تصعر خدك للناس	٨٦
١٩	واقصد في مشيك	٨٨
٢٠	ألم تروا أن الله سخر لكم	٩٠
٢١	وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله	٩١
٢٢	ومن يسلم وجهه إلى الله	٩٢
٢٣	ومن كفر فلا يحزنك كفره	٩٢
٢٤	نمتعهم قليلاً	٩٢
٢٥	ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض	٩٣
٢٦	لله ما في السموات والأرض	٩٣
٢٧	ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام	٩٣
٢٨	ما خلقكم ولا بعثكم إلاّ كنفس واحدة	٩٥
٢٩	ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ..	٩٦
٣٠	ذلك بأن الله هو الحق	٩٦
٣١	أبلم تر أن الفلك تجري في البحر	٩٧
٣٢	وإذا غشيهم موج كالظلل	٩٧
٣٣	يا أيها الناس اتقوا ربكم	٩٩
٣٤	إن الله عنده علم الساعة	١٠٠

تفسير سورة السجدة

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	آلم	١٠٣
٢	تنزيل الكتاب لا ريب فيه	١٠٣
٣	أم يقولون افتراه	١٠٣
٤	الله الذين خلق السموات والأرض	١٠٤
٥	يدبر الأمر من السماء إلى الأرض	١٠٤
٦	ذلك عالم الغيب والشهادة	١٠٧
٧	الذي أحسن كل شيء خلقه	١٠٧
٨	ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين	١٠٧
٩	ثم سواه ونفخ فيه من روحه	١١٠
١٠	وقالوا: أئذا ضللنا في الأرض	١١٠
١١	قل: يتوفاكم ملك الموت	١١٢
١٢	ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم	١١٣
١٣	ولو شئنا آتينا كل نفس هداها	١١٣
١٤	فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا	١١٤
١٥	إنما يؤمن بآياتنا الذين	١١٤
١٦	تتجافى جنوبهم عن المضاجع	١١٤
١٧	فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين	١١٩
١٨	أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً ..	١٢٢
١٩	أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات	١٢٣
٢٠	وأما الذين فسقوا فمأواهم النار ...	١٢٣
٢١	ولنذيقنهم من العذاب الأدنى	١٢٤
٢٢	ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه	١٢٧
٢٣	ولقد آتينا موسى الكتاب	١٢٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٤	وجحعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا .	١٢٨
٢٥	إن ربك هو يفصل بينهم	١٣٠
٢٦	أو لم يهد لهم كم أهلكنا	١٣٠
٢٧	أولم يروا أنا نسوق الماء	١٣١
٢٨	ويقولون متى هذا الفتح	١٣٢
٢٩	قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا	١٣٢
٣٠	فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون	١٣٢

تفسير سورة الأحزاب

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	يا أيها النبي اتق الله	١٤٣
٢	واتبع ما يوحي إليك من ربك	١٣٤
٣	وتوكل على الله وكفى بالله وكيلاً .	١٣٤
٤	ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه	١٣٥
٥	ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله	١٣٧
٦	النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم .	١٣٩
٧	وإذ أخذنا من النبيين مبثاقهم	١٤٢
٨	ليسأل الصادقين عن صدقهم	١٤٣
٩	يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله	١٤٤
١٠	إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم	١٢٩
١١	هنالك ابتلى المؤمنون	١٤٦
١٢	وإذ يقول المنافقون	١٤٦
١٣	وإذ قالت طائفة منهم	١٥٣
١٤	ولو دخلت عليهم من أقطارها	١٥٣
١٥	ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل	١٥٥
١٦	قل لن ينفعكم الفرار	١٥٦
١٧	قل من ذا الذي يعصمكم من الله	١٥٦
١٨	قد يعلم الله المعوقين منكم	١٥٧
١٩	أشحة عليكم	١٥٧
٢٠	يحسبون الأحزاب لم يذهبوا	١٦١
٢١	لقد كان لكم في رسول لله أسوة حسنة	١٦٢
٢٢	ولما رأى المؤمنون الأحزاب	١٦٢
٢٣	من المؤمنين رجال	١٦٣
٢٤	ليجزي الله الصادقين بصدقهم	١٦٣
٢٥	ورد الله الذين كفروا بغيظهم	١٦٨
٢٦	وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب	١٦٩
٢٧	وأورثكم أرضهم وديارهم	١٦٩
٢٨	يا أيها النبي قل لأزواجك	١٧٥
٢٩	وإن كنتن تردن الحياة الدنيا	١٧٥
٣٠	يا نساء النبي من يأت	١٣٠

جامع البيان
عن تأويل آي القرآن

الله

بسم الله الرحمن الرحيم

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

تفسير الطبري

تأليف

الإمام الكبير والمحدث الشهير من أطبقت

الأمة على تقدمه في التفاسير

الإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري

الجزء الثاني والعشرون

ضبط وتعليق

محمود شاكر الحرستاني

تصحيح

علي عاشور

دار احياء التراث العربي

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

دار إحياء التراث العربي
للطباعة والنشر والتوزيع

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI
Publishing & Distributing

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف: ٢٧٢٦٥٢ - ٢٧٢٦٥٥ - ٢٧٢٧٨٢ - ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ - ٨٥٠٦٢٣ ص.ب: ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

٣٣ ـ الأحزاب مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا (٣١)﴾.

يقول تعالى ذكره: ومن يطع الله ورسوله منكنّ، وتعمل بما أمر الله به ﴿نُؤْتِها أجْرَها مَرَّتَينِ﴾ يقول: يعطها الله ثواب عملها، مثلي ثواب عمل غيرهنّ من سائر نساء الناس ﴿وأعْتَدْنا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً﴾ يقول: وأعتدنا لها في الآخرة عيشاً هنيئاً في الجنة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾... الآية، يعني[1]: تطع الله ورسوله. ﴿وَتَعْمَلْ صَالِحاً﴾ تصوم وتصلي.

حدثني سلم بن جنادة، قال: ثنا ابن إدريس، عن ابن عون، قال: سألت عامراً عن القنوت، قال: وما هو؟ قال: قلت ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قانِتِينَ﴾ قال: مطيعين قال: قلت ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ قال: يطعن.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنكهنَّ لِلَّهِ وَرَسَولِهِ﴾ أي من يطع منكنّ لله ورسوله ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقاً كَرِيماً﴾ وهي الجنة.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿وَتَعْمَلْ صَالِحاً﴾ فقرأ عامة قرّاء الحجاز والبصرة: ﴿وَتَعْمَلْ﴾ بالتاء ردًا على تأويل مَن إذ جاء بعد قوله ﴿مِنْكُنَّ﴾. وحكى بعضهم عن العرب أنها تقول: كم بيعَ لك جارية؟ وأنهم إن قدّموا الجارية قالوا: كم جارية بيعت لك؟ فأنّثوا الفعل بعد

---

(١) من هنا إلى آخر الحديث ساقط من الأصل، وهو في «الدر المنثور» للسيوطي (١٩٦/٥).

الجارية، والفعل في الوجهين لكم لا للجارية. وذكر الفراء أن بعض العرب أنشده:

أيا أمَّ عَمْرٍو مَن يكُنْ عُقْرُ دارِهِ جِوَاءَ عَدِيّ يأْكُلِ الحَشَرَاتِ
وَيَسْوَدُّ منْ لَفْحِ السَّمُومِ جبينُهُ وَيَعْرُو إنْ كانَ ذَوِي بَكَرَاتِ[1]

فقال: وإن كانوا، ولم يقل: وإن كان، وهو لمن، فردّه على المعنى. وأما أهل الكوفة، فقرأت ذلك عامة قرّائها: «وَيَعْمَلْ» بالياء عطفاً على يقنت، إذ كان الجميع على قراءة الياء.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان، ولغتان معروفتان في كلام العرب، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب وذلك أن العرب تردّ خبر «من» أحياناً على لفظها، فتوحد وتذكر، وأحياناً على معناها كما قال جلّ ثناؤه: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إلَيْكَ أفأنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كانُوا لا يَعْقِلونَ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إلَيْكَ﴾** فجمع مرّة للمعنى، ووحد أخرى للفظ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّۚ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢ وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾.

يقول تعالى ذكره لأزواج رسول الله ﷺ: **﴿يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كأحَدٍ مِنَ النِّساءِ﴾** من نساء هذه الأمة **﴿إنِ اتَّقَيْتُنَّ﴾** الله فأطعتنه فيما أمركنّ ونهاكنّ، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿يا نِساءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كأحَدٍ مِنَ النِّساءِ﴾** يعني من نساء هذه الأمة.

وقوله: **﴿فَلا تَخْضَعْنَ بالقَوْلِ﴾** يقول: فلا تلنّ بالقول للرجال فيما يبتغيه أهل الفاحشة منكنّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن

(١) البيتان: من شواهد الفراء في «معاني القرآن» مصورة الجامعة ٢٥٦ قال أنشدني بعض العرب. وعقر الدار أصلها: وقيل وقيل وسطها، وهو محلة القوم. والجواء: الفرجة ا لتي بين محلة القوم ووسط البيوت؛ ويقال: نزلنا في جواء بني فلان، وقد بين أبو جعفر الطبري موضع الشاهد في البيت، ناقلاً له عن الفراء، ولم يذكر قائل البيتين.

ابن عباس، قوله: ﴿يا نِساءَ النَّبِيّ لَسْتُنَّ كأَحَدٍ مِنَ النّساءِ إنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلا تَخْضَعْنَ بالقَوْلِ﴾ يقول: لا ترخصن بالقول، ولا تخضعن بالكلام.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَلا تَخْضَعْنَ بالقَوْلِ﴾ قال: خضع القول ما يكره من قول النساء للرجال مما يدخل في قلوب الرجال.

وقوله: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ يقول: فيطمع الذي في قلبه ضعف فهو لضعف إيمانه في قلبه، إما شاكّ في الإسلام منافق، فهو لذلك من أمره يستخفّ بحدود الله، وإما متهاون بإتيان الفواحش.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: إنما وصفه بأن في قلبه مرضاً، لأنه منافق.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِه مَرَضٌ﴾ قال: نفاق.

وقال آخرون: بل وصفه بذلك لأنهم يشتهون إتيان الفواحش.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ قال: قال عكرمة: شهوة الزنا.

وقوله: ﴿وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾ يقول: وقلن قولاً قد أذن الله لكم به وأباحه. كما:

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً﴾ قال: قولاً جميلاً حسناً معروفاً في الخير.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة وبعض الكوفيين: ﴿وَقَرْنَ﴾ بفتح القاف، بمعنى: واقررن في بيوتكنّ، وكأن من قرأ ذلك كذلك حذف الراء الأولى من اقررن، وهي مفتوحة، ثم نقلها إلى القاف، كما قيل: ﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ وهو يريد فظللتم، فأسقطت اللام الأولى وهي مكسورة، ثم نُقلت كسرتها إلى الظاء. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة: «وَقِرْنَ» بكسر القاف، بمعنى: كنّ أهل وقار وسكينة ﴿فِي بُيُوتِكُنَّ﴾.

وهذه القراءة وهي الكسر في القاف أولى عندنا بالصواب، لأن ذلك إن كان من الوقار على ما اخترنا، فلا شكّ أن القراءة بكسر القاف، لأنه يقال: وقر فلان في منزله فهو يقر وقوراً، فتكسر القاف في تفعل فإذا أمر منه قيل: قِرّ، كما يقال من وزن: يزن زِن، ومن وَعد: يعِد عِد. وإن

كان من القرار، فإن الوجه أن يقال: اقررن، لأن من قال من العرب: ظلت أفعل كذا، وأحست بكذا، فأسقط عين الفعل، وحوّل حركتها إلى فائه في فعل وفعلنا وفعلتم، لم يفعل ذلك في الأمر والنهي، فلا يقول: ظلّ قائماً، ولا تظلّ قائماً، فليس الذي اعتلّ به من اعتلّ لصحة القراءة بفتح القاف في ذلك يقول العرب في ظللت وأحسست ظلت، وأحست بعلة توجب صحته لما وصفت من العلة. وقد حكى بعضهم عن بعض الأعراب سماعاً منه: ينحطن من الجبل، وهو يريد: ينحططن. فإن يكن ذلك صحيحاً، فهو أقرب إلى أن يكون حجة لأهل هذه القراءة من الحجة الأخرى.

وقوله: ﴿**وَلا تَبَرَّجْنَ تَبرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى**﴾ قيل: إن التبرّج في هذا الموضع التبخْتُر والتكسُّر.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَلا تَبرَّجْنَ تَبرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى**﴾: أي إذا خرجتن من بيوتكنّ قال: كانت لهن مشية وتكسُّر وتغنُّج، يعني بذلك الجاهلية الأولى فنهاهنّ الله عن ذلك.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: سمعت ابن أبي نجيح، يقول في قوله: ﴿**وَلا تَبَرَّجْنَ تَبرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى**﴾ قال: التبختر. وقيل: إن التبرّج هو إظهار الزينة، وإبراز المرأة محاسنها للرجال.

وأما قوله: ﴿**تَبرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى**﴾ فإن أهل التأويل اختلفوا في الجاهلية الأولى، فقال بعضهم: ذلك ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن زكريا، عن عامر ﴿**وَلا تَبرَّجْنَ تَبرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى**﴾ قال: الجاهلية الأولى: ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام.

وقال آخرون: ذلك ما بين آدم ونوح.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن عيينة، عن أبيه، عن الحكم ﴿**وَلا تَبرَّجْنَ تَبرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى**﴾ قال: وكان بين آدم ونوح ثمان مائة سنة، فكان نساؤهم من أقبح ما يكون من النساء، ورجالهم حسان، فكانت المرأة تريد الرجل على نفسه، فأنزلت هذه الآية: ﴿**وَلا تَبرَّجْنَ تَبرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى**﴾.

وقال آخرون: بل ذلك بين نوح وإدريس.

ذكر من قال ذلك:

حدثني ابن زهير، قال: ثنا موسى بن إسماعيل، قال: ثنا داود، يعني ابن أبي الفرات، قال: ثنا علباء بن أحمر، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: تلا هذه الآية: **﴿وَلا تَبرَّجْنَ تَبرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى﴾** قال: كان فيما بين نوح وإدريس، وكانت ألف سنة وإن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل، والآخر يسكن الجبل، وكان رجال الجبل صباحاً، وفي النساء دمامة، وكان نساء السهل صباحاً، وفي الرجال دمامة، وإن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل في صورة غلام، فأجر نفسه منه، وكان يخدمه، واتخذ إبليس شيئاً مثل ذلك الذي يزمر فيه الرّعاء، فجاء فيه بصوت لم يسمع مثله، فبلغ ذلك من حولهم، فانتابوهم يسمعون إليه، واتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة، فتتبرّج الرجال للنساء. قال: ويتزين النساء للرجال، وإن رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم وهم في عيدهم ذلك، فرأى النساء، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك، فتحوّلوا إليهنّ، فنزلوا معهنّ، فظهرت الفاحشة فيهنّ، فهو قول الله: **﴿وَلا تَبرَّجْنَ تَبرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى﴾**.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى نساء النبيّ أن يتبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى، وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم وعيسى، فيكون معنى ذلك: ولا تبرّجن تبرّج الجاهلية الأولى التي قبل الإسلام.

فإن قال قائل: أَوَ في الإسلام جاهلية حتى يقال: عنى بقوله **﴿الجاهِلِيَّةِ الأُولى﴾** التي قبل الإسلام؟ قيل: فيه أخلاقٌ من أخلاق الجاهلية. كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَلا تَبرَّجْنَ تَبرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى﴾** قال: يقول: التي كانت قبل الإسلام، قال: وفي الإسلام جاهلية؟ قال: قال النبيّ ﷺ لأبي الدرداء، وقال لرجل وهو ينازعه: يا ابن فلانة، لأمّ كان يعيره بها في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «يا أبا الدَّرْداءِ إنَّ فِيكَ جاهِلِيَّةً»، قال: أجاهلية كفر أو إسلام؟ قال: «بل جاهِلِيَّةُ كُفْرٍ»، قال: فتمنيت أن لو كنت ابتدأت إسلامي يومئذ. قال: وقال النبيّ ﷺ: «ثَلاثٌ مِنْ عَمَلِ أهْلِ الجاهِلِيَّةِ لا يَدَعُهُنَّ النَّاسُ: الطَّعْنُ بالأنْساب، والإسْتِمْطارُ بالكَوَاكِبِ، والنِّياحَةُ».

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، قال: أخبرني سليمان بن بلال، عن ثور، عن عبد الله بن عباس، أن عمر بن الخطاب، قال له: أرأيت قول الله لأزواج النبيّ ﷺ: **﴿وَلا تَبرَّجْنَ تَبرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى﴾** هل كانت إلا واحدة، فقال ابن عباس: وهل كانت من أُولى إلا ولها آخرة؟ فقال عمر: لله درك يابن عباس، كيف قلت؟ فقال: يا أمير

المؤمنين، هل كانت من أولى إلا ولها آخرة؟ قال: فأت بتصديق ما تقول من كتاب الله، قال: نعم ﴿وَجاهِدُوا فِي اللّهِ حَقَّ جِهادِهِ كَمَا جاهَدْتُمْ أوَّلَ مَرَّةٍ﴾[1]. قال عمر: فمن أُمر بالجهاد؟ قال: قبيلتان من قريش: مخزوم، وبنو عبد شمس، فقال عمر: صدقت.

وجائز أن يكون ذلك ما بين آدم ونوح. وجائز أن يكون ما بين إدريس ونوح، فتكون الجاهلية الآخرة، ما بين عيسى ومحمد، وإذا كان ذلك مما يحتمله ظاهر التنزيل. فالصواب أن يقال في ذلك، كما قال الله: إنه نهى عن تبرّج الجاهلية الأولى.

وقوله: **﴿وأقِمْنَ الصَّلاةَ وآتِينَ الزَّكاةَ﴾** يقول: وأقمن الصلاة المفروضة، وآتين الزكاة الواجبة عليكنّ في أموالكنّ **﴿وَأطِعْنَ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾** فيما أمراكنّ ونهياكنّ **﴿إنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرّجْسَ أهْلَ البَيْتِ﴾** يقول: إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد، ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيراً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿إنَّمَا يَرِيدُ اللّهُ ليُذْهِبَ عَنْكُمُ الرّجْسَ أهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾** فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء، وخصهم برحمة منه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿إنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ ليُذْهِبَ عَنْكُمُ الرّجْسَ أهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾** قال: الرجس ههنا: الشيطان، وسوى ذلك من الرجس: الشرك.

اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله **﴿أهْلَ البَيْتِ﴾** فقال بعضهم: عنى به رسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا بكر بن يحيى بن زبان العنزي، قال: ثنا مندل، عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِي خَمْسَةٍ: فِيّ، وفِي عليّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، وَحَسَنٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، وَحُسَيْنٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، وَفاطِمَةَ

---

(١) كذا في الأصل المخطوط رقم ١٠٠ تفسير المحفوظ بدار الكتب، الورقة ٥٧ ب. ولعلها قراءة لابن عباس.

رَضِيَ اللَّهُ عَنها» ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن بشر، عن زكريا، عن مصعب بن شيبة، عن صفية بنت شيبة قالت: قالت عائشة: خرج النبيّ ﷺ ذات غداة، وعليه مِرْطٌ مُرَجَّلٌ من شعر أسود، فجاء الحسن، فأدخله معه، ثم قال: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن بكر، عن حماد بن سلمة، عن عليّ بن زيد، عن أنس أن النبيّ ﷺ كان يمرّ ببيت فاطمة ستة أشهر، كلما خرج إلى الصلاة فيقول: «الصَّلاةَ أَهْلَ البَيْتِ» إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً.

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي، قال: ثنا يحيى بن إبراهيم بن سويد النخعي، عن هلال، يعني ابن مقلاص، عن زبيد، عن شهر بن حوشب، عن أمّ سلمة، قالت: كان النبيّ ﷺ عندي، وعليّ وفاطمة والحسن والحسين، فجعلت لهم خزيرة، فأكلوا وناموا، وغطى عليهم عباءة أو قطيفة، ثم قال: «اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي، أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً».

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا يونس بن أبي إسحاق، قال: أخبرني أبو داود، عن أبي الحمراء، قال: رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد النبيّ ﷺ، قال: رأيت النبيّ ﷺ إذا طلع الفجر، جاء إلى باب عليّ وفاطمة فقال: «الصَّلاةَ الصَّلاةَ» ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾.

حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا الفضل بن دكين، قال: ثنا يونس بن أبي إسحاق، بإسناده عن النبيّ ﷺ، مثله.

حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا الفضل بن دكين، قال: ثنا عبد السلام بن حرب، عن كلثوم المحاربي، عن أبي عمار، قال: إني لجالس عند واثلة بن الأسقع إذ ذكروا علياً رضي الله عنه، فشتموه فلما قاموا، قال: اجلس حتى أخبرك عن هذا الذي شتموا، إني عند رسول الله ﷺ، إذ جاءه عليّ وفاطمة وحسن وحسين، فألقى عليهم كساء له، ثم قال: «اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي، اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً». قلت: يا رسول الله وأنا؟ قال: «وأنْتَ» قال: فوالله إنها لأوثق عملي عندي.

حدثني عبد الكريم بن أبي عمير، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا أبو عمرو، قال: ثني شدّاد أبو عمار قال: سمعت واثلة بن الأسقع يحدّث، قال: سألت عن عليّ بن أبي طالب في منزله، فقالت فاطمة: قد ذهب يأتي برسول الله ﷺ، إذ جاء، فدخل رسول الله ﷺ ودخلت،

فجلس رسول الله ﷺ على الفراش وأجلس فاطمة عن يمينه، وعلياً عن يساره وحسناً وحسيناً بين يديه، فلفع عليهم بثوبه وقال: «﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أَهْلِي، اللَّهُمَّ أَهْلِي أَحَقُّ». قال واثلة: فقلت من ناحية البيت: وأنا يا رسول الله من أهلك؟ قال: «وأنت من أهلي»، قال واثلة: إنها لمن أَرْجَى ما أرتجي.

حدثني أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، عن أمّ سلمة، قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فجلل عليهم كساء خَيبرياً، فقال: «اللَّهُمَّ هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي، اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً» قالت أمّ سلمة: ألستُ منهم؟ قال: أنت إلى خَيْرٍ.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا مصعب بن المقدام، قال: ثنا سعيد بن زربي، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن أمّ سلمة، قالت: جاءت فاطمة إلى رسول الله ﷺ بِبُرْمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحلها على طبق، فوضعته بين يديه، فقال: «أين ابن عمك وابناك؟» فقالت: في البيت، فقال: «ادعيهم»، فجاءت إلى عليّ، فقالت: أجب النبيّ ﷺ أنت وابناك. قالت أمّ سلمة: فلما رآهم مقبلين مدّ يده إلى كساء كان على المنامة فمدّه وبسطه وأجلسهم عليه، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله، فضمه فوق رؤوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه، فقال: «هَؤُلاءِ أَهْلُ الْبَيْتِ، فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا حسن بن عطية، قال: ثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد عن أمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ أن هذه الآية نزلت في بيتها ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ قالت: وأنا جالسة على باب البيت، فقلت: أنا يا رسول الله ألست من أهل البيت؟ قال: «إِنَّكِ إلى خَيْرٍ، أَنْتِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى اللَّهُ عليهِ وسلَّمَ» قالت: وفي البيت رسول الله ﷺ وعليّ وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا خالد بن مخلد، قال: ثنا موسى بن يعقوب، قال: ثني هاشم ابن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، عن عبد الله بن وهب بن زمعة، قال: أخبرتني أمّ سلمة أن رسول الله ﷺ جمع علياً والحَسنين، ثم أدخلهم تحت ثوبه، ثم جأر إلى الله، ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي»، فقالت أمّ سلمة: يا رسول الله أدخلني معهم، قال: «إِنَّكِ مِنْ أَهْلِي».

حدثني أحمد بن محمد الطوسي، قال: ثنا عبد الرحمن بن صالح، قال: ثنا محمد بن سليمان الأصبهاني، عن يحيى بن عبيد المكي، عن عطاء، عن عمر بن أبي سلمة، قال: نزلت

هذه الآية على النبيّ ﷺ وهو في بيت أمّ سلمة ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ فدعا حسناً وحُسيناً وفاطمة، فأجلسهم بين يديه، ودعا علياً فأجلسه خلفه، فتجلَّل هو وهم بالكساء ثم قال: «هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً» قالت أم سلمة: أنا معهم مكانك وأنتِ على خَيْرٍ(١).

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا إسماعيل بن أبان، قال: ثنا الصباح بن يحيى المرّيّ، عن السديّ، عن أبي الديلم، قال: قال عليّ بن الحسين لرجل من أهل الشأم: أما قرأت في الأحزاب: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ قال: ولأنتم هم؟ قال: نعم.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا أبو بكر الحنفي، قال: ثنا بكير بن مسمار، قال: سمعت عامر بن سعد، قال: قال سعد: قال رسول الله ﷺ حين نزل عليه الوحي، فأخذ علياً وابنيه وفاطمة، وأدخلهم تحت ثوبه، ثم قال: «رَبِّ هَؤُلاءِ أَهْلِي وأَهْلُ بَيْتِي».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا عبد الله بن عبد القدوس، عن الأعمش، عن حكيم بن سعد، قال: ذكرنا عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عند أمّ سلمة قالت: فيه نزلت: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ قالت أمّ سلمة: جاء النبيّ ﷺ إلى بيتي، فقال: «لا تَأْذَنِي لأَحَدٍ»، فجاءت فاطمة، فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها، ثم جاء الحسن، فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جدّه وأمه، وجاء الحسين، فلم أستطع أن أحجبه، فاجتمعوا حول النبيّ ﷺ على بساط، فجللهم نبيّ الله بكساء كان عليه، ثم قال: «هَؤُلاءِ أَهْلُ بَيْتِي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً»، فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط قالت: فقلت: يا رسول الله: وأنا، قالت: فوالله ما أنعم وقال: «إِنَّكِ إلى خَيْرٍ».

وقال آخرون: بل عنى بذلك أزواج رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الأصبغ، عن علقمة، قال: كان عكرمة ينادي في السوق: ﴿**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً**﴾ قال: نزلت في نساء النبيّ ﷺ خاصة.

---

(١) العبارة: «أنا معهم مكانك وأنت على خير»: كلها من كلام أم سلمة، وهي نظير قوله ﷺ لها في الروايات التي قبل هذه: إنك إلى خير، أنت من أزواج النبي»... الخ (انظر الجزء التاسع عشر من المخطوطة رقم ١٠٠ تفسير بدار الكتب، الورقة (٦٠).

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لأزواج نبيه محمد ﷺ: واذكرنَ نعمة الله عليكنّ، بأن جعلكنّ في بيوت تُتلى فيها آيات الله والحكمة، فاشكرن الله على ذلك، واحمدنه عليه وعنى بقوله: **﴿وَاذْكُرْنَ ما يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللَّهِ﴾** واذكرن ما يقرأ في بيوتكنّ من آيات كتاب الله والحكمة ويعني بالحكمة: ما أُوحي إلى رسول الله ﷺ من أحكام دين الله، ولم ينزل به قرآن، وذلك السنة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: **﴿وَاذْكُرْنَ ما يُتْلَى فِي بُيوتِكُنَّ مِنْ آياتِ اللَّهِ والْحِكْمَةِ﴾**: أي السنة، قال: يمتنّ عليهم بذلك.

وقوله: **﴿إنَّ اللَّهَ كانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾** يقول تعالى ذكره: إن الله كان ذا لطف بكنّ، إذ جعلكنّ في البيوت التي تتلى فيها آياته والحكمة، خبيراً بكُنَّ إذ اختاركن لرسوله أزواجاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن المتذلّلين لله بالطاعة والمتذلّلات، والمصدِّقين والمصدّقات رسول الله ﷺ فيما أتاهم به من عند الله، والقانتين والقانتات لله، والمطيعين لله والمطيعات له فيما أمرهم ونهاهم، والصادقين لله فيما عاهدوه عليه والصادقات فيه، والصابرين لله في البأساء والضرّاء على الثبات على دينه، وحين البأس والصابرات، والخاشعة قلوبهم لله وجَلاً منه ومن عقابه والخاشعات، والمتصدّقين والمتصدقات، وهم المؤدّون حقوق الله من أموالهم والمؤدّيات، والصائمين شهر رمضان الذي فرض الله صومه عليهم والصائمات، وذلك الحافظين فروجهم إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، والحافظات ذلك إلا على أزواجهنّ إن كنّ حرائر، أو مَنْ ملكهنّ إن كنّ إماء، والذاكرين الله بقلوبهم وألسنتهم وجوارحهم والذاكرات، كذلك أعدّ الله لهم

مغفرة لذنوبهم، وأجراً عظيماً: يعني ثواباً في الآخرة على ذلك من أعمالهم عظيماً، وذلك الجنة.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: دخل نساء على نساء النبيّ ﷺ، فقلن: قد ذكركنّ الله في القرآن، ولم نُذكر بشيء، أما فينا ما يُذْكَر؟ فأنزل الله تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وأجْرَاً عَظِيماً﴾** قال: الجنة وفي قوله: **﴿والقانِتِينَ والقانِتاتِ﴾** قال: المطيعين والمطيعات.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن عامر، قال: القانتات: المطيعات.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مؤمل، قال: سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: قالت أمّ سلمة: يا رسول الله يذكر الرجال ولا نُذكر، فنزلت: **﴿إنَّ المُسْلِمِينَ والمُسْلِماتِ والمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ﴾**.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو معاوية، عن محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، أن يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، حدّثه، عن أمّ سلمة قالت: قلت: يا رسول الله، أيُذكر الرجال في كلّ شيء، ولا نُذكر؟ فأنزل الله: **﴿إنَّ المُسْلِمِينَ والمُسْلِماتِ﴾**. . . . الآية.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا سيار بن مظاهر العنزي، قال: ثنا أبو كدينة يحيى بن مهلب، عن قابوس بن أبي ظَبيان، عن أبيه، عن ابن عباس قال: قال نساء النبيّ ﷺ: ماله يذكر المؤمنين، ولا يذكر المؤمنات؟ فأنزل الله: **﴿إنَّ المُسْلِمِينَ والمُسْلِماتِ﴾**. . . الآية.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿إنَّ المُسْلِمِينَ**

والمُسْلِماتِ﴾ قال: قالت أمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ: ما للنساء لا يذكرن مع الرجال في الصلاح؟ فأنزل الله هذه الآية.

حدثني محمد بن المعمر، قال: ثنا أبو هشام، قال: ثنا عبد الواحد، قال: ثنا عثمان بن حكيم، قال: ثنا عبد الرحمن بن شيبة، قال: سمعت أمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ تقول: قلت للنبيّ ﷺ: يا رسول الله، ما لنا لا نذكر في القرآن كما يُذكر الرجال؟ قالت: فلم يرعني ذات يوم ظهراً إلا نداؤه على المنبر وأنا أسرح رأسي، فلففت شعري ثم خرجت إلى حُجرة من حُجَرهنّ، فجعلت سمعي عند الجريد، فإذا هو يقول على المنبر: «يا أيُّها النَّاسُ إنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتابِهِ»: **﴿إنَّ المُسْلِمِينَ والمُسْلِماتِ والمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ﴾**. . . . إلى قوله: **﴿أعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وأجْراً عَظِيماً﴾**.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لم يكن لمؤمن بالله ورسوله، ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله في أنفسهم قضاء أن يتخيروا من أمرهم غير الذي قضى فيهم، ويخالفوا أمر الله وأمر رسوله وقضاءهما فيعصوهما، ومن يعص الله ورسوله فيما أَمَرا أو نَهَيا **﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً﴾** يقول: فقد جار عن قصد السبيل، وسلك غير سبيل الهدى والرشاد.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش حين خطبها رسول الله ﷺ على فتاه زيد بن حارثة، فامتنعت من إنكاحه نفسها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أمْراً﴾**. . . . إلى آخر الآية، وذلك أن رسول الله ﷺ انطلق يخطب على فتاه زيد بن حارثة، فدخل على زينب بنت جحش الأسدية فخطبها، فقالت: لست بناكحته، فقال رسول الله ﷺ: «فانكحيه»، فقلت: يا رسول الله أؤامَر في نفسي فبينما هما يتحدّثان أنزل الله هذه الآية على رسوله: **﴿وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ﴾**. . . إلى قوله: **﴿ضَلالاً مُبِيناً﴾** قالت: قد رضيته لي يا رسول الله مَنْكَحاً؟ قال: «نَعم»، قالت: إذن لا أعصي رسول الله، قد أنكحته نفسي.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ قال: زينب بنت جحش وكراهتها نكاح زيد بن حارثة حين أمرها به رسول الله ﷺ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿**وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ قال: نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش، وكانت بنت عمة رسول الله ﷺ، فخطبها رسول الله ﷺ فرضيت، ورأت أنه يخطبها على نفسه فلما علمت أنه يخطبها على زيد بن حارثة أبت وأنكرت، فأنزل الله: ﴿**وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾ قال: فتابعته بعد ذلك ورضيت.

حدثني أبو عبيد الوصافي، قال: ثنا محمد بن حمير، قال: ثنا ابن لهيعة، عن ابن أبي عمرة، عن عكرمة عن ابن عباس، قال: خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة، فاستنكفت منه وقالت: أنا خير منه حَسَباً، وكانت امرأة فيها حدّة، فأنزل الله: ﴿**وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً**﴾... الآية كلها.

وقيل: نزلت في أمّ كلثوم بنت عُقْبة بن أبي مُعَيط، وذلك أنها وهبت نفسها لرسول الله ﷺ، فزوّجها زيد بن حارثة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً**﴾... إلى آخر الآية، قال: نزلت في أمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعَيط، وكانت من أوّل من هاجر من النساء، فوهبت نفسها للنبيّ ﷺ، فزوّجها زيد بن حارثة، فسخِطت هي وأخوها، وقالا: إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوّجنا عبده قال: فنزل القرآن: ﴿**وَما كانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ**﴾... إلى آخر الآية قال: وجاء أمر أجمع من هذا: ﴿**النَّبِيُّ أَوْلَى بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ**﴾ قال: فذاك خاصّ، وهذا إجماع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ

أللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ عتاباً من الله له ﴿وَ﴾ اذكر يا محمد ﴿إِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالهداية ﴿وأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعِتق، يعني زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهِ﴾، وذلك أن زينب بنت جحش فيما ذُكر رآها رسول الله ﷺ فأعجبته، وهي في حبال مولاه، فألِقي في نفس زيد كراهتها لما علم الله مما وقع في نفس نبيه ما وقع، فأراد فراقها، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ زيد، فقال له رسول الله ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ وهو ﷺ يحبّ أن تكون قد بانت منه لينكحها، ﴿وَاتَّقِ اللَّهَ﴾ وخَفِ الله في الواجب له عليك في زوجتك ﴿وتُخْفِي فِي نَفْسِكَ ما اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ يقول: وتخفي في نفسك محبة فراقه إياها لتتزوّجها إن هو فارقها، والله مبد ما تخفي في نفسك من ذلك ﴿وتَخْشَى النَّاسَ واللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ﴾ يقول تعالى ذكره: وتخاف أن يقول الناس: أمر رجلاً بطلاق امرأته ونكحها حين طلّقها، والله أحقّ أن تخشاه من الناس.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ وهو زيد أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعمت عليه أعتقه رسول الله ﷺ: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وتُخْفِي فِي نَفْسِكَ ما اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ قال: وكان يخفي في نفسه ودّ أنه طلقها. قال الحسن: ما أنزلت عليه آية كانت أشدّ عليه منها قوله: ﴿وتُخْفِي في نفسك ما اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ ولو كان نبيّ الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتمها ﴿وتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشاهُ﴾ قال: خشِي نبيّ الله ﷺ مقالة الناس.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: كان النبيّ ﷺ قد زوّج زيد بن حارثة زينب بنت جحش، ابنة عمته، فخرج رسول الله ﷺ يوماً يريده وعلى الباب ستر من شعر، فرفعت الريح الستر فانكشف، وهي في حجرتها حاسرة، فوقع إعجابها في قلب النبيّ ﷺ فلما وقع ذلك كرُهت إلى الآخر، فجاء فقال: يا رسول الله، إني أريد أن أفارق صاحبتي، قال: «ما لَكَ، أرَابَكَ مِنْها شَيْءٌ؟» قال: لا، والله ما رابني منها شيء يا رسول الله، ولا رأيت إلا خيراً، فقال له رسول الله ﷺ: «أمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ»، فذلك قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وتُخْفِي فِي نَفْسِكَ ما اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ تخفي في نفسك إن فارقها تزوّجتها.

حدثني محمد بن موسى الجرشي، قال: ثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أبي حمزة،

قال: نزلت هذه الآية: ﴿وتُخفِي فِي نَفسِكَ ما اللَّهُ مُبْدِيه﴾ في زينب بنت جحش.

حدثنا خلاد بن أسلم، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن عليّ بن زيد بن جدعان، عن عليّ بن حسين، قال: كان الله تبارك وتعالى أعلم نبيه ﷺ أن زينب ستكون من أزواجه، فلما أتاه زيد يشكوها قال: ﴿اتَّقِ اللَّهَ وأمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾، قال الله: ﴿وتُخْفِي في نَفْسِكَ ما اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾.

حدثني إسحاق بن شاهين، قال: ثنا داود، عن عامر، عن عائشة، قالت: لو كتم رسول الله ﷺ شيئاً مما أوحي إليه من كتاب الله لكتم: ﴿وتُخْفِي فِي نَفْسِكَ ما اللَّهُ مُبْدِيهِ وتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أحَقُّ أنْ تَخْشاهُ﴾.

وقوله: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنها وَطَراً زَوَّجْناكَها﴾ يقول تعالى ذكره: فلما قضى زيد بن حارثة من زينب حاجته، وهي الوطر ومنه قول الشاعر:

وَدَّعَنِي قَبْلَ أن أُوَدِّعَهُ لَمَّا قَضَى مِنْ شَبابِنا وَطَرا[1]

﴿زَوَّجْناكَها﴾ يقول: زوّجناك زينب بعد ما طلقها زيد وبانت منه ﴿لِكَيْلا يَكُونَ على المُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أزْوَاجِ أدْعِيائِهِمْ﴾ يعني: في نكاح نساء من تَبَنَّوا وليسوا ببنيهم ولا أولادهم على صحة إذا هم طلقوهنّ وبنّ منهم ﴿إذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً﴾ يقول: إذا قضوا منهنّ حاجاتهم، وآرابهم وفارقوهنّ وحَلَلْن لغيرهم، ولم يكن ذلك نزولاً منهم لهم عنهنّ ﴿وكانَ أمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ يقول: وكان ما قضى الله من قضاء مفعولاً: أي كائناً كان لا محالة. وإنما يعني بذلك أن قضاء الله في زينب أن يتزوّجها رسول الله ﷺ كان ماضياً مفعولاً كائناً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لِكَيْلا يَكُونَ عَلى المُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أزْوَاجِ أدْعِيائِهِمْ إذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً﴾ يقول: إذا طلّقوهنّ، وكان رسول الله ﷺ تَبَنِّيَ زيد بن حارثة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنها وَطَراً﴾... إلى قوله: ﴿وكانَ أمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ إذا كان ذلك منه غير نازل لك، فذلك قول الله: ﴿وَحَلائِلُ أبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أصْلابِكُمْ﴾.

---

(١) في «اللسان» وطر. قال الزجاج: الوطر والأرب: بمعنى واحد. ثم قال: قال الخليل: الوطر كل حاجة يكون فيها همة فإذا بلغها البالغ قيل: قضى وطره وأربه. ولا يبنى منه فعل. ومحل الشاهد في البيت: لفظة الوطر بمعنى الحاجة.

حدثني محمد بن عثمان الواسطي، قال: ثنا جعفر بن عون، عن المعلى بن عرفان، عن محمد بن عبد الله بن جحش، قال: تفاخرت عائشة وزينب، قال: فقالت زينب: أنا الذي نزل تزويجي.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن الشعبي قال: كانت زينب زوج النبيّ ﷺ تقول للنبيّ ﷺ: إني لأدلّ عليك بثلاث ما من نسائك امرأة تدل بهنّ. إن جدّي وجدّك واحد، وإني أنكحنيك الله من السماء، وإن السفير لجبرائيلُ عليه السلام.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ما كان على النبيّ من حرج من إثم فيما أحلّ الله له من نكاح امرأة من تَبَنَّاه بعد فراقه إياها، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿ما كانَ على النَّبِيّ مِنْ حَرَجٍ فِيما فَرَضَ للَّهُ لَهُ﴾**: أي أحلّ الله له.

وقوله: **﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِ﴾** يقول: لم يكن الله تعالى لُيؤْثِم نبيه فيما أحلّ له مثالَ فعله بمن قبله من الرسل الذين مضوا قبله في أنه لم يؤثمهم بما أحلّ لهم، لم يكن لنبيه أن يخشى الناس فيما أمره به أو أحله له. ونصب قوله: **﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾** على معنى: حقاً من الله، كأنه قال: فعلنا ذلك سَنَّةً منا.

وقوله: **﴿وكانَ أمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾** يقول: وكان أمر الله قضاء مقضياً. وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وكانَ أمْرُ اللَّهِ قَدَراً مَقْدُوراً﴾** إن الله كان علمه معه قبل أن يخلق الأشياء كلها، فأتمه في علمه أن يخلق خلقاً، ويأمرهم وينهاهم، ويجعل ثواباً لأهل طاعته، وعقاباً لأهل معصيته فلما ائتمر ذلك الأمر قدّره، فلما قدّره كتب وغاب عليه، فسماه الغيب وأمّ الكتاب، وخلق الخلق على ذلك الكتاب أرزاقهم وآجالهم وأعمالهم، وما يصيبهم من الأشياء من الرخاء والشدّة من الكتاب الذي كتبه أنه يصيبهم

وقرأ: ﴿أُولَئِكَ يَنالَهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتابِ حتَّى إذَا نَفِدَ ذَلكَ جَاءَتْهُمْ رُسُلَنا يَتَوَفَّوْنَهُمْ﴾، وأمر الله الذي ائتمر قدره حين قدره مقدراً، فلا يكون إلا ما في ذلك، وما في ذلك الكتاب، وفي ذلك التقدير، ائتمر أمرا ثم قدره، ثم خلق عليه، فقال: كان أمر الله الذي مضى وفرغ منه، وخلق عليه الخلق ﴿قَدَراً مَقْدُوراً﴾ شاء أمراً ليمضي به أمره وقدره، وشاء أمراً يرضاه من عباده في طاعته فلما أن كان الذي شاء من طاعته لعباده رضيه لهم، ولما أن كان الذي شاء أراد أن ينفذ فيه أمره وتدبيره وقدره، وقرأ: ﴿وَلَقَدْ ذَرأْنا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الجِنّ وَالإنْسِ﴾ فشاء أن يكون هؤلاء من أهل النار، وشاء أن تكون أعمالهم أعمال أهل النار، فقال: ﴿وكَذلكَ زَيَّنا لِكُلّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ﴾ وقال: ﴿وكذلكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ المُشْرِكِينَ قَتْلَ أوْلادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيهِمْ دِينَهُمْ﴾ هَذِهِ أعمالُ أهْلُ النَّار ﴿وَلَوْ شاءَ اللَّهُ ما فَعَلُوهُ﴾، قال: ﴿وكَذلكَ جَعَلْنا لِكُلّ نَبِيّ عَدُوًّا شَياطِينَ...﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ ما فَعَلُوهُ﴾ وقرأ: ﴿وأقْسَمُوا باللَّهِ جَهْدَ أيمانِهِمْ...﴾ إلى ﴿كُلّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إلاّ أنْ يَشاءَ اللَّهُ﴾ أن يؤمنوا بذلك، قال: فأخرجوه من اسمه الذي تسمَّى به، قال: هو الفعَّال لما يريد، فزعموا أنه ما أراد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: سنة الله في الذين خلوا من قبل محمد من الرسل، الذي يبلغون رسالات الله إلى من أرسلوا إليه، ويخافون الله في تركهم تبليغ ذلك إياهم، ولا يخافون أحداً إلا الله، فإنهم إياه يرهبون إن هم قصروا عن تبليغهم رسالة الله إلى من أُرسلوا إليه. يقول لنبيه محمد: فمن أولئك الرسل الذين هذه صفتهم، فكن ولا تخش أحداً إلا الله، فإن الله يمنعك من جميع خلقه، ولا يمنعك أحد من خلقه منه، إن أراد بك سوءاً. «والذين» من قوله: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغونَ رِسالاَتِ اللَّهِ﴾ خفض ردّاً على «الذين» التي في قوله: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا﴾. وقوله: ﴿وكَفَى باللَّهِ حَسِيباً﴾ يقول تعالى ذكره: وكفاك يا محمد بالله حافظاً لأعمال خلقه، ومحاسباً لهم عليها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ما كان أيها الناس محمد أبا زيد بن حارثة، ولا أبا أحد من رجالكم[١]، الذين لم يلده محمد، فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقه إياها، ولكنه رسول الله وخاتم النبيين، الذي ختم النبوّة فطبع عليها، فلا تفتح لأحد بعده إلى قيام الساعة، وكان الله بكل شيء من أعمالكم ومقالكم وغير ذلك ذا علم لا يخفى عليه شيء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**ما كانَ محَمَّدٌ أبا أحَدٍ مِنْ رجالِكُمْ**﴾ قال: نزلت في زيد، إنه لم يكن بابنه ولعمري ولقد وُلد له ذكور، إنه لأبو القاسم وإبراهيم والطيب والمطهر ﴿**وَلَكِنْ رَسُولَ الله وَخاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾: أي آخرهم ﴿**وكانَ اللَّهُ بكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً**﴾.

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا عليّ بن قادم، قال: ثنا سفيان، عن نسير بن ذعلوق، عن عليّ بن الحسين في قوله: ﴿**ما كانَ مُحَمَّدٌ أبا أحَدٍ مِنْ رِجالِكُمْ**﴾ قال: نزلت في زيد بن حارثة.

والنصب في رسول الله ﷺ بمعنى تكرير كان رسول الله ﷺ، والرفع بمعنى الاستئناف، ولكن هو رسول الله، والقراءة النصب عندنا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**وَخاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ فقرأ ذلك قرّاء الأمصار سوى الحسن وعاصم بكسر التاء من خاتم النبيين، بمعنى أنه ختم النبيين. ذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: ﴿**وَلَكِن نَبِيًا خَتمَ النَّبِيِّينَ**﴾ فذلك دليل على صحة قراءة من قرأه بكسر التاء، بمعنى أنه الذي ختم الأنبياء ﷺ وعليهم وقرأ ذلك فيما يذكر الحسن وعاصم: ﴿**خاتَمَ النَّبِيِّينَ**﴾ بفتح التاء، بمعنى أنه آخر النبيين، كما قرأ: «مَخْتُومٌ خَاتَمَهُ مِسْكٌ» بمعنى: آخره مسك من قرأ ذلك كذلك.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله اذكروا الله بقلوبكم وألسنتكم وجوارحكم

---

(١) لعله: أي لم يلده الخ.

ذكراً كثيراً، فلا تخلو أبدانكم من ذكره في حال من أحوال طاقتكم ذلك **﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلاً﴾** يقول: صلوا له غدوة صلاة الصبح، وعشيا صلاة العصر. وقوله: **﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ﴾** يقول تعالى ذكره: ربكم الذي تذكرونه الذكر الكثير، وتسبحونه بُكرة وأصيلاً، إذا أنتم فعلتم ذلك، الذي يرحمكم، ويثني عليكم هو، ويدعو لكم ملائكته. وقيل: إن معنى قوله: **﴿يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ﴾** يشيع عنكم الذكر الجميل في عباد الله. وقوله: **﴿لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ﴾** يقول: تدعو ملائكة الله لكم، فيخرجكم الله من الضلالة إلى الهُدى، ومن الكفر إلى الإسلام. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، في قوله: **﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً﴾** يقول: لا يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حدّاً معلوماً، ثم عذر أهلها في حال عذر، غير الذكر، فإن الله لم يجعل له حدّاً ينتهي إليه ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على عقله، قال: **﴿اذْكُرُوا اللَّهَ قِياماً وقُعُوداً وعلى جُنُوبِكم﴾** بالليل والنهار في البرّ والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسرّ والعلانية، وعلى كلّ حال، وقال: **﴿سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلاً﴾** فإذا فعلتم ذلك صلى عليكم هو وملائكته قال الله عزّ وجلّ **﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ﴾**.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأَصِيلاً﴾** صلاة الغداة، وصلاة العصر.

وقوله: **﴿لِيُخرِجَكُمْ مِنَ الظُّلَماتِ إلى النُّورِ﴾**: أي من الضلالات إلى الهدى.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إلى النُّورِ﴾** قال: من الضلالة إلى الهُدى، قال: والضلالة: الظلمات، والنور: الهدى.

وقوله: **﴿وكانَ بالمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾** يقول تعالى ذكره: وكان بالمؤمنين به ورسوله ذا رحمة أن يعذّبهم وهم له مطيعون، ولأمره متبعون **﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ﴾** يقول جلّ ثناؤه: تحية هؤلاء المؤمنين يوم القيامة في الجنة سلام، يقول بعضهم لبعض: أمنة لنا ولكم بدخولنا هذا المدخل من الله أن يعذّبنا بالنار أبداً، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلامٌ﴾** قال: تحية أهل الجنة السلام.

وقوله: ﴿وأعَدَّ لَهُمْ أجْراً كَرِيماً﴾ يقول: وأعدّ لهؤلاء المؤمنين ثواباً لهم على طاعتهم إياه في الدنيا كريماً، وذلك هو الجنة، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وأعَدَّ لَهُمْ أجْراً كَرِيماً﴾: أي الجنة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا (٤٦) وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا (٤٧) وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا (٤٨)﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا محمد ﴿إنَّا أرْسَلْناكَ شَاهِداً﴾ على أمتك بإبلاغك إياهم ما أرسلناك به من الرسالة، ومبشرهم بالجنة إن صدّقوك وعملوا بما جئتهم به من عند ربك، ﴿وَنَذِيراً﴾ من النار أن يدخلوها، فيعذّبوا بها إن هم كذّبوك، وخالفوا ما جئتهم به من عند الله. وبالذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ إنَّا أرْسَلْناكَ شاهِداً﴾ على أمتك بالبلاغ، ومبشراً بالجنة، ﴿وَنَذِيراً﴾ بالنار.

وقوله: ﴿وَدَاعِياً إلى اللَّهِ﴾ يقول: وداعياً إلى توحيد الله، وإفراد الألوهة له، وإخلاص الطاعة لوجهه دون كلّ من سواه من الآلهة والأوثان، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَدَاعِياً إلى اللَّهِ﴾ إلى شهادة أن لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿بأذْنِهِ﴾ يقول: بأمره إياك بذلك ﴿وَسِرَاجاً مُنِيراً﴾ يقول: وضياء لخلقه يستضيء بالنور الذي أتيتهم به من عند الله عباده ﴿مُنِيراً﴾ يقول: ضياء ينير لمن استضاء بضوئه، وعمل بما أمره. وإنما يعني بذلك، أنه يهدي به من اتبعه من أمته. وقوله: ﴿وَبَشِّرِ المُؤْمِنِينَ بأنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً﴾ يقول تعالى ذكره: وبشّر أهل الإيمان بالله يا محمد بأن لهم من الله فضلاً كبيراً يقول: بأن لهم من ثواب الله على طاعتهم إياه تضعيفاً كثيراً، وذلك هو الفضل الكبير من الله لهم. وقوله: ﴿وَلا تُطِعِ الكافِرِينَ وَالمُنافِقِينَ﴾ يقول: ولا تطع لقول كافر ولا منافق، فتسمع منه دعاءه إياك إلى التقصير في تبليغ رسالات الله إلى من أرسلك بها إليه من خلقه ﴿وَدَعْ أذاهُمْ﴾

يقول: وأعرض عن أذاهم لك، واصبر عليه، ولا يمنعك ذلك عن القيام بأمر الله في عباده، والنفوذ لما كلّفك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَدَعْ أَذاهُمْ**﴾ قال: أعرض عنهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَدَعْ أَذاهُمْ**﴾: أي اصبر على أذاهم.

وقوله: ﴿**وَتَوَكَّلْ على اللّهِ**﴾ يقول: وفوّض إلى الله أمورك، وثق به، فإنه كافيك جميع من دونه، حتى يأتيك بأمره وقضاؤه ﴿**وكَفَى بِاللّهِ وَكِيلاً**﴾ يقول: وحسبك بالله قيماً بأمورك، وحافظا لك وكالئاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَكَحۡتُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمۡ عَلَيۡهِنَّ مِنۡ عِدَّةٖ تَعۡتَدُّونَهَاۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٤٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ﴿**إذَا نَكَحْتُمُ المُؤْمِناتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أنْ تَمَسُّوهُنَّ**﴾ يعني من قبل أن تجامعوهنّ ﴿**فَمَا لَكُمْ عَلَيهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَها**﴾ يعني: من إحصاء أقراء، ولا أشهر تحصونها عليهنّ، ﴿**فمتعوهنّ**﴾ يقول: أعطوهنّ ما يستمتعن به من عرض أو عين مال. وقوله: ﴿**وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً**﴾ يقول: وخلوا سبيلهنّ تخلية بالمعروف، وهو التسريح الجميل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا نَكَحْتُمُ المُؤْمِناتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَها**﴾ فهذا في الرجل يتزوّج المرأة، ثم يطلقها من قبل أن يمسها، فإذا طلقها واحدة بانت منه، ولا عدّة عليها تتزوّج من شاءت، ثم قرأ: ﴿**فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً**﴾ يقول: إن كان سمى لها صداقاً، فليس لها إلا النصف، فإن لم يكن سمى لها صداقاً، متّعها على قدر عسره ويُسره، وهو السراح الجميل.

وقال بعضهم: المتعة في هذا الموضع منسوخة بقوله: ﴿فَنِصْفُ ما فَرَضْتُمْ﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا نَكَحْتُمُ المُؤْمِناتِ﴾... إلى قوله: ﴿سَرَاحاً جَمِيلاً﴾ قال: قال سعيد بن المسيب: ثم نسخ هذا الحرف المتعة ﴿وَإنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ ما فَرَضْتُمْ﴾.

حدثنا ابن بشار وابن المثنى، قالا: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: سمعت قتادة يحدّث عن سعيد بن المسيب، قال: نسخت هذه الآية ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذَا نَكَحْتُمُ المُؤْمِناتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَها فَمَتِّعُوهُنَّ﴾ قال: نسخت هذه الآية التي في البقرة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ إنَّا أحْلَلْنا لَكَ أزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ يعني: اللاتي تزوّجتهنّ بصداق مسمى، كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿أزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ قال: صدقاتهنّ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ إنَّا أحْلَلْنا لَكَ أزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾ قال: كان كل امرأة آتاها مهراً، فقد أحلها الله له.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ إنَّا أحْلَلْنا لَكَ أزْوَاجَكَ اللاَّتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾... إلى قوله: ﴿خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ﴾ فما كان من هذه التسمية ما شاء كثيراً أو قليلاً.

وقوله: ﴿وَما مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أفاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ﴾ يقول: وأحللنا لك إماءك اللواتي سبيتهنّ، فملكتهنّ بالسباء، وصرن لك بفتح الله عليك من الفيء ﴿وَبَناتِ عَمِّكَ وَبَناتِ عَمَّاتِكَ وَبَناتِ خالِكَ وبَناتِ خالاتِكَ اللاَّتِي هاجَرْنَ مَعَكَ﴾ فأحلّ الله له ﷺ من بنات عمه وعماته وخاله وخالاته، المهاجرات معه منهنّ دون من لم يهاجر منهنّ معه، كما:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عبد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن السدي، عن أبي صالح، عن أمّ هانىء، قالت: خطبني النبيّ ﷺ، فاعتذرت له بعذري، ثم أنزل الله عليه: ﴿إنَّا أحْلَلْنا لَكَ أزْوَاجَكَ اللاَّتي آتَيتَ أُجُورَهُنَّ﴾... إلى قوله ﴿اللاَّتِي هاجَرْنَ مَعَكَ﴾ قالت: فلم أحلّ له، لم أهاجر معه، كنت من الطلقاء.

وقد ذُكر أن ذلك في قراءة ابن مسعود: «وَبَناتِ خالاتِكَ وَاللاَّتِي هاجَرْنَ مَعَكَ» بواو وذلك وإن كان كذلك في قراءته محتمل أن يكون بمعنى قراءتنا بغير الواو، وذلك أن العرب تدخل الواو في نعت من قد تقدم ذكره أحياناً، كما قال الشاعر:

فَإِنَّ رُشَيداً وَابنَ مَرْوَانَ لَمْ يَكُنْ لِيَفْعَلَ حتى يَصْدُرَ الأَمْرُ مَصْدَرَا[1]

ورشيد هو ابن مروان. وكان الضحاك بن مزاحم يتأوّل قراءة عبد الله هذه أنهنّ نوع غير بنات خالاته، وأنهنّ كل مهاجرة هاجرت مع النبيّ ﷺ. ذكر الخبر عنه بذلك:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيْد، قال: سمعت الضحاك يقول في حرف ابن مسعود: «وَاللاَّتِي هاجَرْنَ مَعَكَ» يعني بذلك: كلّ شيء هاجر معه ليس من بنات العمّ والعمة، ولا من بنات الخال والخالة.

وقوله: ﴿وَامْرأَةً مُؤْمِنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَها للنَّبِيّ﴾ يقول: وأحللنا له امرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي بغير صداق، كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

---

(١) البيت من شواهد الفراء «معاني القرآن» مصورة الجامعة (ص ـ ٢٥٧) قال عند قوله تعالى: ﴿وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك﴾: وفي قراءة عبد الله (يعني ابن مسعود): ﴿وبنات خالك وبنات خالاتك. واللاتي هاجرن معك﴾، فقد تكون المهاجرات هن بنات الخال والخالة وإن كانت فيه الواو، فقال: واللاتي، والعرب تنعت بالواو وبغير الواو، كما قال الشاعر:

«فإن رشيداً وابن مروان...

الخ». وأنت تقول في الكلام: إن زرت أخاً لك وابن عمك القريب لك؛ وإن قلت: والقريب لك. كان صواباً. وقد نقله المؤلف عن الفراء. وأوضحه بقوله في البيت:

ورشيد هو ابن مروان

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿وَامْرأةً مُؤْمِنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَها للنَّبِيّ﴾** بغير صداق، فلم يكن يفعل ذلك، وأحلّ له خاصة من دون المؤمنين.

وذُكر أن ذلك في قراءة عبد الله: «وَامْرأةً مُؤْمِنَةً وَهَبَتْ نَفْسَها للنَّبِيّ» بغير إن، ومعنى ذلك ومعنى قراءتنا وفيها «إن» واحد، وذلك كقول القائل في الكلام: لا بأس أن يطأ جارية مملوكة إن ملكها، وجارية مملوكة ملكها.

وقوله **﴿إنْ أرَادَ النَّبِيُّ أنْ يَسْتَنْكِحَها﴾** يقول: إن أراد أن ينكحها، فحلال له أن ينكحها إذا وهبت نفسها له بغير مهر **﴿خالِصَةً لَكَ﴾** يقول: لا يحلّ لأحد من أمّتك أن يقرب امرأة وهبت نفسها له، وإنما ذلك لك يا محمد خالصة أخلصت لك من دون سائر أمتك، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ﴾** يقول: ليس لامرأة أن تهب نفسها لرجل بغير أمر وليّ ولا مهر، إلا للنبيّ، كانت له خالصة من دون الناس. ويزعمون أنها نزلت في ميمونة بنت الحارث أنها التي وهبت نفسها للنبيّ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿يا أيُّها النَّبِيُّ إنَّا أحْلَلْنا لَكَ أزْوَاجَكَ﴾**... إلى قوله **﴿خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ﴾** قال: كان كل امرأة آتاها مهراً فقد أحلها الله له إلى أن وهب هؤلاء أنفسهنّ له، فأحللن له دون المؤمنين بغير مهر خالصة لك من دون المؤمنين إلا امرأة لها زوج.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن صالح بن مسلم، قال: سألت الشعبي عن امرأة وهبت نفسها لرجل، قال: لا يكون، لا تحلّ له، إنما كانت للنبيّ ﷺ.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: **﴿إنْ وَهَبَتْ نَفْسَها﴾** فقرأ ذلك عامة قرّاء الأمصار: **﴿إنْ وَهَبَتْ﴾** بكسر الألف على وجه الجزاء، بمعنى: إن تهب. وذُكر عن الحسن البصري أنه قرأ: «أنْ وَهَبَتْ» بفتح الألف، بمعنى: وأحللنا له امرأة مؤمنة أن ينكحها، لهبتها له نفسها.

والقراءة التي لا أستجيز خلافها في كسر الألف لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وأما قوله: **﴿خالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ المُؤْمِنِينَ﴾** ليس ذلك للمؤمنين. وذُكر أن لرسول الله ﷺ قبل أن تنزل عليه هذه الآية أن يتزوّج أيّ النساء شاء، فقصره الله على هؤلاء، فلم يعدُهن، وقصر سائر أمته على مثنى وثلاث ورُباع.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت داود بن أبي هند، عن محمد بن أبي موسى، عن زياد رجل من الأنصار، عن أبيّ بن كعب، أن التي أحلّ الله للنبيّ

من النساء هؤلاء اللاتي ذكر الله ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ إنَّا أحْلَلْنا لَكَ أزْوَاجَكَ اللاَّتي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ﴾... إلى قوله: ﴿فِي أزْوَاجِهِمْ﴾ وإنما أحلّ الله للمؤمنين مثنى وثُلاث ورُباع.

وحدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ إنَّا أحْلَلْنا لَكَ أزْوَاجَكَ﴾... إلى آخر الآية، قال: حرّم الله عليه ما سوى ذلك من النساء وكان قبل ذلك ينكح في أيّ النساء شاء، لم يحرّم ذلك عليه، فكان نساؤه يجدن من ذلك وجداً شديداً أن ينكح في أيّ الناس أحبّ فلما أنزل الله: إني قد حرّمت عليك من الناس سوى ما قصصت عليك، أعجب ذلك نساءه.

واختلف أهل العلم في التي وهبت نفسها لرسول الله ﷺ من المؤمنات، وهل كانت عند رسول الله ﷺ امرأة كذلك؟ فقال بعضهم: لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين، فأما بالهبة فلم يكن عنده منهنّ أحد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، عن عنبسة بن الأزهر، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لم يكن عند رسول الله ﷺ امرأة وهبت نفسها.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن الحكم، عن مجاهد، أنه قال في هذه الآية: ﴿وَامْرأةً مُؤْمِنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَها للنَّبِيِّ﴾ قال: أن تهب.

وأما الذين قالوا: قد كان عنده منهن، فإن بعضهم قال: كانت ميمونة بنت الحارث. وقال بعضهم: هي أمّ شريك. وقال بعضهم: زينب بنت خزيمة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن ابن عباس، قال: ﴿وَامْرأةً مُؤْمِنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَها للنَّبِيِّ﴾ قال: هي ميمونة بنت الحارث.

وقال بعضهم: زينب بنت خزيمة أمّ المساكين امرأة من الأنصار.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، قال: ثني الحكم، قال: كتب عبد الملك إلى أهل المدينة يسألهم، قال: فكتب إليه عليّ، قال شعبة: وهو ظني عليّ بن حسين، قال: وقد أخبرني به أبان بن تغلب، عن الحكم، أنه عليّ بن الحسين، الذي كتب إليه، قال: هي امرأة من الأسد يقال لها أمّ شريك، وهبت نفسها للنبيّ.

قال: ثنا شعبة، قال: ثني عبد الله بن أبي السفر، عن الشعبي، أنها امرأة من الأنصار،

وهبت نفسها للنبيّ، وهي ممن أرجأ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثني سعيد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن خولة بنت حكيم بن الأوقص من بني سليم، كانت من اللاتي وهبن أنفسهنّ لرسول الله ﷺ.

قال: ثني سعيد بن أبي الزناد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: كنا نتحدّث أن أمّ شريك كانت وهبت نفسها للنبيّ ﷺ، وكانت امرأة صالحة.

وقوله: ﴿**قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَيهِمْ فِي أزْوَاجِهِمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم إذا أرادوا نكاحهنّ مما لم نفرضه عليك، وما خصصناهم به من الحكم في ذلك دونك، وهو أنا فرضنا عليهم أنه لا يحلّ لهم عقد نكاح على حرّة مسلمة إلا بوليّ عَصَبة وشهود عدول، ولا يحلّ لهم منهنّ أكثر من أربع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عبد الله بن أحمد بن شبوَيه، قال: ثنا مطهر، قال: ثنا عليّ بن الحسين، قال: ثني أبي، عن مطر، عن قتادة، في قول الله: ﴿**قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَيهِمْ فِي أزْوَاجِهِمْ**﴾ قال: إن مما فرض الله عليهم أن لا نكاح إلا بوليّ وشاهدين.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن ليث، عن مجاهد ﴿**قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَيهِمْ فِي أزْوَاجِهِمْ**﴾ قال: في الأربع.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿**قَدْ عَلِمْنا ما فَرَضْنا عَلَيهِمْ فِي أزْوَاجِهِمْ**﴾ قال: كان مما فرض الله عليهم أن لا تزوّج امرأة إلا بوليّ وصداق عند شاهدي عدل، ولا يحلّ لهم من النساء إلا أربع، وما ملكت أيمانهم.

وقوله: ﴿**وَما مَلَكَتْ أيمانُهُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره: قد علمنا ما فرضنا على المؤمنين في أزواجهم، لأنه لا يحلّ لهم منهنّ أكثر من أربع، وما ملكت أيمانهم، فإن جميعهن إذا كنّ مؤمنات أو كتابيات، لهم حلال بالسباء والتسرّي وغير ذلك من أسباب الملك. وقوله: ﴿**لِكَيلا يَكُونَ عَلَيكَ حَرَجٌ وكانَ اللّهُ غَفُوراً رَحِيماً**﴾ يقول تعالى ذكره: إنا أحللنا لك يا محمد أزواجك اللواتي ذكرنا في هذه الآية، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيّ، إن أراد النبيّ أن يستنكحها، لكيلا يكون عليك إثم وضيق في نكاح من نكحت من هؤلاء الأصناف التي أبحت لك نكاحهنّ من المسمّيات في هذه الآية، وكان الله غفوراً لك ولأهل الإيمان بك، رحيماً بك وبهم أن يعاقبهم على سالف ذنب منهم سلف بعد توبتهم منه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿تُرجِي مَنْ تَشاءُ مِنهُنَّ وَتُؤْوِي إلَيكَ مَنْ تَشاءُ﴾ فقال بعضهم: عنى بقوله: ترجي: تؤخِّر، وبقوله: تؤوي: تضمّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿تُرجِي مَنْ تَشاءُ مِنهُنَّ﴾ يقول: تؤخر.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿تُرجِي مَنْ تَشاءُ مِنهُنَّ﴾ قال: تعزل بغير طلاق من أزواجك من تشاء ﴿وَتُؤْوِي إلَيكَ مَنْ تَشاءُ﴾ قال: تردّها إليك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿تُرجِي مَنْ تَشاءُ مِنهُنَّ وَتُؤْوِي إلَيكَ مَنْ تَشاءُ﴾ قال: فجعله الله في حلّ من ذلك أن يدع من يشاء منهنّ، ويأتي من يشاء منهنّ بغير قسم، وكان نبيّ الله يقسم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، قال: ثنا عمرو، عن منصور، عن أبي رزين ﴿تُرجِي مَنْ تَشاءُ مِنهُنَّ وَتُؤْوِي إلَيكَ مَنْ تَشاءُ﴾ قال: لما أشفقن أن يطلقهنّ، قلن: يا نبيّ الله، اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت فكان ممن أرجأ منهنّ سودة بنت زمعة، وجُوَيرية، وصفية، وأمّ حبيبة، وميمونة وكان ممن آوى إليه: عائشة، وأمّ سلمة، وحفصة، وزينب.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿تُرجِي مَنْ تَشاءُ مِنهُنَّ وَتُؤْوِي إلَيكَ مَنْ تَشاءُ﴾ فما شاء صنع في القسمة بين النساء، أحل الله له ذلك.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير عن منصور، عن أبي رزين، في قوله: ﴿تُرجِي مَنْ تَشاءُ مِنهُنَّ وَتُؤْوِي إلَيكَ مَنْ تَشاءُ﴾ وكان ممن آوى عليه الصلاة والسلام: عائشة، وحفصة، وزينب، وأمّ سلمة، فكان قسمه من نفسه لهنّ سويّ قسمه وكان ممن أرجى: سودة، وجُوَيرية،

وصفية، وأمّ حبيبة، وميمونة، فكان يقسم لهنّ ما شاء، وكان أراد أن يفارقهنّ، فقلن: اقسم لنا من نفسك ما شئت، ودعنا نكون على حالنا.

وقال آخرون: معنى ذلك: تطلق وتخلي سبيل من شئت من نسائك، وتمسك من شئت منهنّ فلا تطلق.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس قوله: ﴿**تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ**﴾ أمها المؤمنين ﴿**وَتُؤْوِي إلَيْكَ مَنْ تَشاءُ**﴾ يعني: نساء النبيّ ﷺ، ويعني بالإرجاء: يقول: من شئت خليت سبيله منهنّ، ويعني بالإيواء: يقول: من أحببت: أمسكت منهنّ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: تترك نكاح من شئت، وتنكح من شئت من نساء أمتك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: قال الحسن في قوله: ﴿**تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إلَيْكَ مَنْ تَشاءُ**﴾ قال: كان نبيّ الله ﷺ إذا خطب امرأة لم يكن لرجل أن يخطبها حتى يتزوّجها أو يتركها.

وقيل: إن ذلك إنما جعل الله لنبيه حين غار بعضهنّ على النبيّ ﷺ، وطلب بعضهنّ من النفقة زيادة على الذي كان يعطيها، فأمره الله أن يخيرهنّ بين الدار الدنيا والآخرة، وأن يخلي سبيل من اختار الحياة الدنيا وزينتها، ويمسك من اختار الله ورسوله فلما اخترن الله ورسوله قيل لهنّ: اقررن الآن على الرضا بالله وبرسوله، قَسَم لكنّ رسول الله ﷺ، أو لم يقسم، أو قسم لبعضكنّ، ولم يقسم لبعضكنّ، وفضل بعضكنّ على بعض في النفقة، أو لم يفضل، سوّى بينكنّ، أو لم يسوّ، فإن الأمر في ذلك إلى رسول الله ﷺ، ليس لكم من ذلك شيء. وكان رسول الله ﷺ فيما ذُكر مع ما جعل الله له من ذلك، يسوّي بينهنّ في القَسم، إلا امرأة منهنّ أراد طلاقها، فرضيت بترك القسم لها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن أبي رزين، قال: لما أراد النبيّ ﷺ أن يطلق أزواجه، قلن له: افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت، فأمره الله فآوى أربعاً، وأرجى خمساً.

حدثنا سفيان بن وكيع، قال: ثنا عبيدة بن سليمان، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن

عائشة أنها قالت: أما تستحيي المرأة أن تهب نفسها للرجل حتى أنزل الله. ﴿**تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشاءُ**﴾ فقلت: إن ربك ليسارع في هواك.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن بشر، يعني العبدي، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، أنها كانت تعير النساء اللاتي وهبن أنفسهنّ لرسول الله ﷺ وقالت: أما تستحيي امرأة أن تعرض نفسها بغير صداق، فنزلت، أو فأنزل الله: ﴿**تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ**﴾ فقلت: إني لأرى ربك يُسارع لك في هواك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿**تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَنْ تَشاءُ**﴾... الآية. قال: كان أزواجه قد تغايرن على النبيّ ﷺ، فهجرهن شهراً، ثم نزل التخيير من الله له فيهنّ، فقرأ حتى بلغ: ﴿**وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجاهِلِيَّةِ الأُولى**﴾ فخيرهنّ بين أن يخترن أن يخلي سبيلهنّ ويسرّحهنّ وبين أن يقمن إن أردن الله ورسوله على أنهنّ أمهات المؤمنين، لا ينكحن أبداً، وعلى أنه يؤوي إليه من يشاء منهنّ ممن وهبت نفسها له حتى يكون هو يرفع رأسه إليها، ويرجي من يشاء، حتى يكون هو يرفع رأسه إليها، ومن ابتغى ممن هي عنده وعزل فلا جناح عليه، ذلك أدنى أن تقرّ أعينهنّ ولا يحزنّ، ويرضين إذا علمن أنه من قضائي عليهنّ إيثار بعضهنّ على بعض ﴿**ذلكَ أدْنَى أنْ**﴾ يرضين، قال: ﴿**وَمَنِ ابْتَغَيْتَ**﴾ ممن عزلت: من ابتغى أصابه، ومن عزل لم يصبه، فخيرهنّ بين أن يرضين بهذا، أو يفارقهنّ، فاخترن الله ورسوله، إلا امرأة واحدة بدوية ذهبت. وكان على ذلك صلوات الله عليه، وقد شرط الله له هذا الشرط، ما زال يعدل بينهنّ حتى لقي الله.

وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره جعل لنبيه أن يرجي من النساء اللواتي أحلهنّ له من يشاء، ويُؤوي إليه منهنّ من يشاء، وذلك أنه لم يحصر معنى الإرجاء والإيواء على المنكوحات اللواتي كنّ في حباله، عندما نزلت هذه الآية دون غيرهنّ ممن يستحدث إيواؤها أو إرجاؤها منهنّ. وإذ كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام: تؤخر من تشاء ممن وهبت نفسها لك، وأحللت لك نكاحها، فلا تقبلها ولا تنكحها، أو ممن هنّ في حبالك، فلا تقربها، وتضمّ إليك من تشاء ممن وهبت نفسها لك، أو أردت من النساء التي أحللت لك نكاحهنّ، فتقبلها أو تنكحها، وممن هي في حبالك فتجامعها إذا شئت، وتتركها إذا شئت بغير قَسْم.

وقوله: ﴿**وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُناحَ عَلَيْكَ**﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: ومن نكحت من نسائك فجامعت ممن لم تنكح، فعزلته عن الجماع، فلا جناح عليك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿**وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُناحَ عَلَيْكَ**﴾ قال: جميعاً هذه في نسائه، إن شاء أتى من شاء منهنّ، ولا جناح عليه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ**﴾ قال: ومن ابتغى أصابه، ومن عزل لم يصبه.

وقال آخرون: معنى ذلك: ومن استبدلت ممن أرجيت، فخليت سبيله من نسائك، أو ممن مات منهنّ ممن أحللت لك فلا جناح عليك.

ذكر مَن قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُناحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أدْنَى أنْ تَقَرَّ أعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِما آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ**﴾ يعني بذلك: النساء اللاتي أحلّ الله له من بنات العمّ والعمة والخال والخالة ﴿**واللاَّتِي هاجَرْنَ مَعَكَ**﴾ يقول: إن مات من نسائك اللاتي عندك أحد، أو خليت سبيله، فقد أحللت لك أن تستبدل من اللاتي أحللت لك مكان من مات من نسائك اللاتي هنّ عندك، أو خليت سبيله منهنّ، ولا يصلح لك أن تزداد على عدّة نسائك اللاتي عندك شيئاً.

وأولى التأويلين بالصواب في ذلك، تأويل من قال: معنى ذلك: ومن ابتغيت إصابته من نسائك ﴿**مِمَّنْ عَزَلْتَ**﴾ عن ذلك منهنّ ﴿**فَلا جُناحَ عَلَيْكَ**﴾ لدلالة قوله: ﴿**ذَلِكَ أدْنَى أنْ تَقَرَّ أعْيُنُهُنَّ**﴾ على صحة ذلك، لأنه لا معنى لأن تقرّ أعينهنّ إذا هو ﷺ استبدل بالميتة أو المطلقة منهنّ، إلا أن يعني بذلك: ذلك أدنى أن تقرّ أعين المنكوحة منهنّ، وذلك مما يدلّ عليه ظاهر التنزيل بعيد.

وقوله: ﴿**ذَلِكَ أدْنَى أنْ تَقَرَّ أعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ**﴾ يقول: هذا الذي جعلت لك يا محمد من إذني لك أن ترجي من تشاء من النساء اللواتي جعلت لك إرجاءهنّ، وتؤوي من تشاء منهنّ، ووضعي عنك الحرج في ابتغائك إصابة من ابتغيت إصابته من نسائك، وعزلك عن ذلك من عزلت منهنّ، أقرب لنسائك أن تقرّ أعينهنّ به ولا يَحْزَنّ ويرضين بما آتيتهنّ كلهنّ من تفضيل من فضلت من قسم، أو نفقة وإيثار من آثرت منهم بذلك على غيره من نسائك، إذا هنّ علمن أنه من رضاي منك بذلك، وإذني لك به، وإطلاق مني لا من قِبَلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ إذا علمن أن هذا جاء من الله لرخصة، كان أطيب لأنفسهنّ، وأقلّ لحزنهنّ.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ذلك، نحوه.

والصواب من القراءة في قوله: ﴿بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾ الرفع غير جائز غيره عندنا، وذلك أن كلهنّ ليس بنعت للهاء في قوله ﴿آتَيْتَهُنَّ﴾، وإنما معنى الكلام: ويرضين كلهنّ، فإنما هو توكيد لما في يرضين من ذكر النساء وإذا جعل توكيداً للهاء التي في آتيتهنّ لم يكن له معنى، والقراءة بنصبه غير جائزة لذلك، ولإجماع الحجة من القرّاء على تخطئة قارئه كذلك.

وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ ما فِي قُلُوبِكُمْ﴾ يقول: والله يعلم ما في قلوب الرجال من ميلها إلى بعض من عنده من النساء دون بعض بالهوى والمحبة يقول: فلذلك وضع عنك الحرج يا محمد فيما وُضع عنك من ابتغاء من ابتغيت منهنّ، ممن عزلت تفضلاً منه عليك بذلك وتكرمة ﴿وكانَ اللَّهُ عَلِيماً﴾ يقول: وكان الله ذا علم بأعمال عباده، وغير ذلك من الأشياء كلها ﴿حَلِيماً﴾ يقول: ذا حلم على عباده، أن يعاجل أهل الذنوب منهم بالعقوبة، ولكنه ذو حلم وأناة عنهم، ليتوب من تاب منهم، وينيب من ذنوبه من أناب منهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى: ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: لا يحلّ لك النساء من بعد نسائك اللاتي خيرتهنّ، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ﴾... الآية إلى ﴿رَقِيباً﴾ قال: نُهيَ رسول الله ﷺ أن يتزوّج بعد نسائه الأُوَل شيئاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ

بَعْدُ﴾. . . إلى قوله: **﴿إلاَّ ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾** قال: لما خيرهنّ، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة قصره عليهنّ، فقال: **﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ وَلاَ أنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أزْوَاجٍ﴾** وهنّ التسع التي اخترن الله ورسوله.

وقال آخرون: إنما معنى ذلك: لا يحلّ لك النساء بعد التي أحللنا لك بقولنا **﴿يا أيهَا النَّبيّ إنَّا أحْلَلْنا لَكَ أزْواجَكَ﴾**. . . إلى قوله **﴿اللاَّتِي هاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرأةً مُؤْمِنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ﴾**. وكأنَّ قائلي هذه المقالة وجهوا الكلام إلى أن معناه: لا يحلّ لك من النساء إلا التي أحللناها لك.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن محمد بن أبي موسى، عن زياد، قالا لأبيّ بن كعب: هل كان للنبيّ ﷺ لو مات أزواجه أن يتزوّج؟ قال: ما كان يحرم عليه ذلك فقرأت عليه هذه الآية: **﴿يا أيُها النَّبِيُّ إنَّا أحْلَلْنا لَكَ أزْوَاجَكَ﴾** قال: فقال: أحلّ له ضرباً من النساء، وحرّم عليه ما سواهنّ أحلّ له كل امرأة آتى أجرها، وما ملكت يمينه مما أفاء الله عليه، وبنات عمه وبنات عماته، وبنات خاله وبنات خالاته، وكل امرأة وهبت نفسها له إن أراد أن يستنكحها خالصة له من دون المؤمنين.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن محمد بن أبي موسى، عن زياد الأنصاريّ قال: قلت لأُبيّ بن كعب: أرأيت لو مات نساء النبيّ ﷺ، أكان يحلّ له أن يتزوّج؟ قال: وما يحرّم ذلك عليه، قال: قلت قوله: **﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ﴾** قال: إنما أحلّ الله له ضرباً من النساء.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن داود بن أبي هند، قال: ثني محمد بن أبي موسى، عن زياد، رجل من الأنصار، قال: قلت لأبيّ بن كعب: أرأيت لو أن أزواج النبيّ ﷺ توفِّينَ، أما كان له أن يتزوّج؟ فقال: وما يمنعه من ذلك؟ وربما قال داود: وما يحرّم عليه ذلك؟ قلت: قوله: **﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ﴾** فقال: إنما أحلّ الله له ضرباً من النساء، فقال: **﴿يا أيها النَّبي إنَّا أحْلَلْنا لَكَ أزْوَاجَكَ﴾**. . . إلى قوله: **﴿إنْ وَهَبَتْ نَفْسَها للنَّبيّ﴾** ثم قيل له: **﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ﴾**.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام بن سلم، عن عنبسة، عمن ذكره، عن أبي صالح **﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ﴾** قال: أمر أن لا يتزوّج أعرابية ولا غريبة، ويتزوّج بعد من نساء تهامة، ومن شاء من بنات العمّ والعمة، والخال والخالة إن شاء ثلاث مئة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن عكرمة ﴿**لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ**﴾ هؤلاء التي سمى الله إلا ﴿**بَنات عَمِّكَ**﴾... الآية.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ**﴾ يعني: من بعد التسمية، يقول: لا يحلّ لك امرأة إلا ابنة عمّ أو ابنة عمة، أو ابنة خال أو ابنة خالة، أو امرأة وهبت نفسها لك، من كان منهنّ هاجر مع نبيّ الله ﷺ. وفي حرف ابن مسعود: «وَاللاَّتي هاجَرْنَ مَعَكَ» يعني بذلك: كل شيء هاجر معه ليس من بنات العم والعمة، ولا من بنات الخال والخالة.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا يحلّ لك النساء من غير المسلمات فأما اليهوديات والنصرانيات والمشركات فحرام عليك.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ**﴾ لا يهودية، ولا نصرانية، ولا كافرة.

وأولى الأقوال عندي بالصحة قول من قال: معنى ذلك: لا يحلّ لك النساء من بعد اللواتي أحللتهن لك بقولي: ﴿**إنَّا أحْلَلْنا لَكَ أزْوَاجَكَ اللاَّتي آتَيتَ أُجُورَهُنَّ**﴾.... إلى قوله: ﴿**وَامْرأةً مُؤْمِنَةً إنْ وَهَبَتْ نَفْسَها للنَّبِيِّ**﴾.

وإنما قلت ذلك أولى بتأويل الآية، لأن قوله: ﴿**لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ**﴾ عَقيب قوله: ﴿**إنَّا أحْلَلْنا لَكَ أزْوَاجَكَ**﴾ وغير جائز أن يقول: قد أحللت لك هؤلاء، ولا يحللن لك إلا بنسخ أحدهما صاحبه، وعلى أن يكون وقت فرض إحدى الآيتين، فَعَلَ الأخرى منهما. فإذ كان ذلك كذلك ولا برهان ولا دلالة على نسخ حكم إحدى الآيتين حكم الأخرى، ولا تقدّم تنزيل إحداهما قبل صاحبتها، وكان غير مستحيل مخرجهما على الصحة، لم يجز أن يقال: إحداهما ناسخة الأخرى. وإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن لقول من قال: معنى ذلك: لا يحلّ من بعد المسلمات يهودية ولا نصرانية ولا كافرة، معنى مفهوم، إذ كان قوله ﴿**مِنْ بَعْدُ**﴾ إنما معناه: من بعد المسميات المتقدم ذكرهنّ في الآية قبل هذه الآية، ولم يكن في الآية المتقدم فيها ذكر المسميات بالتحليل لرسول الله ﷺ ذكر إباحة المسلمات كلهنّ، بل كان فيها ذكر أزواجه وملك يمينه الذي يفيء الله عليه، وبنات عمه وبنات عماته، وبنات خاله وبنات خالاته، اللاتي هاجرن معه، وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيّ، فتكون الكوافر مخصوصات بالتحريم، صحّ ما قلنا في ذلك، دون قول من خالف قولنا فيه.

واختلفت القراء في قراءة قوله ﴿**لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ**﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والكوفة ﴿**يحِلُّ**﴾ بالياء، بمعنى: لا يحلّ لك شيء من النساء بعد. وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل البصرة: «لا تَحِلُّ لَكَ النِّساءُ» بالتاء، توجيهاً منه إلى أنه فعل للنساء، والنساء جمع للكثير منهن.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك قراءة من قرأه بالياء للعلة التي ذكرت لهم، ولإجماع الحجة من القرّاء على القراءة بها، وشذوذ من خالفهم في ذلك.

وقوله: ﴿**وَلا أنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أزْوَاجٍ وَلَوْ أعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ**﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: لا يحلّ لك النساء من بعد المسلمات، لا يهودية ولا نصرانية ولا كافرة، ولا أن تبدّل بالمسلمات غيرهنّ من الكوافر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وَلا أنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أزْوَاجٍ**﴾ ولا أن تبدّل بالمسلمات غيرهنّ من النصارى واليهود والمشركين ﴿**وَلَوْ أعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إلاَّ ما مَلَكَتْ يَمينُكَ**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن أبي رزين، في قوله: ﴿**لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أزْوَاجٍ وَلَوْ أعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إلاَّ ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ**﴾ قال: لا يحلّ لك أن تتزوّج من المشركات إلا من سبيت فملكته يمينك منهنّ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولا أن تبدّل بأزواجك اللواتي هنّ في حبالك أزواجاً غيرهنّ، بأن تطلقهنّ، وتنكح غيرهنّ.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: ثنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وَلا أنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أزْوَاجٍ وَلَوْ أعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ**﴾ يقول: لا يصلح لك أن تطلق شيئاً من أزواجك ليس يعجبك، فلم يكن يصلح ذلك له.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ولا أن تبادل من أزواجك غيرك، بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَلا أنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أزْوَاجٍ وَلَوْ أعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ**﴾ قال: كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم. يعطي هذا

امرأته هذا ويأخذ امرأته، فقال: ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إلاَّ ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ لا بأس أن تبادل بجاريتك ما شئت أن تبادل، فأما الحرائر فلا قال: وكان ذلك من أعمالهم في الجاهلية.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: معنى ذلك: ولا أن تطلق أزواجك فتستبدل بهنّ غيرهنّ أزواجاً.

وأنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لما قد بينا قبل من أن قول الذي قال معنى قوله: ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ﴾ لا يحلّ لك اليهودية أو النصرانية والكافرة، قول لا وجه له.

فإذ كان ذلك كذلك فكذلك قوله: ﴿وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾ كافرة لا معنى له، إذ كان من المسلمات من قد حرم عليه بقوله ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ﴾ الذي دللنا عليه قبل. وأما الذي قاله ابن زيد في ذلك أيضاً، فقول لا معنى له، لأنه لو كان بمعنى المبادلة، لكانت القراءة والتنزيل: ولا أن تبادل بهنّ من أزواج، أو: ولا أن تُبدّل بهنّ بضمّ التاء ولكن القراءة المجمع عليها. ولا أن تبدّل بهنّ، بفتح التاء، بمعنى: ولا أن تستبدل بهنّ، مع أنّ الذي ذكر ابن زيد من فعل الجاهلية غير معروف في أمة نعلمه من الأمم: أن يُبادل الرجل آخر بامرأته الحرّة، فيقال: كان ذلك من فعلهم، فنهى رسول الله ﷺ عن فعل مثله.

فإن قال قائل: أفلم يكن لرسول الله ﷺ أن يتزوّج امرأة على نسائه اللواتي كنّ عنده، فيكون موجهاً تأويل قوله: ﴿وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ إلى ما تأوّلت، أو قال: وأين ذكر أزواجه اللواتي كنّ عنده في هذا الموضع، فتكون الهاء من قوله: ﴿وَلا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ﴾ من ذكرهن وتوهم أن الهاء في ذلك عائدة على النساء، في قوله: ﴿لا يَحِلُّ لَكَ النِّساءُ مِنْ بَعْدُ﴾؟ قيل: قد كان لرسول الله ﷺ أن يتزوّج من شاء من النساء اللواتي كان الله أحلهنّ له على نسائه اللاتي كن عنده يوم نزلت هذه الآية، وإنما نُهي ﷺ بهذه الآية أن يفارق من كان عنده بطلاق أراد به استبدال غيرها بها، لإعجاب حسن المستبدلة له بها إياه إذ كان الله قد جعلهنّ أمّهات المؤمنين وخيرهن بين الحياة الدنيا والدار الآخرة، والرضا بالله ورسوله، فاخترن الله ورسوله والدار الآخرة، فحرمن على غيره بذلك، ومنع من فراقهنّ بطلاق فأما نكاح غيرهنّ فلم يمنع منه، بل أحلّ الله له ذلك على ما بين في كتابه. وقد رُوي عن عائشة أن النبيّ ﷺ لم يقبض حتى أحلّ الله له نساء أهل الأرض.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، عن ابن جُرَيج، عن عطاء، عن عائشة قالت: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحلّ له النساء تعني أهل الأرض.

حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري، قال: ثنا سفيان، عن عمرو، عن عطاء، عن عائشة،

قالت: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحلّ له النساء.

حدثنا العباس بن أبي طالب، قال: ثنا معلى، قال: ثنا وهيب، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير الليثي، عن عائشة قالت: ما توفي رسول الله ﷺ حتى أحلّ له أن يتزوّج من النساء ما شاء.

حدثني أبو زيد عمر بن شبة، قال: ثنا أبو عاصم، عن ابن جُرَيج، عن عطاء، قال: أحسب عبيد بن عمير، حدثني، قال أبو زيد، وقال أبو عاصم مرّة، عن عائشة، قالت: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحلّ الله له النساء. قال: وقال أبو الزبير: شهدت رجلاً يحدّثه عطاء.

حدثنا أحمد بن منصور، قال: ثنا موسى بن إسماعيل قال: ثنا همام، عن ابن جُرَيج، عن عطاء عن عبيد بن عمير، عن عائشة، قالت: ما مات رسول الله ﷺ حتى أحلّ له النساء.

فإن قال قائل: فإن كان الأمر على ما وصفت من أن الله حرّم على نبيه بهذه الآية طلاق نسائه اللواتي خيرهنّ فاخترنه، فما وجه الخبر الذي رُوي عنه أنه طلق حفصة ثم راجعها، وأنه أراد طلاق سودة حتى صالحته على ترك طلاقه إياها، ووهبت يومها لعائشة؟ قيل: كان ذلك قبل نزول هذه الآية.

والدليل على صحة ما قلنا، من أن ذلك كان قبل تحريم الله على نبيه طلاقهن، الرواية الواردة أن عمر دخل على حفصة معاقبَها حين اعتزل رسول الله ﷺ نساءه، كان من قيله لها: قد كان رسول الله ﷺ طلقك، فكلمته فراجعك، فوالله لئن طلَّقك، أو لو كان طلَّقك لا كلَّمته فيك وذلك لا شك قبل نزول آية التخيير، لأن آية التخيير إنما نزلت حين انقضى وقت يمين رسول الله ﷺ على اعتزالهنّ.

وأما أمر الدلالة على أن أمر سَوْدة كان قبل نزول هذه الآية، أن الله إنما أمر نبيه بتخيير نسائه بين فراقه والمُقام معه على الرضا بأن لا قَسْم لهن، وأنه يُرْجِي من يشاء منهنّ، ويُؤْوي منهنّ من يشاء، ويُؤْثر من شاء منهنّ على من شاء، ولذلك قال له تعالى ذكره: ﴿**وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلا جُناحَ عَلَيْكَ ذلكَ أدْنَى أنْ تَقَرَّ أعْيُنُهُنَّ وَلا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ**﴾، ومن المحال أن يكون الصلح بينها وبين رسول الله ﷺ جرى على تركها يومها لعائشة في حالٍ لا يومَ لها منه.

وغير جائز أن يكون كان ذلك منها إلا في حالٍ كان لها منه يومٌ هوَ لها حقّ كان واجباً على رسول الله ﷺ أداؤه إليها، ولم يكن ذلك لهنّ بعد التخيير لما قد وصفت قبل فيما مضى من كتابنا هذا.

فتأويل الكلام: لا يحلّ لك يا محمد النساء من بعد اللواتي أحللتهنّ لك في الآية قبلُ، ولا أن تُطَلق نساءك اللواتي اخترن الله ورسوله والدار الآخرة، فتبدّل بهنّ من أزواج ولو أعجبك حسن من أردت أن تبدّل به منهنّ، إلا ما ملكت يمينك. وأن في قوله ﴿**أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ**﴾ رفع، لأن معناها: لا يحلّ لك النساء من بعد، ولا الاستبدال بأزواجك، وإلا في قوله: ﴿**إلاَّ ما مَلَكَتْ يَمِينُكَ**﴾ استثناء من النساء. ومعنى ذلك: لا يحلّ لك النساء من بعد اللواتي أحللتهنّ لك، إلا ما ملكت يمينك من الإماء، فإن لك أن تَمْلك من أيّ أجناس الناس شئت من الإماء.

وقوله: ﴿**وكان اللَّهُ على كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً**﴾ يقول: وكان الله على كل شيء ما أحلّ لك، وحرّم عليك، وغير ذلك من الأشياء كلها، حفيظاً لا يعزُب عنه علم شيء من ذلك، ولا يؤوده حفظ ذلك كله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وكانَ اللَّهُ على كُلِّ شَيْءٍ رَقِيباً**﴾: أي حفيظاً، في قول الحسن وقتادة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا (٥٣)﴾.

يقول تعالى ذكره لأصحاب رسول الله ﷺ: يا أيها الذين أمنوا بالله ورسوله، لا تدخلوا بيوت نبيّ الله إلا أن تُدْعَوا إلى طعام تطعمونه ﴿**غيرَ ناظِرِينَ إناهُ**﴾ يعني: غير منتظرين إدراكه وبلوغه وهو مصدر من قولهم: قد أنى هذا الشيء يَأْنِي إنىً وأنياً وإنَاءً قال الحُطَيْئة:

وآنَيْتُ العَشاءَ إلى سُهَيْلٍ أوِ الشِّعْرَى فَطالَ بيَ الأَناءُ[1]

(١) البيت للحطيئة «اللسان» أني. وآنيت الشيء: أخرته، والاسم منه الأناء على فعال بالفتح، يريد أنه أخر عشاءه إلى طلوع سهيل أو طلوع الشعري، فطال انتظاره. قال: ورواه أبو سعيد (الأصمعي): وأنيت، بتشديد النون. ويقال: أنيت الطعام في النار: إذا أطلت مكثه. وأني الشيء يأني أنياً وإني وأني: حان وأدرك. وقال أبو عبيدة في «**مجاز القرآن**» (مصورة الجامعة ص ـ ١٩٧ أ) «إلى طعام غير ناظرين إناه». أي إدراكه وبلوغه. ويقال: =

وفيه لغة أخرى، يقال: قد إن لك: أي تبين لك إيناً، ونال لك، وأنال لك ومنه قول رُؤبة ابن العَجاج:

هاجَتْ وَمِثْلِي نَوْلُه أنْ يَرْبَعا حَمامَةٌ ناحَتْ حَماماً سُجَّعا[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**إلى طَعامٍ غيرَ ناظِرِينَ إناهُ**﴾ قال: مُتَحَيِّنين نُضْجَه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿**غيرَ ناظِرِينَ إناهُ**﴾ يقول: غير ناظرين الطعامَ أن يُصْنَع.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**غيرَ ناظِرِينَ إناهُ**﴾ قال: غير متحينين طعامه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة، مثله.

ونصب ﴿**غيرَ**﴾ في قوله: ﴿**غَيرَ ناظِرِينَ إناهُ**﴾ على الحال من الكاف والميم في قوله: ﴿**إلاَّ أنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ**﴾ لأن الكاف والميم معرفة وغير نكرة، وهي من صفة الكاف والميم. وكان بعض نحويِّي البصرة يقول: لا يجوز في «غير» الجرّ على الطعام، إلا أن تقول: أنتم، ويقول: ألا ترى أنك لو قلت: أبدى لعبد الله عليّ امرأة مبغضاً لها، لم يكن فيه إلا النصب، إلا أن تقول: مبغض لها هو، لأنك إذا أجريت صفته عليها، ولم تظهر الضمير الذي يدلّ على أن الصفة له لم يكن كلاماً، لو قلت: هذا رجل مع امرأةٍ مُلازِمِها، كان لحناً، حتى ترفع، فتقول ملازمُها، أو تقول مُلازِمِهَا هُو، فتجرّ.

= أني لك يأني أنياً: أي بلغ وأدرك. قال:

تمخضت المنون له بيوم أنى ولكل حاملة تمام

(١) البيتان: من مشطور الرجز، لرؤبة الراجز المشهور (ديوانه طبعة ليبسج سنة ١٩٠٣ ص - ٨٧). وفي «**اللسان**» نول: أما نول فتقول: نولك أن تفعل كذا: أي ينبغي لك فعل كذا. وفي «**الصحاح**» أي حقك أن تفعل كذا. وأصله من التناول، كأنه يقول: تناولك كذا وكذا. قال العجاج:

«هاجت..... إلخ

أي حقه أن يكف. وقيل: الرجز لرؤبة. وأصل النول مصدر ناله بالخير ينوله نوالاً، ونولاً، ونيلاً ويقال: أناله بخير إنالة.

وكان بعض نحويي الكوفة يقول: لو جعلت «غير» في قوله: ﴿غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ﴾ خفضاً كان صواباً، لأن قبلها الطعام وهو نكرة، فيجعل فعلهم تابعاً للطعام، لرجوع ذكر الطعام في إناه، كما تقول العرب: رأيت زيداً مع امرأةٍ محسناً إليها ومحسنٍ إليها، فمن قال محسناً جعله من صفة زيد، ومن خفضه فكأنه قال: رأيته مع التي يحسن إليها فإذا صارت الصلة للنكرة أتبعتها وإن كانت فعلاً لغير النكرة، كما قال الأعشى:

فَقُلْتُ لَهُ هَذِهِ هَاتِهَا ... إِلَيْنَا بِأَدْمَاءَ مُقْتَادِهَا[1]

فجعل المقتاد تابعاً لإعراب بأدماء، لأنه بمنزلة قولك: بأدماء تقتادها، فخفضه، لأنه صلة لها، قال: ويُنْشَد: «بأدماءِ مقتادِها» بخفض الأدماء لإضافتها إلى المقتاد، قال: ومعناه: هاتها على يدي من اقتادها. وأنشد أيضاً:

وَإِنَّ امْرَأً أَهْدَى إِلَيْكِ وَدُونَهُ ... مِنَ الأَرْضِ مَوْمَاةٌ وَبَيْدَاءُ فَيْهَقُ
لَمَحْقُوقَةٌ أَنْ تَسْتَجِيبِي لِصَوْتِهِ ... وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمُعَانَ مُوَفَّقُ[2]

---

(١) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ص ـ ٦٩) ورواية البيت فيه:

فَقُلْنَا لَهُ هَذِهِ هَاتِهَا ... بِأَدْمَاءَ فِي حَبْلِ مُقْتَادِهَا

هي وغير رواية المؤلف التي استشهد بها. وليس في رواية الديوان شاهد للمؤلف. والشاعر يمدح بالقصيدة سلامة ذا فائش من أقيال اليمن وفي مقدمة القصيدة أبيات في الغزل والخمر، ومنها هذا البيت. وقوله (هذه): إشارة إلى الخمر التي جاء بها الساقي يؤامر الشاعر في شربها ويساومه في ثمنها وقد رضي الشاعر بأن يشتري الخمر التي وصف، على أن يكون ثمنها ناقته الأدماء التي يقودها خادمه بحبلها. والأدمة في الإبل: البياض مع سواد المقلتين «اللسان» هذا تفسير البيت على رواية الديوان. فأما على رواية المؤلف، فإنه جعل إعراب «مقتادها» بالجر إتباعاً لأدماء، لأنها نكرة، وإن كان الاقتياد لخادمه المفهوم من المقام، فهي صفة جارية على غير صاحبها، ولم يصرح بضمير الفاعل، وهذا جائز عند الكوفيين. فأما البصريون فيوجبون في مثل هذا الموضع إبراز ضمير النعت إذا كان لغير المنعوت فلا بد أن يقال: مقتادها أنت أي صاحب الخمر. أو يقول: مقتادهاهو: أي يقتادها الخادم، فأما إذا كان المنعوت معرفة كما في قوله تعالى: ﴿إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه﴾ فيجوز في (غير) النصب على الحال من الضمير في لكم، ويجوز الجر عند الكوفيين بالإتباع على النعت، وإن لم يبرز معه الضمير. وقد أوضح المؤلف المقام توضيحاً كاملاً، لا يحتاج معه إلى مزيد من القول.

(٢) البيتان للأعشى. وقد سبق الاستشهاد بهما في كلام المؤلف على مثل ما استشهد بهما عليه هنا انظر (١٧/ ١٩٧) والشاهد في قوله: «المحقوقة»، فإنه خبر عن قوله: «وإن امرأ». والخبر. هنا: غير المخبر عنه، لأن المبتدأ هنا مذكر، والخبر مؤنث. وقد اختلف النحاة في مثل هذا فقال البصريون كان يجب أن يقول: «لمحقوقة أنت» بإبراز الضمير، لأن تركه يحدث لبسا في الكلام ولا يعلم المراد بالمحقوقة أي شخص هو؟ وأما الكوفيون فقد جوزوا في هذه الحالة وأمثالها في الخبر والنعت اللذين لا يطابقان صاحبهما، أن يبرز الضمير، وألا يبرز، على خلاف ما قاله البصريون، وأستشهدوا ببيتي الأعشى على مجيء الخبر غير مطابق لما هو له، بدون إبراز الضمير، وحمل البصريون ذلك في البيت على الاتساع والحذف (وانظر المسألة مفصلة =

وحُكِي عن بعض العرب سَمَاعاً يُنْشِد:

أرأيتِ إذْ أعْطَيْتُكِ الوُدَّ كُلَّه ولَمْ يَكُ عِنْدي إنْ أَبَيْتِ إباءُ
أمُسْلِمَتِي لِلْمَوْتِ أنتِ فَمَيِّتٌ وَهَلْ لِلنُّفُوسِ المُسْلِماتِ بَقاءُ(١)

ولم يقل: فميت أنا، وقال الكسائي: سمعت العرب تقول: يدك باسطها، يريدون أنت، وهو كثير في الكلام، قال: فعلى هذا يجوز خفض «غير».

والصواب من القول في ذلك عندنا، القول بأجازة جرّ «غير» في «غير ناظرين» في الكلام، لا في القراءة، لما ذكرنا من الأبيات التي حكيناها فأما في القراءة فغير جائز في «غير» غير النصب، لإجماع الحجة من القرّاء على نصبها.

وقوله: ﴿**وَلَكِنْ إذاً دُعِيتُمْ فادْخُلُوا**﴾ يقول: ولكن إذا دعاكم رسول الله ﷺ فادخلوا البيت الذي أذن لكم بدخوله ﴿**فإذَا طَعِمْتُمْ فانْتَشِرُوا**﴾ يقول: فإذا أكلتم الطعام الذي دعيتم لأكله فانتشروا، يعني فتفرّقوا واخرجوا من منزله. ﴿**وَلا مُسْتأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ**﴾ فقوله: ﴿**وَلا مُستأنِسينَ لِحَديثٍ**﴾ في موضع خفض عطفاً به على ناظرين، كما يقال في الكلام: أنت غير ساكت ولا ناطق. وقد يحتمل أن يقال: «مستأنسين» في موضع نصب عطفاً على معنى ناظرين، لأن معناه: إلا أن يؤذن لكم إلى طعام لا ناظرين إناه، فيكون قوله: ﴿**وَلا مُسْتأْنِسِينَ**﴾ نصباً حينئذ، والعرب تفعل ذلك إذا حالت بين الأوّل والثاني، فتردّ أحياناً على لفظ الأوّل، وأحياناً على معناه، وقد ذكر الفراء أن أبا القمقام أنشده:

أجِدَّكَ لَسْتَ الدَّهْرَ رَائِيَ رَامَةٍ وَلا عاقِلٍ إلاَّ وأنْتَ جَنِيبُ
وَلا مُصْعِدٍ فِي المُصْعِدِينَ لَمِنْعِجٍ وَلا هابِطا ما عِشْتُ هَضْبَ شَطِيبِ(٢)

= في كتاب الإنصاف في مسائل الخلاف، بين البصريين والكوفيين، لأبي البركات عبد الرحمٰن بن الأنباري، طبع القاهرة ص ـ ٤٥، ٤٨ المسألة رقم ٨).

(١) هذان البيتان لم أجدهما في «معاني القرآن» للفراء، ولا في «مجاز القرآن» لأبي عبيدة. والشاهد فيهما أن قوله فميت معطوف على: قوله «أمسلمتي»، والمعطوف هنا غير المعطوف عليه في المعنى، فكان مقتضى ذلك أن يقول: فميت أنا، بإبراز الضمير، على مذهب البصريين، ولكنه لم يبرز الضمير وهو موافق لمذهب الكوفيين الذين يقولون بجواز إبراز الضمير وعدم إبرازه، وهذا كثير في كلام العرب.

(٢) البيتان من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (مصورة الجامعة ٢٥٨) وروايته، أصح من رواية المؤلف. ورامة، وعاقل ومنعج (في رواية المؤلف)، ومنبج (في رواية الفراء) أسماء مواضع في جزيرة العرب، إلا منبج ففي الشام، قرب حلب. والبيتان مما أنشده أبو القمقام الفراء. والشاهد في قوله: «ولا مصعد» بالجر فإنه معطوف على «رائي» والمعطوف عليه منصوب، والمعطوف مجرور على توهم زيادة الباء في خبر ليس وهو المعطوف عليه الأول، كأنه قال: لست براء ولا مصعد. وقد ساق الفراء البيتين في توجيه إعراب قوله تعالى: ﴿ولا مستأنسين﴾ فإنه رده عطفاً على «ناظرين إناه» بالجر، أو بالنصب إتباعاً لغير. قال: ولو جعلت المستأنسين في =

فردّ «مصعد» على أن «رائي» فيه باء خافضة، إذ حال بينه وبين المصعد بما حال بينهما من الكلام.

ومعنى قوله: ﴿وَلا مُسْتأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾: ولا متحدّثين بعد فراغكم من أكل الطعام إيناساً من بعضكم لبعض به، كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَلا مُسْتأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ بعد أن تأكلوا.

واختلف أهل العلم في السبب الذي نزلت هذه الآية فيه، فقال بعضهم: نزلت بسبب قوم طعموا عند رسول الله ﷺ في وليمة زينب بنت جحش، ثم جلسوا يتحدّثون في منزل رسول الله ﷺ، وبرسول الله ﷺ إلى أهله حاجة، فمنعه الحياء من أمرهم بالخروج من منزله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عمران بن موسى القزاز، قال: ثنا عبد الوارث، قال: ثنا عبد العزيز بن صُهَيب، عن أنس بن مالك، قال: بنى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش، فبعثت داعياً إلى الطعام، فدعوت، فيجيء القوم يأكلون ويخرجون ثم يجيء القوم يأكلون ويخرجون، فقلت: يا نبيّ الله قد دعوت حتى ما أجد أحداً أدعوه، قال: «ارفعوا طعامكم»، وإن زينب لجالسة في ناحية البيت، وكانت قد أعطيت جمالاً، وبقي ثلاثة نفر يتحدّثون في البيت، وخرج رسول الله ﷺ منطلقاً نحو حجرة عائشة، فقال: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ أهْلَ البَيْتِ» فقالوا: وعليك السلام يا رسول الله، كيف وجدت أهلك؟ قال: فأتى حجر نسائه، فقالوا مثل ما قالت عائشة، فرجع النبيّ ﷺ، فإذا الثلاثة يتحدّثون في البيت، وكان النبيّ ﷺ شديد الحياء، فخرج النبيّ ﷺ منطلقاً نحو حجرة عائشة، فلا أدري أَخبرَتْه، أو أُخبر أن الرهط قد خرجوا، فرجع حتى وضع رجله في أُسكفّة داخل البيت، والأخرى خارجه، إذ أرخى الستر بيني وبينه، وأُنزلت آية الحجاب.

حدثني أبو معاوية بشر بن دحية، قال: ثنا سفيان، عن الزهريّ، عن أنس بن مالك، قال: سألني أبيّ بن كعب عن الحجاب، فقلت: أنا أعلم الناس به، نزلت في شأن زينب أولم النبيّ ﷺ عليها بتمر وسويق، فنزلت: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيّ إلاَّ أنْ يُؤْذَنَ

= موضع نصب: تتوهم أن تتبعه بغير، لما أن حلت بينهما بكلام. وكذلك كل معنى احتمل وجهين ثم فرقت بينهما بكلام جاز أن يكون الآخر معرباً بخلاف الأول. من ذلك قولك: ما أنت بمحسن إلى من أساء إليك ولا مجملاً.

لَكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾.

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، قال: ثني عمي، قال: أخبرني يونس، عن الزهريّ، قال: أخبرني أنس بن مالك أنه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله ﷺ إلى المدينة، فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل في مبتنى رسول الله ﷺ بزينب بنت جحش أصبح رسول الله ﷺ بها عروساً، فدعا القوم فأصابوا من الطعام حتى خرجوا، وبقي منهم رهط عند رسول الله ﷺ فأطالوا المكث، فقام رسول الله ﷺ وخرج، وخرجت معه لكي يخرجوا، فمشى رسول الله ﷺ ومشيت معه، حتى جاء عتبة حجرة عائشة زوج النبيّ ﷺ، ثم ظنّ رسول الله ﷺ أنهم قد خرجوا، فرجع ورجعت معه، حتى دخل على زينب، فإذا هم جلوس لم يقوموا، فرجع رسول الله ﷺ ورجعت معه، فإذا هم قد خرجوا، فضرب بيني وبينه ستراً، وأنزل الحجاب.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن حميد، عن أنس، قال: دعوت المسلمين إلى وليمة رسول الله ﷺ، صبيحة بنى بزينب بنت جحش، فأوسعهم خبزاً ولحماً، ثم رجع كما كان يصنع، فأتى حجر نسائه فسلم عليهنّ، فدعون له، ورجع إلى بيته وأنا معه فلما انتهينا إلى الباب إذا رجلان قد جرى بهما الحديث في ناحية البيت، فلما أبصرهما ولى راجعاً فلما رأيا النبيّ ﷺ ولّى عن بيته، ولّيا مُسْرِعين، فلا أدري أنا أخبرته، أو أُخبر فرجع إلى بيته، فأرخى الستر بيني وبينه، ونزلت آية الحجاب.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن حميد، عن أنس بن مالك، قال: قال عمر بن الخطاب: قلت لرسول الله ﷺ: لو حجبت عن أمهات المؤمنين، فإنه يدخل عليك البرّ والفاجر، فنزلت آية الحجاب.

حدثني القاسم بن بشر بن معروف، قال: ثنا سليمان بن حرب، قال: ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك، قال: أنا أعلم الناس بهذه الآية، آية الحجاب لما أُهديت زينب إلى رسول الله ﷺ صنع طعاماً، ودعا القوم، فجاؤوا فدخلوا وزينب مع رسول الله ﷺ في البيت، وجعلوا يتحدّثون، وجعل رسول الله ﷺ يخرج ثم يدخل وهم قعود، قال: فنزلت هذه الآية: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيّ﴾.... إلى: ﴿فاسألُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ﴾ قال: فقام القوم وضرب الحجاب.

حدثني عمر بن إسماعيل بن مجالد، قال: ثنا أبي، عن بيان، عن أنس بن مالك، قال: بنى رسول الله ﷺ بامرأة من نسائه، فأرسلني، فدعوت قوماً إلى الطعام فلما أكلوا وخرجوا، قام رسول الله ﷺ منطلقاً قِبَلَ بيت عائشة، فرأى رجلين جالسين، فانصرف راجعاً، فأنزل الله: ﴿يا

أيها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إلاَّ أنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾.

حدثنا عمرو بن عليّ، قال: ثنا أبو داود، قال: ثنا المسعودي، قال: ثنا ابن نهشل، عن أبي وائل، عن عبد الله، قال: أمر عمر نساء النبيّ ﷺ بالحجاب، فقالت زينب: يا بن الخطاب، إنك لتغار علينا، والوحي ينزل في بيوتنا، فأنزل الله: ﴿وَإذَا سألْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فاسألُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ﴾.

حدثني محمد بن مرزوق، قال: ثنا أشهل بن حاتم، قال: ثنا ابن عون، عن عمرو بن سعيد، عن أنس، قال: وكنت مع النبيّ ﷺ، وكان يمرّ على نسائه، قال: فأتى بامرأة عروس، ثم جاء وعندها قوم، فانطلق فقضى حاجته، واحتبس وعاد وقد خرجوا قال: فدخل فأرخى بيني وبينه سترا، قال: فحدثت أبا طلحة، فقال: إن كان كما تقول: لينزلنّ في هذا شيء، قال: ونزلت آية الحجاب.

وقال آخرون: كان ذلك في بيت أمّ سلمة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿وَلَكِنْ إذَا دُعِيتُمْ فادْخُلُوا فإذَا طَعِمْتُمْ فانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسينَ لِحَدِيثٍ﴾ قال: كان هذا في بيت أمّ سلمة، قال: أكلوا، ثم أطالوا الحديث، فجعل النبيّ ﷺ يدخل ويخرج ويستحي منهم، والله لا يستحي من الحق.

قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَإذَا سألْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فاسألُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ﴾ قال: بلغنا أنهنّ أُمرن بالحجاب عند ذلك.

وقوله: ﴿إنَّ ذَلِكُمْ كانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾. يقول: إن دخولكم بيوت النبيّ من غير أن يؤذن لكم، وجلوسكم فيها مستأنسين للحديث بعد فراغكم من أكل الطعام الذي دعيتم له، كان يؤذي النبيّ، فيستحي منكم أن يخرجكم منها إذا قعدتم فيها للحديث بعد الفراغ من الطعام، أو يمنعكم من الدخول إذا دخلتم بغير إذن مع كراهيته لذلك منكم ﴿وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الحَقّ﴾ أن يتبين لكم، وإن استحيا نبيكم فلم يبين لكم كراهية ذلك حياء منكم ﴿وَإذَا سألْتَمُوهُنَّ مَتاعاً فاسألُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ﴾ يقول: وإذا سألتم أزواج رسول الله ﷺ ونساء المؤمنين اللواتي لسن لكم بأزواج متاعاً ﴿فاسألُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ﴾ يقول: من وراء ستر بينكم وبينهنّ، ولا تدخلوا عليهنّ بيوتهنّ ﴿ذَلِكُمْ أطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ يقول تعالى ذكره: سؤالكم إياهنّ المتاع إذا سألتموهنّ ذلك من وراء حجاب أطهر لقلوبكم وقلوبهنّ من عوارض العين فيها التي تعرض في صدور الرجال من أمر النساء، وفي صدور النساء من أمر الرجال، وأحرى من أن لا يكون

للشيطان عليكم وعليهنّ سبيل.

وقد قيل: إن سبب أمر الله النساء بالحجاب، إنما كان من أجل أن رجلاً كان يأكل مع رسول الله ﷺ وعائشة معهما، فأصابت يدها يد الرجل، فكره ذلك رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن ليث، عن مجاهد أن رسول الله ﷺ كان يطعم ومعه بعض أصحابه، فأصابت يد رجل منهم يد عائشة، فكره ذلك رسول الله ﷺ، فنزلت آية الحجاب.

وقيل: نزلت من أجل مسألة عمر رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب ويعقوب، قالا: ثنا هشيم، قال: ثنا حميد الطويل، عن أنس، قال: قال عمر بن الخطاب: قلت: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهنّ البرّ والفاجر، فلو أمرتهن أن يحتجبن؟ قال: فنزلت آية الحجاب.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا حميد، عن أنس، عن النبيّ ﷺ بنحوه.

حدثني أحمد بن عبد الرحمن، قال: ثني عمرو بن عبد الله بن وهب، قال: ثني يونس، عن الزهريّ، عن عروة، عن عائشة قالت: إن أزواج النبيّ ﷺ كنّ يخرجن بالليل إذا تبرّزن إلى «المناصع» وهو صعيد أفيح، وكان عمر يقول: يا رسول الله، احجب نساءك، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة، زوج النبيّ ﷺ، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر بصوته الأعلى: قد عرفناك يا سودة، حرصاً أن ينزل الحجاب، قال: فأنزل الله الحجاب.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا ابن نمير، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة، قالت: خرجت سودة لحاجتها بعد ما ضرب علينا الحجاب، وكانت امرأة تفرع النساء طولاً، فأبصرها عمر، فناداها: يا سودة، إنك والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين، أو كيف تصنعين؟ فانكفأت فرجعت إلى رسول الله ﷺ وإنه ليتعشى، فأخبرته بما كان، وما قال لها، وإن في يده لعَرْقاً[1]، فأوحي إليه، ثم رفع عنه، وإن العَرْق لفي يده، فقال: «لقد أُذن لكنّ أن تخرجن لحاجتكنّ».

---

(١) العرق بفتح فسكون: العظم إذا أخذ عنه معظم اللحم. يقال: عرقت العظم، واعترقته وتعرقته: إذا أخذت عنه اللحم بإسنانك «النهاية» لابن الأثير.

حدثني أحمد بن محمدالطوسي، قال: ثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، قال: ثنا همام، قال: ثنا عطاء بن السائب، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، قال: أمر عمر نساء النبيّ ﷺ بالحجاب فقالت زينب: يا ابن الخطاب، إنك لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا؟ فأنزل الله: وَإِذَا سأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فاسأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ.

حدثني أبو أيوب النهراني سليمان بن عبد الحميد، قال: ثنا يزيد بن عبد ربه، قال: ثني ابن حرب، عن الزبيدي، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أن أزواج النبيّ ﷺ، كنّ يخرجن بالليل إذا تبرّزن إلى «المناصع» وهو صعيد أفيح وكان عمر بن الخطاب يقول لرسول الله ﷺ: احجب نساءك، فلم يكن رسول الله ﷺ يفعل، فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبيّ ﷺ ليلة من الليالي عشاء، وكانت امرأة طويلة، فناداها عمر بصوته الأعلى: قد عرفناك يا سودة، حرصاً على أن ينزل الحجاب، قالت عائشة: فأنزل الله الحجاب، قال الله: **﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا﴾**. . . الآية.

وقوله: **﴿وَما كانَ لَكُمْ أنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾** يقول تعالى ذكره: وما ينبغي لكم أن تؤذوا رسول الله، وما يصلح ذلك لكم **﴿وَلا أنْ تَنْكِحُوا أزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أبَداً﴾** يقول: وما ينبغي لكم أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً لأنهنّ أمهاتكم، ولا يحلّ للرجل أن يتزوّج أمه.

وذُكر أن ذلك نزل في رجل كان يدخل قبل الحجاب، قال: لئن مات محمد لأتزوجنّ امرأة من نسائه سماها، فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك: **﴿وَما كانَ لَكُمْ أن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أنْ تَنْكِحُوا أزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أبَداً﴾**.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله: **﴿وَما كانَ لَكُمْ أنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلا أنْ تَنْكِحُوا أزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أبَداً إنَّ ذَلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً﴾** قال: ربما بلغ النبيّ ﷺ أن الرجل يقول: لو أن النبيّ ﷺ توفي تزوّجت فلانة من بعده، قال: فكان ذلك يؤذي النبيّ ﷺ، فنزل القرآن: **﴿وَما كانَ لَكُمْ أنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾**. . . . الآية.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا عبد الوهاب، قال: ثنا داود، عن عامر أن النبيّ ﷺ مات، وقد ملك قيلة بنت الأشعث، فتزوّجها عكرمة بن أبي جهل بعد ذلك، فشقّ على أبي بكر مشقة شديدة، فقال له عمر: يا خليفة رسول الله إنها ليست من نسائه إنها لم يخيرّها رسول الله ﷺ ولم يحجبها، وقد برأها منه بالردّة التي ارتدّت مع قومها، فاطمأنّ أبو بكر وسكن.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر، أن رسول الله ﷺ

توفي وقد ملك بنت الأشعث بن قيس، ولم يجامعها، ذكر نحوه.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ كانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيماً﴾ يقول: إن أذاكم رسول الله ﷺ ونكاحكم أزواجه من بعده عند الله عظيم من الإثم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن تظهروا بألسنتكم شيئاً أيها الناس من مراقبة النساء، أو غير ذلك مما نهاكم عنه أو أذى لرسول الله ﷺ بقول: لأتزوجنّ زوجته بعد وفاته، ﴿أو تخفوه﴾ يقول: أو تخفوا ذلك في أنفسكم، فإن الله كان بكل شيء عليماً، يقول: فإن الله بكل ذلك وبغيره من أموركم وأمور غيركم، عليم لا يخفى عليه شيء، وهو يجازيكم على جميع ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لا حرج على أزواج رسول الله ﷺ في آبائهنّ ولا إثم.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي وضع عنهنّ الجناح في هؤلاء، فقال بعضهم: وضع عنهنّ الجناح في وضع جلابيبهنّ عندهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن ابن أبي ليلى، عن عبد الكريم، عن مجاهد، في قوله: ﴿لا جُناحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبائهنَّ﴾... الآية كلها، قال: أن تضع الجلباب.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿لا جُناحَ عَلَيْهِنَّ في آبائهن﴾ ومن ذكر معه أن يروهنّ.

وقال آخرون: وضع عنهنّ الجناح فيهنّ في ترك الاحتجاب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد عن قتادة، في قوله ﴿لا جُناحَ عَلَيْهِنَّ﴾... إلى ﴿شَهِيداً﴾: فرخص لهؤلاء أن لا يحتجبن منهم.

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك وضع الجناح عنهنّ في هؤلاء المسلمين أن لا يحتجبن منهم، وذلك أن هذه الآية عقيب آية الحجاب، وبعد قول الله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتاعاً فاسأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجابٍ﴾ فلا يكون قوله: ﴿لا جُناحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبائِهِنَّ﴾ استثناء من جملة الذين أمروا بسؤالهنّ المتاع من وراء الحجاب إذا سألوهنّ ذلك أولى وأشبه من أن يكون خبر مبتدإ عن غير ذلك المعنى.

فتأويل الكلام إذن: لا إثم على نساء النبيّ ﷺ، وأمّهات المؤمنين في إذنهنّ لآبائهنّ، وترك الحجاب منهنّ، ولا لأبنائهنّ ولا لإخوانهنّ، ولا لأبناء إخوانهنّ. وعُني بإخوانهنّ وأبناء إخوانهنّ إخوتهنّ وأبناء إخوتهنّ. وخرج معهم جمع ذلك مخرج جمع فتى إذا جمع فتيان، فكذلك جمع أخ إذا جمع إخوان. وأما إذا جمع إخوة، فذلك نظير جمع فتى إذا جمع فتية، ولا أبناء إخوانهنّ، ولم يذكر في ذلك العمّ على ما قال الشعبي حذراً من أن يصفهنّ لأبنائه.

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا حجاج بن المنهال، قال: ثنا حماد، عن داود، عن الشعبي وعكرمة في قوله: ﴿لا جُناحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبائِهِنَّ وَلا أَبْنائِهِنَّ وَلا إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْناءِ إِخْوَانِهِنَّ وَلا أَبْناءِ أَخَوَاتِهِنَّ وَلا نِسائِهِنَّ وَلا ما مَلَكَتْ أَيمَانُهُنَّ﴾ قلت: ما شأن العم والخال لم يذكرا؟ قال: لأنهما ينعتانها لأبنائهما، وكرهاً أن تضع خمارها عند خالها وعمها.

حدثنا ابن المثنى، ، قال: ثنا أبو الوليد، قال: ثنا حماد، عن داود، عن عكرمة والشعبيّ نحوه، غير أنه لم يذكر ينعتانها.

وقوله: ﴿وَلا نسائِهِنَّ﴾ يقول: ولا جناح عليهنّ أيضاً في أن لا يحتجبن من نساء المؤمنين، كما:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلا نِسائِهِنَّ﴾. قال: نساء المؤمنات الحرائر ليس عليهنّ جناح أن يرين تلك الزينة، قال: وإنما هذا كله في الزينة، قال: ولا يجوز للمرأة أن تنظر إلى شيء من عورة المرأة، قال: ولو نظر الرجل إلى فخذ الرجل لم أر به بأساً، قال: ﴿وَلا ما مَلَكَتْ أَيمَانُهُنَّ﴾ فليس ينبغي لها أن تكشف قرطها للرجل، قال: وأما الكحل والخاتم والخضاب، فلا بأس به، قال: والزوج له فضل، والآباء من وراء الرجل لهم فضل. قال: والآخرون يتفاضلون، قال: وهذا كله يجمعه ما ظهر من الزينة، قال: وكان أزواج النبيّ ﷺ لا يحتجبن من المماليك.

وقوله: ﴿وَلا ما مَلَكَتْ أَيمَانُهُنَّ﴾ من الرجال والنساء. وقال آخرون: من النساء. وقوله: ﴿وَاتَّقِينَ اللَّهِ﴾ يقول: وخَفن الله أيها النساء أن تتعدّين ما حدّ الله لكن، فتبدين من زينتكنّ ما ليس لكنّ أن تبدينه، أو تتركن الحجاب الذي أمركنّ الله بلزومه، إلا فيما أباح لكن تركه، والزمْنَ

طاعته ﴿إنَّ اللَّهَ عَلى كُلّ شَيْءٍ شَهِيداً﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله شاهد على ما تفعلنه من احتجابكنّ، وترككنّ الحجاب لمن أبحت لكن ترك ذلك له، وغير ذلك من أموركنّ يقول: فاتقين الله في أنفسكنّ لا تلقين الله، وهو شاهد عليكم بمعصيته، وخلاف أمره ونهيه، فتهلكن، فإنه شاهد على كلّ شيء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الله وملائكته يبرّكون على النبيّ محمد ﷺ، كما:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿إنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ على النَّبِيّ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ يقول: يباركون على النبيّ.

وقد يحتمل أن يقال: إن معنى ذلك: أن الله يرحم النبيّ، وتدعو له ملائكته ويستغفرون، وذلك أن الصلاة في كلام العرب من غير الله إنما هو دعاء. وقد بيَّنا ذلك فيما مضى من كتابنا هذا بشواهده، فأغنى ذلك عن إعادته.

﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾ يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين آمنوا ادعوا لنبيّ الله محمد ﷺ ﴿وَسَلِّمُوا عَلَيْهِ تَسْلِيماً﴾ يقول: وحيوه تحية الإسلام. وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار عن رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا هارون، عن عنبسة، عن عثمان بن موهب، عن موسى بن طلحة، عن أبيه، قال: أتى رجل النبيّ ﷺ، فقال: سمعت الله يقول: ﴿إنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ على النَّبِيّ﴾ . . . الآية، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: «قُلِ: اللَّهُمَّ صَلّ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كمَا صَلَّيْتَ عَلى إبْرَاهِيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كمَا بارَكْتَ عَلى إبْراهِيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

حدثني جعفر بن محمد الكوفي، قال: ثنا يعلى بن الأجلح، عن الحكم بن عُتيبة، عن عبد الرحمن بن أبي لَيلى، عن كعب بن عُجرة، قال: لما نزلت: ﴿إنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلى النَّبِيّ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ قمت إليه، فقلت: السلام عليك قد عرفناه،

فكيف الصلاة عليك يا رسول الله؟ قال: «قُلِ اللّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كمَا صَلَّيْتَ عَلى إبْراهِيمَ وآلِ إبْراهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كمَا بارَكْتَ عَلى إبْراهِيمَ وآلِ إبْراهِيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا مالك بن إسماعيل، قال: ثنا أبو إسرائيل، عن يونس بن خباب، قال: خطبنا بفارس فقال: **﴿إنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ﴾**... الآية، فقال: أنبأني من سمع ابن عباس يقول: هكذا أنزل، فقلنا: أو قالوا يا رسول الله قد علمنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كمَا صَلَّيْتَ عَلى إبْرَاهِيمَ وآلِ إبْراهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ وَعَلى آلِ مُحَمَّدٍ، كمَا بارَكْتَ عَلى إبْراهِيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن زياد، عن إبراهيم في قوله **﴿إنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ﴾**... الآية، قالوا: يا رسول الله هذا السلام قد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ فقال: قولوا: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مَحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وأهْلِ بَيْتِهِ كمَا صَلَّيْتَ عَلى إبْراهِيمَ إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

حدثني يعقوب الدورقي، قال: ثنا ابن علية، قال: ثنا أيوب، عن محمد بن سيرين، عن عبد الرحمن بن بشر بن مسعود الأنصاري، قال: لما نزلت: **﴿إنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلى النَّبِيِّ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾** قالوا: يا رسول الله هذا السلام قد عرفناه، فكيف الصلاة، وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخر؟ قال: «قولوا: اللَّهُمّ صَلِّ عَلى مُحَمَّدٍ كمَا صَلَّيْتَ عَلى آلِ إبْراهِيمَ، اللَّهُمَّ بارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ كمَا بارَكْتَ على آلِ إبْراهِيمَ».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿إنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلى النَّبِيِّ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾** قال: لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله قد علمنا السلام عليك، فكيف الصلاة عليك؟ قال: «قولوا: اللَّهُمّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ، كمَا صَلَّيْتَ عَلى إبْرَاهِيمَ، وَبارِكْ عَلى مُحَمَّدٍ كمَا بارَكْتَ عَلى إبْرَاهِيمَ» وقال الحسن: «اللهمّ اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد، كما جعلتها على إبراهيم إنك حميد مجيد».

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾.

يعني بقوله تعالى ذكره: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ إنّ الذين يؤذون ربهم بمعصيتهم إياه، وركوبهم ما حرّم عليهم. وقد قيل: إنه عنى بذلك أصحاب التصاوير، وذلك أنهم يرومون تكوين خلق مثل خلق الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد القرشي، قال: ثنا يحيى بن سعيد، عن سلمة بن الحجاج، عن عكرِمة، قال: الذين يؤذون الله ورسوله هم أصحاب التصاوير.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ وأعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً**﴾ قال: يا سبحان الله ما زال أناس من جهلة بني آدم حتى تعاطوا أذى ربهم وأما أذاهم رسول الله ﷺ فهو طعنهم عليه في نكاحه صفية بنت حييّ فيما ذكر.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيا والآخِرَةِ وأعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً**﴾ قال: نزلت في الذين طعنوا على النبيّ ﷺ حين اتخذ صفية بنت حييّ بن أخطب.

وقوله: ﴿**وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ في الدُّنْيا والآخِرَةِ**﴾ يقول تعالى ذكره: أبعدهم الله من رحمته في الدنيا والآخرة وأعدّ لهم في الآخرة عذاباً يهينهم فيه بالخلود فيه.

وقوله: ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ**﴾ كان مجاهد يوجه معنى قوله ﴿**يُؤْذُونَ**﴾ إلى يقفون. ذكر الرواية بذلك عنه:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ**﴾ قال: يقفون.

فمعنى الكلام على ما قال مجاهد: والذين يقفون المؤمنين والمؤمنات، ويعيبونهم طلباً لشينهم ﴿**بغَيْرِ ما اكْتَسَبُوا**﴾ يقول: بغير ما عملوا، كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**بغَيْرِ ما اكْتَسَبُوا**﴾ قال عملوا.

حدثنا نصر بن عليّ، قال: ثنا عثام بن عليّ، عن الأعمش، عن مجاهد، قال: قرأ ابن

عمر: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ ما اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وإثْماً مُبِيناً﴾ قال: فكيف إذا أوذي بالمعروف، فذلك يضاعف له العذاب.

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا عثام بن عليّ، عن الأعمش، عن ثور، عن ابن عمر ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُون المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ ما اكْتَسَبُوا﴾ قال: كيف بالذي يأتي إليهم المعروف.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ المُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ بِغَيْرِ ما اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وإثْماً مُبِيناً﴾ فإياكم وأذى المؤمن، فإن الله يحوطه، ويغضب له.

وقوله: ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وإثْماً مُبِيناً﴾ يقول: فقد احتملوا زوراً وكذباً وفرية شنيعة وبهتان: أفحش الكذب ﴿وإثْماً مُبِيناً﴾ يقول: وإثماً يبينُ لسامعه أنه إثم وزور.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: يا أيها النبيّ قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين، لا تتشبهن بالإماء في لباسهنّ إذا هن خرجن من بيوتهنّ لحاجتهنّ، فكشفن شعورهنّ ووجوههنّ، ولكن ليدنين عليهنّ من جلابيبهنّ، لئلا يعرض لهنّ فاسق، إذا علم أنهنّ حرائر بأذى من قول.

ثم اختلف أهل التأويل في صفة الإدناء الذي أمرهنّ الله به، فقال بعضهم: هو أن يغطين وجوههنّ ورؤوسهنّ، فلا يبدين منهنّ إلا عيناً واحدة.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَناتِكَ وَنِساءِ المُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ﴾ أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهنّ في حاجة أن يغطين وجوههنّ من فوق رؤوسهنّ بالجلابيب، ويبدين عيناً واحدة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن ابن عون، عن محمد، عن عُبيدة في قوله: ﴿يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَناتِكَ وَنِساءِ المُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ﴾ فلبسها عندنا ابن عون، قال: ولبسها عندنا محمد، قال محمد: ولبسها عندي عبيدة قال ابن عون بردائه، فتقنَّع به،

فغطى أنفه وعينه اليسرى، وأخرج عينه اليمنى، وأدنى رداءه من فوق حتى جعله قريباً من حاجبه أو على الحاجب.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا هشام، عن ابن سيرين، قال: سألت عبيدة، عن قوله: ﴿**قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَناتِكَ وَنِساءِ المُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ**﴾ قال: فقال بثوبه، فغطى رأسه ووجهه، وأبرز ثوبه عن إحدى عينيه.

وقال آخرون: بل أمرن أن يشددن جلابيبهنّ على جباههنّ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَناتِكَ وَنِساءِ المُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ**﴾. . . . إلى قوله: ﴿**وكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً**﴾ قال: كانت الحرّة تلبس لباس الأمة، فأمر الله نساء المؤمنين أن يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ وإدناء الجلباب: أن تقنع وتشدّ على جبينها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَناتِكَ وَنِساءِ المُؤْمِنِينَ**﴾ أخذ الله عليهنّ إذا خرجن أن يقنعن على الحواجب ﴿**ذلكَ أدْنَى أنْ يُعْرَفْنَ فَلا يُؤْذَيْنَ**﴾ وقد كانت المملوكة إذا مرّت تناولوها بالإيذاء، فنهى الله الحرائر أن يتشبهن بالإماء.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ**﴾ يتجلببن فيُعلم أنهنّ حوائر فلا يعرض لهنّ فاسق بأذى من قول ولا ريبة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عمن حدثه، عن أبي صالح، قال: قدم النبيّ ﷺ المدينة على غير منزل، فكان نساء النبيّ ﷺ وغيرهنّ إذا كان الليل خرجن يقضين حوائجهنّ، وكان رجال يجلسون على الطريق للغزل، فأنزل الله: ﴿**يا أيُّها النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَناتِكَ وَنِساءِ المُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلابِيبِهِنَّ**﴾ يقنعن بالجلباب حتى تعرف الأمة من الحرّة.

وقوله: ﴿**ذلكَ أدْنَى أنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ**﴾ يقول تعالى ذكره: إدناؤهنّ جلابيبهنّ إذا أدنينها عليهنّ أقرب وأحرى أن يعرفن ممن مررن به، ويعلموا أنهنّ لسن باماء، فيتنكّبوا عن أذاهنّ بقول مكروه، أو تعرّض بريبة ﴿**وكانَ اللَّهُ غَفُوراً**﴾ لما سلف منهنّ من تركهنّ إدناءهنَّ الجلابيب عليهنّ ﴿**رَحِيماً**﴾ بهنّ أن يعاقبهنّ بعد توبتهنّ بادناء الجلابيب عليهنّ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لئن لم ينته أهل النفاق، الذين يستسرّون الكفر، ويظهرون الإيمان ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ يعني: ريبة من شهوة الزنا وحبّ الفجور. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو بن عليّ، قال: ثنا أبو عبد الصمد، قال: ثنا مالك بن دينار، عن عكرِمة، في قوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ قال: هم الزناة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الأعلى، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ قال: شهوة الزنا.

قال: ثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: ثنا أبو صالح التمار، قال: سمعت عكرِمة في قوله: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ قال: شهوة الزنا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة عمن حدثه، عن أبي صالح ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ قال: الزناة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾. . . . الآية، قال: هؤلاء صنف من المنافقين ﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ أصحاب الزنا، قال: أهل الزنا من أهل النفاق الذين يطلبون النساء فيبتغون الزنا. وقرأ: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ قال: والمنافقون أصناف عشرة في براءة، قال: فالذين في قلوبهم مرض صنف منهم مرض من أمر النساء.

وقوله: ﴿وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾ يقول: وأهل الإرجاف في المدينة بالكذب والباطل.

وكان إرجافهم فيما ذُكر كالذي:

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ

﴿وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالمُرْجِفُونَ فِي المَدِينَةِ﴾ . . . . الآية، الإرجاف: الكذب الذي كان نافقه أهل النفاق، وكانوا يقولون: أتاكم عدد وعدّة. وذكر لنا أن المنافقين أرادوا أن يظهروا ما في قلوبهم من النفاق، فأوعدهم الله بهذه الآية، قوله: **﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ المُنافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾** . . . . الآية فلما أوعدهم الله بهذه الآية كتموا ذلك وأسرّوه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله **﴿وَالمُرْجِفُونَ فِي المَدِينَةِ﴾** هم أهل النفاق أيضاً الذين يرجفون برسول الله ﷺ وبالمؤمنين.

وقوله: **﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾** يقول: لنسلطنك عليهم ولنحرّشنك بهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾** يقول: لنسلطنك عليهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾**: أي لنحملنك عليهم لنحرشنك بهم.

قوله: **﴿ثُمَّ لا يُجاوِرونَكَ فِيها إلاَّ قَلِيلاً﴾** يقول: ثم لننفينهم عن مدينتك فلا يسكنون معك فيها إلا قليلاً من المدة والأجل، حتى تنفيهم عنها، فنخرجهم منها، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿ثُمَّ لا يُجاوِرونَكَ فِيها إلاَّ قَلِيلاً﴾** أي بالمدينة.

وقوله: **﴿مَلْعُونِينَ أيْنَما ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾** يقول تعالى ذكره: مطرودين منفيين **﴿أينما ثقفوا﴾** يقول: حيثما لقوا من الأرض أخذوا وقتلوا لكفرهم بالله تقتيلاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿مَلْعُونِينَ﴾** على كلّ حال **﴿أيْنَما ثُقِفُوا﴾** أخذوا **﴿وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾** إذا هم أظهروا النفاق.

ونصب قوله: **﴿مَلْعُونِينَ﴾** على الشتم، وقد يجوز أن يكون القليل من صفة الملعونين، فيكون قوله ملعونين مردوداً على القليل، فيكون معناه: ثم لا يجاورونك فيها إلا أقلاء ملعونين يقتلون حيث أصيبوا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ**﴾ هؤلاء المنافقين الذين في مدينة رسول الله ﷺ معه ضُرَباء هؤلاء المنافقين، إذا هم أظهروا نفاقهم أن يُقَتِّلَهُمْ تَقْتيلاً، ويلعنهم لعناً كثيراً. وبنحو الذي قولنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ**﴾ . . . الآية، يقول: هكذا سنة الله فيهم إذا أظهروا النفاق.

وقوله: ﴿**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا**﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولن تجد يا محمد لسنة الله التي سنها في خلقه تغييراً، فأيقن أنه غير مغير في هؤلاء المنافقين سنته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**يَسْأَلُكَ النَّاسُ**﴾ يا محمد ﴿**عَنِ السَّاعَةِ**﴾ متى هي قائمة؟ قل لهم: إنما علم الساعة ﴿**عِنْدَ اللَّهِ**﴾ لا يعلم وقت قيامها غيره ﴿**وَما يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيباً**﴾ يقول: وما أشعرك يا محمد لعلّ قيام الساعة يكون منك قريباً، قد قرب وقت قيامها، ودنا حين مجيئها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الله أبعد الكافرين به من كل خير، وأقصاهم عنه ﴿**وأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً**﴾ يقول: وأعدّ لهم في الآخرة ناراً تتقد وتتسعر ليصليهموها ﴿**خالِدِينَ فِيها أبَداً**﴾ يقول: ماكثين في السعير أبداً، إلى غير نهاية ﴿**لا يَجِدُونَ وَلِيّا**﴾ يتولاهم، فيستنقذهم من السعير التي أصلاهموها الله ﴿**وَلا نَصِيراً**﴾ ينصرهم، فينجيهم من عقاب الله إياهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ﴿٦٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لا يجد هؤلاء الكافرون ولياً ولا نصيراً في يوم تقلب وجوههم في النار حالاً بعد حال ﴿**يَقُولُونَ**﴾ وتلك حالهم في النار: ﴿**يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ**﴾ في الدنيا وأطعنا رسوله، فيما جاءنا به عنه من أمره ونهيه، فكنا مع أهل الجنة في الجنة، يا لها حسرة وندامةً، ما أعظمها وأجلها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال الكافرون يوم القيامة في جهنم: ربنا إنا أطعنا أئمتنا في الضلالة وكبراءنا في الشرك ﴿**فَأَضَلُّونا السَّبِيلَ**﴾ يقول: فأزالونا عن محجة الحقّ، وطريق الهدى، والإيمان بك، والإقرار بوحدانيتك، وإخلاص طاعتك في الدنيا ﴿**رَبَّنا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ العَذابِ**﴾ يقول: عذّبهم من العذاب مِثْلَى عذابنا الذي تعذّبنا ﴿**وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً**﴾ يقول: واخزهم خزياً كبيراً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**رَبَّنا إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وكُبَراءنَا**﴾ أي رؤوسنا في الشرّ والشرك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**إِنَّا أَطَعْنا سادَتَنا وكُبَرَاءَنا** قال: هم رؤوس الأمم الذين أضلوهم، قال: سادتنا وكبراءنا واحد.

وقرأت عامة قرّاء الأمصار: ﴿**سادَتَنا**. ورُوي عن الحسن البصري: «سادَاتِنا» على الجماع، والتوحيد في ذلك هي القراءة عندنا، لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

واختلفوا في قراءة قوله: ﴿**لَعْناً كَبِيراً**﴾ فقرأت ذلك عامة قرّاء الأمصار بالثاء: «كَثِيراً» من الكثرة، سوى عاصم، فإنه قرأه ﴿**لَعْناً كَبِيراً**﴾ من الكبر. والقراءة في ذلك عندنا بالثاء لإجماع الحجة من القراء عليها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لأصحاب نبيّ الله ﷺ: يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله لا تؤذوا رسول الله بقول يكرهه منكم، ولا بفعل لا يحبه منكم، ولا تكونوا أمثال الذين آذوا موسى نبيّ الله، فرموه بعيب كذباً وباطلاً ﴿فَبرّأهُ اللّهُ مِمَّا قالُوا﴾ فيه من الكذب والزور بما أظهر من البرهان على كذبهم ﴿وكانَ عِنْدَ اللّهِ وَجِيهاً﴾ يقول: وكان موسى عند الله مشفعاً فيما يسأل، ذا وجه ومنزلة عنده بطاعته إياه.

ثم اختلف أهل التأويل في الأذى الذي أوذي به موسى الذي ذكره الله في هذا الموضع، فقال بعضهم: رموه بأنه آدَر. ورَوَي بذلك عن رسول الله ﷺ خبراً. ذكر الرواية التي رويت عنه، ومن قال ذلك:

حدثني أبو السائب، قال: ثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن المنهال، عن سعيد بن جبير، وعبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، في قوله: ﴿لاَ تَكُونُوا كالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾ قال: قال له قومه: إنك آدر، قال: فخرج ذات يوم يغتسل، فوضع ثيابه على صخرة، فخرجت الصخرة تشتدّ بثيابه، وخرج يتبعها عرياناً حتى انتهت به إلى مجالس بني إسرائيل، قال: فرأوه ليس بآدر، قال: فذلك قوله: ﴿فَبرّأهُ اللّهُ مِمَّا قالُوا﴾.

حدثني يحيى بن داود الواسطي، قال: ثنا إسحاق بن يوسف الأزرق، عن سفيان، عن جابر، عن عكرمة، عن أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ: «لاَ تَكُونُوا كالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى قال: قالُوا: هُوَ آدَرُ، قال: فذهب موسى يغتسل، فوضع ثيابه على حجر، فمرّ الحجر بثيابه، فتبع موسى قفاه، فقال: ثيابي حجر، فمرّ بمجلس بني إسرائيل، فرأوه، فبرأه الله مما قالوا» ﴿وكانَ عِنْدَ اللّهِ وَجِيهاً﴾.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾... إلى ﴿وَجِيهاً﴾ قال: كان أذاهم موسى أنهم قالوا: والله ما يمنع موسى أن يضع ثيابه عندنا إلا أنه آدر، فآذى ذلك موسى فبينما هو ذات يوم يغتسل وثوبه على صخرة فلما قضى موسى غسله وذهب إلى ثوبه ليأخذه، انطلقت الصخرة تسعى بثوبه، وانطلق يسعى في أثرها حتى مرّت على مجلس بني إسرائيل وهو

يطلبها فلما رأوا موسى ﷺ متجرّداً لا ثوب عليه قالوا: والله ما نرى بموسى بأساً، وإنه لبريء مما كنا نقول له، فقال الله: ﴿فَبرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا وكانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهاً﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَكُونُوا كالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى﴾... الآية، قال: كان موسى رجلاً شديد المحافظة على فرجه وثيابه، قال: فكانوا يقولون: ما يحمله على ذلك إلا عيب في فرجه يكره أن يُرَى فقام يوماً يغتسل في الصحراء، فوضع ثيابه على صخرة، فاشتدّت بثيابه، قال: وجاء يطلبها عرياناً، حتى اطلع عليهم عرياناً، فرأوه بريئاً مما قالوا، وكان عند الله وجيهاً. قال: والوجيه في كلام العرب: المحبّ المقبول.

وقال آخرون: بل وصفوه بأنه أبرص.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: قال بنو إسرائيل: إن موسى آدر وقالت طائفة: هو أبرص من شدّة تستّره، وكان يأتي كلّ يوم عيناً، فيغتسل ويضع ثيابه على صخرة عندها، فعدت الصخرة بثيابه حتى انتهت إلى مجلس بني إسرائيل، وجاء موسى يطلبها فلما رأوه عرياناً ليس به شيء مما قالوا، لبس ثيابه ثم أقبل على الصخرة يضربها بعصاه، فأثرت العصا في الصخرة.

حدثنا بحر بن حبيب بن عربي، قال: ثنا روح بن عبادة، قال: ثنا عوف، عن محمد، عن أبي هريرة في هذه الآية ﴿لاَ تَكُونُوا كالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبرَّأهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا﴾... الآية، قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مُوسَى كانَ رَجُلاً حَيِيًّا سِتِّيراً، لا يَكادُ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْياءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذاهُ مِنْ بَنِي إسْرَائِيلَ، وَقالُوا: ما تَسَتَّرَ هَذَا التَّسَتُّرَ إلاَّ مِنْ عَيْبٍ فِي جِلْدِهِ، إمَّا برصٌ، وإمَّا أُدْرَةٌ، وإمَّا آفَةٌ، وَإنَّ اللَّهَ أرَادَ أنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قالُوا، وَإنَّ مُوسَى خَلا يَوْماً وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيابَهُ عَلى حَجَرٍ، ثُمَّ اغْتَسَلَ فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ أقْبَلَ عَلى ثَوْبِهِ لِيأْخُذَهُ، وَإنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فأخَذَ مُوسَى عَصاً وَطَلَبَ الحَجَرَ، وَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، حتى انْتَهَى إلى مِلإٍ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ، فَرأَوْهُ عُرْياناً كأحْسَنِ النَّاسِ خَلْقاً، وَبَرَّأهُ اللَّهُ مِمَّا قالُوا، وَإنَّ الحَجَرَ قامَ، فأخَذَ ثَوْبَهُ وَلَبِسَهُ، فَطَفِقَ بالحَجَرِ ضَرْباً بذلكَ، فَوَاللَّهِ إنَّ فِي الحَجَرِ لَنَدْباً مِنْ أثَرِ ضَرْبِهِ ثَلاثاً أوْ أرْبَعاً أوْ خَمْساً».

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عديّ، عن عوف، عن الحسن، قال: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «كانَ مُوسَى رَجُلاً حَيِيًّا سِتِيراً» ثم ذكر نحواً منه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: حدّث الحسن، عن أبي

هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ بَنِي إسْرَائِيلَ كانُوا يَغْتَسِلُونَ وَهُمْ عُرَاةٌ، وكانَ نَبِيُّ اللَّهُ مُوسَى حَيِيًّا، فكانَ يَتَسَتَّرُ إذَا اغْتَسَلَ، فَطَعَنُوا فِيهِ بعَوْرَةٍ، قال: فَبَيْنا نَبِيّ اللَّهِ يَغْتَسل يَوْماً، إذْ وَضَعَ ثِيابَهُ على صَخْرَةٍ، فانطَلَقَتِ الصَّخْرَةُ وَاتَّبَعَها نَبِيُّ اللَّهِ ضَرْباً بِعَصَاهُ: ثَوْبِي يا حَجَرُ، ثَوْبِي يا حَجَرُ، حتى انْتَهَتْ إلى ملإٍ مِنْ بَنِي إسْرائِيلَ، أوْ تَوَسَّطهُمْ، فَقامَتْ، فأخَذَ نَبِيُّ اللَّهُ ثِيابَهُ، فَنَظَرُوا إلى أحْسَنِ النَّاسِ خَلْقاً، وأعْدَلِهِ مُرُوءَةً، فقالَ المَلأُ: قاتَلَ اللَّهُ أفَّاكي بَنِي إسْرائِيلَ، فَكانَتْ بَراءَتَهُ التي بَرَّأهُ اللَّهُ مِنْها».

وقال آخرون: بل كان أذاهم إياه ادّعاءهم عليه قتل هارون أخيه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ بن مسلم الطوسي، قال: ثنا عباد، قال: ثنا سفيان بن حبيب، عن الحكم، عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس، عن عليّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، في قول الله: ﴿**لاَ تَكُونُوا كالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى**﴾ . . . الآية، قال: صعد موسى وهارون الجبل، فمات هارون، فقالت بنو إسرائيل: أنت قتلته، وكان أشدّ حباً لنا منك، وألين لنا منك، فآذوه بذلك، فأمر الله الملائكة فحملته حتى مرّوا به على بني إسرائيل، وتكلّمت الملائكة بموته، حتى عرف بنو إسرائيل أنه قد مات، فبرأه الله من ذلك فانطلقوا به فدفنوه، فلم يطلع على قبره أحد من خلق الله إلا الرخم، فجعله الله أصمّ أبكم.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن بني إسرائيل آذوا نبيّ الله ببعض ما كان يكره أن يؤذي به، فبرأه الله مما آذوه به. وجائز أن يكون ذلك كان قيلهم إنه أبرص، وجائز أن يكون كان ادّعاءهم عليه قتل أخيه هارون. وجائز أن يكون كلّ ذلك، لأنه قد ذكر كلّ ذلك أنهم قد آذوه به، ولا قول في ذلك أولى بالحقّ مما قال الله إنهم آذوا موسى، فبرأه الله مما قالوا.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، اتقوا الله أن تعصوه، فتستحقوا بذلك عقوبته.

وقوله: ﴿**وَقولوا قَوْلاً سَدِيداً**﴾ يقول: قولوا في رسول الله والمؤمنين قولاً قاصداً غير جائز، حقاً غير باطل، كما:

حدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً**﴾ يقول: سداداً.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا عنبسة، عن الكلبي ﴿**وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً**﴾ قال: صدقاً.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً**﴾ أي عدلاً، قال قتادة: يعني به في منطقه وفي عمله كله، والسديد: الصدق.

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا حفص بن عمر، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة في قول الله: ﴿**وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً**﴾ قولوا: لا إله إلا الله.

وقوله: ﴿**يُصْلِحْ لَكُمْ أعمالَكُمْ**﴾ يقول تعالى ذكره للمؤمنين: اتقوا الله وقولوا السداد من القول يوفقكم لصالح الأعمال، فيصلح أعمالكم ﴿**وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ**﴾ يقول: ويعف لكم عن ذنوبكم، فلا يعاقبكم عليها ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**﴾ فيعمل بما أمره به، وينتهي عما نهاه، ويقل السديد ﴿**فَقَدْ فازَ فَوْزاً عَظِيماً**﴾ يقول: فقد ظفر بالكرامة العظمى من الله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معناه: إن الله عرض طاعته وفرائضه على السموات والأرض والجبال على أنها إن أحسنت أثيبت وجوزيت، وإن ضيعت عوقبت، فأبت حملها شفقاً منها أن لا تقوم بالواجب عليها، وحملها آدم ﴿**إِنَّهُ كانَ ظَلُوماً**﴾ لنفسه ﴿**جَهُولاً**﴾ بالذي فيه الحظّ له.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جُبَير، في قوله: ﴿**إِنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السَّمَوَاتِ والأرْضِ والجِبالِ فَأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها وأشْفَقْنَ مِنْها**﴾ قال: الأمانة: الفرائض التي افترضها الله على العباد.

قال: ثنا هشيم، عن العوّام، عن الضحاك بن مزاحم، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**إِنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السَّمَوَاتِ والأرْضِ والجِبالِ فَأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها**﴾ قال: الأمانة: الفرائض التي افترضها الله على عباده.

قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا العوّام بن حوشب وجويبر[١]، كلاهما عن الضحاك، عن ابن عباس، في قوله ﴿إِنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ﴾... إلى قوله ﴿جَهُولاً﴾ قال: الأمانة: الفرائض. قال جويبر في حديثه: فلما عرضت على آدم، قال: أي ربّ وما الأمانة؟ قال: قيل: إن أدّيتها جزيت، وإن ضيعتها عوقبت، قال: أي ربّ حملتها بما فيها، قال: فما مكث في الجنة إلا قدر ما بين العصر إلى غروب الشمس حتى عمل بالمعصية، فأُخرج منها.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد، عن ابن عباس أنه قال في هذه الآية ﴿إِنَّا عَرَضْنا الأَمانَةَ﴾ قال: عرضت على آدم، فقال: خذها بما فيها، فإن أطعت غفرت لك، وإن عصيت عذّبتك، قال: قد قبلت، فما كان إلا قدر ما بين العصر إلى الليل من ذلك اليوم حتى أصاب الخطيئة.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿إِنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السَّمَوَاتِ والأَرْضِ والجِبالِ﴾ إن أدّوها أثابهم، وإن ضيّعوها عذّبهم، فكرهوا ذلك، وأشفقوا من غير معصية، ولكن تعظيماً لدين الله أن لا يقوموا بها، ثم عرضها على آدم، فقبلها بما فيها، وهو قوله: ﴿وَحَمَلَها الإنْسانُ إنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ غرّاً بأمر الله.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ﴾: الطاعة عرضها عليها قبل أن يعرضها على آدم، فلم تطقها، فقال لآدم: يا آدم إني قد عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال، فلم تطقها، فهل أنت آخذها بما فيها؟ فقال: يا ربّ: وما فيها؟ قال: إن أحسنت جُزِيت، وإن أسأت عُوقبت، فأخذها آدم فتحملها، فذلك قوله: ﴿وَحَمَلَها الإنْسانُ إنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد الزبيري، قال: ثنا سفيان، عن رجل، عن الضحاك بن مزاحم، في قوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السَّمَوَاتِ والأَرْضِ والجِبالِ فَأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها وأشْفَقْنَ مِنْها وَحَمَلَها الإنْسانُ إنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ قال آدم: قيل له: خذها بحقها، قال: وما حقها؟ قيل: إن أحسنت جُزيت، وإن أسأت عُوقبت، فما لبث ما بين الظهر والعصر حتى أخرج منها.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله ﴿إِنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السَّمَوَاتِ والأَرْضِ والجِبالِ﴾ فلم يطقن حمَلها، فهل أنت

---

(١) في الأصل: وجبير. وسيأتي في الحديث نفسه أنه جويبر.

يا آدم آخذها بما فيها قال آدم: وما فيها يا ربّ؟ قال: إن أحسنت جُزيت، وإن أسأت عوقبت، فقال: تحمّلتُها، فقال الله تبارك وتعالى: قد حملتكها فما مكث آدم إلا مقدار ما بين الأولى إلى العصر حتى أخرجه إبليس لعنه الله من الجنة والأمانة: الطاعة.

حدثني سعيد بن عمرو السكوني، قال: ثنا بقية، قال: ثني عيسى بن إبراهيم، عن موسى بن أبي حبيب، عن الحكم بن عمرو، وكان من أصحاب النبيّ ﷺ قال: قال النبيّ ﷺ: «إنَّ الأمانَةَ والوَفاءَ نَزَلا على ابْنِ آدَمَ مَعَ الأنْبِياءِ، فأُرْسِلُوا بِهِ، فَمِنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ، ومِنْهُمْ نَبِيّ، وَمِنْهُمْ نَبِيّ رَسُولٌ. نزل القرآن وهو كلام الله، ونزلت العربية والعجمية، فعلموا أمر القرآن، وعلموا أمر السنن بألسنتهم، ولم يدع الله شيئاً من أمره مما يأتون ومما يجتنبون، وهي الحجج عليهم، إلا بَيّنَهُ لهم، فليس أهلِ لسان إلا وهم يعرفون الحسن من القبيح. ثم الأمانة أوّل شيء يُرفع، ويبقى أثرها في جذور قلوب الناس، ثم يُرْفع الوفاء والعهد والذمم، وتبقى الكتب، فعالم يعمل، وجاهل يعرفها وينكرها حتى وصل إليّ وإلى أمتي، فلا يَهْلِك على الله إلا هالك، ولا يُغْفِله إلا تارك، والحذرَ أيها الناس، وإياكم والوسواس الخناس، وإنما يبلوكم أيكم أحسن عملا».

حدثني محمد بن خلف العَسْقلاني، قال: ثنا عبيد بن عبد المجيد الحنفيّ، قال: ثنا العوّام العطار، قال: ثنا قتادة، وأبان بن أبي عياش، عن خَلِيد العَصْري، عن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «خَمْسٌ مَنْ جاءَ بِهِنَّ يَوْمَ القِيامَةِ مَعَ إيمانٍ دَخَلَ الجَنَّةَ: مَن حافَظَ على الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ، على وُضُوئِهِنَّ وَرُكُوعِهِنَّ وَسُجُودِهِنَّ وَمَوَاقِيتِهِنَّ، وأعْطَى الزَّكاةَ مِنْ مالِهِ طَيِّبَ النَّفْسِ بِها» وكانَ يَقُولُ: «وَايْمُ اللَّهِ لا يفْعَلُ ذلكَ إلاَّ مُؤْمِنٌ، وَصَامَ رَمَضانَ، وَحَجَّ البَيْتَ إنِ اسْتَطاعَ إلى ذِلك سَبِيلاً، وأدَّى الأمانَةَ» قالوا: يا أبا الدرداء: وما الأمانة؟ قال: الغسل من الجنابة، فإن الله لم يأمن ابن آدم على شيء من دينه غيره.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن أُبيّ بن كعب، قال: من الأمانة أن المرأة اؤتمنت على فرجها.

حدثني يونس، قال: ثنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿**إنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السَّمَوَاتِ والأرْضِ والجِبالِ فَأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها وأشْفَقْنَ مِنْها**﴾ قال: إن الله عرض عليهنّ الأمانة أن يفترض عليهنّ الدين، ويجعل لهنّ ثواباً وعقاباً، ويستأمنهنّ على الدين، فقلن: لا، نحن مسخرات لأمرك، لا نريد ثواباً ولا عقاباً، قال رسول الله ﷺ: «وَعَرَضَها اللَّهُ على آدَمَ، فقالَ: بين أُذُنِي وَعاتِقي» قال ابن زيد، فقال الله له: أما إذ تحملت هذا فسأعينك، أجعل لبصرك

حجاباً، فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحلّ لك، فأرخ عليه حجابه، وأجعل للسانك باباً وغلقاً، فإذا خشيت فأغلق، وأجعل لفرجك لباساً، فلا تكشفه إلا على ما أحللت لك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله ﴿**إِنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السَّمَوَاتِ والأرْضِ والجِبالِ**﴾ يعني به: الدين والفرائض والحدود ﴿**فَأَبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها وأشْفَقْنَ مِنها**﴾ قيل لهنّ: احملنها تؤدّين حقها، فقلن: لا نطيق ذلك ﴿**وَحَمَلَها الإنْسانُ إنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً**﴾ قيل له: أتحملها؟ قال: نعم، قيل: أتؤدّي حقها؟ قال: نعم، قال الله: إنه كان ظلوماً جهولاً عن حقها.

وقال آخرون: بل عنى بالأمانة في هذا الموضع: أمانات الناس.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا تميم بن المنتصر، قال: ثنا إسحاق، عن شريك، عن الأعمش، عن عبد الله بن السائب، عن زاذان، عن عبد الله بن مسعود، عن النبيّ ﷺ أنه قال: «القَتْلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ كُلَّها أو قال: يُكَفِّرُ كُلَّ شَيْءٍ إلاَّ الأمانَةَ يُؤْتَى بصَاحِبِ الأمانَةِ، فَيُقالُ لَهُ: أدِّ أمانَتَكَ، فَيَقُولُ: أي ربّ وَقَدْ ذَهَبَتِ الدُّنيا، ثَلاثاً فَيُقالُ: اذْهَبُوا بِهِ إلى الهَاوِيَةِ فَيُذْهَبُ بِهِ إلَيْها، فَيَهْوِي فِيها حتى يَنْتَهِي إلى قَعْرِها، فَيَجِدُها هُناكَ كَهيْئَتِها، فَيَحْمِلُها، فَيَضَعُها على عاتِقِهِ، فَيَصْعَدُ بِها إلى شَفِيرِ جَهَنَّمَ، حتى إذَا رأى أنَّهُ قَدْ خَرَجَ زَلَّتْ، فَهَوَى فِي أثَرِها أبَدَ الآبِدِينَ». قالوا: والأمانة في الصلاة، والأمانة في الصوم، والأمانة في الحديث وأشدّ ذلك الودائع، فلقيت البراء فقلت: ألا تسمع إلى ما يقول أخوك عبد الله؟ فقال: صدق.

قال: شريك، وثني عياش العامري عن زاذان، عن عبد الله بن مسعود، عن النبيّ ﷺ بنحوه، ولم يذكر الأمانة في الصلاة، وفي كلّ شيء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: أخبرني عمرو بن الحارث، عن ابن أبي هلال، عن أبي حازم، قال: إن الله عرض الأمانة على سماء الدنيا، فأبت ثم التي تليها، حتى فرغ منها، ثم الأرضين ثم الجبال، ثم عرضها على آدم، فقال: نعم، بين أذني وعاتقي. فثلاث آمرك بهنّ، فإنهنّ لك عون: إني جعلت لك لساناً بين لحيين، فكفه عن كلّ شيء نهيتك عنه وجعلت لك فرجاً وواريته، فلا تكشفه إلى ما حرّمت عليك[١].

---

(١) ترك الثالثة والذي في الدر: إني جعلت لك بصرا، وجعلت لك شفرتين، فغضهما عن كل شيء نهيتك عنه. وجعلت لك لسان الخ.

وقال آخرون: بل ذلك إنما عنى به ائتمان آدم ابنه قابيل على أهله وولده، وخيانة قابيل أباه في قتله أخاه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو بن حماد، قال: ثنا أسباط، عن السديّ في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مُرّة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النبيّ ﷺ قال: كان لا يولد لآدم مولود إلا وُلد معه جارية، فكان يزوّج غلامَ هذا البطن جارية هذا البطن الآخر، ويزوّج جارية هذا البطن غلام هذا البطن الآخر، حتى وُلد له اثنان، يقال لهما قابيل، وهابيل وكان قابيل صاحب زرع، وكان هابيل صاحب ضرع، وكان قابيل أكبرهما، وكان له أخت أحسن من أخت هابيل، وإن هابيل طلب أن يَنْكِح أخت قابيل، فأبى عليه وقال: هي أختي وُلدتْ معي، وهي أحسن من أختك، وأنا أحقّ أن أتزوّجها، فأمره أبوه أن يزوّجها هابيل فأبى، وإنهما قرّبا قرباناً إلى الله أيهما أحقّ بالجارية، وكان آدم يومئذ قد غاب عنهما، أي بمكة ينظر إليها، قال الله لآدم: يا آدم هل تعلم أن لي بيتاً في الأرض؟ قال: اللهمّ لا، قال: إن لي بيتاً بمكة فأته، فقال آدم للسماء: احفظي ولدي بالأمانة، فأبت وقال للأرض، فأبت فقال للجبال، فأبت فقال لقابيل، فقال: نعم، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرّك فلما انطلق آدم وقرّبا قرباناً، وكان قابيل يفخر عليه فيقول: أنا أحقّ بها منك، هي أختي، وأنا أكبر منك، وأنا وصيّ والدي فلما قرّبا، قرّب هابيل جَذَعة سمينة، وقرّب هابيل حُزمة سُنبل، فوجد فيها سنبلة عظيمة، ففركها فأكلها، فنزلت النار فأكلت قُربان هابيل، وتركت قُربان قابيل، فغضب وقال: لأقتلنك حتى لا تنكح أختي، فقال هابيل **﴿إنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ المُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إليَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي ما أنا بِباسِطٍ يَدِيَ إلَيكَ لأَقْتُلَكَ إنّي أخافُ اللَّهَ رَبَّ العالَمِينَ...﴾** إلى قوله: **﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أخِيهِ﴾** فطلبه ليقتله، فراغ الغلام منه في رؤوس الجبال وأتاه يوماً من الأيام، وهو يرْعَى غنمه في جبل، وهو نائم، فرفع صخرة، فشدخ بها رأسه، فمات، وتركه بالعَراء، ولا يعلم كيف يُدْفَن، فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا، فقتل أحدهما صاحبه، فحفر له، ثم حثا عليه فلما رآه قال: **﴿يا وَيْلَتا أعَجَزْتُ أنْ أكونَ مِثْلَ هَذَا الغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أخي﴾**، فهو قول الله تبارك وتعالى: **﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأرْضِ لِيُرِيَهُ كَيفَ يُوَارِي سَوأَةَ أخِيهِ﴾** فرجع آدم فوجد ابنه قد قَتل أخاه، فذلك حين يقول: **﴿إنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السَّمَوَاتِ والأرْضِ والجِبالِ﴾**... إلى آخر الآية.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قاله الذين قالوا: إنه عُنِي بالأمانة في هذا الموضع:

جميع معاني الأمانات في الدين، وأمانات الناس، وذلك أن الله لم يخصّ بقوله: ﴿عَرَضنا الأمانَةَ﴾ بعضَ معاني الأمانات لما وصفنا.

وبنحو قولنا قال أهل التأويل في معنى قول الله: ﴿إنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾.

ذكر من قال ذلك:

حدثني موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ ﴿إنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ يعني قابيل حين حمل أمانة آدم لم يحفظ له أهله.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد الزبيريُّ، قال: ثنا سفيان، عن رجل، عن الضحاك، في قوله: ﴿وَحَمَلَها الإنسان﴾ قال آدم ﴿إنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ قال: ظلوماً لنفسه، جهولاً فيما احتمل فيما بينه وبين ربه.

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿إنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ غَرَّ بأمر الله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إنَّهُ كانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾ قال: ظلوماً لها، يعني للأمانة، جهولاً عن حقها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لِيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وحمل الإنسان الأمانة كيما يعذّب الله المنافقين فيها الذين يظهرون أنهم يؤدّون فرائض الله، مؤمنين بها، وهم مستسرّون الكفر بها، ﴿والمنافقات والمشركين﴾ بالله في عبادتهم إياه الآلهة والأوثان، ﴿والمُشْرِكاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ على المُؤمِنِينَ وَالمُؤْمِناتِ﴾ يرجع بهم إلى طاعته، وأداء الأمانات التي ألزمهم إياها حتى يؤدّوها ﴿وكانَ اللَّهُ غَفُوراً﴾ لذنوب المؤمنين والمؤمنات، بستره عليها، وتركه عقابهمَ عليها ﴿رَحِيماً﴾ أن يعذّبهم عليها بعد توبتهم منها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا سوار بن عبد الله العنبري، قال: ثني أبي، قال: ثنا أبو الأشهب، عن الحسن أنه كان يقرأ هذه الآية: ﴿إنَّا عَرَضْنا الأمانَةَ على السَّمَوَاتِ والأرْضِ والجِبالِ﴾ حتى ينتهي ﴿لِيُعَذِّبَ

اللَّهُ الـمُنافِقِينَ والـمُنافِقاتِ والـمُشْرِكِينَ والـمُشْرِكاتِ﴾ فيقول: اللذان خاناها، اللذان ظلماها: المنافق والمشرك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ المُنافِقِينَ وَالمُنافِقاتِ والـمُشْرِكِينَ والـمُشْرِكاتِ﴾** هذان اللذان خاناها، ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات، هذان اللذان أدّياها **﴿وكانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾**.

آخر سورة الأحزاب، ولله الحمد والمنة

(٤٣) سورة سبإ مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: الشكر الكامل، والحمد التامّ كله، للمعبود الذي هو مالك جميع ما في السموات السبع، وما في الأرضين السبع دون كل ما يعبدونه، ودون كل شيء سواه، لا مالك لشيء من ذلك غيره فالمعنى: الذي هو مالك جميعه **﴿وَلَهُ الحَمْدُ فِي الآخِرَةِ﴾** يقول: وله الشكر الكامل في الآخرة، كالذي هو له ذلك في الدنيا العاجلة، لأن منه النعم كلها على كل من في السموات والأرض في الدنيا، ومنه يكون ذلك في الآخرة، فالحمد لله خالصاً دون ما سواه في عاجل الدنيا، وآجل الآخرة، لأن النعم كلها من قِبله لا يُشركه فيها أحد من دونه، وهو الحكيم في تدبيره خلقه وصرفه إياهم في تقديره، خبير بهم وبما يصلحهم، وبما عملوا، وما هم عاملون، محيط بجميع ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَهوَ الحَكِيمُ الخَبِيرُ﴾** حكيم في أمره، خبير بخلقه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يعلم ما يدخل الأرض وما يغيب فيها من شيء من قولهم: ولجت في كذا: إذا دخلت فيه، كما قال الشاعر:

رأيْتُ القَوافِي يَتَّلِجْنَ مَوالِجاً تَضايَقُ عَنْها أنْ تَوَلَّجَها الإبَرْ(١)

يعني بقوله: «يتّلجن موالجاً»: يدخلن مداخل ﴿وَما يخرُجُ مِنْها﴾ يقول: وما يخرج من الأرض ﴿وَما يَنْزِلِ مِنَ السَّماءِ وَما يَعْرُجُ فِيها﴾ يعني: وما يصعد في السماء وذلك خبر من الله أنه العالم الذي لا يخفى عليه شيء في السموات والأرض، مما ظهر فيها وما بطن، ﴿وهو الرحيم الغفور﴾ وهو الرحيم بأهل التوبة من عباده أن يعذّبهم بعد توبتهم، الغفور لذنوبهم إذا تابوا منها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ويستعجلك يا محمد الذين جحدوا قُدرة الله على إعادة خلقه بعد فنائهم بهيئتهم التي كانوا بها من قبل فنائهم من قومك بقيام الساعة، استهزاء بوعدك إياهم، وتكذيباً لخبرك، قل لهم: بلى تأتيكم وربي، قسماً به لتأتينكم الساعة، ثم عاد جلّ جلاله بعد ذكره الساعة على نفسه، وتمجيدها، فقال: ﴿عالِمِ الغَيْبِ﴾.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة: «عالِمُ الغَيْبِ» على مثال فاعل، بالرفع على الاستئناف، إذ دخل بين قوله: ﴿وَرَبّي﴾، وبين قوله: ﴿عالِمَ الغَيْبِ﴾ كلام حائل بينه وبينه. وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة والبصرة، عالم على مثال فاعل، غير أنهم خفضوا عالم ردّاً منهم له على قوله ﴿وَرَبّي﴾ إذ كان من صفته. وقرأ ذلك بقية عامة قرّاء الكوفة: «عَلاَّمِ الغَيْبِ» على مثال فعَّال، وبالخفض ردّاً لإعرابه على إعراب قوله ﴿وَرَبّي﴾ إذ كان من نعته.

والصواب من القول في ذلك عندنا، أن كلّ هذه القراءات الثلاث، قراءات مشهورات في

---

(١) البيت في الشعر المنسوب إلى طرفة بن العبد الكبري، وليس في ديوانه الذي في «**أشعار الشعراء الستة**» انظره في «**العقد الثمين**»، في دواوين الشعراء الجاهليين لألورد الألماني، طبع غريفز ولد سنة ١٨٦٩ (وورد في) «**اللسان**»: ولج (غير منسوب. كما ورد في «**فرائد القلائد**»، في «**مختصر شواهد الشواهد**» للعيني ٣٩١) قال:

فإن القوافي....

الخ. قاله طرفة بن العبد. والقوافي جمع قافية، وأراد به ههنا: القصيدة، لاشتمال القافية عليها. والشاهد في «يتلجن» أصله «يوتلجن»؛ لأنه من ولج: إذا دخل فأبدلت الواو تاء، وأدغمت التاء في التاء. والموالج جمع مولج، وهو موضع الولوج. والإبر: جمع إبرة: الخياط ا هـ قلت: يريد طرفة أن قصائد الهجاء تبلغ من التأثير في نفس المهجو مواضع بعيدة، لا تنالها أسنة الإبر إذا طعن بها المهجو وهو شبيه بقول الآخر:

والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبر

قرّاء الأمصار متقاربات المعاني، فبأيتهنّ قرأ القارىء فمصيب غير أن أعجب القراءات في ذلك إليّ أن أقرأ بها: «عَلاَّمِ الغَيْبِ» على القراءة التي ذكرتها عن عامة قرّاء أهل الكوفة فأما اختيار علام على عالم، فلأنها أبلَغ في المدح. وأما الخفض فيها فلأنها من نعت الربّ، وهو في موضع الجرّ. وعنى بقوله: «عَلاَّمِ الغَيْبِ» علام ما يغيب عن أبصار الخلق، فلا يراه أحد، إما ما لم يكوّنه مما سيكوّنه، أو ما قد كوّنه فلم يُطلع عليه أحداً غيره. وإنما وصف جلّ ثناؤه في هذا الموضع نفسه بعلمه الغيب، إعلاماً منه خلقه أن الساعة لا يعلم وقت مجيئها أحد سواه، وإن كانت جائية، فقال لنبيه محمد ﷺ: قل للذين كفروا بربهم: بلى وربكم لتأتينكم الساعة، ولكنه لا يعلم وقت مجيئها أحد سوى علام الغيوب، الذي لا يعزب عنه مثقال ذرّة.

يعني جلّ ثناؤه بقوله: ﴿**وَلا يَعْزُبُ عَنْهُ**﴾ لا يغيب عنه، ولكنه ظاهر له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس في قوله: ﴿**لا يَعْزُبُ عَنْهُ**﴾ يقول: لا يغيب عنه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**لا يَعْزُبُ عَنْهُ**﴾ قال: لا يغيب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**لا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ**﴾: أي لا يغيب عنه.

وقد بيّنا ذلك بشواهده فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

وقوله: ﴿**مِثْقالُ ذَرَّةٍ**﴾ يعني: زنة ذرّة في السموات ولا في الأرض يقول تعالى ذكره: لا يغيب عنه شيء من زنة ذرّة فما فوقها فما دونها، أين كان في السموات ولا في الأرض ﴿**وَلا أصْغَرُ مِنْ ذلكَ**﴾ يقول: ولا يعزب عنه أصغر من مثقال ذرّة ﴿**وَلا أكْبَرُ**﴾ منه ﴿**إلاَّ فِي كِتابٍ مُبِينٍ**﴾ يقول: هو مثبت في كتاب يبين للناظر فيه أن الله تعالى ذكره قد أثبته وأحصاه وعلمه، فلم يعزب عن علمه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أثبت ذلك في الكتاب المبين، كي يثيب الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله ورسوله به، وانتهوا عما نهاهم عنه على طاعتهم ربهم ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: لهؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، مغفرة مِن رَبهم لذنوبهم ﴿**وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ يقول: وعيش هنيء يوم القيامة في الجنة، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ**﴾ لذنوبهم ﴿**وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**﴾ في الجنة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أثبت ذلك في الكتاب، ليجزي المؤمنين ما وصف، وليجزي الذين سعوا في آياتنا معاجزين يقول: وكي يثيب الذين عملوا في إبطال أدلتنا وحججنا معاونين، يحسبون أنهم يسبقوننا بأنفسهم فلا نقدر عليهم ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ**﴾ يقول: هؤلاء لهم عذاب من شديد العذاب الأليم ويعني بالأليم: الموجع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَسَعَوْا في آياتِنا مُعَاجِزِينَ**﴾: أي لا يعجزون ﴿**أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ**﴾ قال: الرجز: سوء العذاب، الأليم: الموجع. ؟[1]؟

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿**وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ**﴾ قال: جاهدين ليهبطوها أو يبطلوها، قال: وهم المشركون، وقرأ: لا تَسْمَعُوا لِهَذا القُرآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾.

---

(١) في «**اللسان**»: عجز معاجزين: أي يعاجزون الأنبياء وأولياء الله، أي يقاتلونهم ويمانعونهم، ليصيروهم إلى العجز عن أمر الله. ويقال: فلان يعاجز عن الحق إلى الباطل، أي يميل إليه ويلجأ.

يقول تعالى ذكره: أثبت ذلك في كتاب مبين، ليجزي الذين آمنوا، والذين سعوا في آياتنا ما قد بين لهم، وليرى الذين أوتوا العلم فيرى في موضع نصب عطفاً به على قوله: يَجزي، في قوله: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾. وعنى بالذين أوتوا العلم: مسلمة أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، ونظرائه الذين قد قرؤوا كتب الله التي أُنزلت قبل الفرقان، فقال تعالى ذكره: وليرى هؤلاء الذين أوتوا العلم بكتاب الله الذي هو التوراة، الكتاب الذي أُنزل إليك يا محمد من ربك هو الحقّ.

وقيل: عني بالذين أوتوا العلم: أصحاب رسول الله ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الحَقَّ**﴾ قال: أصحاب محمد.

وقوله: ﴿**وَيَهْدِي إلى صِراطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ**﴾ يقول: ويرشد من اتبعه، وعمل بما فيه إلى سبيل الله العزيز في انتقامه من أعدائه، الحميد عند خلقه، فأياديه عندهم، ونعمه لديهم. وإنما يعني أن الكتاب الذي أُنزل على محمد يهدي إلى الإسلام.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال الذين كفروا بالله وبرسوله محمد ﷺ، متعجبين من وعده إياهم البعث بعد الممات بعضهم لبعض: ﴿**هَلْ نَدُلُّكُمْ**﴾ أيها الناس ﴿**على رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ يقول: يخبركم أنكم بعد تقطعكم في الأرض بلاء[1] وبعد مصيركم في التراب رفاتاً، عائدون كهيئتكم قبل الممات خلقاً جديداً، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ على رَجُلٍ يُنَبِّئُكُم إذَا مُزِّقْتُم كُلَّ مُمَزَّقٍ**﴾ قال: ذلك مشركو قُريش والمشركون من الناس، ﴿**يُنَبِّئُكُمْ إذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ**﴾: إذا أكلتكم الأرض، وصرتم رفاتاً وعظاماً، وقطَّعتكم السباع والطير ﴿**إنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ ستحيون وتبعثون.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلى**

(١) بلاء: بفتح الباء، ممدود: مصدر بلى، بكسر اللام. تقول بلى الثوب بلى وبلاء «**اللسان**».

رَجُلٍ﴾ . . . . إلى ﴿خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ قال: يقول: ﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ﴾: وإذا بليتم وكنتم عظاماً وتراباً ورفاتاً، ذلك ﴿كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ قال: ينبئكم إنكم، فكسر إن ولم يعمل ينبئكم فيها، ولكن ابتدأ بها ابتداء، لأن النبأ خبر وقول، فالكسر في إن لـمعنى الحكاية في قوله: ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾ دون لفظه، كأنه قيل: يقول لكم: ﴿إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جدِيدٍ﴾.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هؤلاء الذين كفروا به، وأنكروا البعث بعد الممات بعضهم لبعض، معجبين من رسول الله ﷺ في وعده إياهم ذلك: أفترى هذا الذي يعدنا أنا بعد أن تمزّق كلّ ممزّق في خلق جديد على الله كذباً، فتخلق عليه بذلك باطلاً من القول، وتخرص عليه قول الزور ﴿أمْ به جِنَّةٌ﴾ يقول: أم هو مجنون فيتكلم بما لا معنى له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قال: قالوا تكذيباً: ﴿أَفْتَرَى على اللَّهِ كَذِباً﴾ قال: قالوا: إما أن يكون يكذب على الله، أم به جنة، وإما أن يكون مجنوناً ﴿بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ﴾ . . . الآية.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد ثم قال بعضهم لبعض: ﴿أفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ الرجل مجنون فيتكلم بما لا يعقل، فقال الله: ﴿بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ فِي العَذَابِ والضَّلالِ البَعِيدِ﴾.

وقوله: ﴿بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ فِي العَذَابِ والضَّلالِ البَعِيدِ﴾ يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما قال هؤلاء المشركون في محمد ﷺ، وظنوا به من أنه أفترى على الله كذباً، أو أن به جنة، لكنّ الذين لا يؤمنون بالآخرة من هؤلاء المشركين في عذاب الله في الآخرة، وفي الذهاب البعيد عن طريق الحقّ، وقصد السبيل، فهم من أجل ذلك يقولون فيه ما يقولون.

حدثني يونس بن عبد الأعلى، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد قال الله: ﴿بَلِ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بالآخِرَةِ فِي العَذَابِ والضَّلالِ البَعِيدِ﴾ وأمره أن يحلف لهم ليعتبروا، وقرأ: ﴿قُلْ بَلى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِما عَمِلْتُمْ. . .﴾ الآية كلها، وقرأ: ﴿قُلْ بَلى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾.

وقطعت الألف من قوله: ﴿أفْتَرَى على اللَّهِ﴾ في القطع والوصل، ففتُحت لأنها ألف استفهام. فأما الألف التي بعدها، التي هي ألف أفتعل، فإنها ذهبت لأنها خفيفة زائدة تسقط في اتصال الكلام، ونظيرها: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ وبِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ وأَصْطَفَى الْبَنَاتِ﴾ وما أشبه ذلك. وأما ألف «آلآنَ» «وآلذَّكَرَيْنِ» فطوّلت هذه، ولم تطوّل تلك، لأن آلآن وآلذكرين كانت مفتوحة، فلو أسقطت لم يكن بين الاستفهام والخبر فرق، فجعل التطويل فيها فرقاً بين الاستفهام والخبر، وألف الاستفهام مفتوحة، فكانتا مفترقتين بذلك، فأغنى ذلك دلالة على الفرق من التطويل.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾.

يقول تدعالى ذكره: أفلم ينظر هؤلاء المكذّبون بالمعاد، الجاحدون البعث بعد الممات، القائلون لرسولنا محمد ﷺ: ﴿أفْتَرَى على اللَّهِ كَذِباً أمْ بِهِ جِنَّةٌ﴾ إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض، فيعلموا أنهم حيث كانوا، فإن أرضي وسمائي محيطة بهم من بين أيديهم ومن خلفهم، وعن أيمانهم، وعن شمائلهم، فيرتدعوا عن جهلهم، ويتزجروا عن تكذيبهم بآياتنا حذراً أن نأمر الأرض فتخسف بهم، أو السماء فتسقط عليهم قطعاً، فإنّا إن نشأ نفعل ذلك بهم فعلنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿أفَلَمْ يَرَوْا إلى ما بَيْنَ أيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ﴾ قال: ينظرون عن أيمانهم، وعن شمائلهم، كيف السماء قد أحاطت بهم ﴿إنْ نَشأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الأرْضَ﴾ كما خسفنا بمن كان قبلهم ﴿أوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفاً مِنَ السَّماءِ﴾: أي قِطعاً من السماء.

وقوله: ﴿إنَّ فِي ذلكَ لآيَةً لِكُلّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في إحاطة السماء والأرض بعباد الله ﴿لآيةً﴾ يقول: لدلالة ﴿لكلّ عبد منيب﴾ يقول: لكل عبد أناب إلى ربه بالتوبة، ورجع إلى معرفة توحيده، والإقرار بربوبيته، والاعتراف بوحدانيته، والإذعان لطاعته، على أن فاعل ذلك لا يمتنع عليه فعل شيء أراد فعله، ولا يتعذّر عليه فعل شيء شاءه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ والمنيب: المقبل التائب.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولقد أعطينا داود منا فضلاً، وقلنا للجبال: ﴿أَوِّبِي مَعَهُ﴾: سبحي معه إذا سبح.

والتأويب عند العرب: الرجوع، ومبيت الرجل في منزله وأهله ومنه قول الشاعر:

يَـوْمـانِ يَـوْمُ مَـقـامـاتٍ وأنْـدِيَـةٍ وَيَـوْمُ سَـيْـرٍ إلـى الأعْـدَاءِ تَـأْوِيـبِ[1]

أي رجوع. وقد كان بعضهم يقرؤه: «أُوبِي مَعَهُ» من آب يؤوب، بمعنى: تصرّفي معه وتلك قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني سليمان بن عبد الجبار، قال: ثني محمد بن الصلت، قال: ثنا أبو كدينة. وحدثنا محمد بن سنان القزاز، قال: ثنا الحسن بن الحسن الأشقر، قال: ثنا أبو كدينة، عن عطاء، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس ﴿أَوِّبِي مَعَهُ﴾ قال: سَبِّحي معه.

---

(١) البيت لسلامة بن جندل. قاله أبو عبيدة في («مجاز القرآن»، مصورة الجامعة رقم ٢٦٠٥٩ ص - ١٩٧ ب) وانظره في المفضليات طبع القاهرة سنة ١٩٢٦ والتأويب أن يبيت في أهله. قال سلامة بن جندل:

«يـــــــــــومـــــــــــان...

البيت». واستشهد في «اللسان» أوب ونسبه لسلامة وقال: والتأويب أن يسير النهار أجمع، وينزل الليل. وقيل: هو تباري الركاب في السير. قال سلامة:

....

البيت ثم قال التأويب في كلام العرب: سير النهار كله إلى الليل. يقال: أوب القوم تأويباً: أي ساروا بالنهار. وفي «اللسان» أوب. والتأويب الرجوع. وقوله عز وجل: ﴿يا جبال أوبي معه﴾ ويقرأ: «أوبي معه» أي بضم الهمزة. فمن قرأ أوبي معه (بفتح الهمزة، وشد الواو المكسورة) فمعناه: يا جبال سبحي معه، ورجعي التسبيح لأنه قال: سخرنا الجبال معه يسبحن ومن قرأ «أوبي معه» أي بضم الهمزة، فمعناه: عودي معه في التسبيح كلما عاد فيه ا هـ.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿**يا جِبالُ أوِّبِي مَعَهُ**﴾ يقول: سَبِّحِي معه.

حدثنا أبو عبد الرحمن العلائي، قال: ثنا مِسْعر، عن أبي حُصين، عن أبي عبد الرحمن﴿**يا جِبالُ أوِّبِي مَعَهُ**﴾ يقول: سَبِّحي.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة ﴿**يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ**﴾ قال: سَبِّحي، بلسان الحبشة.

حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي، قال: ثنا فضيل، عن منصور، عن مجاهد، في قوله: ﴿**يا جبالُ أوِّبِي مَعَهُ**﴾ قال: سبحي معه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**يا جبالُ أوِّبِي مَعَهُ**﴾ قال: سَبِّحي.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**يا جِبالُ أوِّبِي مَعَهُ**﴾: أي سبّحي معه إذا سبَّح.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**يا جِبالُ أوِّبِي مَعَهُ**﴾ قال: سبّحي معه قال: والطيرُ أيضاً.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿**يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ**﴾ قال: سبِّحي.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن جُوَيبر، عن الضحاك، قوله: ﴿**يا جِبالُ أَوِّبِي مَعَهُ**﴾ سبّحي معه.

وقوله: ﴿**والطَّيْرَ**﴾ وفي نصب الطير وجهان: أحدهما على ما قاله ابن زيد من أن الطير نُوديت كما نوديت الجبال، فتكون منصوبة من أجل أنها معطوفة على مرفوع، بما لا يحسن إعادة رافعه عليه، فيكون كالمصدر[1] عن جهته. والآخر: فعل ضمير متروك استغني بدلالة الكلام عليه، فيكون معنى الكلام: فقلنا: يا جبال أوّبي معه، وسخرنا له الطير. وإن رفع ردّاً على ما في قوله «سبحي» من ذكر الجبال كان جائزاً. وقد يجوز رفع الطير وهو معطوف على الجبال، وإن

(١) لعله كالمصروف عن جهته.

لم يحسن نداؤها بالذي نُوديت به الجبال، فيكون ذلك كما قال الشاعر:

أَلا يَا عَمْرُو والضَّحَّاكَ سِيرَا فَقَدْ جَاوَزْتُمَا خَمَرَ الطَّرِيقِ[1]

وقوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ﴾ ذكر أن الحديد كان في يده كالطين المبلول يصرّفه في يده كيف يشاء بغير إدخال نار، ولا ضرب بحديد.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ﴾ سخَّر الله له الحديد بغير نار.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن عثمة، قال: ثنا سعيد بن بشير، عن قتادة، في قوله: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الحَدِيدَ﴾ كان يسوّيها بيده، ولا يدخلها ناراً، ولا يضربها بحديدة.

وقوله: ﴿أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ﴾ يقول: وعهدنا إليه أن اعمل سابغات، وهي التوامّ الكوامل من الدروع. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ﴾ دروع، وكان أوّل من صنعها داود، إنما كان قبل ذلك صفائح.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿أَنِ اعْمَلْ سابِغاتٍ﴾ قال: السابغات: دروع الحديد.

وقوله: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ اختلف أهل التأويل في السرد، فقال بعضهم: السرد: هو مسمار حلق الدرع.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ قال: كان

---

(١) البيت من شواهد الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٢٦١) قال في قوله تعالى: ﴿يا جبال أوبي معه والطير﴾: منصوبة على جهتين: إحداهما أن تنصبها بالفعل، بقوله: «ولقد آتينا داود منا فضلا» وسخرنا له الطير، فيكون مثل قولك: أطعمته طعاماً وما تريد، وسقيت ماء. فيجوز ذلك. والوجه الآخر بالنداء، لأنك إذا قلت: يا عمر و والصلت أقبلا، نصبت الصلت بدعائهما فإذا فقدت كان كالمعدول عن جهته، فنصب. وقد يجوز رفعه على أن يتبع ما قبله ويجوز رفعه على أوبي أنت والطير. وأنشدني بعض العرب النداء إذا نصب، لفقده يأيها: «ألا يا عمرو والضحاك» والخمر بالتحريك: ما سترك من الشجر وغيرها، فيجوز نصب الضحاك ورفعه. وقال الآخر: يا طلحة الكامل وابن الكامل. ا هـ.

يجعلها بغير نار، ولا يقرعها بحديد، ثم يسردها. والسرد: المسامير التي في الحَلَق.

وقال آخرون: هو الحلق بعينها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ قال: السرد: حلقه أي قدّر تلك الحلق. قال: وقال الشاعر:

أجادَ المُسَدّي سَرْدَها وأذَالَها(١) قال: يقول: وسعها، وأجاد حلقها.

حدثنا محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ يعني بالسرد: ثقب الدروع فيسد قتيرها.

وقال بعض أهل العلم بكلام العرب: يقال درع مسرودة: إذا كانت مسمورة الحلق واستشهد لقيله ذلك بقول الشاعر:

وَعَلَيْهِما مَسْرُودَتانِ قَضاهُما دَاوُدُ أوْ صَنَعُ السَّوَابِغَ تُبَّعُ(٢)

وقيل: إنما قال الله لداود: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ لأنها كانت قبلُ صفائح.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا نصر بن عليّ، قال: ثنا أبي، قال: ثنا خالد بن قيس، عن قتادة ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ قال: كانت صفائح، فأمر أن يسردها حلقاً.

---

(١) البيت لكثير عزة ابن عبد الرحمٰن الخزاعي «**اللسان**» ذيل وصدره:

علی ابن أبي العاص دلاص حصينة

قال: وذيل فلان ثوبه تذييلاً: إذا طوله. وملاء مذيل: طويل الذيل. ويقال: أذال فلان ثوبه إذا أطال ذيله؛ قال كثير:

«على ابن أبي العاص.....

وأذلها» ا هـ وسردها: سمرها بالمسامير، كما يأتي في الشاهد بعده. والمسدي: من التسديد وهي أن يجعل الدرع مضاعفة لها سدى ولحمة على التشبيه بالثوب الذي له سدى ولحمة أو السدى أسفل الثوب والدرع والتسديد منه توسيع أسفلهما حتى لا يعوق لا بسه في السير إذا كان ضيقاً، وهذا الشاهد في معنى الشاهد الذي بعده.

(٢) البيت من شواهد أبي عبيدة في «**معاني القرآن**» (١٩٨ أ) من مصورة الجامعة على أنه يقال درع مسرودة: أي مسمورة الحلق. وقال الفراء في «**معاني القرآن**»، (الورقة ٢٦١) وقوله عز وجل: ﴿أن اعمل سابغات﴾: الدروع «وقدر في السرد» يقول: لا تجعل مسمار الدرع دقيقاً، فيعلق، ولا غليظاً، فيفصم الحلق. وفي «**اللسان**»: قضى والقضاء: بمعنى العمل، ويكون بمعنى الصنع والتقدير قال أبو ذؤيب:

«وعليهما مسرودتان...

البيت». قال ابن السيرافي: قضاهما فرغ من عملها أو قلت: ومعنى البيت أنهما جاءا وعليهما درعان سابغتان أي طويلتان محكمتا الصنع، كأنهما من صنع داود عليه السلام، أو من صنع تبع ملك اليمن العظيم.

وعنى بقوله ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾: وقدّر المسامير في حلق الدروع حتى يكون بمقدار لا تغلظ المسمار، وتضيق الحلقة، فتفصم الحلقة، ولا توسع الحلقة، وتصغر المسامير وتدقها، فتسلس في الحلقة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ قال: قدّر المسامير والحلق، لا تدقّ المسامير فتسلس، ولا تجلها. قال محمد بن عمرو، وقال الحارث: فتفصم.

حدثني عليّ بن سهل، قال: ثنا حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد، في قوله: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ قال: لا تصغر المسمار، وتعظم الحلقة فتسلس، ولا تعظم المسمار وتصغر الحلقة فيفصم المسمار.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عيينة، قال: ثنا أبي، عن الحكم، في قوله: ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ قال: لا تغلظ المسمار فيفصم الحلقة، ولا تدقه فيقلق.

وقوله: ﴿واعْمَلُوا صَالِحاً﴾ يقول تعالى ذكره: واعمل يا داود أنت وآلك بطاعة الله ﴿إنّي بمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ يقول جلّ ثناؤه: إني بما تعمل أنت وأتباعك ذو بصر لا يخفى عليّ منه شيء، وأنا مجازيك وإياهم على جميع ذلك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿وَلِسُلَيمانَ الرّيحَ﴾ فقرأته عامة قرّاء الأمصار ﴿وَلِسُلَيمانَ الرّيحَ﴾ بنصب الريح، بمعنى: ولقد آتينا داود منا فضلاً، وسخرنا لسليمان الريحَ. وقرأ ذلك عاصم: «وَلِسُلَيْمانَ الرّيحُ» رفعاً بحرف الصفة، إذ لم يظهر الناصب.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا النصب لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وقوله: ﴿غُدُوُّها شَهْرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وسخرنا لسليمان الريح، غدوّها إلى انتصاف النهار مسيرة شهر، ورواحها من انتصاف النهار إلى الليل مسيرة شهر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلِسُلَيمانَ الرّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ**﴾ قال: تغدو مسيرة شهر، وتروح مسيرة شهر، قال: مسيرة شهرين في يوم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه: ﴿**وَلِسُلَيمانَ الرّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ**﴾ قال: ذكر لي أن منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه كتاب كتبه بعض صحابة سليمان، إما من الجنّ، وإما من الإنس: نحن نزلناه وما بنيناه، ومبنياً وجدناه، غدونا من إصطخر فقِلناه، ونحن رائحون منه إن شاء الله فبائتون بالشام.

(١)

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَلِسُلَيمانَ الرّيحَ غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ**﴾ قال: كان له مركب من خشب، وكان فيه ألف ركن، في كل ركن ألف بيت تركب فيه الجنّ والإنس، تحت كل ركن ألف شيطان، يرفعون ذلك المركب هم والعصار فإذا ارتفع أتت الريح رُخَاء، فسارت به، وساروا معه، يقيل عند قوم بينه وبينهم شهر، ويمسي عند قوم بينه وبينهم شهر، ولا يدري القوم إلا وقد أظلهم معه الجيوش والجنود.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا قرة، عن الحسن، في قوله ﴿**غُدُوُّها شَهْرٌ وَرَوَاحُها شَهْرٌ**﴾ قال: كان يغدو فيقيل في إصطخر، ثم يروح منها، فيكون رواحها بكابل.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا حماد، قال: ثنا قرة، عن الحسن بمثله.

وقوله: ﴿**وأسَلْنا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ**﴾ يقول: وأذبنا له عين النحاس، وأجريناها له. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وأسَلْنا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ**﴾ عين النحاس، كانت بأرض اليمن، وإنما ينتفع اليوم بما أخرج الله لسليمان.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وأسَلْنا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ**﴾ قال: الصّفر سال كما يسيل الماء، يعمل به كما كان يعمل العجين في اللين.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله:

---

(١) في «**اللسان**» عصر، الإعصار والعصار (ككتاب) أن تهيج الريح فترفعه. والعصار: الغبار الشديد.

﴿**وأسَلْنا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ**﴾ يقول: النحاس.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿**وأسَلْنا لَهُ عَيْنَ القِطْرِ**﴾ يعني: عين النحاس أسيلت.

وقوله: ﴿**وَمِنَ الجِنّ مَنْ يَعْمَلُ بَينَ يَدَيْهِ بإذْنِ رَبِّهِ**﴾ يقول تعالى ذكره: ومن الجنّ من يطيعه، ويأتمر بأمره، وينتهي لنهيه، فيعمل بين يديه ما يأمره طاعة له ﴿**بإذن ربه**﴾ يقول: بأمر الله بذلك، وتسخيره إياه له ﴿**وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أمْرِنا**﴾ يقول: ومن يزل ويعدل من الجنّ عن أمرنا الذي أمرناه من طاعة سليمان ﴿**نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾ في الآخرة، وذلك عذاب نار جهنم الموقدة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أمْرِنا**﴾ أي يعدل منهم عن أمرنا عما أمره به سليمان ﴿**نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾.

يعني تعالى ذكره: يعمل الجنّ لسليمان ما يشاء من محاريب، وهي جمع محراب، والمحراب: مقدّم كل مسجد وبيت ومصلًّى ومنه قول عديّ بن زيد:

كَدُمَى العاجِ فِي المَحارِيبِ أوْ كالْ ... بَيضِ في الرَّوْضِ زَهْرُهُ مُسْتَنِيرُ[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**ما يَشاءُ مِنْ مَحَارِيبَ**﴾ قال: بنيان دون القصور.

---

(١) البيت لعدي بن زيد العبادي كما قال المؤلف، وكما في شعراء النصرانية القسم الرابع ٤٥٥ وقد استشهد به المؤلف في (٣/ ٢٤٦) من هذا التفسير، على أن المحاريب جمع محراب، وهو مقدم موضع العبادة. فراجعه ثمة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحَارِيبَ﴾** وقصور ومساجد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحَارِيبَ﴾** قال: المحاريب: المساكن. وقرأ قول الله: **﴿فَنادَتْهُ المَلائِكَةُ وَهُوَ قائمٌ يُصَلِّي فِي المحْرابِ﴾**.

حدثني عمرو بن عبد الحميد الآملي، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن جُوَيبر، عن الضحاك: **﴿يَعْمَلُونَ لَهُ ما يَشاءُ مِنْ مَحَارِيبَ﴾** قال: المحاريب: المساجد.

وقوله: **﴿وتَماثِيلَ﴾** يعني أنهم يعملون له تماثيل من نحاس وزجاج، كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وتَماثِيلَ﴾** قال: من نحاس.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وتَماثِيلَ﴾** قال: من زجاج وشَبَه.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد، قال: ثنا مروان، عن جُوَيبر، عن الضحاك في قول الله **﴿وتَماثِيلَ﴾** قال: الصور.

وقوله: **﴿وَجِفانٍ كالجَوَابِ﴾** يقول: وينحتون له ما يشاء من جفان كالجواب وهي جمع جابية، والجابية: الحوض الذي يُجْبَي فيه الماء، كما قال الأعشى ميمون بن قَيس:

تَرُوحُ عَلى نادِي المُحَلِّقِ جَفْنَةٌ كَجابِيَةِ الشَّيْخِ العِرَاقِيّ تَفْهَقُ(١)

---

(١) البيت لأعشى بني قيس بن ثعلبة (ديوانه طبعة القاهرة ٢٢٥) وروايته:

نَفَى الذَّمَّ عَنْ آلِ المحَلِّقِ جَفْنَةٌ كَجابِيَةِ السَّيح العِرَاقيّ تَفْهَقُ

وهي رواية مشهورة كالرواية التي أوردها المؤلف. يصف المحلق بالكرم وأن جفنته تروح على ناديه مفعمة لحماً وشحماً، وهي من كبير الجفان، مثل جابية الماء التي يجمع فيها الشيخ العراقي أيام يفيض النهر، لينفق منه في أيام قلة الماء، فهي جابية كبيرة. وأما من رواه السيح، بالسين والحاء المهملتين، فهو ما يفيض من الماء ويسيح عن الزيادة بالنهر وقد ذكر في المبرد «الكتاب الكامل» هاتين الروايتين انظر طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (١/٧) قال: في تخريج رواية الشيخ: كذا ينشده أهل البصرة. وتأويله عندهم أن العراقي إذا تمكن من الماء، ملأ جابيته، لأن حضري، فلا يعرف مواقع الماء ولا محاله. قال أبو العباس: وسمعت أعرابية تنشد: (وهي أم الهيثم الكلابية من ولد المحلق، وهي رواية أهل الكوفة): «كجابية السيح»، تريد: =

وكما قال الآخر:

فَصَبَّحَتْ جَابِيَةً صُهَارِجَا كأنَّها جِلْدُ السَّماءِ خَارِجَا(١)

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَجِفانٍ كالجَوَابِ﴾** يقول: كالجوبة من الأرض.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله **﴿وَجِفانٍ كالجَوَابِ﴾** يعني بالجواب: الحياض.

وحدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، عن الحسن **﴿وَجِفانٍ كالجَوَابِ﴾** قال: كالحياض.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿وَجِفانٍ كالجَوَابِ﴾** قال: حياض الإبل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَجِفانٍ كالجَوَابِ﴾** قال: جفان كجوبة الأرض من العظم، والجوبة من الأرض: يستنقع فيها الماء.

= النهر الذي يجري على جابيته، فماؤها لا ينقطع لأن النهر يمده. ا هـ. وقال أبو عبيدة في **«مجاز القرآن»** (الورقة ١٩٨) «وجفان كالجواب»: واحدها: جابية وهو الحوض الذي يجبى فيه الماء. وقال الفراء في **«معاني القرآن»** (الورقة ٢٦١) «وجفان» وهي القصاع الكبار. «كالجواب»: الحياض التي للإبل. وفي **«اللسان»**: جبى والحابية الحوض الذي يجبى فيه الماء للإبل. والجابية: الحوض الضخم وأورد البيت كرواية المؤلف، ثم قال: خص العراقي، لجهله بالمياه، لأنه حضري، فإن وجدها ملأ جابية وأعدها، ولم يدر متى يجد المياه.

(١) هذان بيتان من مشوطر الرجز. روى أولها صاحب **«اللسان»** صهرج عن الإزهري. قال: وحوض صهارج: مطلى بالصاروج: (النورة) والصهارج بالضم مثل الصهريج. وأنشد الأزهري:

فصبحت جابية صهارجاً وقد صهرجوا صهريجاً

وفاعل ضمير يعود على ما قبله، ولعل ذكر الإبل، والرجز غير منسوب وقوله (كأنها جلد) البيت: يشبه لون الجابية أو ماءها بلون السماء في الزرقة. وهذا البيت كالذي قبله شاهد على أن معنى الجابية الحوض الكبير الذي يجمع فيه الماء، وهو الصهارج والصهريج أيضاً، شبه جفنة المحلق بالحوض الكبير، بكرمه.

حُدثت عن الحسين بن الفرج، قال: سمعت أبا معاذ، يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وَجِفانٍ كالجَوَابِ**﴾ كالحياض.

حدثنا عمرو، قال: ثنا مروان بن معاوية، قال: ثنا جويبر، عن الضحاك: ﴿**وَجِفانٍ كالجَوَابِ**﴾ قال: كحياض الإبل من العظم.

وقوله: ﴿**وَقُدُورٍ رَاسِياتٍ**﴾ يقول: وقدور ثابتات لا يحركن عن أماكنهنّ، ولا تحوّل لعظمهنّ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**وَقُدُورٍ رَاسِياتٍ**﴾ قال: عظام.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَقُدُورٍ رَاسِياتٍ**﴾ قال: عِظام ثابتات الأرض لا يزُلن عن أمكنتهن.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَقُدُورٍ رَاسِياتٍ**﴾ قال: مثال الجبال من عِظمها، يعمل فيها الطعام من الكبر والعظم، لا تحرّك، ولا تنقل، كما قال للجبال: راسيات.

وقوله: ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً**﴾ يقول تعالى ذكره: وقلنا لهم اعملوا بطاعة الله يا آل داود شكراً له على ما أنعم عليكم من النعم التي خَصَّكم بها عن سائر خلقه مع الشكر له على سائر نعمه التي عمكم بها مع سائر خلقه وتُرِك ذكر: وقلنا لهم، اكتفاء بدلالة الكلام على ما ترك منه، وأخرج قوله ﴿**شُكْراً**﴾ مصدراً من قوله ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ**﴾ لأن معنى قوله ﴿**اعْمَلُوا**﴾ اشكروا ربكم بطاعتكم إياه، وأن العمل بالذي رضي الله، لله شكر. وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا موسى بن عبادة، عن محمد بن كعب، قوله: ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً**﴾ قال: الشكر: تقوى الله، والعمل بطاعته.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: أخبرني حَيْوَة، عن زُهْرة بن

معبد، أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي[1] يقول: ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً**﴾ وأفضل الشكر: الحمد.

قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله ﴿**اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً**﴾ قال: أعطاكم وعلمكم وسخر لكم ما لم يسخر لغيركم، وعلَّمكم منطق الطير، اشكروا له يا آل داود، قال: الحمد طرف من الشكر.

وقوله: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ**﴾ يقول تعالى ذكره: وقليل من عبادي المخلصو توحيدي، والمفردو طاعتي وشكري على نعمتي عليهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَقَلِيلٌ مِنْ عِبادِيَ الشَّكُورُ**﴾ يقول: قليل من عبادي الموحِّدون توحيدهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فلما أمضينا قضاءنا على سليمان بالموت فمات ﴿**ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ**﴾ يقول: لم يدلّ الجنّ على موت سليمان ﴿**إلاَّ دَابَّةُ الأرْضِ**﴾ وهي الأَرَضَة وقعت في عصاه، التي كان متكئاً عليها فأكلتها، فذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿**تَأْكُلُ مِنْسأَتَهُ**﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني ابن المثنى وعليّ، قالا: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**إلاَّ دَابَّةُ الأرْضِ تَأْكُلُ مِنْسأَتَهُ**﴾ يقول: الأَرَضَة تأكل عصاه.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿**تَأْكُلُ مِنْسأَتَهُ**﴾ قال: عصاه.

---

(١) الحبلي: بسكون الباء وضمها: منسوب إلى بني الحبلى، بطن من الأنصار، ثقة، توفي سنة مئة عن «**التاج**».

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثني أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**إلاَّ دَابَّةُ الأرْضِ**﴾ قال: الأَرَضَة ﴿**تَأْكُلُ مِنْسأَتَهُ**﴾ قال: عصاه.

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا عبد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد ﴿**تأْكُلُ مِنسأَتَهُ**﴾ قال: عصاه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن عثمة، قال: ثنا سعيد بن بشير، عن قتادة، في قوله: ﴿**تَأْكُلُ مِنسأَتَهُ**﴾ أكلت عصاه حتى خرّ.

حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ: المنسأة: العصا بلسان الحبشة.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: المنسأة: العصا.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿**مِنْسأَتَهُ**﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء أهل المدينة وبعض أهل البصرة: «مِنْساتَهُ» غير مهموزة وزعم من اعتلّ لقارىء ذلك كذلك من أهل البصرة أن المِنساة: العصا، وأن أصلها من نسأت بها الغنم، قال: وهي من الهمز الذي تركته العرب، كما تركوا همز النبيّ والبرية والخابية، وأنشد لترك الهمز في ذلك بيتاً لبعض الشعراء:

إذَا دَبَبتَ عَلى المِنساةِ مِنْ هَرَمٍ فَقَدْ تَباعَدَ عَنْكَ اللَّهْوُ والغَزَلُ[1]

وذكر الفراء عن أبي جعفر الرَّوَاسِيّ، أنه سأل عنها أبا عمرو، فقال: «مِنْساتَهُ» بغير همز.

وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: ﴿**مِنسأتَهُ**﴾ بالهمز، وكأنهم وجهوا ذلك إلى أنها مِفْعَلة، من

---

(١) البيت من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ١٩٨ ب) والرواية فيه «حبيت» في موضع «دببت»، وفي هامشه بخط الناسخ: «رواية: دببت». قال أبو عبيدة: «تأكل منسأته» وهي العصا. وأصلها: من نسأت بها الغنم. وهو من المهموز الذي تركت العرب الهمزة من أسمائها، ويهمزون الفعل منها، كما تركوا همزة النبي والبرية والخابية، وهو من أنبأت، ومن برأت، وخبأت: قال:

«إذا حبيت على المنساة...

البيت» وبعضهم يهزها فيقول: منسأة. ا هـ. والبيت في «**اللسان**» نسأ وروايته.

إذا دببت....

البيت. وقال قبل ذلك: والمنسألة: العصا؛ يهمز، ولا يهمز. ينسأ بها. وأبدلوا إبدالاً كلياً، فقالوا منساة. وأصلها الهمز، ولكنها بدل لازم حكاه سيبويه. وقد قرىء بهما جميعاً. قال الفراء في قوله عز وجل: ﴿تأكل مسأته﴾ هي العصا العظيمة، التي تكون مع الراعي، أخذت من نسأت البعير: إذا زجرته ليزداد سيره كما قال: نسأت اللبن: إذا صببت عليه الماء، وهو النسيء.

نسأت البعير: إذا زجرته ليزداد سيره، كما يقال: نسأت اللبن: إذا صببت[١] عليه الماء، وهو النَّسيء. وكما يقال: نسأ الله في أجلك أي أدام[٢] الله في أيام حياتك.

قال أبو جعفر: وهما قراءتان قد قرأ بكلّ واحدة منهما علماء من القرّاء بمعنى واحد، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب، وأن كنت أختار الهمز فيها لأنه الأصل.

وقوله: ﴿**فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنّ**﴾ يقول عزّ وجلّ: فلما خرّ سليمان ساقطاً بانكسار منسأته تبيّنت الجنّ ﴿**أنْ لو كانوا يعلمون الغَيْبَ**﴾ الذي يدّعون علمه ﴿**ما لَبِثُوا فِي العَذَابِ المُهِينِ**﴾ المذلّ حولاً كاملاً بعد موت سليمان، وهم يحسبون أن سليمان حيّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن منصور، قال: ثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة، قال: ثنا إبراهيم بن طهمان، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس، عن النبيّ ﷺ قال: «كانَ سُلَيْمانُ نَبِيُّ اللَّهِ إذَا صَلَّى رأَى شَجَرَةً نابِتَةً بينَ يَدَيْهِ، فَيَقُولُ لَهَا: ما اسمُكِ؟ فَتَقُولُ: كَذَا، فَيَقُولُ: لأَيّ شَيْءٍ أنْتِ؟ فإنْ كانَتْ تُغْرَسُ غُرِسَتْ، وَإنْ كانَتْ لِدَوَاءٍ كُتِبَتْ، فَبَيْنَما هُوَ يُصَلّي ذَاتَ يَوْم، إذْ رأى شَجَرَةً بينَ يَدَيْهِ، فَقالَ لَهَا: ما اسمُكِ؟ قالَتْ: الخَرّوب، قالَ: لأَيّ شَيْءٍ أنْتِ؟ قالَتْ: لخَرَابِ هَذَا البَيْتِ، فَقالَ سُلَيْمانُ: اللَّهُمَّ عَمّ على الجِنّ مَوْتِي حتى يَعْلَمَ الإنْسُ أنَّ الجِنَّ لا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ، فَنَحَتَها عَصاً فَتَوَكَّأَعَلَيْها حَوْلاً مَيْتاً، والجِنُّ تَعْمَلُ، فأكَلَتْها الأرَضَةُ، فَسَقَطَ، فَتَبَيَّنَتِ الإنْسُ أنَّ الجِنَّ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ ما لَبِثُوا حَوْلاً فِي العَذَابِ المُهِينِ» قال: وكان ابن عباس يقرؤها كذلك، قال: فشكرت الجنّ للأرضة، فكانت تأتيها بالماء.

حدثنا موسى بن هارون، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط، عن السديّ، في خبر ذكره عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مُرّة الهمْدانيّ، عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب رسول الله ﷺ قال: كان سليمان يتجرّد[٣] في بيت المقدس السنة والسنتين، والشهر والشهرين، وأقلّ من ذلك وأكثر، يَدْخل طعامه[٤] وشرابه، فدخله في المرّة التي مات فيها، وذلك أنه لم يكن يوم يُصبح فيه، إلا تنبت فيه شجرة، فيسألها ما اسمك، فتقول الشجرة:

---

(١) كذا في «**معاني القرآن**» للفراء (الورقة ٢٦١) وفي الأصل: صدرت بتحريف.

(٢) لعله: أطال.

(٣) في «**العرائس**» للثعلبي (طبعة الحلبي ٣٢٦) قال ابن عباس وغيره: كان سليمان يحتجب في بيت المقدس.... الخ.

(٤) في «**العرئس**» يدخل فيه بطعامه... الخ.

اسمي كذا وكذا، فيقول لها: لأيّ شيء نبتّ؟ فتقول: نبتّ لكذا وكذا، فيأمر بها فتقطع، فإن كانت نبتت لغرس غرسها، وإن كانت نبتت لدواء، قالت: نبتّ دواء لكذا وكذا، فيجعلها كذلك، حتى نبتت شجرة يقال لها الخرّوبة، فسألها: ما اسمك؟ فقالت له: أنا الخرّوبة، فقال: لأيّ شيء نبتّ؟ قالت: لخراب هذا المسجد قال سليمان: ما كان الله ليخربه وأنا حيّ، أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس، فنزعها وغرسها في حائط له، ثم دخل المحراب، فقام يصلي متكئاً على عصاه، فمات ولا تعلم به الشياطين في ذلك، وهم يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب، وكان المحراب له كُوًى بين يديه وخلفه، وكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول: ألست جَلداً إن دخلتُ، فخرجتُ من الجانب الآخر فدخل شيطان من أولئك فمرّ، ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان في المحراب إلا احترق، فمرّ ولم يسمع صوت سليمان عليه السلام، ثم رجع فلم يسمع، ثم رجع فوقع في البيت فلم يحترق، ونظر إلى سليمان قد سقط فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات، ففتحوا عنه فأخرجوه ووجدوا منسأته، وهي العصا بلسان الحبشة، قد أكلتها الأرضة، ولم يعلموا منذ كم مات، فوضعوا الأرضة على العصا، فأكلت منها يوماً وليلة، ثم حسبوا على ذلك النحو، فوجدوه قد مات منذ سنة. وهي في قراءة ابن مسعود: «فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولاً كاملاً» فأيقن الناس عند ذلك أن الجنّ كانوا يكذِبونهم، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان، ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له، وذلك قول الله: **﴿ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إلاَّ دَابَّةُ الأرْضِ تَأْكُلُ مِنسأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ ما لَبِثُوا فِي العَذابِ المُهِينِ﴾** يقول: تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذِبونهم، ثم إن الشياطين قالوا للأرضة: لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام، ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب، ولكنا سننقل إليك الماء والطين، فالذي يكون في جوف الخشب، فهو ما تأتيها به الشياطين شكراً لها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كانت الجنّ تخبر الإنس أنهم كانوا يعلمون من الغيب أشياء، وأنهم يعلمون ما في غد، فابتلوا بموت سليمان، فمات، فلبث سنة على عصاه وهم لا يشعرون بموته، وهم مسخرون تلك السنة يعملون دائبين **﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الجِنُّ أنْ لَوْ كانُوا يَعْلَمُونَ الغَيْبَ ما لَبِثُوا فِي العَذَابِ المُهِينِ﴾** ولقد لبثوا يدأبون، ويعملون له حولاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إلاَّ دَابَّةُ الأرْضِ تَأْكُلُ مِنسأَتَهُ﴾** قال: قال سليمان لملك الموت: يا ملك الموت، إذا أُمِرْتَ بي فأعلمني قال: فأتاه فقال: يا سليمان، قد أُمرت بك، قد بقيت لك سُويعة، فدعا الشياطين

فبنوا عليه صرحاً من قوارير، ليس له باب، فقام يصلي، واتكأ على عصاه قال: فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكىء على عصاه ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت، قال: والجنّ تعمل بين يديه، وينظرون إليه، يحسبون أنه حيّ، قال: فبعث الله دابة الأرض، قال: دابة تأكل العِيدان يقال لها القادح، فدخلت فيها فأكلتها، حتى إذا أكلت جوف العصا، ضعفت وثقل عليها، فخرّ ميتاً، قال: فلما رأت الجنّ ذلك، انفضوا وذهبوا، قال: فذلك قوله: **﴿ما دَلَّهُمْ عَلى مَوْتِهِ إلاَّ دَابَّةُ الأرْضِ تَأْكُلُ مِنسأَتَهُ﴾** قال: والمنسأة: العصا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، قال: كان سليمان بن داود يصلي، فمات وهو قائم يصلي والجنّ يعملون لا يعلمون بموته، حتى أكلت الأرضة عصاه، فخرّ، و«أن» في قوله: **﴿أن لَوْ كانُوا﴾** في موضع رفع بتبين، لأن معنى الكلام: فلما خرّ تبين وانكشف، أن لو كان الجنّ يعلمون الغيب، ما لبثوا في العذاب المهين.

وأما على التأويل الذي تأوّله ابن عباس من أن معناه: تبينت الإنس الجنّ، فإنه ينبغي أن يكون في موضع نصب بتكريرها على الجنّ، وكذلك يجب على هذه القراءة أن تكون الجنّ منصوبة، غير أني لا أعلم أحداً من قرّاء الأمصار يقرأ ذلك بنصب الجنّ، ولو نصب كان في قوله **﴿تَبَيَّنَت﴾** ضمير من ذكر الإنس.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: لقد كان لولد سبإ في مسكنهم علامة بينة، وحجة واضحة، على أنه لا رب لهم إلا الذي أنعم عليهم النعم التي كانوا فيها. وسبأ عن رسول الله اسم أبي اليمن.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن أبي حيان الكلبي، عن يحيى بن هانىء، عن عروة المزاديّ، عن رجل منهم يقال له: فروة بن مسيك، قال: قلت: يا رسول الله أخبرني عن سَبَإٍ ما كان؟ رجلاً كان أو امرأة، أو جبلاً، أو دوابّ؟ فقال: «لا، كانَ رَجُلاً مِن العَرَبِ وَلَهُ عَشَرَةُ أوْلادٍ، فَتَيَمَّنَ مِنْهُمْ سِتَّةٌ، وَتَشاءَمَ أرْبَعَةٌ، فأمَّا الَّذِينَ تَيَمَّنُوا مِنهُمْ فِكِنْدَةُ، وحِمْيَرُ، والأزْدُ، والأشْعَرِيُّونَ، وَمَذْحِجُ، وأنْمارُ الَّذِينَ مِنْها خَثْعَمُ وَبُجَيْلَةُ. وأمَّا الَّذِينَ تَشاءَمُوا: فَعامِلَةُ، وَجُذَامُ، وَلَخْمُ، وَغَسَّان».

حدثنا أبو كريب، قال: ثنا أبو أُسامة، قال: ثني الحسن بن الحكَم، قال: ثنا أبو سَبْرة

النخَعيّ، عن فروة بن مُسَيْك القُطَيعِيّ، قال: قال رجل: يا رسولَ الله أخبرني عن سَبَإٍ ما هو؟ أرض أو امرأة؟ قال: «لَيْسَ بأرْضٍ وَلا امْرأةٍ، وَلَكِنَّهُ رَجُلٌ وَلَدَ عَشَرَةً مِنَ الوَلَد، فَتَيامَنَ سِتَّةٌ، وَتَشاءَمَ أرْبَعَةٌ، فأمَّا الَّذِين تَشاءَمُوا: فَلَخْمٌ، وَجُذَامُ، وَعامِلَةُ، وَغَسَّانُ وأمَّا الَّذِينَ تَيامَنُوا: فَكِنْدَةُ، والأشْعَرِيُّونَ، والأزْدُ، وَمَذْحِجُ، وحِمْيَر، وأنْمَارُ» فقال رجل: ما أنمار؟ قال: «الَّذِينَ مِنْهُمْ خَثْعَمُ وَبجِيْلَةُ».

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا العَنْقَزِيّ، قال: أخبرني أسباط بن نصر، عن يحيى بن هانىء المراديّ، عن أبيه، أو عن عمه «أسباطٌ شكّ» قال: قدم فَرْوة بن مُسَيك على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أخبرني عن سبإ، أجبلاً كان أو أرضاً؟ فقال: «لم يكُنْ جَبَلاً وَلا أرْضاً، ولَكِنَّهُ كان رَجُلاً مِنَ العَرَبِ وَلَدَ عَشَرَةَ قَبائِلَ»، ثم ذكر نحوه، إلا أنه قال: «وأنمار الذين يقولون منهم بجيلة وخثعم».

فإن كان الأمر كما رُوي عن رسول الله ﷺ، من أن سَبَأ رجل، كان الإجراء فيه وغير الإجراء معتدلين. أما الإجراء فعلى أنه اسم رجل معروف، وأما ترك الإجراء فعلى أنه اسم قبيلة أو أرض. وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: «فِي مَساكِنِهِمْ» فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: «في مساكنهم» على الجماع بمعنى منازل آل سبأ. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين «فِي مَسْكِنِهِمْ» على التوحيد وبكسر الكاف، وهي لغة لأهل اليمن فيما ذُكر لي. وقرأ حمزة: ﴿مَسْكَنِهِمْ﴾ على التوحيد وفتح الكاف.

والصواب من القول في ذلك عندنا: أن كلّ ذلك قراءات متقاربات المعنى، فبأيّ ذلك قرأ القارىء فمصيب.

وقوله: ﴿آيَةٌ﴾ قد بيَّنا معناها قبل. وأما قوله: ﴿جَنَّتانِ عَن يَمِينٍ وَشِمالٍ﴾ فإنه يعني: بستانان كانا بين جبلين، عن يمين من أتاهما وشماله. وكان من صفهما فيما ذكر لنا ما:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا سليمان، قال: ثنا أبو هلال، قال: سمعت قتادة، في قوله: ﴿لَقَدْ كانَ لِسَبإٍ فِي مَسْكَنِهِم آيَةٌ جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وشِمالٍ﴾ قال: كانت جنتان بين جبلين، فكانت المرأة تَخرجُ، مِكْتَلُها على رأسها، فتمشي بين جبلين، فيمتلىء مِكْتلُها، وما مست بيدها، فلما طَغَوا بعث الله عليهم دابة، يقال لها «جُرَذ»، فنقَبت عليهم، فغرقتهم، فما بقي لهم إلا أَثْل، وشيء من سِدْرٍ قليل.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿لَقَدْ كانَ لِسَبإٍ فِي

مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمالٍ﴾ . . . إلى قوله: ﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنا عَلَيهِمْ سَيْلَ العَرِمِ﴾ قال: ولم يكن يرى في قريتهم بعوضة قط، ولا ذُباب، ولا بُرْغوث، ولا عَقْرب، ولا حَية، وإنْ كان الركبُ ليأتون وفي ثيابهم القُمّل والدَّوابّ، فما هم إلا أن ينظروا إلى بيوتهم، فتموتَ الدوابّ، قال: وإن كان الإنسان ليدخل الجنتين، فيمسك القُفَّة على رأسه، فيخرج حين يخرج وقد امتلأت تلك القفة من أنواع الفاكهة ولم يتناول منها شيئاً بيده قال: والسُّدّ يسقيها.

ورُفعت الجنتان في قوله: ﴿جَنَّتانِ عنْ يَمِينٍ وشِمالٍ﴾ ترجمة عن الآية، لأن معنى الكلام: لقد كان لسبأ في مسكنهم آية هي جنتان عن أيمانهم وشمائلهم.

وقوله: ﴿كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ﴾ الذي يرزقكم من هاتين الجنتين من زروعهما وأثمارهما، ﴿وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ على ما أنعم به عليكم من رزقه ذلك وإلى هذا منتهى الخبر، ثم ابتدأ الخبر عن البلدة، فقيل: هذه بلدة طيبة: أي ليست بسبخة، ولكنها كما ذكرنا من صفتها عن عبد الرحمن بن زيد أن كانت كما وصفها به ابن زيد، من أنه لم يكن فيها شيء مؤذ، الهمج والدبيب والهوامّ ﴿وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ يقول: وربّ غفور لذنوبكم إن أنتم أطعتموه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ وربكم غفور لذنوبكم، قوم أعطاهم الله نعمة، وأمرهم بطاعته، ونهاهم عن معصيته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فأعرضت سبأ عن طاعة ربها وصدّت عن اتباع ما دعتها إليه رسلها من أنه خالقها، كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن وهب بن منبه اليماني، قال: لقد بعث الله إلى سبإ ثلاثة عشر نبياً، فكذبوهم ﴿فأرْسَلْنا عَلَيهِمْ سَيْلَ العَرِمِ﴾ يقول تعالى ذكره: فثقبنا عليهم حين أعرضوا عن تصديق رسلنا سدّهم الذي كان يحبس عنهم السيول.

والعرم: المسناة التي تحبس الماء، واحدها: عرمة، وإياه عنى الأعشى بقوله:

فَفِي ذَاكَ لِلْمُؤْتَسِي أُسْوَةٌ 		وَمَأْرِبُ عَفَّى عَلَيْهِ العَرِمْ[١]
رِجَامٌ بَنَتْهُ لَهُم حِمْيَرٌ 		إِذَا جَاءَ مَاؤُهُمُ لَمْ يَرِمْ

وكان العرم فيما ذُكر مما بنته بلقيس.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي، قال: ثني وهب بن جرير، قال: ثنا أبي، قال: سمعت المغيرة بن حكيم، قال: لما ملكت بلقيس، جعل قومها يقتتلون على ماء واديهم قال: فجعلت تنهاهم فلا يطيعونها فتركت مُلكها، وانطلقت إلى قصر لها، وتركتهم فلما كثر الشرّ بينهم، وندموا أتوها، فأرادوها على أن ترجع إلى مُلكها، فأبت فقالوا: لترجعنّ أو لنقتلنك، فقالت: إنكم لا تطيعونني، وليست لكم عقول، ولا تطيعوني، قالوا: فإنا نطيعك، وإنا لم نجد فينا خيراً بعدك، فجاءت فأمرت بواديهم، فسدّ بالعرم. قال أحمد، قال وهب، قال أبي: فسألت المغيرة بن حكيم عن العرم، فقال: هو بكلام حِمْير المُسنّاة فسدّت ما بين الجبلين، فحبست الماء من وراء السدّ، وجعلت له أبواباً بعضها فوق بعض، وبنت من دونه بركة ضخمة، فجعلت فيها اثني عشر مخرجاً على عدّة أنهارهم فلما جاء المطر احتبس السيل من وراء السدّ، فأمرت بالباب الأعلى ففُتح، فجرى ماؤه في البركة، وأمرت بالبعر فألقي فيها، فجعل بعض البعر يخرج أسرع من بعض، فلم تزل تضيق تلك الأنهار، وترسل البعر في الماء، حتى خرج جميعاً معاً، فكانت تقسمه بينهم على ذلك، حتى كان من شأنها وشأن سليمان ما كان.

حدثنا أحمد بن عمر البصري، قال: ثنا أبو صالح بن زريق، قال: أخبرنا شريك، عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، في قوله ﴿**فأَرْسَلْنا عَلَيهِمْ سَيْلَ العَرِمِ**﴾ قال: المسناة بلحن

---

(١) البيتان لأعشى بن قيس بن ثعلبة (ديوانه طبع القاهرة ص ـ ٤٣) من قصيدة يمدح بها قيس بن معد يكرب، من المتقارب. وفيه: «وقفى» في موضع «عفى» و«رخام» بالخاء، في موضع «رجام» بالجيم. وفي بعض نسخ الديوان: «مواره» في موضع ماؤه. قال الفراء: وقوله «سيل العرم» كانت مسناة تحبس الماء، على ثلاثة أبواب منها. فيسقون من ذلك الماء من الباب الأول (الأعلى) ثم الثاني (الأوسط) ثم الآخر (الأسفل)، فلا ينفد حتى يثوب الماء من السنة المقبلة. وكانوا أنعم قوم عيشاً، فلما أعرضوا وجحدوا الرسل، بثق الله عليهم تلك المسناة، فغرقت أرضهم، ودفن بيوتهم الرمل. والبيتان من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» وروايته: «قفى» في موضع «عفى» وهو بمعناه. و«رخام» بالخاء في موضع رجام. والرجام: الصخور العظيمة، جمع رجمة. توضع على القبر ونحوه. وفسر قوله «لم يرم»: أي حبسه. والضمير راجع إلى الماء. وقال في قوله تعالى: ﴿سيل العرم﴾: واحدها عرمة. ا هـ. وفي «**اللسان**» سنى: المسناة العرم. وفي «**اللسان**» عرم (العرم) بفتح الراء وكسرها، وكذلك واحدها، وهو العرمة. والعرمة: سد يعترض به الوادي. والجمع عرم. وقيل العرم: جمع لا واحد له. وقال أبو حنيفة: العرم الأحباس تبنى في أوساط الأودية. ا هـ. وهي ما نسميه اليوم: خزانات أو قناطر.

اليمن.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**سَيْلَ الْعَرِمِ**﴾ قال: شديد.

وقيل: إن العرم: اسم واد كان لهؤلاء القوم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ**﴾ قال: واد كان باليمن، كان يسيل إلى مكة، وكانوا يسقون وينتهي سيلهم إليه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ**﴾ ذُكر لنا أن سيل العرم واد كانت تجتمع إليه مسايل من أودية شتى، فعمدوا فسدّوا ما بين الجبلين بالقير والحجارة، وجعلوا عليه أبواباً، وكانوا يأخذون من مائه ما احتاجوا إليه، ويسدّون عنهم ما لم يعنوا به من مائه شيئاً.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ**﴾ وَاد يُدعى العَرِم، وكان إذا مُطِر سالت أودية اليمن إلى العرم، واجتمع إليه الماء، فَعمَدَت سَبأ إلى العرم، فسدّوا ما بين الجبلين، فحجزوه بالصخر والقار، فانسدّ زماناً من الدهر، لا يَرْجون الماء، يقول: لا يخافون.

وقال آخرون: العَرِم: صفة للمُسَنَّاة التي كانت لهم وليس باسم لها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**سَيْلَ الْعَرِمِ**﴾ يقول: الشديد، وكان السبب الذي سبب الله لإرسال ذلك السيل عليهم فيما ذُكر لي جُرذاً ابتعثه الله على سدّهم، فثقب فيه ثقباً.

ثم اختلف أهل العلم في صفة ما حدث عن ذلك الثقب مما كان فيه خَراب جَنتيهم.

فقال بعضهم: كان صفة ذلك أن السيل لما وجد عملاً في السدّ عمِل فيه، ثم فاض الماء على جناتهم، فغرّقها وخرّب أرضهم وديارهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن وهب بن مُنَبه اليماني، قال: كان لهم، يعني لسبأ سدّ، قد كانوا بنوْه بنياناً أبداً، وهو الذي كان يَرُدّ عنهم السيل إذا جاء أن يغشى أموالهم. وكان فيما يزعمون في علمهم من كَهانتهم، أنه إنما يخرّب عليهم سدّهم ذلك فأرة، فلم يتركوا فُرْجة بين حجرين، إلا ربطوا عندها هرّة فلما جاء زمانه، وما أراد الله بهم من التغريق، أقبلت فيما يذكرون فأرة حمراء إلى هرّة من تلك الهِرر، فساورتها، حتى استأخرت عنها أي الهرة، فدخلت في الفُرجة التي كانت عندها، فغلغلت في السدّ، فحفرت فيه حتى وَهَّنته للسيل وهم لا يدرون فلما جاء السيل وجد خَلَلاً، فدخل فيه حتى قلع السدّ، وفاض على الأموال، فاحتملها فلم يُبْق منها إلا ما ذكره الله فلما تفرّقوا نزلوا على كَهانة عمران بن عامر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: لما ترك القوم أمر الله، بعث الله عليهم جُرَذاً يسمى الخُلْد، فثقبه من أسفله حتى غرّق به جناتُهم، وخَرب به أرضهم عقوبة بأعمالهم.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان، قال: سمعت الضحاك يقول: لما طغَوْا وبغَوْا، يعني سَبَأ، بعث الله عليهم جُرَذاً، فخَرق عليهم السّدّ، فأغرقهم الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد: بعث الله عليه جُرَذاً، وسلّطه على الذي كان يحبس الماء الذي يَسقيها، فأخرب في أفواه تلك الحجارة، وكلّ شيء منها من رَصاص وغيره، حتى تركها حِجارة، ثم بعث الله سيل العرم، فاقتلع ذلك السّدّ، وما كان يحبس، واقتلع تلك الجنتين، فذهب بهما وقرأ: ﴿**فأَرْسَلْنا عَلَيهِمْ سَيْلَ العَرِمِ وَبَدَّلْناهُمْ بِجَنَّتَيهِمْ جَنَّتَيْنَ**﴾ قال: ذهب بتلك القُرى والجنتين.

وقال آخرون: كانت صفة ذلك أن الماء الذي كانوا يعمُرُون به جَناتهم سال إلى موضع غير الموضع الذي كانوا ينتفعون به، فبذلك خربت جناتهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: بعث الله عليهم، يعني على العرم، دابة من الأرض، فثَقَبت فيه ثَقباً، فسال ذلك الماء إلى موضع غير الموضع الذي كانوا ينتفعون به، وأبدلهم الله مكان جنتيهم جنتين ذواتي

أُكُلِ خَمْط، وذلك حين عَصَوا، وبَطِروا المعيشة.

والقول الأوّل أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر أنه أرسل عليهم سيل العرم، ولا يكون إرسال ذلك عليهم إلا بإسالته عليهم، أو على جناتهم وأرضهم، لا بصرفه عنهم.

وقوله: ﴿**وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا لهم مكان بساتينهم من الفواكه والثمار، بساتين من جَنى ثمر الأراك، والأراك: هو الخَمْط. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قال: أبدلهم الله مكان جنّتيهم جنتين ذواتي أُكُلِ خَمْط، والخمْط: الأراك.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَية، عن أبي رجاء، قال: سمعت الحسن، يقول في قوله: ﴿**ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ**﴾ قال: أراه قال: الخَمْط: الأراك.

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثني عبد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي يحيى، عن مجاهد ﴿**أُكُلٍ خَمْطٍ**﴾ قال: الخمط: الأراك.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ**﴾ قال: الأراك.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ**﴾ والخمط: الأراك، وأُكُلُه: بريره.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاد يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول، في قوله: ﴿**وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ**﴾ قال: بدّلهم الله بجنان الفواكه والأعناب، إذ أصبحت جناتهم خَمْطاً، وهو الأراك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ**﴾ قال: أذهب تلك القرى والجنتين، وأبدلهم الذي أخبرك ذواتي أكل خَمْط قال: فالخَمْط: الأراك، قال: جعل مكان العنب أراكاً، والفاكهة أَثْلاً، وشيء من سدر قليل.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار بتنوين أُكُلٍ غيرَ أبي عمرو، فإنه

يضيفها إلى الخمط، بمعنى: ذواتي ثمرِ خَمْطٍ. وأما الذين لم يضيفوا ذلك إلى الخَمْط، وينوّنون الأُكُل، فإنهم جعلوا الخمط هو الأُكُل، فردّوه عليه في إعرابه. وبضم الألف والكاف من الأُكُل قرأت قرّاء الأمصار، غير نافع، فإنه كان يخفف منها.

والصواب من القراءة في ذلك عندي قراءة من قرأه: ﴿ذَوَاتَي أُكُل﴾ بضم الألف والكاف لإجماع الحجة من القرّاء عليه، وبتنوين أُكُلٍ لاستفاضة القراءة بذلك في قُرّاء الأمصار، من غير أن أرى خطأ قراءة من قرأ ذلك بإضافته إلى الخمط وذلك في إضافته وترك إضافته، نظيرُ قول العرب: في بُستان فلان أعنابُ كَرْمٍ وأعنابٌ كَرْمٌ، فتضيف أحياناً الأعناب إلى الكرم، لأنها منه، وتنوّن أحياناً، ثم تترجم بالكرم عنها، إذ كانت الأعنابُ ثمرَ الكَرْم. وأما الأَثْل فإنه يقال له الطَّرْفاء وقيل: شجر شبيه بالطَّرْفاء، غير أنه أعظم منها. وقيل: إنها السَّمُر.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس ﴿وأَثْلٍ﴾، قال: الأثل: الطرفاء.

وقوله: ﴿وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ يقول: ذواتي أُكُل خَمْطٍ وأَثْلٍ وشيء من سدر قليل.

وكان قتادة يقول في ذلك ما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثني سعيد، عن قتادة ﴿ذَوَاتَي أُكُلٍ خَمْطٍ وأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ قال: بينما شجر القوم خير الشجر، إذ صيره الله من شرّ الشجر بأعمالهم.

وقوله: ﴿ذلكَ جَزَيْناهُمْ بِمَا كَفَرُوا﴾ يقول تعالى ذكره: هذا الذي فعلنا بهؤلاء القوم من سبأ من إرسالنا عليهم سيل العرم، حتى هلكت أموالهم، وخَرِبت جناتهم، جزاء منّا على كفرهم بنا، وتكذيبهم رسلنا «وذلك» من قوله: ﴿ذلكَ جَزَيْناهُمْ﴾ في موضع نصب بوقوع جزيناهم عليه ومعنى الكلام: جزيناهم ذلك بما كفروا.

وقوله: ﴿وَهَلْ نُجازِي إلاَّ الكَفُورَ﴾ اختلفت القرّاء في قراءته، فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة، وبعضُ أهل الكوفة: «وَهَلْ يُجازَي» بالياء وبفتح الزاي على وجه ما لم يُسَمَّ فاعله «إلاَّ الكَفُورُ» رفعاً. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: ﴿وَهَلْ نُجازِي﴾ بالنون وبكسر الزاي ﴿إلاَّ الكَفُورَ﴾ بالنصب.

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار، متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. ومعنى الكلام: كذلك كافأناهم على كفرهم بالله، وهل يُجازَي إلا

الكفور لنعمة الله؟.

فإن قال قائل: أو ما يجزي الله أهل الإيمان به على أعمالهم الصالحة، فيخصّ أهل الكفر بالجزاء؟ فيقال وهل يجازي إلا الكفور؟ قيل: إن المجازاة في هذا الموضع: المكافأة، والله تعالى ذكره وعد أهل الإيمان به التفضل عليهم، وأن يجعل لهم بالواحدة من أعمالهم الصالحة عشرَ أمثالها إلى ما لا نهاية له من التضعيف، ووعد المسيء من عباده أن يجعل بالواحدة من سيئاته، مثلَها مكافأة له على جُرمه، والمكافأة لأهل الكبائر والكفر والجزاء لأهل الإيمان مع التفضل، فلذلك قال جلّ ثناؤه في هذا الموضع: «وَهَلْ يُجازَي إلاَّ الكَفُورُ»؟ كأنه قال جلّ ثناؤه: لا يجازَي: لا يكافأ على عمله إلا الكفور، إذا كانت المكافأة مثل المكافَأ عليه، والله لا يغفر له من ذنوبه شيئاً، ولا يُمَحَّصُ شيء منها في الدنيا. وأما المؤمن فإنه يتفضل عليه على ما وصفتُ.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وَهَلْ نُجازِي﴾**: نعاقِب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿ذلكَ جَزَيْناهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجازِي إلاَّ الكَفُورَ﴾** إن الله تعالى إذا أراد بعبده كرامة تقبَّل حسناته، وإذا أراد بعبده هواناً أمسك عليه ذنوبه حتى يُوَافيَ به يوم القيامة. قال: وذُكر لنا أن رجلاً بينما هو في طريق من طرق المدينة، إذا مرّت به امرأة، فأتبعها بصره، حتى أتى على حائط، فشجّ وجهه، فأتى نبيّ الله ووجهه يسيل دماً، فقال: يا نبيّ الله فعلت كذا وكذا، فقال له نبيّ الله: «إنَّ اللَّهَ إذَا أرَادَ بِعَبْدٍ كَرَامَةً، عَجَّلَ لَهُ عُقُوبَةَ ذَنْبِهِ فِي الدنيا، وإذَا أرَادَ اللَّهُ بِعَبْدٍ هَوَاناً أمْسَكَ عَلَيْهِ ذَنْبَهُ حتى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيامَةِ، كأنَّهُ عَيرٌ أبْتَر».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن نعمته التي كان أنعمها على هؤلاء القوم الذين ظلموا أنفسهم. وجعلنا بين بلدهم وبين القُرى التي باركنا فيها وهي الشأم، قُرًى ظاهرة. وبنحو الذي قلنا في

ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد قوله: ﴿**القُرَى التي بارَكْنا فِيها**﴾ قال: الشأم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَبَينَ القُرَى الَّتِي بارَكْنا فِيها**﴾ يعني الشأم.

حدثني عليّ بن سهل، قال: ثنا حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد ﴿**القُرَى التي بارَكْنا فِيها**﴾ قال: الشأم.

وقيل: عُنِي بالقرى التي بُورِك فيَها بيت المقدس.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس ﴿**وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَبَينَ القُرَى التي بارَكْنا فِيها قُرًى ظاهِرَةً**﴾ قال: الأرض التي باركنا فيها: هي الأرض المقدسة.

وقوله: ﴿**قُرًى ظاهِرَةً**﴾ يعني: قُرًى متصلة، وهي قُرَى عَرَبِيَّةٌ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن أبي رجاء، قال: سمعت الحسن، في قوله: ﴿**وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَبَينَ القُرَى التي بارَكْنا فِيها قُرًى ظاهِرَةً**﴾ قال: قُرًى متواصلة، قال: كان أحدهم يغدو فَيَقِيل في قرية ويَرُوح، فيأوِي إلى قرية أخرى. قال: وكانت المرأة تضع زِنْبيلها على رأسها، ثم تمتهن بمغزلها، فلا تأتي بيتها حتى يمتلىء من كلّ الثمار.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**قُرًى ظاهِرَةً**﴾: أي متواصلة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**قُرًى ظاهِرَةً**﴾ يعني: قُرًى عَرَبِيَّةً، بين المدينة والشام.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثني أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثناء ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**قُرًى ظاهِرَةً**﴾ قال:

السَّرَوَات.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**قُرًى ظاهِرَةً**﴾ يعني: قُرَى عَرَبِيَّةً، وهي بين المدينة والشأم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَجَعَلْنا بَيْنَهُمْ وَبَينَ القُرَى التي بارَكْنا فِيها قُرًى ظاهِرَةً**﴾ قال: كان بين قريتهم وبين الشأم قُرَى ظاهرة، قال: إن كانت المرأة لتَخرجُ معها مِغزلها ومِكْتلُها على رأسها، تروح من قريةٍ وتغدوها، وتبيت في قرية لا تحمل زاداً ولا ماء لما بينها وبين الشأم.

وقوله: ﴿**وَقَدَّرْنا فِيها السَّيْرَ**﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا بين قُراهم والقرى التي باركنا فيها سيراً مقدّراً من منزل إلى منزل، وقرية إلى قرية، لا ينزلون إلا في قرية، ولا يغدون إلا من قرية.

وقوله: ﴿**سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وأيّاماً آمِنِينَ**﴾ يقول: وقلنا لهم سيروا في هذه القرى ما بين قراكم، والقرى التي باركنا فيها لياليَ وأياماً، آمنين لا تخافون جوعاً ولا عطشاً، ولا من أحد ظلماً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**سِيرُوا فِيها لَيالِيَ وأيّاماً آمِنِينَ**﴾: لا يخافون ظلماً ولا جوعاً، وإنما يغدون فَيقِيلون، ويروحون فيبيتون في قريةِ أهلِ جنة ونهر، حتى لقد ذُكر لنا أن المرأة كانت تضع مِكتلها على رأسها، وتمتهن بيدها، فيمتلىء مكتلها من الثمر قبل أن ترجع إلى أهلها من غير أن تخترف شيئاً، وكان الرجل يسافر لا يحمل معه زاداً ولا سِقاء مما بُسِط للقوم.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وأيّاماً آمِنِينَ**﴾ قال: ليس فيها خوف.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾.

اختلف القرّاء في قراءة قوله: ﴿**رَبَّنا باعِدْ بينَ أسْفارِنا**﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة والكُوفة: ﴿**رَبَّنا باعِدْ بينَ أسْفارِنا**﴾ على وجه الدعاء والمسألة بالألف وقرأ ذلك بعض أهل مكة والبصرة: «بَعِّدْ» بتشديد العين على الدعاء أيضاً. وذُكر عن المتقدمين أنه كان يقرؤه: «رَبُّنا باعَدَ بَينَ أسْفارِنا»

على وجه الخبر من الله أن الله فعل ذلك بهم. وحكي عن آخر أنه قرأه: «ربنا بَعُد» على وجه الخبر أيضاً غير أنّ الربّ منادي.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا: ﴿رَبَّنا باعِدْ﴾ و«بَعِّدْ» لأنهما القراءتان المعروفتان في قرأة الأمصار وما عداهما فغير معروف فيهم على أن التأويل من أهل التأويل أيضاً يحقّق قراءة من قرأه على وجه الدعاء والمسألة، وذلك أيضاً مما يزيد القراءة الأخرى بُعداً من الصواب.

فإذا كان هو الصواب من القراءة، فتأويل الكلام: فقالوا: يا ربنا باعِدْ بين أسفارنا، فاجعل بيننا وبين الشأم فَلَوات ومَفاوِز، لنركب فيها الرواحل، ونتزوّد معنا فيها الأزواد وهذا من الدلالة على بطر القوم نعمة الله عليهم وإحسانه إليهم، وجهلهم بمقدار العافية ولقد عجل لهم ربهم الإجابة، كما عجل للقائلين: ﴿إِنْ كانَ هَذَا هُوَ الحَقَّ مِنْ عَنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنا حِجارَةً مِنَ السَّماءِ أَوِ ائْتِنا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أعطاهم ما رغبوا إليه فيه وطلبوا من المسألة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو حُصَين عبد الله بن أحمد بن يونس، قال: ثنا عَبْثَر، قال: ثنا حُصَين، عن أبي مالك في هذه الآية: ﴿فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بينَ أسْفارِنا﴾ قال: كانت لهم قُرًى متصلة باليمن، كان بعضها ينظر إلى بعض، فبطروا ذلك، وقالوا: ربنا باعِدْ بين أسفارنا، قال: فأرسل الله عليهم سَيْل العَرِم، وجعل طعامهم أَثْلاً وخَمْطاً وشيئاً من سدر قليل.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَقَالُوا رَبَّنا باعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ قال: فإنهم بطِروا عيشهم، وقالوا: لو كان جَنَى جناتنا أبعد مما هي كان أجدر أن نشتهيه، فمُزِّقوا بين الشأم وسبأ، وبدّلوا بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل، وشيء من سدر قليل.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بينَ أسْفارِنا﴾ بطر القوم نعمة الله، وغَمَطوا كرامة الله، قال الله ﴿وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْناهُمْ أحادِيثَ﴾.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿فَقالُوا رَبَّنا باعِدْ بَينَ أسْفارِنا﴾ حتى نبيت في الفَلَوات والصحاري ﴿فظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ﴾.

وقوله ﴿فَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ وكان ظلمهم إياها عَمَلَهم بما يسخط الله عليهم من معاصيه، مما يوجب لهم عقاب الله ﴿فجَعَلْناهُمْ أحادِيثَ﴾ يقول: صيرناهم أحاديث للناس يضربون بهم المثل

في السبّ، فيقال: تفرّق القوم أيادِي سَبَا، وأيدي سبا، إذا تفرّقوا وتقطّعوا.

وقوله ﴿وَمَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ يقول: وقطعناهم فِي البِلاد كلَّ مقطع، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ فَجَعَلْناهُمْ أحادِيثَ وَمَزَّقْناهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ قال قتادة: قال عامر الشَّعْبِي: أما غَسَّان فقد لَحِقوا بالشأم، وأما الأنصار فلحقوا بَيثرِب، وأما خَزَاعة فلحقوا بتهامة، وأما الأزد فلحقوا بعُمان.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: يزعمون أن عِمران بن عامر، وهو عمّ القوم كان كاهناً، فرأى في كَهانته أن قومه سيمزّقون ويتباعَدُون، فقال لهم: إني قد علمت أنكم سَتُمزّقون، فمن كان منكم ذا همّ بعيد، وجمل شديد، ومزاد جديد، فليلحق بكأس أو كرود، قال: فكانت وادعة بن عمرو ومن كان منكم ذا هم مدنٍ، وأمرد عَنٍ، فليلْحَق بأرض شَنَّ، فكانت عوف بن عمرو، وهم الذين يقال لهم بارق ومن كان منكم يريد عيشاً آيناً، وحرَماً آمناً، فليلحق بالأرزين، فكانت خزاعة ومن كان يريد الراسيات في الوحْل، المطْعِمات في المَحْل، فليلحق بيثرب ذات النخل، فكانت الأوس والخزرج فهما هذان الحيان من الأنصار ومن كان يريد خمراً وخميراً، وذهباً وحريراً، وملكاً وتأميراً فليلحق بكُوثىَ وبُصْرَى، فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشأم ومن كان منهم بالعراق. قال ابن إسحاق: قد سمعت بعض أهل العلم يقول: إنما قالت هذه المقالة طريفة امرأة عمران بن عامر، وكانت كاهنة، فرأت في كهانتها ذلك، والله أعلم أيّ ذلك كان قال: فلما تفرّقوا، نزلوا على كهانة عمران بن عامر.

وقوله: ﴿إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في تمزيقناهم كلّ ممزّق ﴿لآياتٍ﴾ يقول: لعظة وعِبْرة ودلالة على واجب حق الله على عبده من الشكر على نعمه إذا أنعم عليه، وحقه من الصبر على محنته إذا امتحنه ببلاء لكلّ صبار شكور على نعمه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إنَّ فِي ذلكَ لآياتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ كان مطرِّف يقول: نعم العبد الصَّبار الشكور، الذي إذا أعطي شكر، وإذا ابتلي صبر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾﴾.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ فقرأ ذلك عامة قرّاء

الكوفيين: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ﴾ بتشديد الدال من صَدَّق، بمعنى أنه قال ظناً منه: ﴿وَلا تَجِد أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ﴾ وقال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أجمعِينَ إلاَّ عِبادَكَ مِنْهُمُ المُخْلَصِينَ﴾ ثم صدّق ظنه ذلك فيهم، فحقَّق ذلك بهم، وباتباعهم إياه. وقرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والشأم والبصرة «وَلَقَدْ صَدَقَ» بتخفيف الدال، بمعنى: ولقد صدق عليهم ظنه.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان متقاربتا المعنى وذلك أن إبليس قد صدَق على كفرة بني آدم في ظنه، وصدق عليهم ظنُّه الذي ظنّ حين قال: ﴿ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بينِ أيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أيمانِهِمْ وَعَنْ شَمائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ﴾، وحين قال: ﴿وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ...﴾ الآية، قال ذلك عدوّ الله، ظناً منه أنه يفعل ذلك لا علماً، فصار ذلك حقاً باتباعهم إياه، فبأيّ القراءتين قرأ القارىء فمصيب. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام على قراءة من قرأ بتشديد الدال: ولقد ظنّ إبليس بهؤلاء الذين بدّلناهم بجنَّتيهم جنتين ذواتي أكل خمط، عقوبة منا لهم، ظناً غير يقين، علم أنهم يتبعونه ويطيعونه في معصية الله، فصدق ظنه عليهم، بإغوائه إياهم، حتى أطاعوه، وعصوا ربهم، إلا فريقاً من المؤمنين بالله، فإنهم ثبتوا على طاعة الله ومعصية إبليس.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا حجاج، عن هارون، قال: أخبرني عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس أنه قرأ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيهِمْ إبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ مشددة، وقال: ظنّ ظناً، فصدّق ظنه.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيهِمْ إبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ قال: ظنّ ظناً فاتبعوا ظنه.

قال: ثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيهِمْ إبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ قال الله: ما كان إلا ظناً ظنه، والله لا يصدّق كاذباً، ولا يكذّب صادقاً.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيهِمْ إبْلِيسُ ظَنَّهُ﴾ قال: أرأيت هؤلاء الذين كرّمتهم عليّ، وفضّلتهم وشرّفتهم، لا تجد أكثرهم شاكرين، وكان ذلك ظناً منه بغير علم، فقال الله: ﴿فاتَّبَعُوهُ إلاَّ فَرِيقاً مِنَ المُؤْمِنِينَ﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما كان لإبليس على هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم من حُجة يضلهم بها، إلا بتسليطناه عليهم، لُيعلم حزبُنا وأولياؤنا ﴿مَنْ يُؤْمِنُ بالآخِرَةِ﴾ يقول: من يصدّق بالبعث والثواب والعقاب ﴿مِمَّنْ هُوَ مِنْها فِي شَكَ﴾ فلا يُوقِن بالمعاد، ولا يصدّق بثواب ولا عقاب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَما كانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطانٍ﴾ قال: قال الحسن: والله ما ضربهم بعصا ولا سَيف ولا سَوْط، إلا أمانيّ وغروراً دعاهم إليها.

قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿إلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بالآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْها فِي شَكّ﴾ قال: وإنما كان بلاءً ليَعلم الله الكافر من المؤمن.

وقيل: عُنِي بقوله: ﴿إلاَّ لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بالآخِرَةِ﴾ إلا لنعلم ذلك موجوداً ظاهراً ليستحقّ به الثواب أو العقاب.

وقوله: ﴿وَرَبُّكَ على كُلّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ يقول تعالى ذكره: وربك يا محمد على أعمال هؤلاء الكفرة به، وغير ذلك من الأشياء كلها ﴿حَفِيظٌ﴾ لا يعزب عنه علم شيء منه، وهو مُجازِ جميعَهم يوم القيامة، بما كسبوا في الدنيا من خير وشرّ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فهذا فعلُنا بولينا ومن أطاعنا، داود وسليمان الذي فعلنا بهما من إنعامنا عليهما النعم التي لا كفاءَ لها إذ شكرانا، وذاك فعلنا بسَبَإٍ الذين فعلنا بهم، إذ بَطِروا نعمتنا، وكذّبوا رسلنا، وكفروا أياديَنا، فقل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم من قومك، الجاحدين نعمنا عندهم: ادعوا أيها القوم الذين زعمتم أنهم لله شريك من دونه، فسلوهم أن يفعلوا بكم بعض أفعالنا، بالذين وصفنا أمرهم من إنعام أو إياس، فإن لم يقدروا على ذلك فاعلموا أنكم مبطلون، لأن الشركة في الربوبية لا تصلح ولا تجوز، ثم وصف الذين يدعون من دون الله، فقال: إنهم لا

يملكون مثقال ذرّة في السموات ولا في الأرض من خير ولا شرّ ولا ضرّ ولا نفع، فكيف يكون إلهاً من كان كذلك. وقوله: ﴿وَما لَهُمْ فِيهِما مِنْ شِرْكٍ﴾ يقول تعالى ذكره: ولا هم إذ لم يكونوا يملكون مثقال ذرّة في السموات ولا في الأرض، منفردين بملكه من دون الله، يملكونه على وجه الشِّركة، لأن الأملاك في المملوكات، لا تكون لمالكها إلا على أحد وجهين: إما مقسوماً، وإما مُشَاعاً يقول: وآلهتهم التي يدعون من دون الله، لا يملكون وزن ذَرّة في السموات ولا في الأرض، لا مُشاعاً ولا مقسوماً، فكيف يكون من كان هكذا شريكاً لمن له ملك جميع ذلك. وقوله: ﴿وَما لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ يقول: وما لله من الآلهة التي يدعون من دونه مُعِين على خلق شيء من ذلك، ولا على حفظه، إذ لم يكن لها ملك شيء منه مُشاعاً ولا مقسوماً، فيقال: هو لك شريك من أجل أنه أعان وإن لم يكن له ملك شيء منه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَما لَهُمْ فِيهِما مِنْ شِرْكٍ﴾ يقول: ما لله من شريك في السماء ولا في الأرض ﴿وما لَهُ مِنهمْ﴾ من الذين يدعون من دون الله ﴿مِن ظهيرٍ﴾ من عون بشيء.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ولا تنفع شفاعة شافع كائناً من كان الشافع لمن شَفَع له، إلا أن يشفع لمن أذن الله في الشفاعة. يقول تعالى: فإذا كانت الشفاعات لا تنفع عند الله أحداً إلا لمن أذِن الله في الشفاعة له، والله لا يأذن لأحد من أوليائه في الشفاعة لأحد من الكفرة به، وأنتم أهل كفر به أيها المشركون، فكيف تعبدون من تعبدونه من دون الله زعماً منكم أنكم تعبدونه، ليقرّبكم إلى الله زُلْفَى، وليشفع لكم عند ربكم «فمن» إذ كان هذا معنى الكلام التي في قوله ﴿إلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾: المشفوع له.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿أَذِنَ لَهُ﴾ فقرأ ذلك عامة القرّاء بضم الألف مِن «أُذِنَ لَهُ» على وجه ما لم يسمّ فاعله. وقرأه بعض الكوفيين: ﴿أَذِنَ لَهُ﴾ على اختلاف أيضاً عنه فيه، بمعنى أذن الله له.

وقوله: ﴿حتى إذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ يقول: حتى إذا جُلِيَ عن قلوبهم، وكشف عنها الفزع

وذهب.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**حتى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**﴾ يعني: جُلِيَ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**حتى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**﴾ قال: كشف عنها الغطاء يوم القيامة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: إذا جلي عن قلوبهم.

واختلف أهل التأويل في الموصوفين بهذه الصفة مَنْ هُم؟ وما السبب الذي من أجله فُزِّع عن قلوبهم؟ فقال بعضهم: الذي فُزِّع عن قلوبهم الملائكة، قالوا: وإنما يفزِّع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماعهم الله بالوحي.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَية، عن داود، عن الشَّعبيّ، قال: قال ابن مسعود في هذه الآية: ﴿**حتى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**﴾ قال: إذا حدث أمر عند ذي العرش سَمع مَن دونه من الملائكة صوتاً كجرّ السلسلة على الصفا، فيُغْشى عليهم، فإذا ذهب الفزع عن قلوبهم تنادَوا: ﴿**ماذَا قالَ رَبُّكُمْ**﴾ قال: فيقول من شاء، قال: الحقّ، وهو العليّ الكبير.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا المعتمر، قال: سمعت داود، عن عامر، عن مسروق قال: إذا حدث عند ذي العرش أمر سمعت الملائكة صوتاً، كجرّ السلسلة على الصفا، قال: فيُغْشَى عليهم، فإذا فُزِّع عن قلوبهم، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قال: فيقول من شاء الله: الحَقَّ، وهو العليّ الكبير.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثني عبد الأعلى، قال: ثنا داود، عن عامر، عن ابن مسعود، أنه قال: إذا حدث أمر عند ذي العرش، ثم ذكر نحو معناه إلاّ أنه قال: فيُغْشَى عليهم من الفزع، حتى إذا ذهب ذلك عنهم تنادوا: ماذا قال ربكم؟

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبد الله بن مسعود، في قوله: ﴿حتى إذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ قال: إن الوحي إذا أُلقي سمع أهل السموات صلصلة كصلصلة السلسلة على الصفوان، قال: فيتنادون في السموات. ماذا قال ربكم؟ قال: فيتنادون: الحَقَّ، وهو العليّ الكبير.

وبه عن منصور، عن أبي الضُّحَى، عن مسروق، عن عبد الله، مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، قال: يُنَزَّلُ الأمرُ من عند ربّ العزّة إلى السماء الدنيا، فيفُزَّع أهل السماء الدنيا، حتى يستبين لهم الأمر الذي نُزِّل فيه، فيقول بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ فيقولون: قال الحقّ، وهو العليّ الكبير، فذلك قوله: ﴿حتى إذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ . . . الآية.

حدثنا أحمد بن عَبْدة الضَّبيّ، قال: ثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة، قال: ثنا أبو هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: «إنَّ اللَّهَ إذَا قَضَى أمْراً فِي السَّماءِ ضَرَبَتِ المَلائِكَةُ بأجْنِحَتِها جَمِيعاً، ولقوله صوت كصوت السلسلة على الصفا الصَّفْوان، فذلك قوله»: حتى إذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ماذَا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الحقَّ وَهُو العَلِيُّ الكَبِيرُ.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَية، قال: ثنا أيوب، عن هشام بن عروة، قال: قال الحارث بن هشام لرسول الله ﷺ: كيف يأتيك الوحي؟ قال: «يَأْتِينِي فِي صَلْصَلَةٍ كَصَلْصَلَةِ الجَرَسِ فَيَفْصِمُ عَنّي حِينَ يَفْصِمُ وَقَدْ وَعَيْتُهُ، ويَأْتِي أحْياناً فِي مِثْلِ صُورَةِ الرَّجُلِ، فَيُكَلِّمُنِي بِهِ كَلاماً، وَهُوَ أهْوَنُ عَلَيَّ».

حدثني زكريا بن أَبان المصريّ، قال: ثنا نعيم، قال: ثنا الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن ابن أبي زكريا، عن جابر بن حَيْوَة، عن النوّاس بن سمعان، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذَا أرَادَ اللَّهُ أنْ يُوحِيَ بالأمْرِ تَكَلَّمَ بالوَحْيِ، أخَذَتِ السَّمَوَاتِ مِنْهُ رَجْفَةٌ أوْ قالَ رِعْدَةٌ شَدِيدَةٌ خَوْفَ أمْرِ اللَّهِ، فإذا سَمِعَ بذلكَ أهْلُ السَّمَوَاتِ صَعِقُوا وَخَرُّوا لِلَّهِ سُجَّداً، فَيَكُونُ أوَّلَ مَنْ يَرْفَعُ رأسَهُ جَبْرائِيلُ، فَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ مِنْ وَحْيِهِ بِمَا أرَادَ، ثُمَّ يَمُرُّ جَبْرائِيلُ على المَلائِكَةِ كُلَّما مَرَّ بِسَماءٍ سألَهُ مَلائِكَتُها. ماذَا قال رَبُّنا يا جَبْرائِيلُ؟ فَيَقُولُ جَبْرَائِيلُ. قالَ الحَقَّ وَهُوَ العِليُّ الكَبِيرُ، قالَ: فَيَقُولُونَ كُلُّهُمْ مِثْلَ ما قالَ جَبْرائِيلُ، فَيَنْتَهي جَبْرائِيلُ بالوَحْيِ حَيْثُ أمَرَهُ اللَّهُ».

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ، قال: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿حتى إذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ . . . الآية. قال: كان ابن عباس يقول: إن الله لما

أراد أن يوحي إلى محمد، دعا جبريل، فلما تكلم ربنا بالوحي، كان صوته كصوت الحديد على الصفا فلما سمع أهل السموات صوت الحديد خرّوا سُجَّداً فلما أَتيَ عليهم جبرائيل بالرسالة رفعوا رُؤوسهم، فقالوا: ﴿**ماذَا قالَ رَبُّكُم قالُوا الحَقّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ**﴾ وهذا قول الملائكة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿**حتى إذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**﴾... إلى ﴿**وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِير**﴾ قال: لما أوحَي الله تعالى ذكره إلى محمد ﷺ دعا الرسولَ من الملائكة، فبعث بالوحْي، سمعت الملائكة صوت الجَبار يتكلم بالوحي فلما كُشِف عن قلوبهم سألوا عما قال الله، فقالوا: الحقَّ، وعلموا أن الله لا يقول إلا حَقاً، وأنه مُنجز ما وعد. قال ابن عباس: وصوت الوحي كصوت الحديد على الصفا فلما سمعوه خرّوا سجَّداً فلما رفعوا رؤوسهم ﴿**قالُوا ماذَا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ**﴾ ثم أمر الله نبيه أن يسأل الناس ﴿**قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ**﴾... إلى قوله: ﴿**فِي ضَلالٍ مُبِينٍ**﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا قُرّة، عن عبد الله بن القاسم، في قوله: ﴿**حتى إذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**﴾... الآية، قال: الوحي ينزل من السماء، فإذا قضاه ﴿**قالُوا ماذَا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، عن عبد الله، في قوله: ﴿**حتى إذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**﴾ قال: إن الوحي إذا قَضَى في زوايا السماء، قال: مثل وقع الفُولاذ على الصخرة، قال: فيُشْفِقون، لا يدرون ما حدث، فيفزعون، فإذا مرّت بهم الرسل ﴿**قالُوا ماذا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَليُّ الكَبِيرُ**﴾.

وقال آخرون ممن قال: الموصوفون بذلك الملائكة: إنما يُفَزَّع عن قلوبهم فَزعُهُم من قضاء الله الذي يقضيه حذراً أن يكون ذلك قيام الساعة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**حتى إذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قالُوا ماذَا قالَ رَبُّكُمْ**﴾... الآية، قال: يوحي الله إلى جبرائيل، فَتَفرَّق الملائكة، أو تفزع مخافة أن يكون شيء من أمر الساعة، فإذا جُلِيَ عن قلوبهم، وعلموا أنه ليس ذلك من أمر الساعة ﴿**قالُوا ماذَا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ**﴾.

وقال آخرون: بل ذلك من فعل ملائكة السموات إذا مرّت بها المعقّبات فزَعاً أن يكون حدث أمر الساعة.

ذكر من قال ذلك:

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**حتى إذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**﴾... الآية، زعم ابن مسعود أن الملائكة المُعَقبات الذين يختلفون إلى الأرض يكتبون أعمالهم، إذا أرسلهم الربّ فانحدروا سمع لهم صوت شديد، فيحسب الذين هم أسفل منهم من الملائكة أنه من أمر الساعة، فخرّوا سُجّداً، وهكذا كلما مرُّوا عليهم يفعلون ذلك من خوف ربهم.

وقال آخرون: بل الموصوفون بذلك المشركون، قالوا: وإنما يُفزِّع الشيطان عن قلوبهم قال: وإنما يقولون: ماذا قال ربكم عند نزول المنية بهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**حتى إذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ**﴾ قال: فَزَّع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وأمانيهم، وما كان يضلهم ﴿**قالُوا ماذَا قالَ رَبُّكُمْ قالُوا الحَقَّ وَهُوَ العَلِيُّ الكَبِيرُ**﴾ قال: وهذا في بني آدم، وهذا عند الموت أقرّوا به حين لم ينفعهم الإقرار.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، القول الذي ذكره الشَّعْبيّ، عن ابن مسعود لصحة الخبر الذي ذكرناه عن ابن عباس، عن رسول الله ﷺ بتأييده. وإذ كان ذلك كذلك، فمعنى الكلام: لا تنفع الشفاعة عنده، إلا لمن أذن له أن يشفَع عنده، فإذا أذن الله لمن أذن له أن يشفع فزع لسماعه إذنه، حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم، فجُلِّيَ عنها، وكشَف الفزع عنهم، قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالت الملائكة: الحقّ، ﴿**وهو العليّ**﴾ على كل شيء ﴿**الكبير**﴾ الذي لا شيء دونه. والعرب تستعمل فُزِّع في معنيين، فتقول للشجاع الذي به تنزل الأمور التي يفزَع منها: وهو مُفَزَّع وتقول للجبان الذي يَفْزَع من كلّ شيء: إنه لمُفَزَّع، وكذلك تقول للرجل الذي يقضي له الناس في الأمور بالغلبة على من نازله فيها: هو مُغَلَّب وإذا أريد به هذا المعنى كان غالباً وتقول للرجل أيضاً الذي هو مغلوب أبداً: مُغَلَّب.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار أجمعون: ﴿**فُزِّعَ**﴾ بالزاي والعين على التأويل الذي ذكرناه عن ابن مسعود ومن قال بقوله في ذلك. ورُوي عن الحسن أنه قرأ ذلك: «حتى إذَا فُرِغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» بالراء والغين على التأويل الذي ذكرناه عن ابن زيد. وقد يحتمل توجيه معنى قراءة الحسن ذلك كذلك، إلى «حتى إذَا فُرِغَ عَنْ قُلُوبِهِمْ» فصارت فارغة من الفزع الذي كان حلّ بها. ذُكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك: «فُزِعَ» بمعنى: كَشَفَ الله الفزع عنها.

والصواب من القراءة في ذلك القراءة بالزاي والعين لإجماع الحجة من القراء وأهل التأويل عليها، ولصحة الخبر الذي ذكرناه عن رسول الله ﷺ بتأييدها، والدلالة على صحتها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم الأوثان والأصنام: من يرزقكم من السموات والأرض بإنزاله الغيث عليكم منها حياة لحروثكم، وصلاحاً لمعايشكم، وتسخيره الشمس والقمر والنجوم لمنافعكم، ومنافع أقواتكم، والأرض بإخراجه منها أقواتكم وأقوات أنعامكم؟ وترك الخبر عن جواب القوم استغناء بدلالة الكلام عليه، ثم ذكره، وهو: فإن قالوا: لا ندري، فقل: الذي يرزقكم ذلك الله، **﴿وإنا أو إياكم﴾** أيها القوم **﴿لعلى هُدًى أو في ضلال مبين﴾** يقول: قل لهم: إنا لعلى هدى أو في ضلال، أو إنكم على ضلال أو هُدًى. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لعَلى هُدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾** قال: قد قال ذلك أصحاب محمد للمشركين، والله ما أنا وأنتم على أمر واحد، إنّ أحد الفريقين لمهتد.

وقد قال قوم: معنى ذلك: وإنا لعلى هدى، وإنكم لفي ضلال مبين.

ذكر من قال ذلك:

حدثني إسحاق بن إبراهيم الشهيديّ، قال: ثنا عتاب بن بشير، عن خصيف عن عكرمة وزياد، في قوله: **﴿وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلى هَدًى أَوْ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾** قال: إنا لعلى هدى وإنكم لفي ضلال مبين.

واختلف أهل العربية في وجه دخول «أو» في هذا الموضع، فقال بعض نحويّ البصرة: ليس ذلك لأنه شك، ولكن هذا في كلام العرب على أنه هو المهتدِي، قال: وقد يقول الرجل لعبده: أحدنا ضارب صاحبه، ولا يكون فيه إشكال على السامع أن المولى هو الضارب.

وقال آخر منهم: معنى ذلك: إنا لعلى هدى، وإنكم إياكم في ضلال مبين، لأن العرب تضع «أو» في موضع واو الموالاة، قال جرير:

أَثَعْلَبَةَ الفَوَارِسِ أَوْ رِيَاحاً ... عَدَلْتَ بِهِمْ طُهَيَّةَ والخِشَابا[١]

قال: يعني ثعلبة ورياحاً، قال: وقد تكلم بهذا من لا يشكّ في دينه، وقد علموا أنهم على هدى، وأولئك في ضلال، فيقال: هذا وإن كان كلاماً واحداً على جهة الاستهزاء، فقال: هذا لهم، وقال:

فَإِنْ يَكُ حُبُّهُمْ رُشْداً أُصِبْهُ ... وَلَسْتُ بِمُخْطِىءٍ إنْ كَانَ غَيًّا[٢]

وقال بعض نحويي الكوفة: معنى «أو» ومعنى الواو في هذا الموضع في المعنى، غير أن القرينة على غير ذلك لا تكون «أو» بمنزلة الواو، ولكنها تكون في الأمر المفوّض، كما تقول: إن

---

(١) البيت لجرير. وهو من شواهد سيبويه الكتاب (١/٥٢، ٤٨٩) وروايته في الموضع الثاني «أو رياحاً». وفي الموضع الأول: «أم رياحاً» قال: فأما إذا قلت أتضرب أو تحبس زيداً، فهو بمنزلة أزيداً أو عمراً ضربت. قال الشاعر:

«أثعلبة........

البيت». وإن قلت: أزيداً تضرب أو تقتل كان كقولك أتقتل زيداً أو عمراً. قال: و «أم» في كل هذا: جيد. وإن قال: أتجلس أم تذهب، فأم وأو فيه سواء.

والبيت: من شواهد أبي عبيدة في «**مجاز القرآن**» (الورقة ٩٩ ـ ب) قال في تفسير الآية ﴿وأنا أو إياكم لعلي هدى أو في ضلال مبين﴾: لأن العرب تضع أو في موضع واو الموالاة، قال:

أثعلبة الفوارس أو.....

البيت». يعني ثعلبة ورياحاً. وقال قوم قد يتكلم بهذا من يشك في دينه، وقد علموا أنهم على هدى، وأولئك على ضلال، فقال هذا، وإن كان كلاماً واحداً، على وجه الاستهزاء يقال هذا لهم وقال:

إنْ يَكُنْ حُبُّهُمْ رُشْداً أُصِبْهُ ... وَلَسْتُ بِمُخْطِىءٍ إنْ كَانَ غَيَّا

قلت: وقد سمى ابن هشام في المعنى «أو» هذه: أو التي للإبهام.

(٢) البيت لأبي الأسود الدؤلي، قال صاحب الأغاني ترجمته: كان أبو الأسود الدؤلي نازلاً في بني قشير، وكانت بنو قشير عثمانية، وكانت امرأته أم عوف منهم، فكانوا يؤذونه ويسبونه وينالون من علي بن أبي طالب بحضرته، ليغيظوه به، ويرمونه بالليل، فقال في ذلك أبياتاً يهجوهم ويمدح علياً وآل بيته. فقال له بنو قشير: شككت يا أبا الأسود في صاحبك حيث تقول: «فإن يك حبهم رشداً أصبه» فقال: أما سمعتم قول الله عز وجل: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ أفترى الله جل وعز شك في نبيه. وقد روى أن معاوية قال في هذه المقالة، فأجابه بهذا الجواب ا هـ. وقال الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقتان ٢٦٣ ـ ٢٦٤) في في تفسير قوله تعالى: ﴿وإنا أو إياكم﴾.... الآية: قال المفسرون معناه: وإنا لعلي هدى، وأنتم في ضلال مبين. معنى «أو» معنى الواو عندهم. وكذلك هو في المعنى غير أن العربية على غير ذلك. لا تكون «أو» بمنزلة الواو. ولكنها تكون في الأمر المفوض (واو الإباحة) كما تقول: إن شئت خذ درهما أو اثنين، فله أن يأخذ واحداً أو اثنين، وليس له أن يأخذ ثلاثة؛ في قول من لا يبصر العربية، ويجعل أو بمنزلة الواو، ويجوز له أن يأخذ ثلاثة، لأنه في قولهم بمنزلة قولك: خذ درهما واثنين. فالمعنى في قوله: ﴿وإنا أو إياكم﴾: إذا لضالون أو مهتدون وإنكم أيضاً لضالون أو مهتدون، وهو يعلم أن رسوله المهتدي، وأن غير الضالون... الخ ما قاله.

شئت فخذ درهماً أو اثنين، فله أن يأخذ اثنين أو واحداً، وليس له أن يأخذ ثلاثة. قال: وهو في قول من لا يبصر العربية، ويجعل «أو» بمنزلة الواو، ويجوز له أن يأخذ ثلاثة، لأنه في قولهم بمنزلة قولك: خذ درهماً أو اثنين قال: والمعنى في ﴿إِنَّا أو إياكُمْ﴾ إنا لضالون أو مهتدون، وإنكم أيضاً لضالون، وهو يعلم أن رسوله المهتدي، وأن غيره الضالّ. قال: وأنت تقول في الكلام للرجل يكذّبك. واللَّهِ إن أحدنا لكاذب، وأنت تعنيه، وكذّبته تكذيباً غير مكشوف، وهو في القرآن وكلام العرب كثير، أن يوجّه الكلام إلى أحسن مذاهبه، إذا عرف، كقول القائل لمن قال: والله لقد قدم فلان، وهو كاذب فيقول: قل: إن شاء الله، أو قل: فيما أظنّ، فيكذّبه بأحسن تصريح التكذيب. قال: ومن كلام العرب أن يقولوا: قاتله الله، ثم يستقبح فيقولون: قاتله الله، وكاتعه الله. قال: ومن ذلك: ويحَك، وويسَك، إنما هي في معنى: ويْلَك، إلا أنها دونها.

والصواب من القول في ذلك عندي أن ذلك أمر من الله لنبيه بتكذيب من أمره بخطابه بهذا القول بأجمل التكذيب، كما يقول الرجل لصاحب له يخاطبه، وهو يريد تكذيبه في خبر له: أحدنا كاذب، وقائل ذلك يعني صاحبه، لا نفسه فلهذا المعنى صير الكلام بأو.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين: أحد فريقينا على هدى والآخر على ضلال، لا تُسْألون أنتم عما أجرمنا نحن من جرم، وركبنا من إثم، ولا نُسأَلُ نحن عما تعملون أنتم من عمل، قل لهم: يجمع بيننا ربنا يوم القيامة عنده، ثم يفتح بيننا بالحقّ. يقول: ثم يقضي بيننا بالعدل، فيتبين عند ذلك المهتدي منا من الضالّ ﴿وَهُوَ الفَتَّاحُ العَلِيمُ﴾ يقول: والله القاضي العليم بالقضاء بين خلقه، لأنه لا تخفى عنه خافية، ولا يحتاج إلى شهود تعرّفه المُحقّ من المبطل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنا رَبُّنا﴾ يوم القيامة ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنا﴾: أي يقضي بيننا.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَهُوَ الفَتَّاحُ العَلِيمُ﴾ يقول: القاضي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله الآلهة والأصنام: أَرُوني أيها القوم الَّذين ألحقتموهم بالله فصيَّرتموهم له شركاء في عبادتكم إياهم: ماذا خلقوا من الأرض، أم لهم شرك في السموات، ﴿كلا﴾ يقول تعالى ذكره: كذبوا، ليس الأمر كما وصفوا، ولا كما جعلوا وقالوا من أن لله شريكاً، بل هو المعبود الذي لا شريك له، ولا يصلح أن يكون له شريك في ملكه، العزيز في انتقامه ممن أشرك به من خلقه، الحكيم في تدبيره خلقه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما أرسلناك يا محمد إلى هؤلاء المشركين بالله من قومك خاصة، ولكنا أرسلناك كافة للناس أجمعين، العرب منهم والعجم، والأحمر والأسود، بشيراً من أطاعك، ونذيراً من كذَّبك، ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ أن الله أرسلك كذلك إلى جميع البشر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَما أَرْسَلْناكَ إلاَّ كافَّةً لِلنَّاسِ**﴾ قال: أرسل الله محمداً إلى العرب والعجم، فأكرمُهُم على الله أطوعهم له.

ذُكر لنا أن نبيّ الله ﷺ قال: «أنا سابِقُ العَرَبِ، وَصُهَيْبٌ سابِقُ الرُّومِ، وَبِلالٌ سابِقُ الحَبَشَةِ، وَسَلْمانُ سابِقُ فارِسَ».

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون بالله إذا سمعوا وعيد الله الكفار وما هو فاعل بهم في معادهم مما أنزل الله في كتابه: ﴿**مَتى هَذَا الوَعْدُ**﴾ جائياً، وفي أيّ وقت هو كائن ﴿**إنْ**

﴿كُنتُمْ﴾ فيما تَعِدُونَنا من ذلك ﴿صَادِقِينَ﴾ أنه كائن، قال الله لنبيه: ﴿قُلْ﴾ لهم يا محمد: ﴿لَكُمْ﴾ أيها القوم ﴿مِيعادُ يَوْمٍ﴾ هو آتيكم ﴿لا تَسْتأْخِرُونَ عَنْهُ﴾ إذا جاءكم ﴿ساعَةً﴾ فتنظروا للتوبة والإنابة ﴿وَلا تَسْتَقدِمونَ﴾ قبلَه بالعذاب، لأن الله جعل لكم ذلك أجلاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١)﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَروا﴾ من مشركي العرب: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا القُرآنِ﴾ الذي جاءنا به محمد ﷺ، ولا بالكتاب الذي جاء به غيره من بين يديه، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا القُرآنِ وَلا بالَّذِي بينَ يَدَيْهِ﴾ قال: قال المشركون: لن نؤمن بهذا القرآن، وَلا بالَّذِي بينَ يَدَيْهِ من الكتب والأنبياء.

وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ يتلاومون، يحاور بعضهم بعضاً، يقول المستضعفون كانوا في الدنيا للذين كانوا عليهم فيها يستكبرون: لولا أنتم أيها الرؤساء والكبراء في الدنيا لكنا مؤمنين بالله وآياته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ (٣٢)﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿قالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ في الدنيا، فرأسوا في الضلالة والكفر بالله ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ فيها فكانوا أتباعاً لأهل الضلالة منهم، إذ قالوا لهم ﴿لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ أَنَحْنُ صَدَدْناكُمْ عَنِ الهُدَى﴾ ومنعناكم من اتباع الحقّ ﴿بَعْدَ إِذْ جاءَكُمْ﴾ من عند الله، يبين لكم ﴿بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ﴾ فمنعكم إيثاركم الكفر بالله على الإيمان من اتباع الهدى، والإيمان بالله ورسوله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ

بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَغۡلَٰلَ فِيٓ أَعۡنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلۡ يُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ من الكفرة بالله في الدنيا، فكانوا أتباعاً لرؤسائهم في الضلالة ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ فيها، فكانوا لهم رؤساء ﴿بَلْ مَكْرُ﴾ كم لنا بـ ﴿اللَّيْلِ والنَّهارِ﴾ صدّنا عن الهدى ﴿إذْ تَأْمُرُونَنا أنْ نَكْفُرَ باللَّهِ وَنجْعَلَ لَهُ﴾ أمثالاً وأشباها في العبادة والألوهة فأضيف المكر إلى الليل والنهار. والمعنى ما ذكرنا من مكر المستكبرين بالمستضعفين في الليل والنهار، على اتساع العرب في الذي قد عُرِف معناها فيه من منطِقها، من نقل صفة الشيء إلى غيره، فتقول للرجل: يا فلان نهارك صائم وليلك قائم، وكما قال الشاعر:

ونِمْتِ وَما لَيْلُ المَطِيِّ بِنائمِ[1]

وما أشبه ذلك مما قد مضى بياننا له في غير هذا الموضع من كتابنا هذا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ والنَّهارِ إذ تَأْمُرُونَنا أنْ نَكْفُرَ بالله وَنجْعَلَ لَهُ أنْداداً﴾ يقول: بل مكرُكم بنا في الليل والنهار أيها العظماء الرؤساء حتى أزلتمونا عن عبادة الله.

وقد ذُكر في تأويله عن سعيد بن جبير ما:

حدثنا أبو كُريب، قال: ثنا ابن يمان، عن أشعث، عن جعفر، عن سعيد بن جُبَير ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ والنَّهارِ﴾ قال: مَرُّ الليل والنهار.

---

(١) هذا عجز بيت لجرير بن عطية الخطفي الشاعر الإسلامي، وصدره:

لقد لمتنا يا أم غيلان في السرى

(ديوانه طبعة الصاوي ٥٥٤) واستشهد به المؤلف على أنك تقول يا فلان نهارك صائم، وليك قائم، فتسند الصيام والقيام إلى الليل والنهار إسناداً مجازياً عقلياً والأصل فيه أن يسند الصيام والقيام للرجل لا للزمان، ذلك من باب التوسع المجازي، فالعلاقة هنا الزمانية، والقرينة عقلية. وذلك نظير قوله تعالى: ﴿بل مكر الليل والنهار﴾. أصله: بل مكركم بنا في الليل والنهار، ثم أسند الفعل إليهما. قال الفراء في «**معاني القرآن**»، (الورقة ٢٦٤) وقوله «بل مكر الليل والنهار»: المكر ليس لليل ولا للنهار، وإنما المعنى. بل مكركم بالليل والنهار. وقد يجوز أن تضيف الفعل إلى الليل والنهار، ويكونوا كالفاعلين؛ لأن العرب تقول: نهارك صائم، وليلك قائم، ثم تضيف الفعل إلى الليل والنهار، وهو في المعنى للآدميين، كما تقول: نام ليلك ا هـ.

وقوله: ﴿إذْ تَأْمُرُونَنا أنْ نَكْفُرَ باللَّهِ﴾ يقول: حين تأمروننا أن نكفر بالله.

وقوله: ﴿ونجعَلَ لَهُ أنْداداً﴾ يقول: شركاء، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ونَجْعَلَ لَهُ أنْداداً﴾ شركاء.

قوله: ﴿وأَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمَّا رأَوُا العَذابَ﴾ يقول: وندموا على ما فرّطوا من طاعة الله في الدنيا حين عاينوا عذاب الله الذي أعدّه لهم، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وأَسَرُّوا النَّدامَةَ﴾ بينهم ﴿لَمَّا رأَوُا العَذابَ﴾.

قوله: ﴿وَجَعَلْنا الأَغْلالَ فِي أعْناقِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ وغُلَّت أيدي الكافرين بالله في جهنم إلى أعناقهم في جوامع من نار جهنم، جزاء بما كانوا بالله في الدنيا يكفرون، يقول جلّ ثناؤه: ما يفعل الله ذلك بهم إلاّ ثواباً لأعمالهم الخبيثة التي كانوا في الدنيا يعملونها، ومكافأة لهم عليها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما بعثنا إلى أهل قرية نذيراً يُنذرهم بأسَنا أن ينزل بهم على معصيتهم إيانا، إلاّ قال كُبراؤها ورؤساؤها في الضلالة كما قال قوم فرعون من المشركين له: إنا بما أُرسلتم به من النِّذارة، وبُعثتم به من توحيد الله، والبراءة من الآلهة والأنداد كافرون. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَما أرْسَلْنا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إلاَّ قالَ مُتْرَفُوها إنَّا بِمَا أُرسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ﴾ قال: هم رؤوسهم وقادتهم في الشرّ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال أهل الاستكبار على الله من كل قرية أرسلنا فيها نذيراً لأنبيائنا ورسلنا: ﴿نحن أكْثَرُ أمْوَالاً وأوْلاداً﴾ وَما نَحْنُ فِي الآخرَةِ ﴿بِمُعَذَّبينَ﴾ لأن الله لو لم يكن راضياً ما نحن عليه من الملة والعمل لم يخوّلنا الأموال والأولاد، ولم يبسط لنا في الرزق، وإنما أعطانا

ما أعطانا من ذلك لرضاه أعمالنا، وآثرنا بما آثرنا على غيرنا لفضلنا، وزلفة لنا عنده يقول الله لنبيه محمد ﷺ: قل لهم يا محمد: ﴿**إن ربي يبسط الرزق**﴾ من المعاش والرياش في الدنيا ﴿**لمن يشاء**﴾ من خلقه ﴿**ويَقْدِر**﴾ فيضيق على من يشاء لا لمحبة فيمن يبسط له ذلك ولا خير فيه ولا زُلْفة له، استحقّ بها منه، ولا لبُغض منه لمن قدر عليه ذلك، ولا مَقْت، ولكنه يفعل ذلك مِحْنة لعباده وابتلاء، وأكثر الناس لا يعلمون أن الله يفعل ذلك اختباراً لعباده، ولكنهم يظنون أن ذلك منه محبة لمن بَسَطَ له ومَقْت لمن قَدَر عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَما أمْوَالُكُمْ وَلا أوْلادُكمْ بالتي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفَى...**﴾ الآية، قال: قالوا: نحن أكثر أموالاً وأولاداً، فأخبرهم الله أنه ليست أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زُلْفى، ﴿**إلاَّ مَنْ آمَنَ وعَمِلَ صَالِحاً**﴾، قال: وهذا قول المشركين لرسول الله ﷺ وأصحابه، قالوا: لو لم يكن الله عنا راضياً لم يعطنا هذا، كما قال قارون: لولا أن الله رَضِيَ بي وبحالي ما أعطاني هذا، قال: ﴿**أَوَ لَمْ يَعْلَمْ أنَّ اللّهَ قَدْ أهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ القُرُونِ...**﴾ إلى آخر الآية.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه: وما أموالكم التي تفتخرون بها أيُها القوم على الناس، ولا أولادكم الذين تتكبرون بهم بالتي تقرّبكم منا قُرْبَةً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**عِنْدَنا زُلْفَى**﴾ قال: قُربَى.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَما أمْوَالُكُمْ وَلا أوْلادُكُمْ بالَّتِي تُقَرّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفَى**﴾ لا يعتبر الناس بكثرة المال والولد، وإن الكافر قد يُعْطَى المال، وربما حُبِس عن المؤمن.

وقال جلّ ثناؤه: ﴿**وَما أمْوَالُكُمْ وَلا أوْلادُكُمْ بالتي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنا زُلْفَى**﴾ ولم يقل باللَّتين،

وقد ذكر الأموال والأولاد، وهما نوعان مختلفان لأنه ذُكر من كل نوع منهما جمع يصلح فيه التي ولو قال قائل: أراد بذلك أحد النوعين لم يبعد قوله، وكان ذلك كقول الشاعر:

نَحْنُ بِمَا عِنْدَنا، وأنْتَ بِمَا عِنْدَكَ رَاضٍ والرأْيُ مُخْتَلِفُ[1]

ولم يقل: راضيان.

وقوله: ﴿إلاّ مَنْ آمَنَ وعَمِلَ صَالِحاً﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم: معنى ذلك: وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زُلفى، إلاّ من آمن وعمل صالحاً، فإنه تقرّبهم أموالهم وأولادهم بطاعتهم الله في ذلك وأدائهم فيه حقه إلى الله زلفى دون أهل الكفر بالله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿**إلاّ مَنْ آمَنَ وعَمِلَ صَالِحاً**﴾ قال: لم تضرّهم أموالهم ولا أولادهم في الدنيا للمؤمنين، وقرأ: ﴿**لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيادَةٌ**﴾ فالحُسنى: الجنة، والزيادة: ما أعطاهم الله في الدنيا لم يحاسبهم به، كما حاسب الآخرين، فمن حملا على هذا التأويل نصب بوقوع تقرّب عليه، وقد يحتمل أن يكون «من» في موضع رفع، فيكون كأنه قيل: وما هو إلاّ من آمن وعمل صالحاً.

وقوله: ﴿**فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ**﴾ يقول: فهؤلاء لهم من الله على أعمالهم الصالحة الضعف من الثواب، بالواحدة عشر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا**﴾ قال: بأعمالهم الواحد عشر، وفي سبيل الله بالواحد سبعُ مئة.

وقوله: ﴿**فِي الغُرُفاتِ آمِنُونَ**﴾ يقول: وهم في غرفات الجنات آمنون من عذاب الله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ

---

(١) البيت لقيس بن الخطيم من قصيدة من المنسرح، كما في معاهد التنصيص «**شرح شواهد التلخيص**» لعبد الرحيم العباسي وقد تقدم الكلام عليه في (١٠/ ١٢٢) مبسوطاً. فراجعه ثمة.

الرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: والذين يعملون في آياتنا، يعني: في حججنا وآي كتابنا، يبتغون إبطاله، ويريدون إطفاء نوره معاونين، يحسبون أنهم يفوتوننا بأنفسهم، ويُعْجزوننا ﴿**أولَئِكَ في العَذابِ مُحْضَرونَ**﴾ يعني في عذاب جهنم محضرون يوم القيامة ﴿**قُلْ إنَّ رَبّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ**﴾ يقول تعالى ذكره: قل يا محمد إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من خَلْقه، فيوسعه عليه تكرمة له وغير تكرمة، ويَقْدِر على من يشاء منهم فيضيقه ويقتره إهانة له وغير إهانة، بل مِحنة واختباراً ﴿**وَما أنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ**﴾ يقول: وما أنفقتم أيها الناس من نفقة في طاعة الله، فإن الله يخلفها عليكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، قال: ثنا سفيان، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جُبَير ﴿**وَما أنْفَقْتُمْ منْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ**﴾ قال: ما كان في غير إسراف ولا تقتير.

وقوله: ﴿**وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ**﴾ يقول: وهو خير من قيل إنه يَرْزُق ووُصِف به، وذلك أنه قد يوصف بذلك من دونه، فيقال: فلان يَرزُق أهله وعياله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ويوم نحشر هؤلاء الكفار بالله جميعاً، ثم نقول للملائكة: أهؤلاء كانوا يعبدونكم من دوننا؟ فتتبرأ منهم الملائكة ﴿**قالُوا سُبْحانَكَ**﴾ ربنا، تنزيهاً لك وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء من الشركاء والأنداد ﴿**أنْتَ وَلِيُّنا مِنْ دونِهِمْ**﴾ لا نتخذ ولياً دونك ﴿**بَلْ كانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ**﴾. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً ثُمَّ نَقُولُ للْمَلائِكة أهَؤُلاءِ إيَّاكُم كانُوا يَعْبُدُونَ**﴾ استفهام، كقوله لعيسى: ﴿**أأنْتَ قُلْتَ للنَّاسِ اتَّخِذُونِي وأُمِّيَ إلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾؟

وقوله: ﴿**أكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ**﴾ يقول: أكثرهم بالجنّ مصدّقون، يزعمون أنهم بنات الله،

تعالى الله عما يقولون عُلُوّا كبيراً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: فاليوم لا يملك بعضكم أيها الملائكة للذين كانوا في الدنيا يعبدونكم نفعاً ينفعونكم به ولا ضرًّا ينالونكم به، أو تنالونهم به ﴿**وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا**﴾ يقول: ونقول للذين عبدوا غير الله فوضعوا العبادة في غير موضعها، وجعلوها لغير من تنبغي أن تكون له: ﴿**ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ التي كُنتُم بها**﴾ في الدنيا ﴿**تُكَذّبونَ**﴾ فقد وردتموها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَـٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وإذا تُتلى على هؤلاء المشركين آيات كتابنا ﴿**بيِّنات**﴾ يقول: واضحات أنهنّ حقّ من عندنا ﴿**قالُوا ما هَذَا إلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُكُمْ**﴾ يقول: قالوا عند ذلك: لا تتبعوا محمداً، فما هو إلاَّ رجل يريد إن يصدّكم عما كان يعبد آباؤكم من الأوثان، ويغير دينكم ودين آبائكم ﴿**وَقالُوا ما هَذَا إلاَّ إفْكٌ مُفْتَرًى**﴾ يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون: ما هذا الذي تتلو علينا يا محمد، يعنون القرآن، إلاَّ إفك. يقول: إلاَّ كَذِبٌ مُفْترى يقول: مختلَق. متخرّص ﴿**وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا للْحَقّ لما جاءهُمْ إنْ هَذَا إلاَّ سِحْرٌ مُبِينٌ**﴾ يقول جلّ ثناؤه: وقال الكفار للحقّ، يعني محمداً ﷺ لما جاءهم، يعني: لما بعثه الله نبياً: هذا سحر مبين يقول: ما هذا إلاَّ سحر مبين، يبين لمن رآه وتأمله أنه سحر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَـٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما أنزلنا على المشركين القائلين لمحمد ﷺ لما جاءهم بآياتنا: هذا سحر مبين بما يقولون من ذلك كتباً يدرسونها: يقول: يقرؤونها، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَما ءاتَيناهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَها﴾**: أي يقرؤونها.

﴿وَما أرْسَلْنا إلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ يقول: وما أرسلنا إلى هؤلاء المشركين من قومك يا محمد فيما يقولون ويعملون قبلك من نبيّ ينذرهم بأسنا عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَما أرْسَلْنا إلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾** ما أنزل الله على العرب كتاباً قبل القرآن، ولا بعث إليهم نبياً قبل محمد ﷺ.

وقوله: **﴿وكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾** يقول: وكذَّب الذين من قبلهم من الأمم رسلنا وتنزيلنا **﴿وَما بَلَغُوا مِعْشارَ ما آتَيناهُمْ﴾** يقول: ولم يبلغ قومك يا محمد عُشر ما أعطينا الذين من قبلهم من الأمم من القوّة والأيدي والبطْش، وغير ذلك من النعم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَما بَلَغُوا مِعْشارَ ما ءاتَيناهُمْ﴾** من القوّة في الدنيا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله **﴿وَما بَلَغُوا مِعْشارَ ما ءاتَيناهُمْ﴾** يقول: ما جاوزوا معشار ما أنعمنا عليهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَما بَلَغُوا مِعْشارَ ما ءاتَيناهُمْ﴾** يخبركم أنه أَعْطَى القوم ما لم يُعْطكم من القوّة وغير ذلك.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَما بَلَغُوا مِعْشارَ ما ءاتَيْنَاهُمْ﴾** قال: ما بلغ هؤلاء أمة محمد ﷺ معشار ما آتينا الذين من قبلهم، وما أعطيناهم من الدنيا، وبسطنا عليهم **﴿فَكَذَّبوا رسلي فكَيفَ كانَ نَكِيرِ﴾** يقول: فكذّبوا رسلي فيما أتوهم به من رسالتي، فعاقبناهم بتغييرنا بهم ما كنا آتيناهم من النعم، فانظر يا محمد كيف كان نكير. يقول: كيف كان تغييري بهم وعقوبتي.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٤٦)﴾.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لهؤلاء المشركين من قومك: إنما أعظكم أيُّها القوم بواحدة وهي طاعة الله، كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**إنَّما أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ**﴾ قال: بطاعة الله.

وقوله: ﴿**أنْ تَقُومُوا لِلّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى**﴾ يقول: وتلك الواحدة التي أعظكم بها هي أن تقوموا لله اثنين اثنين، ﴿**وفُرادَى**﴾ فُرادَى[1]، فإن في موضع خفض ترجمة عن الواحدة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثني أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**أنْ تَقُومُوا لِلّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى**﴾ قال: واحداً واثنين.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**قُلْ إنَّمَا أعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أنْ تَقُومُوا لِلّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى**﴾ رجلاً ورجلين. وقيل: إنما قيل: إنما أعظكم بواحدة، وتلك الواحدة أن تقوموا لله بالنصيحة وترك الهوى. ﴿**مَثْنَى**﴾ يقول: يقوم الرجل منكم مع آخر فيتصادقان على المناظرة، هل علمتم بمحمد ﷺ جنوناً قطُّ؟ ثم ينفرد كل واحد منكم، فيتفكر ويعتبر فرداً هل كان ذلك به؟ فتعلموا حينئذٍ أنه نذير لكم.

وقوله: ﴿**ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ما بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ**﴾ يقول: لأنه ليس بمجنون. وقوله ﴿**إنْ هُوَ إلاَّ نَذِيرٌ لَكُمْ بَينَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ**﴾ يقول: ما محمد إلاَّ نذير لكم ينذركم على كفركم بالله عقابه أمام عذابِ جهنم قبل أن تَصْلَوْها، وقوله: «هو» كناية اسم محمد ﷺ.

---

(١) لعله: وفردا فردا: أي أن تقوموا اثنين اثنين، وواحداً واحداً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك المكذّبيك، الرّاذين عليك ما أتيتهم به من عند ربك: ما أسألكم من جُعْلٍ على إنذاريكم عذاب الله، وتخويفكم به بأسه، ونصيحتي لكم في أمري إياكم بالإيمان بالله، والعمل بطاعته، فهو لكم لا حاجة لي به. وإنما معنى الكلام: قل لهم: إني لم أسألكم على ذلك جُعْلاً فتتهموني، وتظنوا أني إنما دعوتكم إلى اتباعي لمال آخذه منكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿قُلْ ما سأَلْتُكُمْ مِنْ أجْرٍ﴾**: أي جُعل **﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾** يقول: لم أسألكم على الإسلام جُعْلاً.

وقوله: **﴿إنْ أجْرِيَ إلاَّ عَلى اللّهِ﴾** يقول: ما ثوابي على دعائكم إلى الإيمان بالله، والعمل بطاعته، وتبليغكم رسالته، إلاَّ على الله **﴿وَهُوَ عَلى كُلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾** يقول: والله على حقيقة ما أقول لكم شهيد يشهد لي به، وعلى غير ذلك من الأشياء كلها.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: **﴿قُلْ﴾** يا محمد لمشركي قومك **﴿إنَّ رَبّي يَقْذِفُ بالحَقّ﴾** وهو الوحي، يقول: ينزله من السماء، فيقذفه إلى نبيه محمد ﷺ **﴿عَلاَّمُ الغُيُوبِ﴾** يقول: علام ما يغيب عن الأبصار، ولا مَظْهَر لها، وما لم يكن مما هو كائن، وذلك من صفة الربّ غير أنه رُفع لمجيئه بعد الخبر، وكذلك تفعل العرب إذا وقع النعت بعد الخبر، في أن أتبعوا النعت إعراب ما في الخبر، فقالوا: إن أباك يقوم الكريم، فرفع الكريم على ما وَصَفت، والنصب فيه جائز، لأنه نعت للأب، فيتبع إعرابه **﴿قُلْ جاءَ الحَقُّ﴾** يقول: قل لهم يا محمد: جاء القرآن ووحي الله **﴿وَما يُبْدِىءُ الباطِلُ﴾** يقول: وما ينشىء الباطل خلقاً والباطل هو فيما فسّره أهل التأويل: إبليس **﴿وَما يُعِيدُ﴾** يقول: ولا يعيده حياً بعد فنائه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**قُلْ إنَّ رَبّي يَقْذِفُ بالحَقّ**﴾: أي بالوحي ﴿**عَلاَّمُ الغُيُوبِ قُلْ جاءَ الحَقُّ**﴾ أي القرآن ﴿**وَما يُبْدِىءُ الباطِلُ وَما يُعِيدُ**﴾، والباطل: إبليس: أي ما يخلق إبليس أحداً، ولا يبعثه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**قُلْ إنَّ رَبّي يَقْذِفُ بالحَقّ عَلاَّمُ الغُيُوبِ**﴾، فقرأ: ﴿**بَلْ نَقْذِفُ بالحَقّ على الباطِلِ...**﴾ إلى قوله ﴿**وَلَكُمُ الوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ**﴾ قال: يُزْهِق الله الباطل، ويثبت الله الحقّ الذي دمغ به الباطل، يدمغ بالحقّ على الباطل، فيهلك الباطل ويثبت الحقّ، فذلك قوله ﴿**قُلْ إنَّ رَبّي يَقْذِفُ بالحَقّ عَلاَّمُ الغُيُوبِ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قل يا محمد لقومك: إن ضَلَلْتُ عن الهدى، فسلكت غير طريق الحقّ، فإنما ضلالي عن الصواب على نفسي، يقول: فإن ضلالي عن الهدى على نفسي ضرّه ﴿**وَإنِ اهْتَدَيْتُ**﴾ يقول: وإن استقمت على الحقّ ﴿**فِيما يُوحِي إليَّ رَبّي**﴾ يقول: فبوحي الله الذي يوحِي إليّ، وتوفيقه للاستقامة على محجة الحق وطريق الهُدى.

وقوله: ﴿**إنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ**﴾ يقول: إن ربي سميع لما أقول لكم، حافظ له، وهو المجازي لي على صدقي في ذلك، وذلك مني غير بعيد، فيتعذّر عليه سماع ما أقول لكم، وما تقولون، وما يقوله غيرنا، ولكنه قريب من كلّ متكلم يسمع كل ما ينطق به، أقرب إليه من حبل الوريد.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولو تَرى يا محمد إذ فزعوا.

واختلف أهل التأويل في المعنيين بهذه الآية، فقال بعضهم: عُنِي بها هؤلاء المشركون الذين وصفهم تعالى ذكره بقوله: ﴿**وَإذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيِّناتٍ قالُوا ما هَذَا إلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كانَ يَعْبُدُ آباؤُكُمْ**﴾ قال: وعُنِي بقوله: ﴿**إذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ**﴾ عند نزول نقمة الله بهم في الدنيا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ...**﴾ إلى آخر الآية، قال: هذا من عذاب الدنيا.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿**وأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ**﴾ قال: هذا عذاب الدنيا.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ...**﴾ إلى آخر السورة، قال: هؤلاء قتلى المشركين من أهل بدر، نزلت فيهم هذه الآية، قال: وهم الذين بدّلوا نعمة الله كفراً، وأحلُّوا قومهم دارَ البوار جهنم، أهل بدر من المشركين.

وقال آخرون: عنى بذلك جيش يخسف بهم ببيداء من الأرض.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن جعفر، عن سعيد، في قوله: ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ**﴾ قال: هم الجيش الذي يُخسَف بهم بالبيداء، يبقى منهم رجل يخبر الناس بما لقي أصحابه.

حدثنا عصام بن رَوّاد بن الجَرّاح، قال: ثنا أبي، قال: ثنا سفيان بن سعيد، قال: ثني منصور بن المعتمر، عن رِبْعِيّ بن حِرَاش، قال: سمعت حُذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ، وذَكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب. قال: «فبينما هم كذلك، إذ خرج عليهم السُّفْيانيّ من الوادي اليابس في فَورة ذلك، حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين: جيشاً إلى المشرق، وجيشاً إلى المدينة، حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة، والبقعة الخبيثة، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، وَيَبْقُرون بها أكثر من مئة امرأة، ويقتلون بها ثلاث مئة كبش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة فيخَرّبون ما حولها، ثم يخرجون متوجهين إلى الشأم، فتخرج راية هذا من الكوفة، فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين فيقتلونهم، لا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السَّبْي والغنائم، ويخلي جيشه التالي بالمدينة، فينهبونها ثلاثة أيام ولياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء، بعث الله جبريل، فيقول: يا جبرائيل اذهب فأبدهم، فيضربها برجله ضربة يخسف الله بهم، فذلك قوله في سورة سبأ ﴿**وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ...**﴾ الآية، ولا ينفلت منهم إلاَّ رجلان: أحدهما بشير، والآخر نذير،

وهما من جهينة، فلذلك جاء القول﴾:

وَعِنْدَ جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليَقِينُ[١]

حدثنا محمد بن خلَف العسقلانيّ قال: سألت روّاد بن الجرّاح، عن الحديث الذي حدث به عنه، عن سفيان الثوري، عن منصور، عن ربعى، عن حذيفة عن النبيّ ﷺ، عن قصة ذكرها في الفتن، قال: فقلت له: أخبرني عن هذا الحديث سمعته من سفيان الثوريّ؟ قال: لا، قلت: فقرأته عليه، قال: لا، قلت: فقرىء عليه وأنت حاضر؟ قال: لا، قلت: فما قصته، فما خبره؟ قال: جاءني قوم فقالوا: معنا حديث عجيب، أو كلام هذا معناه، نقرؤه وتسمعه، قلت لهم: هاتوه، فقرءوه عليّ، ثم ذهبوا فحدّثوا به عني، أو كلام هذا معناه.

قال أبو جعفر: وقد:

حدثني ببعض هذا الحديث محمد بن خلف، قال: ثنا عبد العزيز بن أبان، عن سفيان الثوري، عن منصور، عن ربعى، عن حُذيفة، عن النبيّ ﷺ، حديث طويل، قال: رأيته في كتاب الحسين بن عليّ الصدائي، عن شيخ، عن روّاد، عن سفيان بطوله.

وقال آخرون: بل عنى بذلك المشركون إذا فزعوا عند خروجهم من قبورهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، عن الحسن، قوله: **﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعوا﴾** قال: فزعوا يوم القيامة حين خرجوا من قبورهم. وقال قتادة: **﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلاَ فَوْتَ وأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ﴾** حين عاينوا عذاب الله.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن ابن معقل **﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا**

---

(١) هذا عجز بيت من الوافر. وصدره:

تُسَائِلُ عن حُصَيْنٍ كُلَّ رَكْبٍ

«**مجمع الأمثال**» للميداني (١/ ٣٠٤) والشطر الثاني من الأمثال السائرة، وله قصة مطولة ذكرها الميداني خلاصتها: أن حصين بن عمرو ابن معاوية بن كلاب والأخنس بن كعب الجهني خرجا لما يخرج له الفتيان الصعاليك، ليغيرا ويكسبا ويغنما، فلما عنما بعض الشيء عدا الجهني على صاحبه فقتله، ثم رجع إلى قومه جهينة، وأخبرهم بالذي صنع بصاحبه، وقال أبياتا من الشعر تتضمن القصة. ويلوح لي أن هذه القصة موضوعة. ولذلك يروى المثل: «وعند جفينة الخبر اليقين» كما في «**الاقتضاب شرح أدب الكتاب**» لابن السيد البطليوسي. وأما استشهاد المؤلف به في قصة السفياني، فيدل على أن جهينة كانت قبيلة مشهورة بتتبع أخبار العرب، ومعرفة الأحداث حتى كان عندها علم من كل شيء. ولكثرة ذلك فيها نسب إليها العلم بما يقع من الأحداث المستقبلة.

فَوْتَ﴾ قال: أفزعهم يوم القيامة فلم يفوتوا.

والذي هو أولى بالصواب في تأويل ذلك، وأشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل قول من قال: وعيد الله المشركين الذين كذّبوا رسول الله ﷺ من قومه لأن الآيات قبل هذه الآية جاءت بالإخبار عنهم وعن أسبابهم، وبوعيد الله إياهم مغبته، وهذه الآية في سياق تلك الآيات، فلأن يكون ذلك خبراً عن حالهم أشبه منه بأن يكون خبراً لما لم يجر له ذكر. وإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ولو ترى يا محمد هؤلاء المشركين من قومك، فتعاينهم حين فزعوا من معاينتهم عذاب الله **﴿فَلا فَوْتَ﴾** يقول فلا سبيل حينئذٍ أن يفوتوا بأنفسهم، أو يعجزونا هرباً، وينجوا من عذابنا، كما:

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَلَوْ تَرَى إذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ﴾** يقول: فلا نجاة.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد، قال: ثنا مروان، عن جويبر، عن الضحاك، في قوله: **﴿وَلَوْ تَرَى إذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ﴾** قال: لا هرب.

وقوله: **﴿وأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ﴾** يقول: وأخذهم الله بعذابه من موضع قريب، لأنهم حيث كانوا من الله قريب لا يبعدون عنه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ۝٥٢﴾.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء المشركون حين عاينوا عذاب الله آمنا به، يعني: آمنا بالله وبكتابه ورسوله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿وَقالُوا آمَنَّا بِهِ﴾** قالوا: آمنا بالله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿قالُوا آمَنَّا بِهِ﴾** عند ذلك، يعني: حين عاينوا عذاب الله.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَقالُوا آمَنَّا بِهِ﴾** بعد القتل وقوله **﴿وأنَّى لَهُمُ التَّناوُشُ﴾** يقول: ومن أيّ وجه لهم التناوش.

واختلفت قرّاء الأمصار في ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة ﴿التَّناوُشُ﴾ بغير همز، بمعنى: التناول وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة: «التَّناؤُشُ» بالهمز، بمعنى: التنؤُش، وهو الإبطاء، يقال منه: تناءشت الشيء: أخذته من بعيد، ونشته: أخذته من قريب ومن التنؤُش قول الشاعر:

تَـمَـنَّـى نَـئِـيـشـاً أنْ يـكُـونَ أطـاعَـنِـي ... وَقَـدْ حَـدَثَـتْ بَـعْـدَ الأمُـورِ أمُـورُ(١)

ومن النَّوْش قول الراجز:

فَـهْـيَ تَـنُـوشُ الـحَـوْضَ نَـوْشـاً مِـنْ عَـلا ... نَـوْشـاً بِـهِ تَـقْـطَـعُ أجْـوَازَ الـفَـلا(٢)

---

(١) الأبيات لنهشل بن حرى، انشدها «اللسان» في (نأش) المهموز على أنه يقال: جاء نئيشاً: أي بطيئاً. أنشد يعقوب لنهشل بن حرى:

وَمَـوْلـى عَـصَـانِـي واسْـتَـبَـدَّ بِـرأيِـهِ ... كَـمَـا لَـمْ يُـطَـعْ فِـيـمـا أشـارَ قَـصِـيـرُ

فَـلَـمَّـا رَأى مـا غِـبُّ أمْـرِي وأمْـرِهِ ... ونَـاءَتْ بِـأعْـجَـازِ الأمُـورِ صُـدُورُ

تـمَـنَّـى نَـئـيـشـا أنْ يَـكُـونَ أطـاعَـنِـي ... ويَـحْـدُثُ مِـنْ بَـعْـدِ الأمُـورِ أمُـور

قوله، تمنى نئيشاً: أي في الأخير، وبعد الفوت أن لو أطاعني وقد حدثت أمور لا يستدرك بها ما فات. أي أطاعني في وقت لا تنفعه فيه الطاعة. قال: ويقال فعله نئيشاً: أي أخيراً، واتبعه نئيشاً: إذا تأخر عنه ثم اتبعه على عجلة، شفقة أن يفوته. والنئيش أيضاً: البعيد عن ثعلب وقال الفراء في «معاني القرآن» (مصورة الجامعة. الورقة ٢٦٥) وقوله «وأنى لهم التناوش»؟ قرأ الأعمش وحمزة والكسائي، بالهمز، يجعلونه من الشيء البطيء من نأشت من النأش. قال الشاعر:

وجـئـت نـئـيـشـاً بـعـدمـا فـاتـك الـخـيـر

وقال الآخر:

تـمـنـى نـئـيـشـاً....

الخ البيت. وقد ترك همزها أهل الحجاز وغيرهم، جعلوها من نشته نوشاً، وهو التناول، وهما متقاربان مثل ذمت الشيء وذأمته أي عبته. وقال الشاعر:

«فـهـي تـنـوش الـحـوض.....

الخ» وتناوش القوم في القتال: إذا تناول بعضهم بعضاً ولم يتدانوا كل التداني. وقد يجوز همزها، وهي من نشت، لانضمام الواو، يعني التناوش، مثل قوله: «وإذا الرسل أقتت».

(٢) هذان البيتان من الرجز المشطور لأبي النجم الراجز «اللسان» علا. شاهد على أن قوله «من علا» أي من أعلا، أي من فوق. وفيه لغات أخر. وأورده «اللسان» أيضاً في (نوش) ونسبه إلى غيلان بن حريث، لا إلى أبي النجم. وجعله شاهداً على أن الناقة تنوش الحوض بفيها، أي تتناول ماءه قال: وقوله «من علا» أي من فوق. يريد أنها نوقه عالية الأجسام طوال الأعناق وذلك النوش الذي تناوله: هو الذي يعينها على قطع الفلوات. والأجواز: جمع جوز، وهو الوسط. أي تتناول ماء الحوض من فوق، وتشرب شرباً كثيراً. وتقطع بذلك الشرب فلوات، فلا تحتاج إلى ماء آخر. وأنشده أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (الورقة ٢٠٠) ونسبه لغيلان، وجعله شاهداً على أن التناوش في الآية ﴿وأني لهم التناوش﴾ يجعله من لم يهمز من نشت تنوش، هو التناول. قال غيلان:

«فـهـي تـنـوش.....» =

ويقال للقوم في الحرب، إذا دنا بعضهم إلى بعض بالرماح ولم يتلاقوا: قد تناوش القوم.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان معروفتان في قرّاء الأمصار، متقاربتا المعنى، وذلك أن معنى ذلك: وقالوا آمنا بالله، في حين لا ينفعهم قيل ذلك، فقال الله ﴿وأنّى لَهُمُ التَّناوُشُ﴾ أي وأين لهم التوبة والرجعة: أي قد بعدت عنهم، فصاروا منها كموضع بعيد أن يتناولوها وإنما وصفت ذلك الموضع بالبعيد، لأنهم قالوا ذلك في القيامة، فقال الله: أني لهم بالتوبة المقبولة، والتوبة المقبولة إنما كانت في الدنيا، وقد ذهبت الدنيا فصارت بعيداً من الآخرة، فبأية القراءتين اللتين ذكرت قرأ القارىء فمصيب الصواب في ذلك.

وقد يجوز أن يكون الذين قرؤوا ذلك بالهمز همزوا، وهم يريدون معنى من لم يهمز، ولكنهم همزوه لانضمام الواو فقلبوها، كما قيل: ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾ فجعلت الواو من وُقتت، إذا كانت مضمومة همزوه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن عطية، قال: ثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن التميمي، قال: قلت لابن عباس: أرأيت قول الله: ﴿وأنّى لَهُمُ التَّناوُشُ﴾ قال: يسألون الردّ، وليس بحين ردّ.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن أبي إسحاق، عن التميمي، عن ابن عباس نحوه.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿وأنّى لَهُمُ التَّناوُشُ﴾ يقول: فكيف لهم بالردّ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وأنّى لَهُمُ التَّناوُشُ﴾ قال: الردّ.

= البيتين. ومن همز جعله من نأشت إليه، وهو من بعد المطلب. وقال في «اللسان»: نأش التناؤش بالهمز: التأخر والتباعد. والتناوش الأخذ من بعد، مهموز عن ثعلب، قال: فإن كان عن قرب فهو التناوش. ا هـ قلت: وروايتا «اللسان» متفقة معه رواية أبي عبيدة. وتختلف عنها رواية المؤلف في قوله «باتت» في موضع «فهي».

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد **﴿وأنّى لَهُمُ التَّناوُشُ﴾** قال: التناول **﴿مِنْ مَكانٍ بَعيد﴾**.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَقالُوا آمَنَّا بِهِ وأنّى لَهُمُ التَّناوُشُ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ﴾** قال: هؤلاء قتلى أهل بدر من قتل منهم، وقرأ: **﴿وَلَوْ تَرَى إذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وأُخِذُوا مِنْ مَكانٍ قَرِيبٍ وَقالُوا آمَنَّا بِهِ﴾**... الآية، قال: التناوش: التناول، وأنّى لهم تناول التوبة من مكان بعيد، وقد تركوها في الدنيا، قال: وهذا بعد الموت في الآخرة.

قال: وقال ابن زيد في قوله **﴿وَقالُوا آمَنَّا بِهِ﴾** بعد القتل **﴿وأنّى لَهُمُ التَّناوُشُ مِنْ مَكانٍ بَعيدٍ﴾** وقرأ: **﴿وَلا الَّذِينَ يَمُوتونَ وَهُمْ كُفَّارٌ﴾** قال: ليس لهم توبة، وقال: عرض الله عليهم أن يتوبوا مرّة واحدة، فيقبلها الله منهم، فأبوا، أو يعرضون التوبة بعد الموت، قال: فهم يعرضونها في الآخرة خمس عرضات، فيأبى الله أن يقبلها منهم قال: والتائب عند الموت ليست له توبة **﴿وَلَوْ تَرَى إذْ وُقِفُوا على النَّارِ فَقالُوا يا لَيْتَنا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بآياتِ رَبِّنا...﴾** الآية، وقرأ: **﴿رَبَّنا أبْصَرْنا وَسمعْنا فارْجِعْنا نَعْمَلْ صَالِحاً إنَّا مُوقِنُونَ﴾**.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد، قال: ثنا مروان، عن جُويبر، عن الضحاك، في قوله: **﴿وأنّى لَهُمُ التَّناوُشُ﴾** قال: وأنى لهم الرجعة.

وقوله: **﴿مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ﴾** يقول: من آخرتهم إلى الدنيا، كما:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ﴾** من الآخرة إلى الدنيا.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِۦ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾** يقول: وقد كفروا بما يسألونه ربهم عند نزول العذاب بهم، ومعاينتهم إياه من الإقالة له، وذلك الإيمان بالله، وبمحمد ﷺ، وبما جاءهم به من عند الله.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ**﴾: أي بالإيمان في الدنيا.

وقوله: ﴿**وَيَقْذِفُونَ بالغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ**﴾ يقول: وهم اليوم يقذفون بالغيب محمداً من مكان بعيد، يعني أنهم يرجمونه، وما أتاهم من كتاب الله بالظنون والأوهام، فيقول بعضهم: هو ساحر، وبعضهم شاعر، وغير ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**وَيَقْذِفُونَ بالغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ**﴾ قال: قولهم ساحر، بل هو كاهن، بل هو شاعر.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَيَقْذِفُونَ بالغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ**﴾ أي يرجمون بالظنّ، يقولون: لا بعث، ولا جنة، ولا نار.

حدثني يونس، قال: ثنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَيَقْذِفُونَ بالغَيْبِ مِنْ مَكانٍ بَعِيدٍ**﴾ قال: بالقرآن.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍۭ ﴿٥٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وحيل بين هؤلاء المشركين حين فزعوا، فلا فوت، وأخذوا من مكان قريب، فقالوا آمنا به ﴿**وَبَينَ ما يَشْتَهُونَ**﴾ حينئذ من الإيمان بما كانوا به في الدنيا قبل ذلك يكفرون ولا سبيل لهم إليه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني إسماعيل بن حفص الأبلي، قال: ثنا المعتمر، عن أبي الأشهب، عن الحسن، في قوله: ﴿**وَحِيلَ بَيْنَهُم وَبَينَ ما يَشْتَهُونَ**﴾ قال: حيل بينهم وبين الإيمان بالله.

حدثنا ابن بِشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن عبد الصمد، قال:

سمعت الحسن، وسئل عن هذه الآية ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُم وَبَينَ ما يَشْتَهُونَ﴾ قال: حيل بينهم وبين الإيمان.

حدثني ابن أبي زياد، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا أبو الأشهب، عن الحسن ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُم وَبَينَ ما يَشْتَهُونَ﴾ قال: حيل بينهم وبين الإيمان.

حدثنا أحمد بن عبد الصمد الأنصاري، قال: ثنا أبو أسامة، عن شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُم وَبَينَ ما يَشْتَهُونَ﴾ قال: من الرجوع إلى الدنيا ليتوبوا.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُم وَبَينَ ما يَشْتَهُونَ﴾ كان القوم يشتهون طاعة الله أن يكونوا عملوا بها في الدنيا حين عاينوا ما عاينوا.

حدثنا الحسن بن واضح، قال: ثنا الحسن بن حبيب، قال: ثنا أبو الأشهب، عن الحسن، في قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُم وَبَينَ ما يَشْتَهُونَ﴾ قال: حيل بينهم وبين الإيمان.

وقال آخرون: معنى ذلك: وحيل بينهم وبين ما يشتهون من مال وولد وزهرة الدنيا.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى قال: ثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُم وَبَينَ ما يَشْتَهُونَ﴾ قال: من مال أو ولد أو زهرة.

حدثني يونس، قال: قال أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُم وَبَينَ ما يَشْتَهُونَ﴾ قال: في الدنيا التي كانوا فيها والحياة.

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك، لأن القوم إنما تَمَنَّوا حين عاينوا من عذاب الله ما عاينوا، ما أخبر الله عنهم أنهم تَمَنَّوه، وقالوا آمنا به، فقال الله: وأنى لهم تَناوُش ذلك من مكان بعيد، وقد كفروا من قبل ذلك في الدنيا. فإذا كان ذلك كذلك، فلأن يكون قوله: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُم وَبَينَ ما يَشْتَهُونَ﴾ خبراً عن أنه لا سبيل لهم إلى ما تمنوه أولى من أن يكون خبراً عن غيره.

وقوله: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْياعِهِمْ مِنْ قَبْلُ﴾ يقول فعلنا بهؤلاء المشركين، فحلنا بينهم وبين ما يشتهون من الإيمان بالله عند نزول سَخَط الله بهم، ومعاينتهم بأسه كما فعلنا بأشياعهم على كفرهم بالله من قبلهم من كفار الأمم، فلم نقبل منهم إيمانهم في ذلك الوقت، كما لم نقبل في مثل ذلك الوقت من ضُرَبائهم. والأشياع: جمع شِيَع، وشِيَع: جمع شيعة، فأشياع جمع الجمع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح ﴿**كَمَا فُعِلَ بِأَشْياعِهِمْ مِنْ قَبْلُ**﴾ قال الكفار من قبلهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**كَمَا فُعِلَ بِأَشْياعِهِمْ مِنْ قَبْلُ**﴾ أي في الدنيا كانوا إذا عاينوا العذاب لم يُقبل منهم إيمان.

وقوله: ﴿**إِنَّهُمْ كانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: وحيل بين هؤلاء المشركين حين عاينوا بأس الله، وبين الإيمان: إنهم كانوا قبل في الدنيا في شكّ من نزول العذاب الذي نزل بهم وعاينوه، وقد أخبرهم نبيهم أنهم إن لم ينيبوا مما هم عليه مقيمون من الكفر بالله، وعبادة الأوثان أن الله مُهْلِكهم، ومُحِلٌ بهم عقوبته في عاجل الدنيا، وآجل الآخرة قبل نزوله بهم ﴿**مريب**﴾ يقول: موجب لصاحبه الذي هو به ما يَرِيبه من مكروه، من قولهم: قد أراب الرجل: إذا أتى ريبة وركب فاحشة كما قال الراجز:

يا قَوْمُ مالي وأبا ذُؤَيْبِ؟ كُنْتُ إذا أَتَوْتُهُ مِنْ غَيْبِ
يَشُمُّ عِطْفِي وَيَبَزُّ ثَوْبِي كأَنَّما أَرَبْتُهُ بِرَيْبِ(١)

يقول: كأنما أتيت إليه ريبة.

آخر تفسير سورة سبأ

---

(١) هذه أبيات الرجز من المشطور، أنشدها صاحب «**اللسان**»: أتى. قال ويقال: أتوته أتوا: لغة في أتيته. قال خالد بن زهير.

«يا قوم مالي»؟.......

الأبيات. وأنشدها أيضاً في «**اللسان**» ريب ونسبها إلى خالد بن زهير الهذلي. وفيها أتيته في موضع «أتوته» وهي لغة. وجعلها شاهداً على أنه يقال: رابني أمره يريبني ريباً وريبة بمعنى شككني وأما أراب فإنه يأتي متعدياً بمعنى راب، ولازماً بمعنى أتى بريبة. كما تقول: ألام: إذا أتى بما يلام عليه ا هـ.

(٥٣) سورة فاطر مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾.

يقول تعالى ذكره: الشكر الكامل للمعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له، ولا ينبغي أن تكون لغيره خالق السموات السبع والأرض، ﴿جاعِلِ المَلائِكَةِ رُسُلاً﴾ إلى من يشاء من عباده، وفيما شاء من أمره ونهيه ﴿أُولي أجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُباعَ﴾ يقول: أصحاب أجنحة: يعني ملائكة، فمنهم من له اثنان من الأجنحة، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿أُولي أجْنِحَةٍ مَّثْنَى وَثُلاثَ وَرُباعَ﴾ قال بعضهم: له جناحان، وبعضهم: ثلاثة، وبعضهم أربعة.

واختلف أهل العربية في علة ترك إجراء مَثْنَى وثلاث ورباع، وهي ترجمة عن أجنحة، وأجنحة نكرة، فقال بعض نحويّي البصرة. تُرك إجراؤهنّ لأنهنّ مصروفات عن وجوههنّ، وذلك أن مثنى مصروف عن اثنين، وثلاث عن ثلاثة، ورُباع عن أربعة، فصرف نظيرُ عمَرَ، وزُفَرَ، إذ صُرِف هذا عن عامر إلى عمر، وهذا عن زافر إلى زُفر، وأنشد بعضهم في ذلك:

وَلَقَدْ قَتَلْتُكُمُ ثُنَاءَ وَمَوْحَدَا ... وتَرَكْتُ مَرَّةَ مِثْلَ أَمْسِ المُدْبِرِ[1]

وقال آخر منهم: لم يصرف ذلك لأنه يوهم به الثلاثة والأربعة، قال: وهذا لا يستعمل إلا في حال العدد. وقال بعض نحويّي الكوفة: هنّ مصروفات عن المعارف، لأن الألف واللام لا

---

(١) البيت لصخر بن عمرو بن الشريد السلمي. وقد تقدم الاستشهاد به، مع شواهد أخرى في (٤/ ٢٣٧) من هذا التفسير. فراجعه ثمة. وأنشده أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (الورقة ٢٠١) قال: مثنى وثلاث ورباع: مجازه: اثنين، وثلاثة، وأربعة. فزعم النحويون أنه لما صرف عن وجهه لم ينون فيهن. قال صخر بن عمرو:

«ولقد قتلتكم....

البيت» ا هـ.

تدخلها، والإضافة لا تدخلها قال: ولو دخلتها الإضافة والألف واللام لكانت نكرة، وهي ترجمة عن النكرة قال: وكذلك ما كان في القرآن، مثل: ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى﴾، وكذلك وُحاد وأحاد، وما أشبهه من مصروف العدد.

وقوله: ﴿يَزِيدُ فِي الخَلْقِ ما يَشاءُ﴾ وذلك زيادته تبارك وتعالى في خلق هذا الملك من الأجنحة على الآخر ما يشاء، ونقصانه عن الآخر ما أحبّ، وكذلك ذلك في جميع خلقه يزيد ما يشاء في خلق ما شاء منه، وينقص ما شاء من خلق ما شاء، له الخلق والأمر، وله القدرة والسلطان ﴿إنَّ اللّهَ على كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ يقول: إن الله تعالى ذكره قدير على زيادة ما شاء من ذلك فيما شاء، ونقصان ما شاء منه ممن شاء، وغير ذلك من الأشياء كلها، لا يمتنع عليه فعل شيء أراده سبحانه وتعالى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: مفاتيح الخير ومغالقه كلها بيده فما يفتح الله للناس من خير فلا مُغلق له، ولا ممسك عنهم، لأن ذلك أمره لا يستطيع أمره أحد، وكذلك ما يغلق من خير عنهم فلا يبسطه عليهم، ولا يفتحه لهم، فلا فاتح له سواه، لأن الأمور كلها إليه وله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿ما يَفْتَحِ اللَّهُ للنَّاس مِنْ رَحْمَةٍ﴾: أي من خير ﴿فَلا مُمْسِكَ لَها﴾ فلا يستطيع أحد حبسها ﴿وَما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾.

وقال تعالى ذكره: ﴿فَلا مُمْسِكَ لَهَا﴾ فأنث ما لذكر الرحمة من بعده، وقال: ﴿وَما يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ فذكر للفظ «ما» لأن لفظه لفظ مذكر، ولو أنّث في موضع التذكير للمعنى، وذكر في موضع التأنيث للفظ جاز، ولكنّ الأفصح من الكلام التأنيث إذا ظهر بعد ما يدلّ على تأنيثها والتذكير إذا لم يظهر ذلك.

وقوله: ﴿وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ يقول: وهو العزيز في نِقمته ممن انتقم منه من خلقه بحبس رحمته عنه وخيراته، الحكيم في تدبير خلقه، وفتحه لهم الرحمة إذا كان فتح ذلك صلاحاً، وإمساكه إياه عنهم إذا كان إمساكه حكمة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ۝٣﴾.

يقول تعالى ذكره للمشركين به من قوم رسول الله ﷺ من قُرَيش: **﴿يَا أَيُّهَا النَاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ﴾** التي أنعمها **﴿عَلَيْكُم﴾** بفتحه لكم من خيراته ما فتح وبَسْطِه لكم من العيش ما بسط وفكِّروا فانظروا هل من خالق سوى فاطر السموات والأرض الذي بيده مفاتيح أرزاقكم ومغالقها **﴿يَرْزُقُكُم مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾** فتعبدوه دونه **﴿لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾** يقول: لا معبود تنبغي له العبادة إلا الذي فطر السموات والأرض، القادر على كلّ شيء، الذي بيده مفاتح الأشياء وخزائنها، ومغالق ذلك كله، فلا تعبدوا أيها الناس شيئاً سواه، فإنه لا يقدر على نفعكم وضرّكم سواه، فله فأخلصوا العبادة، وإياه فأفردوا بالألوهة **﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾** يقول: فأيّ وجه عن خالقكم ورازقكم الذي بيده نفعكم وضرّكم تصرفون، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾** يقول الرجل: إنه ليوفك عني كذا وكذا.

وقد بيَّنت معنى الإفك، وتأويل قوله: **﴿تُؤْفَكُونَ﴾** فيما مضى بشواهده المغنية عن تكريره.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ۝٤ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإن يكذّبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله من قومك فلا يحزننك ذاك، ولا يعظم عليك، فإن ذلك سنة أمثالهم من كفرة الأمم بالله، من قبلهم، وتكذيبهم رسل الله التي أرسلها إليهم من قبلك، ولن يعدو مشركو قومك أن يكونوا مثلهم، فيتبعوا في تكذيبك منهاجهم، ويسلكوا سبيلهم **﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾** يقول تعالى ذكره: وإلى الله مرجع أمرك وأمرهم، فمحلّ بهم العقوبة، إن هم لم ينيبوا إلى طاعتنا في اتباعك، والإقرار بنبوّتك، وقبول ما دعوتهم إليه من النصيحة، نظير ما أحللنا بنظرائهم من الأمم المكذّبة رسلها قبلك، ومنجِّيك وأتباعك من ذلك، سنتنا بمن قبلك في رسلنا وأوليائنا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَإِنْ يُكَذِّبوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ**﴾ يعزّي نبيه كما تسمعون.

وقوله: ﴿**يا أيها النَّاسُ إنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌ**﴾ يقول تعالى ذكره لمشركي قريش، المكذّبي رسول الله ﷺ: يا أيها الناس إن وعد الله إياكم بأسه على إصراركم على الكفر به، وتكذيب رسوله محمد ﷺ، وتحذيركم، وتحذيركم نزول سطوته بكم على ذلك حقّ، فأيقنوا بذلك، وبادروا حلول عقوبتكم بالتوبة والإنابة إلى طاعة الله والإيمان به وبرسوله ﴿**فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الحَياةُ الدُّنيا**﴾ يقول: فلا يغرّنكم ما أنتم فيه من العيش في هذه الدنيا ورياستكم التي تترأسون بها في ضعفائكم فيها عن اتباع محمد والإيمان ﴿**وَلا يَغُرَّنَّكُمْ باللَّهِ الغَرُورُ**﴾ يقول: ولا يخدعنكم بالله الشيطان، فيمنيكم الأمانيّ، ويعدكم من الله العدات الكاذبة، ويحملكم على الإصرار على كفركم بالله، كما:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**وَلا يَغُرَّنَّكُمْ باللَّهِ الغَرُورُ**﴾ يقول: الشيطان.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**إنَّ الشَّيطانَ**﴾ الذي نهيتكم أيها الناس أن تغترّوا بغروره إياكم بالله ﴿**لَكُمْ عَدوّ فاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً**﴾ يقول: فأنزلوه من أنفسكم منزل العدوّ منكم، واحذروه بطاعة الله واستغشاشكم إياه، حذركم من عدوّكم الذي تخافون غائلته على أنفسكم، فلا تطيعوه ولا تتّبعوا خطواته، فإنه إنما يدعو حزبه، يعني شيعته، ومن أطاعه إلى طاعته والقبول منه، والكفر بالله ﴿**لِيَكُونُوا منْ أصحَابِ السَّعِيرِ**﴾ يقول: ليكونوا من المخلدين في نار جهنم التي تتوقد على أهلها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إنَّ الشَّيطانَ لَكُمْ عَدُوّ فاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً**﴾ فإنه لحقّ على كلّ مسلم عدواته، وعدواته أن يعاديه بطاعة الله ﴿**إنـمَا يَدْعُو حِزْبَهُ**﴾ وحزبه: أولياؤه ﴿**لِيَكُونُوا مِنْ أصحَابِ السَّعِيرِ**﴾: أي ليسوقهم إلى النار، فهذه عداوته.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصحَابِ السَّعِيرِ**﴾ وقال: هؤلاء حزبه من الإنس، يقول: أولئك حزب الشيطان، والحزب: ولاته الذين يتولاهم ويتولونه، وقرأ: ﴿**إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتابَ وَهوَ يَتَوَلَّى**﴾ الصَّالِحِينَ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**الَّذِينَ كَفَروا**﴾ بالله ورسوله ﴿**لَهُمْ عَذابٌ**﴾ من الله ﴿**شَدِيدٌ**﴾، وذلك عذاب النار. وقوله: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا**﴾ يقول: والذين صدّقوا الله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله، وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿**لَهُمْ مَغْفِرَةٌ**﴾ من الله لذنوبهم ﴿**وأجْرٌ كَبِيرٌ**﴾ وذلك الجنة، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وأجْرٌ كَبِيرٌ**﴾ وهي الجنة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: أفمن حسّن له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله والكفر به، وعبادة ما دونه من الآلهة والأوثان، فرآه حسناً، فحسب سيىء ذلك حسناً، وظنّ أن قُبحه جميل، لتزيين الشيطان ذلك له، ذهبت نفسك عليهم حسرات وحذف من الكلام: ذهبت نفسك عليهم حسرات، اكتفاء بدلالة قوله: ﴿**فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ**﴾ منه. وقوله: ﴿**فإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ ويَهْدِي مَنْ يَشاءُ**﴾ يقول: فإن الله يخذل من يشاء عن الإيمان به واتباعك وتصديقك، فيضله عن الرشاد إلى الحقّ في ذلك، ﴿**ويهدي من يشاء**﴾ يقول: ويوفّق من يشاء للإيمان به واتباعك، والقبول منك، فتهديه إلى سبيل الرشاد ﴿**فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ**﴾ يقول: فلا تُهلك نفسك حزناً على ضلالتهم وكفرهم بالله، وتكذيبهم لك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**أفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرآهُ**

حَسَناً فإنَّ اللّهِ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ ويَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾ قال قتادة والحسن: الشيطان زين لهم ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ﴾: أي لا يُحزنك ذلك عليهم، فإن الله يضلّ من يشاء، ويهدي من يشاء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ﴾ قال: الحسرات: الحزن، وقرأ قول الله: ﴿يا حَسْرَتا على ما فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللّهِ﴾.

ووقع قوله: ﴿فإنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاءُ ويَهْدِي مَنْ يَشاءُ﴾ موضع الجواب، وإنما هو منبع الجواب، لأن الجواب هو المتروك الذي ذكرت، فاكتفى به من الجواب لدلالته على الجواب ومعنى الكلام.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَراتٍ﴾ فقرأته قرّاء الأمصار سوى أبي جعفر المدني ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ﴾ بفتح التاء من ﴿تَذْهَبْ﴾، ونفسك برفعها. وقرأ ذلك أبو جعفر: «فَلا تُذْهِبْ» بضم التاء من ﴿تَذْهَبْ﴾، ونفسَك بنصبها، بمعنى: لا تذهب أنت يا محمد نفسك.

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ما عليه قرّاء الأمصار، لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وقوله: ﴿إنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يا محمد ذو علم بما يصنع هؤلاء الذين زيَّن لهم الشيطان سوء أعمالهم، وهو محصيه عليهم، ومجازيهم به جزاءهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَـٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: والله الذي أرسل الرياح فتثير السحاب للحَيا والغيث ﴿فَسُقْناهُ إلى بَلَدٍ مَيِّتٍ﴾ يقول: فسقناه إلى بلد مجدب الأهل، محل الأرض، داثر لا نبت فيه ولا زرع ﴿فَأحْيَيْنا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِها﴾ يقول: فأخصبنا بغيث ذلك السحاب الأرض التي سقناه إليها بعد جدوبها، وأنبتنا فيها الزرع بعد المحل ﴿كَذلكَ النُّشُورُ﴾ يقول تعالى ذكره: هكذا يُنْشِر الله الموتى بعد بلائهم في قبورهم، فيحييهم بعد فنائهم، كما أحيينا هذه الأرض بالغيث بعد مماتها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن سلمة بن كهيل، قال: ثنا أبو الزعراء، عن عبد الله، قال: يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون، فليس من بني آدم إلاّ وفي الأرض منه شيء. قال: فيرسل الله ماء من تحت العرش منيًا كمنيّ الرجل، فتنبت أجسادهم ولحمانهم من ذلك، كما تنبت الأرض من الثرى، ثم قرأ: ﴿**وَاللّهُ الَّذِي أرْسَلَ الرّياحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَسقْناهُ إلى بَلَدٍ مَيِّتْ...**﴾ إلى قوله: ﴿**كَذلكَ النُشُورُ**﴾ قال: ثم يقوم ملَك بالصور بين السماء والأرض، فينفخ فيه، فتنطلق كلّ نفس إلى جسدها، فتدخل فيه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَاللّهُ الَّذِي أرْسَلَ الرّياحَ فَتُثِيرُ سحَاباً**﴾ قال: يرسل الرياح فتسوق السحاب، فأحيا الله به هذه الأرض الميتة بهذا الماء، فكذلك يبعثه يوم القيامة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾﴾.

اختلف أهل التأويل في معنى قوله: ﴿**مَنْ كانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعاً**﴾ فقال بعضهم: معنى ذلك: من كان يريد العزّة بعبادة الآلهة والأوثان، فإن العزة لله جميعاً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**مَنْ كانَ يُرِيدُ العِزَّةَ**﴾ يقول: من كان يريد العزّة بعبادته الآلهة ﴿**فإنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً**﴾.

وقال آخرون: معنى ذلك: من كان يريد العزة فليتعزّز بطاعة الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**مَنْ كانَ يُرِيدُ العِزَّةَ فَلِلَّهِ العِزَّةُ جَمِيعاً**﴾ يقول: فليتعزّز بطاعة الله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: من كان يريد علم العزّة لمن هي، فإنه لله جميعاً كلها: أي كلّ وجه من العزّة فللّه.

والذي هو أولى الأقوال بالصواب عندي قول من قال: من كان يريد العزّة، فبالله فليتعزّز، فلله العزّة جميعاً، دون كلّ ما دونه من الآلهة والأوثان.

وإنما قلت: ذلك أولى بالصواب، لأن الآيات التي قبل هذه الآية، جرت بتقريع الله المشركين على عبادتهم الأوثان، وتوبيخه إياهم، ووعيده لهم عليها، فأولى بهذه أيضاً أن تكون من جنس الحث على فراق ذلك، فكانت قصتها شبيهة بقصتها، وكانت في سياقها.

وقوله: ﴿إِلَيه يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّب﴾ يقول تعالى ذكره: إلى الله يصعد ذكر العبد إياه وثناؤه عليه ﴿والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ يقول: ويرفع ذكر العبد ربه إليه عمله الصالح، وهو العمل بطاعته، وأداء فرائضه، والانتهاء إلى ما أمر به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي، قال: أخبرني جعفر بن عون، عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي، عن عبد الله بن المخارق، عن أبيه المخارق بن سليم، قال: قال لنا عبد الله: إذا حدّثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله. إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله وبحمده، الحمد لله لا إله إلاَّ الله، والله أكبر، تبارك الله، أخذهنّ ملك، فجعلهنّ تحت جناحيه، ثم صعد بهنّ إلى السماء، فلا يمرّ بهنّ على جمع من الملائكة إلاَّ استغفروا لقائلهنّ حتى يحيي بهنّ وجه الرحمن، ثم قرأ عبد الله: ﴿إِلَيهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبِ والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا سعيد الجريري، عن عبد الله بن شقيق، قال: قال كعب: إن لسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلاَّ الله، والله أكبر، لدوياً حول العرش كدويّ النحل، يذكرن بصاحبهنّ، والعمل الصالح في الخزائن.

حدثني يونس، قال: ثنا سفيان، عن ليث بن أبي سليم، عن شهر بن حوشب الأشعري، قوله: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ قال: العمل الصالح يرفع الكلم الطيب.

حدثني عليّ، ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿إِلَيهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ قال: الكلام الطيب: ذكر الله، والعمل الصالح: أداء فرائضه فمن ذَكَر الله سبحانه في أداء فرائضه، حُمِل عليه ذكر الله فصعد به إلى الله، ومن ذكر الله، ولم يؤدّ فرائضه، رُدّ كلامه على عمله، فكان أولى به.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال:

ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: **﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾** قال: العمل الصالح يرفع الكلام الطيب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد قال: ثنا سعيد عن قتادة قوله: **﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ والعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾** قال: قال الحسن وقتادة: لا يقبل الله قولاً إلاّ بعمل، من قال وأحسن العمل قبل الله منه.

وقوله: **﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئاتِ﴾** يقول تعالى ذكره: والذين يكسبون السيئات لهم عذاب جهنم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثني سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾** قال: هؤلاء أهل الشرك.

وقوله: **﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾** يقول: وعمل هؤلاء المشركين يَبور، فيبطُل فيذهب، لأنه لم يكن لله، فلم ينفع عامله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾**: أي يفسد.

حدثني يونس، قال: أخبرنا سفيان، عن ليث بن أبي سليم، عن شهر بن حوشب **﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾** قال: هم أصحاب الرياء.

حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا سهل بن أبي عامر، قال: ثنا جعفر الأحمر، عن شهر بن حوشب، في قوله **﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾** قال: هم أصحاب الرياء.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: **﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾** قال: بار فلم ينفعهم، ولم ينتفعوا به، وضرّهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾﴾

يقول تعالى ذكره: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ**﴾ أيها الناس ﴿**مِنْ تُرابٍ**﴾ يعني بذلك أنه خلق أباهم آدم من تراب، فجعل خلق أبيهم منه لهم خلقاً ﴿**ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ**﴾ يقول: ثم خلقكم من نطفة الرجل والمرأة ﴿**ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً**﴾ يعني أنه زوّج منهم الأنثى من الذكر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابٍ**﴾ يعني آدم ﴿**ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ**﴾ يعني ذرّيته ﴿**ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً**﴾ فزوّج بعضكم بعضاً.

وقوله: ﴿**وَما تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إلاَّ بعِلْمِهِ**﴾ يقول تعالى ذكره: وما تحمل من أنثى منكم أيها الناس من حمل ولا نطفة إلاَّ وهو عالم بحملها إياه ووضعها، وما هو؟ ذكر أو أنثى؟ لا يخفى عليه شيء من ذلك.

وقوله: ﴿**وَما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إلاَّ فِي كِتابٍ**﴾ اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: معناه: وما يعمر من معمر فيطول عمره، ولا ينقص من عمر آخر غيره عن عمر هذا الذي عمّر عمراً طويلاً ﴿**إلاَّ فِي كِتابٍ**﴾ عنده مكتوب قبل أن تحمل به أمه، وقبل أن تضعه، قد أحصى ذلك كله وعلمه قبل أن يخلقه، لا يُزاد فيما كتب له ولا ينقص.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ...**﴾ إلى ﴿**يَسِيرٌ**﴾ يقول: ليس أحد قضيت له طول العمر والحياة إلاَّ وهو بالِغ ما قدّرت له من العمر، وقد قضيت ذلك له، وإنما ينتهي إلى الكتاب الذي قدّرت له، لا يزاد عليه وليس أحد قضيت له أنه قصير العمر والحياة ببالغ العمر، ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي قدّرت له لا يزاد عليه، فذلك قوله: ﴿**وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إلاَّ فِي كِتابٍ**﴾ يقول: كلّ ذلك في كتاب عنده.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: من قضيت له أن يعمر حتى يُدركه الكبر، أو يعمر أنقص من ذلك، فكلّ بالغ أجله الذي قد قضى له، كلّ ذلك في كتاب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إلاَّ فِي كِتابٍ**﴾ قال: ألا ترى الناس: الإنسانُ يعيش مئة سنة، وآخرُ يموت حين يولد؟ فهذا هذا.

فالهاء التي في قوله ﴿**وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ**﴾ على هذا التأويل وإن كانت في الظاهر أنها

كناية عن اسم المُعَمَّر الأوّل، فهي كناية اسم آخر غيره، وإنما حسُن ذلك لأن صاحبها لو أظهر لظهر بلفظ الأوّل، وذلك كقولهم: عندي ثوب ونصفه، والمعنى: ونصف الآخر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وما يُعمَّر من معمَّر ولا ينقص من عمره بفناء ما فني من أيام حياته، فذلك هو نقصان عمره. والهاء على هذا التأويل للمُعَمَّر الأوّل، لأن معنى الكلام: ما يطوّل عمر أحد، ولا يذهب من عمره شيء، فيُنْقَص إلاَّ وهو في كتاب عبد الله مكتوب قد أحصاه وعلمه.

ذكر من قال ذلك:

حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس، قال: ثنا عبثر، قال: ثنا حصين، عن أبي مالك في هذه الآية: **﴿وَما يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إلاَّ فِي كِتابٍ﴾** قال: ما يقضي من أيامه التي عددت له إلاَّ في كتاب.

وأولى التأويلين في ذلك عندي الصواب، التأويل الأوّل وذلك أن ذلك هو أظهر معنييه، وأشبههما بظاهر التنزيل.

وقوله: **﴿إنَّ ذلكَ على اللّهِ يَسيرٌ﴾**: يقول تعالى ذكره: إن إحصاء أعمار خلقه عليه يسير سهل، طويلُ ذلك وقصيره، لا يتعذّر عليه شيء منه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَـٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَـٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وما يعتدل البحران فيستويان، أحدهما عَذْب فُرات والفرات: هو أعذب العذب، **﴿وهذا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾** يقول: والآخر منهما ملح أجاج، وذلك هو ماء البحر الأخضر والأُجاج: المرّ، وهو أشدّ المياه مُلوحة، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿وَهَذَا مِلْحٌ أُجاجٌ﴾** والأُجاج: المرّ.

وقوله: **﴿وَمِنْ كُلَ تَأْكُلونَ لَحْماً طَرِيًّا﴾** يقول: ومن كلّ البحار تأكلون لحماً طَرِياً، وذلك السمك من عذبهما الفرات، وملحهما الأجاج **﴿وتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها﴾** يعني: الدرّ والمرجان تستخرجونها من الملح الأجاج. وقد بيَّنا قبل وجه **﴿تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً﴾**، وإنما

يستخرج من الملح فيما مضى بما أغنى عن إعادته ﴿وَتَرَى الفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ يقول تعالى ذكره: وترى السفن في كل تلك البحار مواخر، تمخُر الماء بصدورها، وذلك خرقها إياه إذا مرّت واحدتها ماخرة. يقال منه: مَخَرت تمخُر، وتمخَر مَخْراً، وذلك إذا اشقّت الماء بصدورها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَمِنْ كُلّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيًّا﴾: أي منهما جميعاً ﴿وتَسْتَخْرِجونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَها﴾ هذا اللؤلؤ، ﴿وترى الفُلك فيه مواخر﴾: فيه السفن مُقبلةً ومدبرة بريح واحدة.

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَتَرَى الفُلْكَ فِيه مَوَاخِرَ﴾ يقول: جَوارِي.

وقوله: ﴿لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ يقول: لتطلبوا بركوبكم في هذه البحار في الفلك من معايشكم، ولتتصرّفوا فيها في تجاراتكم، وتشكروا الله على تسخيره ذلك لكم، وما رزقكم منه من طيبات الرزق، وفاخر الحليّ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يدخل الليل في النهار، وذلك ما نقص من الليل أدخله في النهار فزاده فيه، ويولج النهار في الليل، وذلك ما نقص من أجزاء النهار زاد في أجزاء الليل، فأدخله فيها، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿يُولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيلِ﴾ زيادة هذا في نقصان هذا، ونقصان هذا في زيادة هذا.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿يُولِجُ اللَّيلَ فِي النَّهارِ وَيُولِجُ النَّهارَ فِي اللَّيلِ﴾ يقول: هو انتقاص أحدهما من الآخر.

وقوله: ﴿وسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ كُلّ يَجْرَي لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يقول: وأجرى لكم الشمس

والقمر نعمة منه عليكم، ورحمة منه بكم، لتعلموا عدد السنين والحساب، وتعرفوا الليل من النهار.

وقوله: ﴿**كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى**﴾ يقول: كل ذلك يجري لوقت معلوم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَسَخَّرَ الشَّمْسَ والقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لاِءَجَلٍ مُسَمًّى**﴾ أجل معلوم، وحدّ لا يُقصِّر دونه ولا يتعدّاه.

وقوله: ﴿**ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ**﴾ يقول: الذي يفعل هذه الأفعال معبودكم أيها الناس الذي لا تصلح العبادة إلاّ له، وهو الله ربكم، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**ذَلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ لَهُ المُلْكُ**﴾: أي هو الذي يفعل هذا.

وقوله: ﴿**لَهُ المُلْكُ**﴾ يقول تعالى ذكره: له الملك التامّ الذي لا شيء إلاّ وهو في ملكه وسلطانه.

وقوله ﴿**وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: والذين تعبدون أيها الناس من دون ربكم الذي هذه الصفة التي ذكرها في هذه الآيات الذي له المُلك الكامل، الذي لا يُشبهه ملك، صفته ﴿**ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ**﴾ يقول: ما يملكون قِشْر نواة فما فوقها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عوف، عمن حدّثه، عن ابن عباس في قوله: ﴿**ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ**﴾ قال: هو جلد النواة.

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله ﴿**مِنْ قِطْمِيرٍ**﴾ يقول: الجلد الذي يكون على ظهر النواة.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿**ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ**﴾ يعني: قشر النواة.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قول الله: ﴿**مِن قِطْمِيرٍ**﴾

قال: لفافة النواة كسحاة البيضة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: **﴿ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾** والقطمير: القشرة التي على رأس النواة.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن جُوَيبر، عن بعض أصحابه، في قوله: **﴿ما يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾** قال: هو القِمع الذي يكون على التمرة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عامر، قال: ثنا مرّة، عن عطية، قال: القطمير: قشر النواة.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾.

قوله: **﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا ما اسْتَجابُوا لَكُمْ﴾** يقول تعالى ذكره: إن تدعوا أيها الناس هؤلاء الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا يسمعوا دعاءكم، لأنها جماد لا تفهم عنكم ما تقولون **﴿وَلَوْ سَمِعُوا ما اسْتَجابُوا لَكُمْ﴾** يقول: ولو سمعوا دعاءكم إياهم، وفهموا عنكم أنها قولكم، بأن جُعل لهم سمع يسمعون به، ما استجابوا لكم، لأنها ليست ناطقة، وليس كلّ سامع قولاً متيسّراً له الجواب عنه. يقول تعالى ذكره للمشركين به الآلهة والأوثان: فكيف تعبدون من دون الله من هذه صفته، وهو لا نفع لكم عنده، ولا قُدرة له على ضرّكم، وتَدَعون عبادة الذي بيده نفعكم وضرّكم، وهو الذي خلقكم وأنعم عليكم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا ما اسْتَجابُوا لَكُمْ﴾** أي ما قَبِلوا ذلك عنكم، ولا نفعوكم فيه.

وقوله: **﴿وَيَوْمَ القِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾** يقول تعالى ذكره للمشركين من عبدة الأوثان: ويوم القيامة تتبرأ آلهتكم التي تعبدونها من دون الله من أن تكون كانت لله شريكاً في الدنيا، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَيَوْمَ القِيامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾** إياهم، ولا يرضَوْن، ولا يُقِرّون به.

وقوله: **﴿وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾** يقول تعالى ذكره: ولا يخبرك يا محمد عن آلهة هؤلاء

المشركين وما يكون من أمرها وأمر عَبَدَتها يوم القيامة، من تَبَرُّئها منهم، وكفرها بهم، مثل ذي خبرة بأمرها وأمرهم وذلك الخبير هو الله الذي لا يخفى عليه شيء كان أو يكون سبحانه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَلا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾ والله هو الخبير أنه سيكون هذا منهم يوم القيامة.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: يا أيها الناس أنتم أولو الحاجة والفقر إلى ربكم، فإياه فاعبدوا، وفي رضاه فسارعوا، يغنكم من فقركم، وتُنجح لديه حوائجكم ﴿**وَاللَّهُ هُوَ الغَنِيُّ**﴾ عن عبادتكم إياه، وعن خدمتكم، وعن غير ذلك من الأشياء، منكم ومن غيركم، ﴿**الحَمِيدُ**﴾ يعني: المحمود على نِعَمه، فإن كلّ نعمة بكم وبغيركم فمنه، فله الحمد والشكر بكلّ حال.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إن يشأ يُهلككم أيها الناس ربكم، لأن أنشأكم من غير ما حاجة به إليكم ﴿**ويَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾ يقول: ويأت بخلق سواكم يُطيعونه، ويأتمرون لأمره، وينتهون عما نهاهم عنه، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إنْ يَشأْ يُذْهِبْكُمْ ويَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ**﴾: أي ويأت بغيركم.

وقوله: ﴿**وَما ذَلكَ على اللّهِ بِعَزِيزٍ**﴾ يقول: وما إذهابكم والإتيان بخلق سواكم على الله بشديد، بل ذلك عليه يسير سهل، يقول: فاتقوا الله أيها الناس، وأطيعوه قبل أن يفعل بكم ذلك.

وقوله: ﴿**وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**﴾ يقول تعالى ذكره: ولا تحملُ آثمة إثم أخرى غيرها

﴿وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلى حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كانَ ذَا قُرْبَى﴾ يقول تعالى: وإن تسألْ ذاتُ ثِقْلٍ من الذنوب مَنْ يحمل عنها ذنوبها، وتطلب ذلك لم تجد من يحمل عنها شيئاً منها، ولو كان الذي سألته ذا قرابة من أب أو أخ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: **﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ أُخْرَى وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلى حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كانَ ذَا قُرْبَى﴾** يقول: يكون عليه وزر لا يجد أحداً يحمل عنه من وزره شيئاً.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد **﴿وَإِنْ تَدعُ مُثْقَلَةٌ إِلى حِمْلِها لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾** كنحو: **﴿لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾**.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَإِنْ تَدْع مُثْقَلَةٌ إِلى حِمْلِها﴾** إلى ذنوبها **﴿لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كانَ ذَا قُرْبَى﴾**: أي قريب القرابة منها، لا يحمل من ذنوبها شيئاً، ولا تحمل على غيرها من ذنوبها شيئاً**﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾** ونصب ذا قربى على تمام «كان» لأن معنى الكلام: ولو كان الذي تسأله أن يحمل عنها ذنوبها ذا قربى لها وأنث «مثقلة»، لأنه ذهب بالكلام إلى النفس، كأنه قيل: وإن تدع نفس مثقلة من الذنوب إلى حمل ذنوبها. وإنما قيل كذلك لأن النفس تؤدّي عن الذكر والأنثى، كما قيل: **﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ﴾** يعني بذلك: كلّ ذكر وأنثى.

وقوله: **﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بالغَيْبِ﴾** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنما تنذر يا محمد الذين يخافون عقاب الله يوم القيامة من غير معاينة منهم لذلك، ولكن لإيمانهم بما أتيتهم به، وتصديقهم لك فيما أنبأتهم عن الله فهؤلاء الذين ينفعهم إنذارك، ويتعظون بمواعظك، لا الذين طَبَع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بالغَيْبِ﴾**: أي يخشون النار.

وقوله: **﴿وأقامُوا الصَّلاةَ﴾** يقول: وأدَّوْا الصلاة المفروضة بحدودها على ما فرضها الله عليهم. وقوله: **﴿وَمَنْ تَزَكَّى فإِنَّمَا يتَزَكَّى لِنَفْسِهِ﴾** يقول تعالى ذكره: ومن يتطهَّر من دنس الكفر والذنوب بالتوبة إلى الله، والإيمان به، والعمل بطاعته، فإنما يتطهَّر لنفسه، وذلك أنه يثيبها به رضا الله، والفوز بجنانه، والنجاة من عقابه، الذي أعدّه لأهل الكفر به، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَمَنْ تَزَكَّى فإنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ**﴾: أي من يعملْ صالحاً فإنما يعمله لنفسه.

وقوله: ﴿**وَإلى اللّهِ المَصِيرُ**﴾ يقول: وإلى الله مصير كلّ عامل منكم أيها الناس، مؤمنكم وكافركم، وبرّكم وفاجركم، وهو مجاز جميعكم بما قدّم من خير أو شرّ على ما أهل منه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**وَما يَسْتَوِي الأعْمَى**﴾ عن دين الله الذي ابتعث به نبيه محمداً ﷺ ﴿**والبَصِيرُ**﴾ الذي قد أبصر فيه رشده، فاتبع محمداً وصدّقه، وقبل عن الله ما ابتعثه به ﴿**وَلا الظُّلُماتُ**﴾ يقول: وما تستوي ظلمات الكفر، ونور الإيمان ﴿**وَلا الظِّلُّ**﴾ قيل: ولا الجنة ﴿**وَلا الحَرُورُ**﴾ قيل: النار، كأن معناه عندهم: وما تستوي الجنة والنار والحَرُور بمنزلة السَّموم، وهي الرياح الحارّة. وذكر أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى، عن رُؤْبة بن العَجَّاج، أنه كان يقول: الحَرور بالليل، والسموم بالنهار. وأما أبو عبيدة فإنه قال: الحَرور في هذا الموضع والنهار مع الشمس. وأما الفراء فإنه كان يقول: الحَرُور يكون بالليل والنهار، والسَّموم لا يكون بالليل إنما يكون بالنهار.

والقول في ذلك عندي، أن الحَرور يكون بالليل والنهار، غير أنه في هذا الموضع بأن يكون كما قال أبو عبيدة: أشبه مع الشمس، لأن الظلّ إنما يكون في يوم شمس، فذلك يدلّ على أنه أريد بالحَرور: الذي يوجد في حال وجود الظلّ.

وقوله: ﴿**وَما يَسْتَوِي الأحْياءُ وَلا الأمْوَاتُ**﴾ يقول: وما يستوي الأحياء القلوب بالإيمان بالله ورسوله، ومعرفة تنزيل الله، والأموات القلوب لغلبة الكفر عليها، حتى صارت لا تعقل عن الله أمره ونهيه، ولا تعرف الهدى من الضلال وكلّ هذه أمثال ضربها الله للمؤمن والإيمان، والكافر والكفر. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**وَما يَسْتَوِي الأعْمَى والبَصِيرُ...**﴾ الآية، قال: هو مَثَل ضربه الله لأهل الطاعة وأهل المعصية. يقول: وما يستوي الأعمى والظلمات والحرور، ولا الأموات، فهو مَثَل

أهل المعصية. ولا يستوي البصير ولا النور، ولا الظلّ والأحياء، فهو مثل أهل الطاعة.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَما يَسْتَوِي الأعْمَى...**﴾ الآية خلقاً، فضل بعضه على بعض فأما المؤمن فعبد حيّ الأثر، حيّ البصر، حيّ النية، حيّ العمل. وأما الكافر فعبد ميت، ميت البصر، ميت القلب، ميت العمل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَما يَسْتَوِي الأعْمَى والبَصِيرُ وَلا الظُّلُماتُ وَلا النُّورُ وَلا الظِّلُّ وَلا الحَرُورُ وَما يَسْتَوِي الأحْياءُ وَلا الأمْوَاتُ**﴾ قال: هذا مثل ضربه الله فالمؤمن بصير في دين الله، والكافر أعمى، كما لا يستوي الظلّ ولا الحَرور، ولا الأحياء ولا الأموات، فكذلك لا يستوي هذا المؤمن الذي يبصر دينه، ولا هذا الأعمى، وقرأ: ﴿**أوَ مَنْ كانَ مَيْتاً فأحْيَيْناهُ وَجَعَلْنا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ**﴾ قال: الهُدى الذي هداه الله به ونوّر له. هذا مثل ضربه الله لهذا المؤمن الذي يبصر دينه، وهذا الكافر الأعمى، فجعل المؤمن حياً، وجعل الكافر ميتاً، ميت القلب ﴿**أوَ مَنْ كانَ مَيْتاً فأحْيَيْناهُ**﴾ قال: هديناه إلى الإسلام كمن مثله في الظلمات أعمى القلب، وهو في الظلمات، أهذا وهذا سواء؟

واختلف أهل العربية في وجه دخول «لا» مع حرف العطف في قوله: ﴿**وَلا الظُّلُماتُ وَلا النُّورُ وَلا الظِّلُّ وَلا الحَرُورُ**﴾ فقال بعض نحويّي البصرة: قال: ولا الظلّ ولا الحَرور، فيشبه أن تكون «لا» زائدة، لأنك لو قلت: لا يستوي عمرو ولا زيد في هذا المعنى لم يجز إلاَّ أن تكون «لا» زائدة وكان غيره يقول: إذا لم تدخل «لا» مع الواو، فإنما لم تدخل اكتفاء بدخولها في أوّل الكلام، فإذا أدخلت فإنه يراد بالكلام أن كلّ واحد منهما لا يساوي صاحبه، فكان معنى الكلام إذا أعيدت «لا» مع الواو عند صاحب هذا القول: لا يساوي الأعمى البصير ولا يساوي البصير الأعمى، فكلّ واحد منهما لا يساوي صاحبه.

وقوله: ﴿**إنَّ اللّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ وَما أنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ**﴾ يقول تعالى ذكره: كما لا يقدر أن يسمع من في القبور كتاب الله، فيهديهم به إلى سبيل الرشاد، فكذلك لا يقدر أن ينفع بمواعظ الله، وبيان حُججه، من كان ميت القلب من أحياء عباده، عن معرفة الله، وفهم كتابه وتنزيله، وواضح حججه، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**إنَّ اللّهَ يُسْمِعُ مَنْ يَشاءُ وَما أنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي القُبُورِ**﴾ كذلك الكافر لا يسمع، ولا ينتفع بما يسمع.

وقوله: ﴿**إنْ أنْتَ إلاَّ نَذِيرٌ**﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ما أنت إلاَّ نذير تُنذر هؤلاء المشركين بالله، الذين طبع الله على قلوبهم، ولم يُرسِلك ربك إليهم إلاَّ لتبلغهم رسالته، ولم

يكلفك من الأمر ما لا سبيل لك إليه فأما اهتداؤهم وقبولهم منك ما جئتهم به، فإن ذلك بيد الله لا بيدك، ولا بيد غيرك من الناس، فلا تذهب نفسُك عليهم حَسَراتٍ إن هم لم يستجيبوا لك.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾﴾.

يقول جلّ ثناؤه لنبيه محمد ﷺ: ﴿إنَّا أرْسَلْناكَ﴾ يا محمد ﴿بالحَقّ﴾ وهو الإيمان بالله وشرائع الدين التي افترضها على عباده ﴿بَشِيراً﴾ يقول: مُبشِّراً بالجنة من صدّقك وقبل منك ما جئت به من عند الله من النصيحة ﴿وَنَذِيراً﴾ تُنذر الناسَ مَنْ كذّبك وردّ عليك ما جئت به من عند الله من النصيحة. ﴿وَإنْ مِنْ أُمَّةٍ إلاَّ خَلا فِيها نَذِيرٌ﴾ يقول: وما من أمة من الأمم الدائنة بملة إلاَّ خلا فيها من قبلك نذير ينذرهم بأسنا على كفرهم بالله، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَإنْ مِنْ أُمَّةٍ إلاَّ خَلا فِيها نَذِيرٌ﴾ كلّ أمة كان لها رسول.

وقوله: ﴿وَإنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ يقول تعالى ذكره مسلياً نبيه ﷺ فيما يلقى من مشركي قومه من التكذيب: وإن يكذّبك يا محمد مشركو قومك، فقد كذّب الذين من قبلهم من الأمم الذين جاءتهم رسلهم بالبينات يقول: بحجج من الله واضحة. ﴿وبالزُّبُر﴾ يقول: وجاءتهم بالكتب من عند الله، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿بالبَيِّناتِ وبِالزُّبُرِ﴾ أي الكتب.

وقوله: ﴿وَبالكِتابِ المُنِيرِ﴾ يقول: وجاءهم من الله الكتاب المنير لمن تأمّله وتدبّره أنه الحقّ، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَبالكِتابِ المُنِيرِ﴾ يضعف الشيء وهو واحد.

وقوله: ﴿ثُمَّ أخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ﴾ يقول تعالى ذكره: ثم أهلكنا الذين جحدوا رسالة رسلنا، وحقيقة ما دعوهم إليه من آياتنا، وأصرّوا على جحودهم ﴿فَكَيْفَ كانَ نَكِيرِ﴾ يقول: فانظر يا محمد كيف كان تغييري بهم، وحلول عقوبتي بهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ (٢٨)﴾.

يقول تعالى ذكره: ألم تر يا محمد أن الله أنزل من السماء غيثاً، فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها يقول: فسقيناه أشجاراً في الأرض، فأخرجنا به من تلك الأشجار ثمرات مختلفاً ألوانها، منها الأحمر، ومنها الأسود والأصفر، وغير ذلك من ألوانها **﴿وَمِنَ الجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ﴾** يقول تعالى ذكره: ومن الجبال طرائق، وهي الجدد، وهي الخطط تكون في الجبال بيض وحمر وسود، كالطرق واحدتها جدّة ومنه قول امرىء القيس في صفة حمار:

كَأَنَّ سَرَاتَهُ وَجُدَّةَ مَتْنِهِ كَنائِنُ يَجْرِي فَوْقَهُنَّ دَلِيصُ[1]

يعني بالجدّة: الخطة السوداء تكون في متن الحمار.

وقوله: **﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُها﴾** يعني: مختلف ألوان الجدد **﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾**، وذلك من المقدّم الذي هو بمعنى التأخير وذلك أن العرب تقول: هو أسود غربيب، إذا وصفوه بشدّة السواد، وجعل السواد ههنا صفة للغرابيب. وقوله: **﴿وَمِنَ النّاسِ وَالدَّوَابِّ والأنْعامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾** كما من الثمرات والجبال مختلف ألوانه بالحُمرة والبياض والسواد والصفرة، وغير ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، في قوله: **﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخْرَجْنا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُها﴾** أحمر وأخضر وأصفر. **﴿وَمِنَ الجِبالِ جُدَدٌ**

(١) البيت لامرىء القيس «**مختار الشعر الجاهلي**»، بشرح مصطفى السقا، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده (ص ـ ١٢٧) وفيه «ظهره» في موضع «متنه». و«بينهن» في موضع «فوقهن». قال شارحه: سراته: ظهره والجدة: الخط الذي في وسط الظهر. والكنائن: جعاب السهام، من جلد أو خشب. والدليص: ماء الذهب. شبه الخط الذي على ظهر الحمار في بريقه ولونه، وحمر بجعاب مذهبة، مع بريق جلدها وإملاسه. ا هـ. واستشهد به المؤلف عند قوله تعالى: ﴿ومن الجبال جدد بيض وحرم﴾ على أن معنى الجدد: الخطط تكون في الجبال: بيض وحمر وسود كالطرق، واحدتها جدة. وقال الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٢٦٦) قوله «جدد بيض» الخطط والطرق تكون في الجبال كالعروق: بيض وسود وحمر، واحدها جدة، وأنشد بيت امرىء القيس كرواية المؤلف ثم قال: والجدة: الخطة السوداء في متن الحمار. وقال الفراء يقال: أدلصت الشيء ودلصته إذا برق. فكل شيء يبرق نحو المرآة والذهب والفضة، فهو دليص ا هـ.

بيضٌ﴾: أي طرائق بيض ﴿وحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُها﴾ أي جبال حمر وبيض ﴿وَغَرابِيبُ سُودٌ﴾ هو الأسود، يعني لونه كما اختلف ألوان هذه اختلف ألوان الناس والدوابّ والأنعام كذلك.

حُدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ﴿وَمِنَ الجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ﴾ طرائق بيض، وحمر وسود، وكذلك الناس مختلف ألوانهم.

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الآملي، قال: ثنا مروان، عن جُوَيبر، عن الضحاك قوله ﴿وَمِنَ الجِبالِ جُدَدٌ بِيضٌ﴾ قال: هي طرائق حمر وسود.

وقوله: ﴿إنَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ﴾ يقول تعالى ذكره: إنما يخاف اللّهَ فيتقي عقابه بطاعته العلماءُ، بقدرته على ما يشاء من شيء، وأنه يفعل ما يريد، لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته، فخافه ورهبه خشيةً منه أن يعاقبه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿إنَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ﴾ قال: الذين يعلمون أن الله على كلّ شيء قدير.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إنَّمَا يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ﴾ قال: كان يقال: كفى بالرهبة عِلماً.

وقوله: ﴿إنَّ اللّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله عزيز في انتقامه ممن كفر به، غفور لذنوب من آمن به وأطاعه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ (٢٩) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ (٣٠)﴾.

يقول تعالى ذكره: إن الذين يقرؤون كتاب الله الذي أنزله على محمد ﷺ ﴿وأقامُوا الصَّلاةَ﴾ يقول: وأدّوا الصلاة المفروضة لمواقيتها بحدودها. وقال: وأقاموا الصلاة بمعنى: ويقيموا الصلاة. وقوله: ﴿وأنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْناهُمْ سِرّاً وَعَلانِيَةً﴾ يقول: وتصدّقوا بما أعطيناهم من الأموال سرًّا في خفاء، وعلانية: جهاراً. وإنما معنى ذلك أنهم يؤدّون الزكاة المفروضة، ويتطوّعون أيضاً بالصدقة منه بعد أداء الفرض الواجب عليهم فيه. وقوله: ﴿يَرْجُونَ تِجارَةً لَنْ تَبُورَ﴾ يقول تعالى

ذكره: يرجون بفعلهم ذلك تجارة لن تبور: لن تكسد ولن تهلك من قولهم: بارت السوق: إذا كسدت وبار الطعام. وقوله: ﴿تِجارَةً﴾ جواب لأوّل الكلام. وقوله: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ يقول: ويوفيهم الله على فعلهم ذلك ثواب أعمالهم التي عملوها في الدنيا ﴿وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾ يقول: وكي يزيدهم على الوفاء من فضله ما هو له أهل. وكان مطرف بن عبد الله يقول: هذه آية القراء.

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عمرو بن عاصم، قال: ثنا معتمر، عن أبيه، عن قتادة، قال: كان مطرف إذا مرّ بهذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللّهِ﴾ يقول: هذه آية القراء.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن يزيد، عن مطرف بن عبد الله، أنه قال في هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتابَ اللّهِ...﴾ إلى آخر الآية، قال: هذه آية القراء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: كان مطرف بن عبد الله يقول: هذه آية القراء ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

وقوله: ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ يقول: إن الله غفور لذنوب هؤلاء القوم الذين هذه صفتهم، شكور لحسناتهم، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾: إنه غفور لذنوبهم، شكور لحسناتهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَالَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ﴿٣١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَالَّذِي أَوْحَينا إلَيْكَ مِنَ الكِتابِ﴾ يا محمد، وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه ﴿هُوَ الحَقُّ﴾ يقول: هو الحقّ عليك وعلى أمتك أن تعمل به، وتتبع ما فيه دون غيره من الكتب التي أُوحيت إلى غيرك ﴿مُصَدّقاً لِمَا بَينَ يَدَيْهِ﴾ يقول: هو يصدّق ما مضى بين يديه، فصار أمامه من الكتب التي أنزلتها إلى من قبلك من الرسل، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَالَّذِي أوْحَينا إلَيكَ مِنَ الكِتابِ هُوَ الحَقُّ مُصَدّقاً لِمَا بينَ يَدَيْهِ﴾ للكتب التي خلت قبله.

وقوله: ﴿إنَّ اللّهَ بِعِبادِهِ لخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله بعباده لذو علم وخبرة بما يعملون بصير بما يصلحهم من التدبير.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ (٣٢)﴾.

اختلف أهل التأويل في معنى الكتاب الذي ذكر الله في هذه الآية أنه أورثه الذين اصطفاهم من عباده، ومن المصطفون من عباده، والظالم لنفسه، فقال بعضهم: الكتاب: هو الكتب التي أنزلها الله من قبل الفُرقان، والمصطفون من عباده: أمة محمد ﷺ، والظالم لنفسه: أهل الإجرام منهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنا الكِتابَ...**﴾ إلى قوله: ﴿**الفَضْلُ الكَبِيرُ**﴾ هم أمة محمد ﷺ، ورّثهم الله كل كتاب أنزله، فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حساباً يسيراً، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس، عن عبد الله بن عيسى، عن يزيد بن الحارث، عن شقيق، عن أبي وائل، عن عبد الله بن مسعود أنه قال: هذه الأمة ثلاثة أثلاث يوم القيامة: ثلث يدخلون الجنة بغير حساب، وثلث يحاسبون حساباً يسيراً، وثلث يجيئون بذنوب عظام، حتى يقول: ما هؤلاء؟ وهو أعلم تبارك وتعالى، فتقول الملائكة: هؤلاء جاؤوا بذنوب عظام إلاَّ أنهم لم يُشركوا بك، فيقول الربّ: أدخلوا هؤلاء في سعة رحمتي. وتلا عبد الله هذه الآية: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَينا مِنْ عِبادِنا**﴾.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا عون، قال: ثنا عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: ثنا كعب الأحبار أن الظالم لنفسه من هذه الأمة، والمقتصد، والسابق بالخيرات: كلهم في الجنة ألم تر أن الله قال: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَينا مِنْ عِبادِنا...**﴾ إلى قوله: كُلَّ كَفُورٍ.

حدثني عليّ بن سعيد الكندي، قال: ثنا عبد الله بن المبارك، عن عوف، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: سمعت كعباً يقول: ﴿**فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالخَيْرَاتِ بإذْنِ اللَّهِ**﴾ قال: كلهم في الجنة، وتلا هذه الآية: ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها**﴾.

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: ثنا مروان بن معاوية الفزاري، عن عوف بن أبي جبلة، قال: ثنا عبد الله بن الحارث بن نوفل، قال: ثنا كعب أن الظالم من هذه الأمة، والمقتصد،

والسابق بالخيرات، كلهم في الجنة ألم تر أن الله قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا...﴾ إلى قوله: ﴿لُغُوبٌ﴾ والذين كفروا لهم نار جهنم، قال: قال كعب: فهؤلاء أهل النار.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن عوف، قال: سمعت عبد الله بن الحارث يقول: قال كعب: إن الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات من هذه الأمة: كلهم في الجنة، ألم تر أن الله يقول: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا...﴾ حتى بلغ قوله: ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها﴾.

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا ابن علية، قال: أخبرنا حميد، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث عن أبيه، أن ابن عباس سأل كعباً عن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا...﴾ إلى قوله: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ فقال: تماست مناكبهم ورب الكعبة، ثم أعطوا الفضل بأعمالهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير، قال: ثنا عمرو بن قيس، عن أبي إسحاق السبيعي، في هذه الآية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا﴾ قال: قال أبو إسحاق: أما ما سمعت منذ ستين سنة، فكلهم ناج.

قال: ثنا عمرو، عن محمد بن الحنفية، قال: إنها أمة مرحومة الظالم مغفور له، والمقتصد في الجنات عند الله، والسابق بالخيرات في الدرجات عند الله.

وقال آخرون: الكتاب الذي أورث هؤلاء القوم، هو شهادة أن لا إله إلاّ الله والمصطفون هم أمة محمد ﷺ والظالم لنفسه منهم هو المنافق، وهو في النار والمقتصد، والسابق بالخيرات في الجنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث المروزي، قال: ثنا الفضل بن موسى، عن حسين بن واقد، عن يزيد، عن عكرمة، عن عبد الله ﴿فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بِالخَيْرَاتِ﴾ قال: اثنان في الجنة، وواحد في النار.

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنا مِنْ عِبادِنا...﴾ إلى آخر الآية، قال: جعل أهل الإيمان على ثلاثة منازل، كقوله: ﴿وأَصحَابُ الشِمالِ ما أَصحَابُ الشمال وأَصحَابُ اليَمِينِ ما أَصحَابُ اليَمِينِ والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ﴾ فهم على هذا المثال.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الحسين، عن يزيد، عن عكرمة ﴿فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لنَفسِهِ وَمِنهُم مُقْتَصِدٌ...﴾ الآية، قال: الاثنان في الجنة، وواحد في النار، وهي بمنزلة التي في الواقعة: ﴿وأصحَابُ اليَمِينِ ما أصحَابُ اليَمِينِ وأصحَابُ الشمالِ ما أصحَابُ الشّمالِ والسَّابِقونَ السَّابِقُونَ﴾.

حدثنا سهل بن موسى، قال: ثنا عبد المجيد، عن ابن جريج، عن مجاهد، في قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَينا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ قال: هم أصحاب المشأمة ﴿وَمِنْهُم مُقْتَصِدٌ﴾ قال: هم أصحاب الميمنة ﴿وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالخَيْراتِ﴾ قال: هم السابقون من الناس كلهم.

حدثنا الحسن بن عرفة قال: ثنا مروان بن معاوية، قال: قال عوف، قال الحسن: أما الظالم لنفسه فإنه هو المنافق، سقط هذا. وأما المقتصد والسابق بالخيرات، فهما صاحبا الجنة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن علية، عن عوف، قال: قال الحسن: الظالم لنفسه: المنافق.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَينا مِنْ عِبادِنا شهادة أن لا إله إلاَّ الله ﴿فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ هذا المنافق في قول قتادة والحسن ﴿وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾ قال: هذا صاحب اليمين ﴿وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالخَيْرَاتِ﴾ قال: هذا المقرّب. قال قتادة: كان الناس ثلاث منازل في الدنيا، وثلاث منازل عند الموت، وثلاث منازل في الآخرة. أما الدنيا، فكانوا: مؤمن[1]، ومنافق، ومشرك. وأما عند الموت، فإن الله قال: ﴿فأمَّا إنْ كانَ مِنَ المُقَرَّبِينَ فَرَوحٌ وَرَيْحانٌ وَجَنَّةُ نَعِيم وأمَّا إنْ كانَ مِنْ أصحَابِ اليَمِينِ فَسَلامٌ لَكَ مِنْ أصحَابِ اليَمينِ وأمَّا إنْ كانَ مِنَ المُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ فَنُزُلٌ من حَمِيم وَتَصْلِيَةُ جَحِيم﴾. وأما في الآخرة فكانوا أزواجاً ثلاثة، ﴿وأصحَابُ المَيْمَنَةِ ما أصحَابُ المَيْمَنَةِ وأصحَابُ المَشأمَةِ ما أصحَابُ المَشْأَمَةِ والسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ المُقَرَّبُونَ﴾.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَينا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾ قال: هم أصحاب المشأمة ﴿وَمِنْهُم مُقْتَصِد﴾ قال: أصحاب الميمنة، ﴿وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالخَيْرَاتِ﴾ قال: فهم السابقون من الناس كلهم.

---

(١) هو تقدير مبتدأ قبله، أي هم مؤمن.... الخ أو بعضهم مؤمن.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَينا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ**﴾ قال: سقط هذا ﴿**وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ**﴾ قال: سبق هذا بالخيرات، وهذا مقتصد على أثره.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب تأويل من قال: عنى بقوله: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَينا مِنْ عِبادِنا**﴾ الكتب التي أُنزلت من قبل الفرقان.

فإن قال قائل: وكيف يجوز أن يكون ذلك معناه، وأمة محمد ﷺ لا يتلون غير كتابهم، ولا يعملون إلاّ بما فيه من الأحكام والشرائع؟ قيل: إن معنى ذلك على غير الذي ذهبت إليه، وإنما معناه: ثم أورثنا الإيمان بالكتاب الذين اصطفينا، فمنهم مؤمنون بكلّ كتاب أنزله الله من السماء قبل كتابهم وعاملون به، لأن كل كتاب أنزل من السماء قبل الفرقان، فإنه يأمر بالعمل بالفرقان عند نزوله، وباتباع من جاء به، وذلك عمل من أقرّ بمحمد ﷺ، وبما جاء به، وعمل بما دعاه إليه بما في القرآن، وبما في غيره من الكتب التي أنزلت قبله.

وإنما قيل: عنى بقوله ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنا الكتابَ**﴾ الكتب التي ذكرنا لأن الله جلّ ثناؤه قال لنبيه محمد ﷺ ﴿**وَالَّذِي أَوْحَينا إلَيكَ مِنَ الْكِتابِ هُوَ الحَقُّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**﴾ ثم أتبع ذلك قوله ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَينا**﴾ فكان معلوماً، إذ كان معنى الميراث إنما هو انتقال معنى من قوم إلى آخرين، ولم تكن أمة على عهد نبينا ﷺ انتقل إليهم كتاب من قوم كانوا قبلهم غير أمته، أن ذلك معناه. وإذ كان ذلك كذلك، فبيِّنٌ أن المصطفين من عباده هم مؤمنو أمته وأما الظالم لنفسه، فإنه لأن يكون من أهل الذنوب والمعاصي التي هي دون النفاق والشرك عندي أشبه بمعنى الآية من أن يكون المنافق أو الكافر، وذلك أن الله تعالى ذكره أتبع هذه الآية قوله: ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها**﴾ فعمَّ بدخول الجنة جميع الأصناف الثلاثة.

فإن قال قائل: فإن قوله ﴿**يَدْخُلُونَها**﴾ إنما عنى به المقتصد والسابق قيل له: وما برهانك على أن ذلك كذلك من خبر أو عقل؟ فإن قال: قيام الحجة أن الظالم من هذه الأمة سيدخل النار، ولو لم يدخل النار من هذه الأصناف الثلاثة أحد وجب أن لا يكون لأهل الإيمان وعيد قيل: إنه ليس في الآية خبر أنهم لا يدخلون النار، وإنما فيها إخبار من الله تعالى ذكره أنهم يدخلون جنات عَدْن، وجائز أن يدخلها الظالم لنفسه بعد عقوبة الله إياه على ذنوبه التي أصابها في الدنيا، وظلمه نفسه فيها بالنار، أو بما شاء من عقابه، ثم يُدخله الجنة، فيكون ممن عمه خبر الله جلّ ثناؤه بقوله ﴿**جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَها**﴾.

وقد رُوي عن رسول الله ﷺ بنحو الذي قلنا في ذلك أخبارٌ، وإن كان في أسانيدها نظر، مع دليل الكتاب على صحته على النحو الذي بيّنت. ذكر الرواية الواردة بذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا أبو أحمد الزبيري، قال: ثنا سفيان عن الأعمش، قال: ذكر أبو ثابت أنه دخل المسجد، فجلس إلى جنب أبي الدرداء، فقال: اللهمّ آنس وحشتي، وارحم غُرْبتي، ويسِّر لي جليساً صالحاً، فقال أبو الدرداء: لئن كنت صادقاً لأنا أسعد به منك سأحدّثك حديثاً سمعته من رسول الله ﷺ لم أحدّث به منذ سمعته ذَكَرَ هذه الآية: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَينا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالخَيْرَاتِ**﴾ فأما السابق بالخيرات، فيدخلها بغير حساب، وأما المقتصد فيحاسب حساباً يسيراً، وأما الظالم لنفسه فيصيبه في ذلك المكان من الغمّ والحزن، فذلك قوله: ﴿**الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ**﴾.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة عن الوليد بن المغيرة، أنه سمع رجلاً من ثقيف حدّث عن رجل من كنانة، عن أبي سعيد الخدريّ، عن النبيّ ﷺ أنه قال في هذه الآية: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنا الكِتابَ الَّذِينَ اصْطَفَينا مِنْ عِبادِنا فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالخَيْرَاتِ بإذْنِ الله**﴾ قال: «هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة، وكلهم في الجنة».

وعنى بقوله: ﴿**الَّذِينَ اصْطَفَينا مِنْ عِبادِنا**﴾: الذين اخترناهم لطاعتنا واجتبيناهم. وقوله: ﴿**فَمِنْهُمْ ظالِمٌ لِنَفْسِهِ**﴾ يقول: فمن هؤلاء الذين اصطفينا من عبادنا، من يظلم نفسه بركوبه المآثم، واجترامه المعاصي، واقترافه الفواحش ﴿**وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ**﴾ وهو غير المبالغ في طاعة ربه، وغير المجتهد فيما ألزمه من خدمة ربه، حتى يكون عمله في ذلك قصداً ﴿**وَمِنْهُمْ سابِقٌ بالخَيْرَاتِ**﴾ وهو المبرز الذي قد تقدّم المجتهدين في خدمة ربه، وأداء ما لزمه من فرائضه، فسبقهم بصالح الأعمال، وهي الخيرات التي قال الله جلّ ثناؤه ﴿**بإذْنِ اللّهِ**﴾ يقول: بتوفيق الله إياه لذلك.

وقوله: ﴿**ذَلكَ هُوَ الفَضْلُ الكَبِيرُ**﴾ يقول تعالى ذكره: سبوق هذا السابق من سبقه بالخيرات بإذن الله، وهو الفضل الكبير الذي فضل به من كان مقصّراً عن منزلته في طاعة الله من المقتصد والظالم لنفسه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿جَنَّتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: بساتين إقامة يدخلونها هؤلاء الذين أورثناهم الكتاب، الذين اصطفينا من عبادنا يوم القيامة ﴿**يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ**﴾ يلبسون في جنات عدن أسورة من ذهب ﴿**وَلُؤْلُؤاً وَلِباسُهُمْ فِيها حَرِيرٌ**﴾ يقول: ولباسهم في الجنة حرير.

وقوله: ﴿**وَقالُوا الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ**﴾ اختلف أهل التأويل في الحَزَن الذي حمد الله على إذهابه عنهم هؤلاء القوم، فقال بعضهم: ذلك الحزَن الذي كانوا فيه قبل دخولهم الجنة من خوف النار، إذ كانوا خائفين أن يدخلوها.

ذكر من قال ذلك:

حدثني قتادة بن سعيد بن قتادة السدوسيّ، قال: ثنا معاذ بن هشام صاحب الدستوائي، قال: ثنا أبي، عن عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، في قوله: ﴿**الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ**﴾ قال: حزن النار.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا ابن المبارك، عن معمر، عن يحيى بن المختار، عن الحسن ﴿**وَإذَا خاطَبَهُمُ الجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً**﴾ قال: إن المؤمنين قوم ذُلُل، ذلَّت والله الأسماع والأبصار والجوارح، حتى يحسبهم الجاهل مَرْضَى، وما بالقوم مرض، وإنهم لأصحة القلوب، ولكن دخلهم من الخوف ما لم يدخل غيرهم، ومنعهم من الدنيا علمهم بالآخرة، فقالوا: ﴿**الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ**﴾، والحَزَن، والله ما حزنهم حزن الدنيا، ولا تعاظم في أنفسهم ما طلبوا به الجنة أبكاهم الخوف من النار، وإنه من لا يتعزّ بعزاء الله يقطِّع نفسه على الدنيا حسرات، ومن لم ير لله عليه نعمة إلاّ في مطعم أو مشرب، فقد قلّ علمه، وحضر عذابه.

وقال آخرون: عُني به الموت.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن إدريس، عن أبيه، عن عطية، في قوله: ﴿**الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ**﴾ قال: الموت.

وقال آخرون: عُني به حزن الخبز[1].

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن حفص، يعني ابن حميد، عن شمر، قال: لما

---

(١) كذا في الأصل: الخبز. ولعل المراد به. هم العيش في الدنيا والعيش فيها قوامه الطعام والخبز.

أدخل الله أهل الجنة الجنة، قالوا ﴿الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ﴾ قال: حزن الخبز.

وقال آخرون: عُني بذلك: الحَزَن من التعب الذي كانوا فيه في الدنيا.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَقالُوا الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ﴾ قال: كانوا في الدنيا يعملون وينصَبون وهم في خوف، أو يحزنون.

وقال آخرون: بل عُني بذلك الحزن الذي ينال الظالم لنفسه في موقف القيامة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا أبو أحمد، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، قال: ذكر أبو ثابت أن أبا الدرداء، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أمَّا الظَّالِمُ لِنَفْسِهِ، فَيُصِيبُهُ فِي ذَلكَ المَكانِ مِنَ الغَمّ والحَزَنِ، فَذلكَ قَوْلُهُ: ﴿الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ﴾.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء القوم الذين أكرمهم بما أكرمهم به أنهم قالوا حين دخلوا الجنة ﴿الحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ﴾ وخوف دخول النار من الحزن، والجَزَع من الموت من الحزن، والجزع من الحاجة إلى المطعم من الحزن، ولم يخصص الله إذ أخبر عنهم أنهم حمدوه على إذهابه الحزن عنهم نوعاً دون نوع، بل أخبر عنهم أنهم عموا جميع أنوع الحزن بقولهم ذلك، وكذلك ذلك، لأن من دخل الجنة فلا حزن عليه بعد ذلك، فحمدهم على إذهابه عنهم جميع معاني الحزن.

وقوله: ﴿إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هذه الأصناف الذين أخبر أنه اصطفاهم من عباده عند دخولهم الجنة: إن ربنا لغفور لذنوب عباده الذين تابوا من ذنوبهم، فساترها عليهم بعفوه لهم عنها، شكور لهم على طاعتهم إياه، وصالح ما قدّموا في الدنيا من الأعمال. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ لحسناتهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يعقوب، عن حفص، عن شمر ﴿إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ غفر لهم ما كان من ذنب، وشكر لهم ما كان منهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل الذين أدخلوا الجنة **﴿إِنَّ رَبَّنا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنا دَارَ المُقامَةِ﴾**: أي ربنا الذي أنزلنا هذه الدار، يعنون الجنة فدار المُقامة: دار الإقامة التي لا نقلة معها عنها، ولا تحوّل والميم إذا ضمت من المُقامة، فهي من الإقامة، فإذا فتحت فهي من المجلس، والمكان الذي يُقام فيه، قال الشاعر:

يَوْمانِ يَوْمُ مَقاماتٍ وأنْدِيَةٍ ... وَيَوْمُ سَيْرٍ إلى الأعْداءِ تأْوِيبِ[1]

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿الَّذِي أَحَلَّنا دَارَ المُقامَةِ مِنْ فَضْلِهِ﴾** أقاموا فلا يتحوّلون.

وقوله: **﴿لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ﴾** يقول: لا يصيبنا فيها تعب ولا وجع **﴿وَلا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ﴾** يعني باللغوب: العناء والإعياء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن عبيد، قال: ثنا موسى بن عمير، عن أبي صالح، عن ابن عباس، في قوله: **﴿لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنا فِيها لُغُوبٌ﴾** قال: اللغوب: العناء.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿لا يَمَسُّنا فِيها نَصَبٌ﴾**: أي وجع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى

---

(١) البيت قد تقدم الاستشهاد به في هذا الجزء (٢٢/ ٦٥).

كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالله ورسوله ﴿لَهُمْ نارُ جَهَنَّمَ﴾ يقول: لهم نار جهنم مخلّدين فيها، لا حظّ لهم في الجنة ولا نعيمها، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ﴾ بالموت فيموتوا، لأنهم لو ماتوا لاستراحوا.

﴿وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِها﴾ يقول: ولا يخفف عنهم من عذاب نار جهنم بإماتتهم، فيخفف ذلك عنهم، كما:

حدثني مُطرِّف بن عبد الله الضَّبّي، قال: ثنا أبو قُتيبة، قال: ثنا أبو هلال الراسبيّ، عن قتادة عن أبي السوداء، قال: مساكين أهل النار لا يموتون، لو ماتوا لاستراحوا.

حدثني عقبة عن سنان القزاز، قال: ثنا غَسان بن مضر، قال: ثنا سعيد بن يزيد وحدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَية، عن سعيد بن يزيد وحدثنا سَوّار بن عبد الله، قال: ثنا بشر بن المفضل، ثنا أبو سَلمة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «أمَّا أهْلُ النَّارالَّذِينَ هُمْ أهْلُها فإنَّهُمْ لا يَمُوتُونَ فِيها ولا يَحْيَوْنَ، لكنَّ ناساً» أو كما قال **«تُصِيبُهُمُ النَّارُ بِذُنُوبِهِمْ، أو قال: بِخَطاياهُمْ، فَيُمِيتُهُمْ إماتَةً حتى إذَا صَارُوا فَحْماً أُذِنَ فِي الشَّفاعَةِ، فَجِيءَ بِهِمْ ضَبائِرَ ضَبائِرَ، فَبُثُّوا على أهْلِ الجَنَّةِ، فَقالَ: يا أهلَ الجَنَّةِ أفِيضُوا عَلَيْهِمْ فَيَنْبُتونَ كمَا تَنْبُتُ الحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ»** فقال رجل من القوم حينئذٍ: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿ولاَ يخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذابِهَا﴾ وقد قيل في موضع آخر: ﴿كُلَّما خَبَتْ زِدْناهُمْ سَعِيراً﴾؟ قيل: معنى ذلك: ولا يخفف عنهم من هذا النوع من العذاب.

وقوله: ﴿كَذَلكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ يقول تعالى ذكره: هكذا يكافىء كلّ جحود لنعم ربه يوم القيامة، بأن يدخلهم نار جهنم بسيئاتهم التي قدّموها في الدنيا.

وقوله: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيها رَبَّنا أخرِجْنا نَعْمَلْ صَالِحاً غيرَ الَّذِي كُنَّا نعملُ﴾ يقول تعالى ذكره: هؤلاء الكفار يستغيثون، ويضجون في النار، يقولون: يا ربنا أخرجنا نعمل صالحاً: أي نعمل بطاعتك ﴿غيرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ قبلُ من معاصيك. وقوله: ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ يفتعلون من الصُّراخ، حوّلتْ تاؤها طاء لقرب مخرجها من الصاد لما ثَقُلت.

وقوله: ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ اختلف أهل التأويل في مبلغ ذلك، فقال بعضهم: ذلك أربعون سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا بشر بن المفضل، قال: ثنا عبد الله بن عثمان بن خُثَيم، عن مجاهد، قال: سمعت ابن عباس يقول: العمر الذي أعذر الله إلى ابن آدم ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾: أربعون سنة.

حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، عن مجالد، عن الشعبي، عن مسروق أنه كان يقول: إذا بلغ أحدكم أربعين سنة، فليأخذ حِذْره من الله.

وقال آخرون: بل ذلك ستون سنة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن ابن خُثَيم، عن مجاهد، عن ابن عباس ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ﴾ قال: ستون سنة.

حدثنا أبو كُرَيب، قال: ثنا ابن إدريس، قال: سمعت عبد الله بن عثمان بن خُثَيم، عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: العمر الذي أعذر الله فيه لابن آدم ستون سنة.

حدثنا عليّ بن شعيب، قال: ثنا محمد بن إسماعيل بن أبي كديك، عن إبراهيم بن الفضل، عن أبي حسين المكيّ، عن عطاء بن أبي رَباح، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كانَ يَوْمُ القِيامَةِ نُودِيَ: أيْنَ أبْناءُ السِّتِّينَ، وَهُوَ العُمُرُ الَّذِي قالَ اللّهُ: ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾.

حدثني أحمد بن الفرج الحِمْصِيّ، قال: ثنا بقية بن الوليد، قال: ثنا مُطَرِّف بن مازن الكنانيّ، قال: ثني معمر بن راشد، قال: سمعت محمد بن عبد الرحمن الغفاريّ يقول: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ أعْذَرَ اللّهُ إلى صَاحِبِ السِّتِّينَ سَنَةً والسَّبْعِينَ».

حدثنا أبو صالح الفزاري، قال: ثنا محمد بن سوار، قال: ثنا يعقوب بن عبد الرحمن بن عبد القاريُّ الإسكندريّ، قال: ثنا أبو حازم، عن سعيد المقبريّ، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ عَمَّرَهُ اللّهُ سِتِّينَ سَنَةً فَقَدْ أعْذَرَ إلَيْهِ فِي العُمْرِ».

حدثنا محمد بن سوار، قال: ثنا أسد بن حميد، عن سعيد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة، عن عليّ رضي الله عنه، في قوله: ﴿**أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ ما يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾ قال: العمر الذي عمركم الله به ستون سنة.

وأشبه القولين بتأويل الآية إذ كان الخبر الذي ذكرناه عن رسول الله ﷺ خبراً في إسناده بعض من يَجب التثبت في نقله، قول من قال ذلك أربعون سنة، لأن في الأربعين يتناهى عقل الإنسان وفهمه، وما قبل ذلك وما بعده منتقص عن كماله في حال الأربعين.

وقوله: ﴿**وَجاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾ اختلف أهل التأويل في معنى النذير، فقال بعضهم: عنى به محمداً ﷺ.

ذكر من قال ذلك:

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**وَجاءَكُمُ النَّذِيرُ**﴾ قال: النذير: النبيّ. وقرأ: ﴿**هذا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الأُولى**﴾.

وقيل: عَنَى به الشيب. فتأويل الكلام إذن: أو لم نعمركم يا معشر المشركين بالله من قُرَيش من السنين، ما يتذكر فيه من تذكر، من ذوي الألباب والعقول، واتعظ منهم من اتعظ، وتاب من تاب، وجاءكم من الله منذر يُنذركم ما أنتم فيه اليوم من عذاب الله، فلم تتذكَّروا مواعظ الله، ولم تقبلوا من نذير الله الذي جاءكم ما أتاكم به من عند ربكم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿**فَذُوقُوا**﴾ نار عذاب جهنم الذي قد صَلِيتموه أيها الكافرون بالله ﴿**فَما للظَّالِمِينَ مِنْ نَصِير**﴾ يقول: فما للكافرين الذين ظلموا أنفسهم فأكسَبُوها غضب الله بكفرهم بالله في الدنيا من نصير ينصرهم من الله ليستنقذهم من عقابه. وقوله: ﴿**إِنَّ اللّهَ عالِمُ غَيْبِ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ**﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله عالم ما تُخفون أيها الناس في أنفسكم وتُضْمرونه، وما لم تضمروه ولم تنوُوه مما ستنوُونه، وما هو غائب عن أبصاركم في السموات والأرض، فاتقوه أن يَطَّلع عليكم، وأنتم تضمرون في أنفسكم من الشكّ في وحدانية الله، أو في نبوّة محمد، غير الذي تبدونه بألسنتكم، ﴿**إِنَّه عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: الله الذي جعلكم أيها الناس خلائف في الأرض من بعد عاد وثمود، ومن مضى من قبلكم من الأمم فجعلكم تخلفونهم في ديارهم ومساكنهم، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ في الأرْضِ﴾** أمة بعد أُمة، وقرناً بعد قرن.

وقوله: **﴿فَمَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾** يقول تعالى ذكره: فمن كفر بالله منكم أيها الناس، فعلى نفسه ضرّ كفره، لا يضرّ بذلك غير نفسه، لأنه المعاقب عليه دون غيره. وقوله: **﴿وَلا يَزِيدُ الكافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إلاَّ مَقْتاً﴾** يقول تعالى: ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلاَّ بُعداً من رحمة الله **﴿وَلا يَزِيدُ الكافِرِينَ كُفْرُهُمْ إلاَّ خَساراً﴾** يقول: ولا يزيد الكافرين كفرهم بالله إلاَّ هلاكاً.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: **﴿قُلْ﴾** يا محمد لمشركي قومك **﴿أرأيْتُمْ﴾** أيها القوم **﴿شُرَكاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أرُونِي ماذَا خَلَقُوا مِنَ الأرْضِ﴾** يقول: أروني أيّ شيء خلقوا من الأرض **﴿أمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ﴾** يقول: أم لشركائكم شرك مع الله في السموات، إن لم يكونوا خلقوا من الأرض شيئاً **﴿أمْ آتَيْناهُمْ كِتاباً فَهُمْ عَلى بَيِّنَةٍ مِنْهُ﴾** يقول: أم آتينا هؤلاء المشركين كتاباً أنزلناه عليهم من السماء بأن يشركوا بالله الأوثان والأصنام، فهم على بيِّنة منه، فهم على برهان مما أمرتهم فيه من الإشراك بي. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿قُلْ أرأيْتُمْ شُرَكاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أرُونِي ماذَا خَلَقُوا مِنَ الأرْضِ﴾** لا شيء والله خلقوا منها **﴿أمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي**

السَّمَوَاتِ﴾ لا والله ما لهم فيها شرك **﴿أَمْ آتَيْناهُمْ كِتاباً فَهُمْ عَلى بَيِّنَةٍ﴾** منه، يقول: أم آتيناهم كتاباً فهو يأمرهم أن يشركوا.

وقوله: **﴿بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً إلاَّ غُرُوراً﴾** وذلك قول بعضهم لبعض: **﴿ما نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إلى اللهِ زُلْفَى﴾** خداعاً من بعضهم لبعض وغروراً، وإنما تزلفهم آلهتهم إلى النار، وتقصيهم من الله ورحمته.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: **﴿إِنَّ اللّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾** لئلا تزولا من أماكنهما **﴿وَلَئِنْ زَالَتا﴾** يقول: ولو زالتا **﴿إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾** يقول: ما أمسكهما أحد سواه. ووضعت «لئن» في قوله **﴿وَلَئِنْ زَالَتا﴾** في موضع «لو» لأنهما يجابان بجواب واحد، فيتشابهان في المعنى ونظير ذلك قوله: **﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يكْفُرُونَ﴾** بمعنى: ولو أرسلنا ريحاً، وكما قال: **﴿ولئن أَتَيتَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ﴾** بمعنى: لو أتيت. وقد بيَّنا ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: **﴿إِنَّ اللّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَات والأَرْضَ أَنْ تَزُولا﴾** من مكانهما.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل، قال: جاء رجل إلى عبد الله، فقال: من أين جئت؟ قال: من الشأم، قال: مَن لقيتَ؟ قال: لقيتُ كعباً، فقال: ما حدّثك كعب؟ قال: حدثني أن السموات تدور على منكب ملك، قال: فصدّقته أو كذّبته؟ قال: ما صدّقته ولا كذّبته، قال: لوددت أنك افتديت من رحلتك إليه براحلتك ورحلها، وكذب كعب إن الله يقول: **﴿إِنَّ اللّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ أَنْ تَزُولا وَلَئِنْ زَالَتا إِنْ أَمْسَكَهُما مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾**.

حدثنا جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم، قال: ذهب جُندَب البَجَليّ إلى كعب الأحبار، فقدم عليه ثم رجع، فقال له عبد الله: حدِّثنا ما حدّثك، فقال: حدثني أن السماء في قطب كقطب الرحا، والقطب عمود على مَنكِب ملك، قال عبد الله: لوددت أنك افتديت رحلتك بمثل راحلتك

ثم قال: ما تنتكت اليهودية في قلب عبد فكادت أن تفارقه، ثم قال: ﴿**إنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أنْ تَزُولا**﴾ كفى بها زوالاً أن تدور.

وقوله: ﴿**إنَّهُ كانَ حَلِيماً غَفُوراً**﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله كان حليماً عمن أشرك وكفر به من خلقه في تركه تعجيل عذابه له، غفوراً لذنوب من تاب منهم، وأناب إلى الإيمان به، والعمل بما يرضيه.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤٢) اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا (٤٣)﴾.

يقول تعالى ذكره: وأقسم هؤلاء المشركون بالله جهد أيمانهم يقول: أشدّ الإيمان، فبالغوا فيها، لئن جاءهم من الله مُنذر ينذرهم بأس الله ﴿**لَيَكُونُنَّ أهْدَى مِنْ إحْدَى الأُمَمِ**﴾ يقول: ليكونُنّ أسلك لطريق الحقّ، وأشدّ قبولاً لِما يأتيهم به النذير من عند الله، من إحدى الأمم التي خلت من قبلهم ﴿**فَلَمَّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ**﴾ يعني بالنذير: محمداً ﷺ، يقول: فلما جاءهم محمد ينذرهم عقاب الله على كفرهم، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فَلَمَّا جاءَهُمْ نَذِيرٌ**﴾ وهو محمد ﷺ.

وقوله: ﴿**ما زَادَهُمْ إلاَّ نُفُوراً**﴾ يقول: ما زادهم مجيء النذير من الإيمان بالله واتباع الحقّ، وسلوك هدى الطريق، إلاَّ نفوراً وهرباً.

وقوله: ﴿**اسْتِكْباراًفِي الأرْضِ**﴾ يقول: نفروا استكباراً في الأرض، وخِدْعة سيئة، وذلك أنهم صدّوا الضعفاء عن اتباعه مع كفرهم به. والمكر هاهنا: هو الشرك، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿**وَمَكْرَ السَّيِّىءِ**﴾ وهو الشرك.

وأضيف المكر إلى السيىء، والسيىء من نعت المكر، كما قيل: ﴿**إن هذا لهو حقّ اليقين**﴾. وقيل: إن ذلك في قراءة عبد الله: «وَمَكْراً سَيِّئاً»، وفي ذلك تحقيق القول الذي قلناه من أن السيىء في المعنى من نعت المكر. وقرأ ذلك قرّاء الأمصار غير الأعمش وحمزة بهمزة محركة بالخفض. وقرأ ذلك الأعمش وحمزة بهمزة وتسكين الهمزة اعتلالاً منهما بأن الحركات

لما كثرت في ذلك ثقل، فسكنا الهمزة، كما قال الشاعر:

إذا اعْـوَجَـجْـنَ قُـلْـتُ صَـاحِـبْ قَـوِّمِ[(١)]

فسكَّن الباء، لكثرة الحركات.

والصواب من القراءة ما عليه قرّاء الأمصار من تحريك الهمزة فيه إلى الخفض، وغير جائز في القرآن أن يقرأ بكل ما جاز في العربية، لأن القراءة إنما هي ما قرأت به الأئمة الماضية، وجاء به السلف على النحو الذي أخذوا عمن قبلهم.

وقوله: ﴿**وَلا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّءُ إلاَّ بأَهْلِهِ**﴾ يقول: ولا ينزل المكر السيىء إلاّ بأهله، يعني بالذين يمكرونه وإنما عَنَى أنه لا يحل مكروه ذلك المكر الذي مكره هؤلاء المشركون إلاّ بهم.

وقال قتادة في ذلك ما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَلا يَحِيقُ المَكْرُ السَّيِّءُ إلاّ بأَهْلِهِ**﴾ وهو الشرك.

وقوله: ﴿**فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ سُنَّةَ الأوَّلِينَ**﴾ يقول تعالى ذكره: فهل ينتظر هؤلاء المشركون من قومك يا محمد إلاّ سنة الله بهم في عاجل الدنيا على كفرهم به أليمَ العقاب. يقول: فهل ينتظر هؤلاء إلاّ أن أُحلّ بهم من نقمتي على شركهم بي وتكذيبهم رسولي مثل الذي أحللت بمن قبلهم من أشكالهم من الأمم، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**فَهَلْ يَنْظُرُونَ إلاَّ سُنَّتَ الأوَّلِينَ**﴾: أي عقوبة الأوّلين.

﴿**فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّهِ تَبْدِيلاً**﴾ يقول: فلن تجد يا محمد لسنة الله تغييراً.

وقوله: ﴿**وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللّهِ تَحْوِيلاً**﴾ يقول: ولن تجد لسنَّة الله في خلقه تبديلاً يقول: لن يغير ذلك، ولا يبدّله، لأنه لا مردّ لقضائه.

---

(١) البيت من شواهد الفراء في «**معاني القرآن**» (الورقة ٢٦٧) قال: وقوله «ومكر السيء» أضيف المكر إلى السيء وهو هو، كما قال: إن هذا لهو حق اليقين. وتصديق ذلك في قراءة عبد الله: «ومكرا سيئاً». وقوله «مكر السيء» الهمزة في السيء مخفوضة، وقد جزمها الأعمش وحمزة، لكثرة الحركات، كما قال: «لا يحزنهم الفزع الأكبر»؛ قال الشاعر:

إذَا اعْـوَجَـجْـنَ قُـلْـتُ صَـاحِـبْ قَـوِّمِ

يريد: صاحب قوم، فجزم الباء لكثرة الحركات. قال الفراء: حدثني الرواسي، عن أبي عمرو بن العلاء: «لا يحزنهم» جزم ا هـ.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا (٤٤)﴾.

يقول تعالى ذكره: أو لم يَسِرْ يا محمد هؤلاء المشركون بالله، في الأرض التي أهلكنا أهلها بكفرهم بنا وتكذيبهم رسلنا، فإنهم تجار يسلكون طريق الشأم ﴿فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ من الأمم التي كانوا يمرون بها ألم نهلكهم ونخربْ مساكنهم ونجعلْهم مثلاً لمن بعدهم، فيتعظوا بهم، وينزجروا عما هم عليه من عبادة الآلهة بالشرك بالله، ويعلموا أن الذي فعل بأولئك ما فعل ﴿وكانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَبَطْشاً﴾ لن يتعذّر عليه أن يفعل بهم مثل الذي فعل بأولئك من تعجيل النقمة، والعذاب لهم. وبنحو الذي قلنا في قوله: ﴿وكانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وكانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ يخبركم أنه أعطى القوم ما لم يعطكم.

وقوله: ﴿وَما كانَ اللّٰهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾ يقول تعالى ذكره: ولن يعجزنا هؤلاء المشركون بالله من عبدة الآلهة، المكذّبون محمداً فيسبقونا هرباً في الأرض، إذا نحن أردنا هلاكهم، لأن الله لم يكن ليعجزه شيء يريده في السموات ولا في الأرض، ولن يقدر هؤلاء المشركون أن ينفُذوا من أقطار السموات والأرض. وقوله: ﴿إِنَّهُ كانَ عَلِيماً قَدِيراً﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله كان عليماً بخلقه، وما هو كائن، ومن هو المستحقّ منهم تعجيل العقوبة، ومَن هو عن ضلالته منهم راجع إلى الهدى آئب، قديراً على الانتقام ممن شاء منهم، وتوفيق من أراد منهم للإيمان.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا (٤٥)﴾.

يقول تعالى ذكره: ولو يؤاخذ الله الناس. يقول: ولو يعاقب الله الناس، ويكافئهم بما عملوا من الذنوب والمعاصي، واجترحوا من الآثام، ما تَرَك على ظهرها من دابة تدبّ عليها ﴿وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إلى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يقول: ولكن يؤخر عقابهم ومؤاخذتهم بما كسبوا إلى أجل معلوم

عنده، محدود لا يقصرون دونه، ولا يجاوزونه إذا بلغوه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة **﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا ما تَرَكَ عَلى ظَهْرِها مِنْ دَابَّةٍ﴾** إلاَّ ما حمل نوح في السفينة.

وقوله: **﴿فإذَا جاءَ أجَلُهُمْ فإنَّ اللّهَ كانَ بِعِبادِهِ بَصِيراً﴾** يقول تعالى ذكره: فإذا جاء أجل عقابهم، فإن الله كان بعباده بصيراً من الذي يستحقّ أن يعاقب منهم، ومن الذي يستوجب الكرامة، ومن الذي كان منهم في الدنيا له مطيعاً، ومن كان فيها به مشركاً، لا يخفى عليه أحد منهم، ولا يعزب عنه علم شيء من أمرهم.

آخر تفسير سورة فاطر

(٦٣) سورة يس مكية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿يس﴾، فقال بعضهم: هو قسم أقسم الله به، وهو من أسماء الله.

ذكر من قال ذلك:

حدثني عليّ، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: ﴿يس﴾ قال: فإنه قسم أقسمه الله، وهو من أسماء الله.

وقال آخرون: معناه: يا رجل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا أبو تُمَيلة، قال: ثنا الحسين بن واقد، عن يزيد، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله ﴿يس﴾ قال: يا إنسان، بالحبشية.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن شرقيّ، قال: سمعت عكرمة يقول: تفسير ﴿يس﴾: يا إنسان.

وقال آخرون: هو مفتاح كلام افتتح الله به كلامه.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال: ﴿يس﴾ مفتاح كلام، افتتح الله به كلامه.

وقال آخرون: بل هو اسم من أسماء القرآن.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**يس**﴾ قال: كلّ هجاء في القرآن اسم من أسماء القرآن.

قال أبو جعفر: وقد بيَّنا القول فيما مضى في نظائر ذلك من حروف الهجاء بما أغنى عن إعادته وتكريره في هذا الموضع.

وقوله: ﴿**والقُرآنِ الحَكِيمِ**﴾ يقول: والقرآن المحكم بما فيه من أحكامه، وبيِّنات حججه ﴿**إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ**﴾ يقول تعالى ذكره مقسماً بوحيه وتنزيله لنبيه محمد ﷺ: إنك يا محمد لمن المرسلين بوحي الله إلى عباده، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**والقُرآنِ الحَكِيمِ إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلينَ**﴾ قسم كما تسمعون ﴿**إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾.

وقوله: ﴿**عَلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ يقول: على طريق لا اعوجاج فيه من الهدى، وهو الإسلام، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**عَلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾: أي على الإسلام.

وفي قوله: ﴿**عَلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ وجهان أحدهما: أن يكون معناه: إنك لمن المرسلين على استقامة من الحقّ، فيكون حينئذٍ على من قوله ﴿**عَلى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾ من صلة الإرسال. والآخر أن يكون خبراً مبتدأ، كأنه قيل: إنك لمن المرسلين، إنك على صراط مستقيم.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾.

اختلف القرّاء في قراءة قوله: ﴿**تَنْزِيلَ العَزِيزِ الرَّحِيمِ**﴾ فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: «تَنْزِيلُ العَزِيز» برفع تنزيل، والرفع في ذلك يتجه من وجهين أحدهما: بأن يُجعل خبراً، فيكون معنى الكلام: إنه تنزيل العزيز الرحيم. والآخر: بالابتداء، فيكون معنى الكلام حينئذٍ: إنك لمن المرسلين، هذا تنزيل العزيز الرحيم. وقرأته عامة قرّاء الكوفة وبعض أهل الشام: ﴿**تَنْزِيلَ**﴾ نصباً على المصدر من قوله: ﴿**إنَّكَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ**﴾ لأنّ الإرسال إنما هو عن التنزيل، فكأنه قيل: لمنزل تنزيل العزيز الرحيم حقاً.

والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان في قرّاء الأمصار، متقاربتا

المعنى، فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب. ومعنى الكلام: إنك لمن المرسلين يا محمد إرسال الربّ العزيز في انتقامه من أهل الكفر به، الرحيم بمن تاب إليه، وأناب من كفره وفسوقه أن يعاقبه على سالف جرمه بعد توبته له.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ (٦) لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٧)﴾.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿لِتُنْذِرَ قَوماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ﴾ فقال بعضهم: معناه: لتنذر قوماً ما أنذر الله من قبلهم من آبائهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا محمد بن المثنى، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شُعْبة، عن سِماك، عن عكرمة في هذه الآية: ﴿لِتُنْذِرَ قَوماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ﴾ قال: قد أنذروا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم(١).

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿لِتُنْذِرَ قَوْماً ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ﴾ قال بعضهم: لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم من إنذار الناس قبلهم. وقال بعضهم: لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم: أي هذه الأمة لم يأتهم نذير، حتى جاءهم محمد ﷺ.

واختلف أهل العربية في معنى «ما» التي في قوله: ﴿ما أُنْذِرَ آباؤُهُمْ﴾ إذا وُجّه معنى الكلام إلى أن آباءهم قد كانوا أنذروا، ولم يُرد بها الجحد، فقال بعض نحويِّي البصرة: معنى ذلك: إذا أريد به غير الجحد لتنذرهم الذي أُنذر آباؤهم ﴿فَهُمْ غافِلُونَ﴾. وقال: فدخول الفاء في هذا المعنى لا يجوز، والله أعلم. قال: وهو على الجحد أحسن، فيكون معنى الكلام: إنك لمن المرسلين إلى قوم لم ينذر آباؤهم، لأنهم كانوا في الفترة.

وقال بعض نحويّي الكوفة: إذا لم يرد بما الجحد، فإن معنى الكلام: لتنذرهم بما أنذر آباؤهم، فتلقى الباء، فتكون «ما» في موضع نصب ﴿فَهُمْ غافِلُونَ﴾ يقول: فهم غافلون عما الله فاعل: بأعدائه المشركين به، من إحلال نقمته، وسطوته بهم.

(١) أي لم ينذر آباؤهم.

وقوله: ﴿لَقَدْ حَقَّ القَوْلُ على أكْثَرِهِمْ فَهمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: لقد وجب العقاب على أكثرهم، لأن الله قد حتم عليهم في أمّ الكتاب أنهم لا يؤمنون بالله، ولا يصدّقون رسوله.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: إنا جعلنا أيمان هؤلاء الكفار مغلولة إلى أعناقِهم بالأغلال، فلا تُبْسط بشيء من الخيرات وهي في قراءة عبد الله فيما ذُكر: «إنَّا جَعَلْنا فِي أيمَانِهِمْ أغلالاً فَهِيَ إلى الأذْقانِ». وقوله: ﴿إلى الأذْقانِ﴾ يعني: فأيمانهم مجموعة بالأغلال في أعناقهم، فكُنّي عن الأيمان، ولم يجر لها ذكر لمعرفة السامعين بمعنى الكلام، وأن الأغلال إذا كانت في الأعناق لم تكن إلاّ وأيدي المغلولين مجموعة بها إليها فاستغنى بذكر كون الأغلال في الأعناق من ذكر الأيمان، كما قال الشاعر:

وَما أَدْرِي إذَا يَمَّمْتُ وَجْهاً ... أُرِيدُ الخَيْرَ أيُّهُما يَلِينِي
أألْخَيْرُ الَّذِي أنا أبْتَغِيهِ ... أم الشَّرُّ الَّذِي لا يَأْتَلِينِي[1]

فكنى عن الشرّ، وإنما ذكر الخير وحده لعلم سامع ذلك بمعنيّ قائله، إذ كان الشرّ مع الخير يُذكر. والأذقان: جمع ذَقَن، والذَّقَن: مجمع اللَّحْيين.

وقوله: ﴿فَهُمْ مُقْمَحُونَ﴾ والمُقْمَح: هو المقنع، وهو أن يحدر الذقن حتى يصير في الصدر، ثم يرفع رأسه في قول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة. وفي قول بعض الكوفيين: هو الغاضّ بصره، بعد رفع رأسه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

---

(١) البيتان من الوافر، وهما لسحيم بن وثيل الرياحي. وقد سبق الاستشهاد بهما في (١٤/١٥٧) عند قوله تعالى: ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾ في سورة النحل. واستشهد بهما هنا على أن قوله «أريد الخير أيهما يليني» أي أي الخير والشريليني، فاكتفى بذكر الخير وكنى عن الشر، إذ كان معلوماً من السياق كما في قوله تعالى: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا﴾ إذ لم يصرح بذكر الأيمان لأن الأغلال إنما تكون في الأعناق مع الأغلال. فاكتفى بالأغلال عن ذكر الأيمان. قال الفراء في «معاني القرآن» (الورقة ٢٦٧) وقوله: ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذان﴾ فكنى عن هي، وهي للأيمان، ولم تذكر وذلك أن الغل لا يكون إلا في اليمين والعنق جامعاً لليمين والعنق. فيكفي ذكر أحدهما من صاحبه، ومثله قول الشاعر:

«وما أدري.......

البيتين» فكنى عن الشر، وإنما ذكر الخير وحده. وذلك أن الشر يذكر مع الخير. وهي في قراءة عبد الله: ﴿إنا جعلنا في أيمانهم أغلالاً، فهي إلى الأذقان﴾ فكفت من ذكر (الأعناق) في حرف عبد الله، وكفت «الأعناق» من الأيمان في قراءة العامة. والذقن: أسفل اللحيين.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله: ﴿**إِنَّا جَعَلْنا فِي أعناقِهِمْ أغلالاً فَهِيَ إلى الأذْقان فَهُمْ مُقْمَحُونَ**﴾ قال: هو كقول الله: ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ**﴾ يعني بذلك أن أيديهم موثقة إلى أعناقهم، لا يستطيعون أن يبسُطوها بخير.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، في قوله: ﴿**فَهُمْ مُقْمَحُونَ**﴾ قال: رافعو رؤوسهم، وأيديهم موضوعة على أفواههم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**إِنَّا جَعَلْنا فِي أعناقِهِمْ أغلالاً فَهِيَ إلى الأذْقانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ**﴾: أي فهم مغلولون عن كلّ خير.

وقوله: ﴿**وَجَعَلْنا مِنْ بينِ أيْدِيهِمْ سَدًّا**﴾ يقول تعالى ذكره: وجعلنا من بين أيدي هؤلاء المشركين سدًّا، وهو الحاجز بين الشيئين إذا فتح كان من فعل بني آدم، وإذا كان من فعل الله كان بالضمّ. وبالضمّ قرأ ذلك عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين. وقرأه بعض المكيين وعامة قرّاء الكوفيين بفتح السين ﴿**سَدًّا**﴾ في الحرفين كلاهما والضم أعجب القراءتين إليّ في ذلك، وإن كانت الأخرى جائزة صحيحة.

وعنى بقوله: ﴿**وَجَعَلْنا مِن بينِ أيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا**﴾ أنه زيَّن لهم سوء أعمالهم، فهم يَعْمَهون، ولا يبصرون رشداً، ولا يتنبهون حقاً. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم بن أبي بَزَّة، عن مجاهد، في قوله: ﴿**مِنْ بينِ أيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا**﴾ قال: عن الحقّ.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وَجَعَلْنا مِنْ بين أيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا**﴾ عن الحقّ فهم يتردّدون.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**وَجَعَلْنا مِنْ بينِ أيْدِيهِمْ سدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا**﴾ قال: ضلالات.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قول الله: ﴿**وَجَعَلْنا مِنْ بَينِ أيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأغْشَيناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ**﴾ قال: جعل هذا سدًّا بينهم وبين الإسلام والإيمان، فهم لا يخلصون إليه، وقرأ: ﴿**وَسَوَاءٌ عَلَيهِمْ أأنْذَرْتَهُمْ أمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ**﴾، وقرأ: ﴿**إنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ...**﴾ الآية كلها، وقال: من منعه الله لا يستطيع.

وقوله: ﴿**فَأَغْشَيناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ**﴾ يقول: فأغشينا أبصار هؤلاء: أي جعلنا عليها غشاوة فهم لا يبصرون هدى ولا ينتفعون به، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**فَأَغْشَيناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ**﴾ هُدًى، ولا ينتفعون به.

وذُكر أن هذه الآية نزلت في أبي جهل بن هشام حين حلف أن يقتله أو يشدخ رأسه بصخرة. ذكر الرواية بذلك:

حدثني عمران بن موسى، قال: ثنا عبد الوارث بن سعيد، قال: ثنا عُمارة بن أبي حفصة، عن عكرمة قال: قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً لأفعلنّ ولأفعلنّ، فأنزلت: ﴿**إنَّا جَعَلْنا فِي أعْناقِهِمْ أغْلالاً...**﴾ إلى قوله ﴿**فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ**﴾ قال: فكانوا يقولون: هذا محمد، فيقول: أين هو، أين هو؟ لا يبصره.

وقد رُوي عن ابن عباس أنه كان يقرأ ذلك: «فَأَعْشَيْناهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ» بالعين بمعنى أعشيناهم عنه، وذلك أن العَشَا هو أن يمشي بالليل ولا يبصر.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: وسواء يا محمد على هؤلاء الذين حقّ عليهم القول، أيّ الأمرين كان منك إليهم الإنذار، أو ترك الإنذار، فإنهم لا يؤمنون، لأن الله قد حكم عليهم بذلك. وقوله: ﴿**إنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ**﴾ يقول تعالى ذكره: إنما ينفع إنذارك يا محمد من آمن بالقران، واتبع ما فيه من أحكام الله ﴿**وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ**﴾ يقول: وخاف الله حين يغيب عن أبصار الناظرين، لا

المنافق الذي يستخفّ بدين الله إذا خلا، ويظهر الإيمان في الملأ، ولا المشرك الذي قد طبع الله على قلبه. وقوله: ﴿فَبَشِّرْهُ بِمغْفِرَةٍ﴾ يقول: فبشر يامحمد هذا الذي اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب بمغفرة من الله لذنوبه ﴿وأجْرٍ كَرِيمٍ﴾ يقول: وثواب منه له في الآخرة كريم، وذلك أن يعطيه على عمله ذلك الجنة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿إنَّمَا تُنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ﴾ واتباع الذكر: اتباع القرآن.

القول في تاويل قوله تعالى:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿إنَّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى﴾ من خلقنا ﴿وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا﴾ في الدنيا من خير وشرّ، وصالح الأعمال وسيئها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إنَّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا﴾ من عمل.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا﴾ قال: ما عملوا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿ما قَدَّمُوا﴾ قال: أعمالهم.

وقوله: ﴿وآثارَهُمْ﴾ يعني: وآثار خُطاهم بأرجلهم، وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم أرادوا أن يقربوا من مسجد رسول الله ﷺ، ليقرب عليهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا نصر بن عليّ الجهضميّ، قال: ثنا أبو أحمد الزُّبيري، قال: ثنا إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كانت منازل الأنصار متباعدة من المسجد، فأرادوا أن

ينتقلوا إلى المسجد فنزلت ﴿**وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وآثارَهُمْ**﴾ فقالوا: نثبت في مكاننا.

حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبي، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كانت الأنصار بعيدة منازلهم من المسجد، فأرادوا أن ينتقلوا، قال: فنزلت ﴿**وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وآثارَهُمْ**﴾ فثبتوا.

حدثنا ابن المثنى، قال: ثنا عبد الصمد، قال: ثنا شعبة، قال: ثنا الجريريّ، عن أبي نضرة، عن جابر، قال: أراد بنو سَلِمة قرب المسجد، قال: فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا بَنِي سَلِمَةَ دِيارَكُمْ، إنَّها تُكْتَبُ آثارُكُمْ».

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا معتمر، قال: سمعت كهمسا يحدّث، عن أبي نضرة، عن جابر، قال: أراد بنو سَلِمة أن يتحوّلوا إلى قُرب المسجد، قال: والبقاع خالية، فبلغ ذلك النبيّ ﷺ، فقال: «يا بَنِي سَلِمَةَ دِيارَكُمْ إنَّها تُكْتَبُ آثارُكُمْ» قال: فأقاموا وقالوا: ما يسرّنا أنا كنا تحوّلنا.

حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الرقي، قال: ثنا ابن المبارك، عن سفيان، عن طريف، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخُدريّ، قال: شكت بنو سلِمة بُعد منازلهم إلى النبيّ ﷺ، فنزلت: ﴿**إنَّا نَحْنُ نُحْيِي المَوْتَى وَنَكْتُبُ ما قَدَّمُوا وآثارَهُمْ**﴾ فقال: «عَلَيْكُمْ مَنازِلَكُمْ تُكْتَبُ آثارُكم».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا أبو تُمَيلة، قال: ثنا الحسين، عن ثابت، قال: مشيت مع أنس، فأسرعت المشي، فأخذ بيدي، فمشينا رُويداً، فلما قضينا الصلاة قال أنس: مشيت مع زيد ابن ثابت، فأسرعت المشي، فقال: يا أنس أما شعرت أن الآثار تكتب؟

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عُلَية، عن يونس، عن الحسن أن بني سَلِمة كانت دورهم قاصية عن المسجد، فهموا أن يتحوّلوا قرب المسجد، فيشهدون الصلاة مع النبيّ ﷺ، فقال لهم النبيّ ﷺ: «ألا تَحْتَسِبُونَ آثارَكُمْ يا بَنِي سَلِمَةَ؟» فمكثوا في ديارهم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم ابن أبي بَزَّة، عن مجاهد، في قوله ﴿**ما قَدَّمُوا وآثارَهُمْ**﴾ قال: خُطَاهم بأرجلهم.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد ﴿**وآثارَهُمْ**﴾ قال: خطاهم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وآثارَهُمْ﴾ قال: قال الحسن: وآثارهم قال: خُطَاهم. وقال قتادة: لو كان مُغْفِلاً شيئاً من شأنك يا ابن آدم أغفل ما تعفّي الرياح من هذه الآثار.

وقوله: ﴿وكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيناهُ في إمام مُبِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وكل شيء كان أو هو كائن أحصيناه، فأثبتناه في أمّ الكتاب، وهو الإمام المبين. وقيل: ﴿مُبين﴾، لأنه يبين عن حقيقة جميع ما أثبت فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن، قال: ثنا سفيان، عن منصور، عن مجاهد ﴿في إمامٍ مُبِينٍ﴾ قال: في أمّ الكتاب.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيناهُ فِي إمامٍ مُبِينٍ﴾ كلّ شيء محصيٌّ عند الله في كتاب.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿وكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيناهُ فِي إمام مُبِينٍ﴾ قال: أمّ الكتاب التي عند الله فيها الأشياء كلها هي الإمام المبين.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: ومثل يا محمد لمشركي قومك مثلاً أصحابَ القرية ذُكر أنها أنطاكية، ﴿إذْ جاءَها المُرْسَلُونَ﴾. اختلف أهل العلم في هؤلاء الرسل، وفيمن كان أرسلهم إلى أصحاب القرية، فقال بعضهم: كانوا رسل عيسى بن مريم، وعيسى الذي أرسلهم إليهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أصحابَ القَرْيَةِ إذْ جاءَها المُرْسَلُونَ إذْ أرْسَلْنا إلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ﴾ قال: ذُكر لنا أن عيسى بن مريم بعث رجلين من الحواريين إلى أنطاكية مدينة بالروم فكذّبوهما، فأعزّهما بثالث، ﴿فَقالُوا إنَّا إلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ﴾.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى وعبد الرحمن، قالا: ثنا سفيان، قال: ثني السديّ، عن عكرمة ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلاً أصحابَ القَرْيَةِ﴾ قال: أنطاكية.

وقال آخرون: بل كانوا رسلاً أرسلهم الله إليهم.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سَلَمة، قال: ثنا ابن إسحاق، فيما بلغه، عن ابن عباس، وعن كعب الأحبار، وعن وهب بن مُنَبه، قال: كان بمدينة أنطاكية، فرعون من الفراعنة يقال له أبطيحس بن أبطيحس يعبد الأصنام، صاحب شرك، فبعث الله المرسلين، وهم ثلاثة: صادق، ومصدوق، وسلوم، فقدم إليه وإلى أهل مدينته، منهم اثنان فكذّبوهما، ثم عزّز الله بثالث فلما دعته الرسل ونادته بأمر الله، وصدعت بالذي أُمرت به، وعابت دينه، وما هم عليه، قال لهم: ﴿**إِنَّا تَطَيَّرْنا بِكُمْ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾.

وقوله: ﴿**إِذْ أَرْسَلْنا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُما فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ**﴾ يقول تعالى ذكره: حين أرسلنا إليهم اثنين يدعوانهم إلى الله فكذّبوهما فشددناهما بثالث، وقوّيناهما به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿**فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ**﴾ قال: شدّدنا.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حكام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم ابن أبي بَزّة، عن مجاهد في قوله ﴿**فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ**﴾ قال: زدنا.

حدثنا يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿**فَعَزَّزْنا بِثالِثٍ**﴾ قال: جعلناهم ثلاثة، قال: ذلك التعزّز، قال: والتعزّز: القوّة.

وقوله: ﴿**فَقالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ**﴾ يقول: فقال المرسلون الثلاثة لأصحاب القرية: إنا إليكم أيها القومُ مرسلون، بأن تُخلِصوا العبادة لله وحده، لا شريك له، وتتبرّءوا مما تعبدون من الآلهة والأصنام. وبالتشديد في قوله: ﴿**فَعَزَّزْنا**﴾ قرأت القرّاء سِوى عاصم، فإنه قرأه بالتخفيف، والقراءة عندنا بالتشديد، لإجماع الحجة من القرّاء عليه، وأن معناه، إذا شُدّد: فقوّينا، وإذا خُفف: فغلبنا، وليس لغلبنا في هذا الموضع كثير معنى.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ (١٥) قَالُوا

رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال أصحاب القرية للثلاثة الذين أُرسلوا إليهم حين أخبروهم أنهم أرسلوا إليهم بما أرسلوا به: ما أنتم أيها القوم إلاَّ أُناس مثلنا، ولو كنتم رسلاً كما تقولون، لكنتم ملائكة ﴿**وَما أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ**﴾ يقول: قالوا: وما أنزل الرحمن إليكم من رسالة ولا كتاب ولا أمركم فينا بشيء ﴿**إِنْ أَنْتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ**﴾ في قيلكم إنكم إلينا مرسلون ﴿**قالُوا رَبُّنا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ**﴾ يقول: قال الرسل: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون فيما دعوناكم إليه، وإنا لصادقون ﴿**وَما عَلَيْنا إِلاَّ البَلاغُ المُبِينُ**﴾ يقول: وما علينا إلاَّ أن نبلغكم رسالة الله التي أرسلنا بها إليكم بلاغاً يبين لكم أنا أبلغناكموها، فإن قبلتموها فحظّ أنفسكم تصيبون، وإن لم تقبلوها فقد أدّينا ما علينا، والله وليّ الحكم فيه.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قال أصحاب القرية للرسل: ﴿**أنَا تَطَيَّرْنا بِكُمْ**﴾ يعنون: إنا تشاءمنا بكم، فإن أصابنا بَلاء فمن أجلكم، كما:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**قالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنا بِكُمْ**﴾ قالوا: إن أصابنا شرّ، فإنما هو من أجلكم.

وقوله: ﴿**لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنرْجُمَنَّكُمْ**﴾ يقول: لئن لم تنتهوا عما ذكرتم من أنكم أرسلتم إلينا بالبراءة من آلهتنا، والنهي عن عبادتنا لنرجمنكم، قيل: عُني بذلك لنرجُمَنَّكم بالحجارة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُوا لَنرْجُمَنَّكُمْ**﴾ بالحجارة ﴿**وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ يقول: ولينالنكم منا عذاب مُوجِع.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: قالت الرسل لأصحاب القرية: ﴿**طائِرُكُمْ مَعَكُمْ أئِنْ ذُكِّرْتُمْ**﴾ يقولون:

أعمالكم وأرزاقكم وحظُّكم من الخير والشرّ مَعكم، ذلك كله في أعناقكم، وما ذلك من شؤمنا إن أصابكم سوء فيما كتب عليكم، وسبق لكم من الله. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، ﴿**قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ**﴾: أي أعمالكم معكم.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس، وعن كعب، وعن وهب بن منبه، قالت لهم الرسل: ﴿**طائِرُكُمْ مَعَكُمْ**﴾: أي أعمالكم معكم.

وقوله: ﴿**أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ**﴾ اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء الأمصار ﴿**أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ**﴾ بكسر الألف من «إنْ» وفتح ألف الاستفهام: بمعنى إن ذكرناكم فمعكم طائركم، ثم أدخل على «إن» التي هي حرف جزاء ألفَ استفهام في قول بعض نحويّي البصرة، وفي قول بعض الكوفيين منويّ به التكرير، كأنه قيل: قالوا طائركم معكم إن ذُكِّرتم فمعكم طائركم، فحذف الجواب اكتفاء بدلالة الكلام عليه. وإنما أنكر قائل هذا القول القول الأوّل، لأن ألف الاستفهام قد حالت بين الجزاء وبين الشرط، فلا تكون شرطاً لما قبل حرف الاستفهام. وذُكر عن أبي رَزِين أنه قرأ ذلك: ﴿**أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ**﴾ بمعنى: ألأن ذُكِّرتم طائركم معكم؟. وذُكر عن بعض قارئيه أنه قرأه: «قالُوا طائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَيْنَ ذُكِرْتُمْ» بمعنى: حيث ذُكِرتم بتخفيف الكاف من ذُكِرْتم.

والقراءة التي لا نجيز القراءة بغيرها القراءة التي عليها قرّاء الأمصار، وهي دخول ألف الاستفهام على حرف الجزاء، وتشديد الكاف على المعنى الذي ذكرناه عن قارئيه كذلك، لإجماع الحجة من القرّاء عليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿**أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ**﴾: أي إن ذكّرناكم اللّهَ تطيرتم بنا؟ ﴿**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**﴾.

وقوله: ﴿**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**﴾ يقول: قالوا لهم: ما بكم التطَيُّر بنا، ولكنكم قومٌ أهل معاصٍ لله وآثام، قد غلبت عليكم الذنوب والآثام.

وقوله: ﴿**وَجاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى**﴾ يقول: وجاء من أقصى مدينة هؤلاء القوم الذين أرسلت إليهم هذه الرسل رجل يسعى إليهم وذلك أن أهل المدينة هذه عزموا، واجتمعت

آراؤهم على قتل هؤلاء الرسل الثلاثة فيما ذُكِر، فبلغ ذلك هذا الرجل، وكان منزله أقصى المدينة، وكان مؤمناً، وكان اسمه فيما ذُكر «حبيب بن مري». وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الأخبار. ذكر الأخبار الواردة بذلك:

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا مؤمل بن إسماعيل، قال: ثنا سفيان، عن عاصم الأحول، عن أبي مُجَلِّز، قال: كان صاحب يس «حبيب بن مري».

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: كان من حديث صاحب يس فيما حدثنا محمد ابن إسحاق فيما بلغه، عن ابن عباس، وعن كعب الأحبار وعن وهب بن منبه اليمانيّ أنه كان رجلاً من أهل أنطاكية، وكان اسمه «حبيباً»، وكان يعمل الجَرير، وكان رجلاً سقيماً، قد أسرع فيه الجُذام، وكان منزله عند باب من أبوب المدينة قاصياً، وكان مؤمناً ذا صدقة، يجمع كسبه إذا أمسى فيما يذكرون، فيقسمه نصفين، فيطعم نصفاً عياله، ويتصدّق بنصف، فلم يُهِمَّه سقمه ولا عمله ولا ضعفه، عن عمل ربه، قال: فلما أجمع قومه على قتل الرسل، بلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة الأقصى، فجاء يسعى إليهم يذكرهم بالله، ويدعوهم إلى اتباع المرسلين، فقال: ﴿**يا قَوْمِ اتَّبِعُوا المُرْسَلِينَ**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن عمرو بن حزم أنه حُدِّث عن كعب الأحبار قال: ذكر له حبيب بن زيد بن عاصم أخو بني مازن بن النجار الذي كان مسيلمة الكذّاب قطعه باليمامة حين جعل يسأله عن رسول الله ﷺ، فجعل يقول: أتشهد أن محمداً رسول الله؟ فيقول: نعم، ثم يقول: أتشهد أني رسول الله؟ فيقول له: لا أسمع، فيقول مسيلمة: أتسمع هذا، ولا تسمع هذا؟ فيقول: نعم، فجعل يقطعه عُضواً عضواً، كلما سأله لم يزده على ذلك حتى مات في يديه. قال كعب حين قيل له اسمه حبيب: وكان والله صاحب يس اسمه حبيب.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الحسن بن عمارة، عن الحكم بن عتيبة، عن مِقْسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل، عن مجاهد، عن عبد الله بن عباس أنه كان يقول: كان اسم صاحب يس حبيباً، وكان الجُذام قد أسرع فيه.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿**وَجاءَ مِنْ أَقْصَى المَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى**﴾ قال: ذُكر لنا أن اسمه حبيب، وكان في غار يعبد ربه، فلما سمع بهم أقبل إليهم.

وقوله: ﴿**قالَ يا قَوْمِ اتَّبِعُوا المُرْسَلِينَ**﴾ يقول تعالى ذكره: قال الرجل الذي جاء من أقصى

المدينة لقومه: يا قوم اتبعوا المرسلين الذين أرسلهم الله إليكم، واقبلوا منهم ما أتوكم به.

وذُكر أنه لما أتى الرسل سألهم: هل يطلبون على ما جاءوا به أجراً؟ فقالت الرسل: لا، فقال لقومه حينئذٍ: اتبعوا من لا يسألكم على نصيحتهم لكم أجراً.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قال: لما انتهى إليهم، يعني إلى الرسل، قال: هل تسألون على هذا من أجر؟ قالوا: لا، فقال عند ذلك: ﴿**يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ اتَّبِعوا مَنْ لا يَسأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق فيما بلغه، عن ابن عباس، وعن كعب الأحبار، وعن وهب بن منبه ﴿**اتَّبِعُوا مَنْ لا يَسأَلُكُمْ أَجْراً وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾: أي لا يسألونكم أموالكم على ما جاؤوكم به من الهدى، وهم لكم ناصحون، فاتبعوهم تهتدوا بهداهم.

وقوله: ﴿**وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ يقول: وهم على استقامة من طريق الحقّ، فاهتدوا أيها القوم بهداهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾.

يقول تعالى ذكره مخبراً عن قيل هذا الرجل المؤمن ﴿**وَماليَ لا أعْبُدُ الَّذِي فَطَرَني**﴾: أي وأيّ شيء لي لا أعبد الربّ الذي خلقني ﴿**وَإلَيْهِ تُرْجَعُونَ**﴾ يقول: وإليه تصيرون أنتم أيها القوم وتردّون جميعاً، وهذا حين أبدى لقومه إيمانه بالله وتوحيده، كما:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق فيما بلغه، عن ابن عباس، وعن كعب الأحبار، وعن وهب بن منبه قال: ناداهم، يعني نادى قومه بخلاف ما هم عليه من عبادة الأصنام، وأظهر لهم دينه وعبادة ربه، وأخبرهم أنه لا يملك نفعه ولا ضرّه غيره، فقال: ﴿**وَماليَ لا أعْبُدُ الَّذِي فَطَرَني وَإلَيْهِ تُرْجَعُونَ أءتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً**﴾ ثم عابها، فقال: ﴿**إن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرّ**﴾ وشدّة ﴿**لا تُغْنِ عَنّي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً وَلا يُنْقِذُونَ**﴾. وقوله: ﴿**أءتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ آلِهَةً**﴾ يقول: أأعبد من دون الله آلهة، يعني معبوداً سواه ﴿**إنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرّ**﴾ يقول: إذ مسني الرحمن بضرّ وشدّة ﴿**لا تُغْنِ عَنّي شَفاعَتُهُمْ شَيْئاً**﴾ يقول: لا تغني عني شيئاً بكونها إليّ شفعاء، ولا تقدر على

دفع ذلك الضرّ عني ﴿وَلا يُنْقِذُونِ﴾ يقول: ولا يخلصوني من ذلك الضرّ إذا مسني.

وقوله: ﴿إِنّي إِذاً لَفي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾ يقول: ﴿إني﴾ إن اتخذت من دون الله آلهة هذه صفتها ﴿إذن لفي ضلالٍ مبين﴾ لمن تأمله، جوره عن سبيل الحقّ.

وقوله: ﴿إِنّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فاسمَعُونِ﴾ فاختلف في معنى ذلك، فقال بعضهم: قال هذا القول هذا المؤمنُ لقومه يعلمهم إيمانه بالله.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق فيما بلغه، عن ابن عباس، وعن كعب، وعن وهب بن منبه ﴿إِنّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فاسمَعُونِ﴾ إني آمنت بربكم الذي كفرتم به، فاسمعوا قولي.

وقال آخرون: بل خاطب بذلك الرسلَ، وقال لهم: اسمعوا قولي لتشهدوا لي بما أقول لكم عند ربي، وأني قد آمنت بكم واتبعتكم فذكر أنه لما قال هذا القول، ونصح لقومه النصيحة التي ذكرها الله في كتابه وثبوا به فقتلوه.

ثم اختلف أهل التأويل في صفة قتلهم إياه، فقال بعضهم: رَجَموه بالحجارة.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ هذا رجل دعا قومه إلى الله، وأبدى لهم النصيحة فقتلوه على ذلك. وذُكر لنا أنهم كانوا يرجمونه بالحجارة، وهو يقول: اللّهم اهدِ قومي، اللهمّ اهدِ قومي، اللهمّ اهدِ قومي، حتى أَقْعَصُوه وهو كذلك.

وقال آخرون: بل وثبوا عليه، فوطئوه بأقدامهم حتى مات.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق فيما بلغه، عن ابن عباس، وعن كعب، وعن وهب بن منبه قال لهم: ﴿وَما لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي...﴾ إلى قوله: ﴿فاسمَعُونِ﴾ وثبوا وثبة رجل واحد فقتلوه واستضعفوه لضعفه وسقمه، ولم يكن أحد يدفع عنه.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود كان يقول: وطِئوه بأرجلهم حتى خرج قُصْبه من دُبُره.

القول في تأويل قوله تعالى:

﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ (٢٦) بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ (٢٧)﴾.

يقول تعالى ذكره: قال الله له إذ قتلوه كذلك فلقيه: ﴿ادْخُلِ الجَنَّةَ﴾ فلما دخلها وعاين ما أكرمه الله به لإيمانه وصبره فيه ﴿قالَ يا لَيتَ قَوْمي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لي رَبّي﴾ يقول: يا ليتهم يعلمون أن السبب الذي من أجله غفر لي ربي ذنوبي، وجعلني من الذين أكرمهم الله بإدخاله إياه جنته، كان إيماني بالله وصبري فيه، حتى قتلت، فيؤمنوا بالله ويستوجبوا الجنة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك:

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني ابن إسحاق، عن بعض أصحابه أن عبد الله بن مسعود كان يقول: قال الله له: ادخل الجنة، فدخلها حياً يُرزق فيها، قد أذهب الله عنه سقم الدنيا وحزنها ونصبها، فلما أفضى إلى رحمة الله وجنته وكرامته ﴿قالَ يا لَيتَ قَوْمي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ رَبّي وَجَعَلَني مِنَ المُكْرَمِينَ.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الجَنَّةِ﴾ فلما دخلها ﴿قالَ يا لَيتَ قَوْمي يَعْلَمُونَ بِما غَفَرَ لي رَبّي وَجَعَلِني مِنَ المُكْرَمِينَ﴾ قال: فلا تلقى المؤمن إلاَّ ناصحاً، ولا تلقاه غاشاً، فلما عاين ما عاين من كرامة الله ﴿قالَ يا لَيتَ قَوْمي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لي رَبّي وَجَعَلَني مِنَ المُكْرَمِينَ﴾ تمنى على الله أن يعلم قومه ما عاين من كرامة الله، وما هجم عليه.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء، جميعاً عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ﴾ قال: قيل: قد وجبت له الجنة قال ذاك حين رأى الثواب.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا مؤمل، قال: ثنا سفيان، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد ﴿قِيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ﴾ قال: وجبت لك الجنة.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا حَكّام، عن عنبسة، عن محمد بن عبد الرحمن، عن القاسم ابن أبي بَزّة، عن مجاهد ﴿قِيلَ ادْخُلِ الجَنَّةَ﴾ قال: وجبت له الجنة.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى، عن سفيان، عن عاصم الأحول، عن أبي مجلز، في قوله: ﴿بِمَا غَفَرَ لي رَبّي﴾ قال: إيماني بربي، وتصديقي رسله، والله أعلم.

تمّ الجزء الثاني والعشرون، من تفسير الإمام محمد بن جرير الطبريّ

ويليه الجزء الثالث والعشرون

وأوله: القول في تأويل قوله تعالى: وَما أنْزَلْنا على قَوْمِهِ

محتوى الجزء الثاني والعشرون من تفسير الطبري

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	سورة الأحزاب	
٣١	ومن يقنت منكنّ لله ورسوله	٥
٣٢	يا نساء النبي لستنّ كأحد من النساء	٦
٣٣	وقَرْن في بيوتكنّ ولا تبرّجن	٦
٣٤	واذكرْنَ ما يتلى في بيوتكنّ	١٤
٣٥	إنّ المسلمين والمسلمات	١٤
٣٦	وما كان لمؤمن ولا مؤمنة	١٦
٣٧	وإذ تقول للذي أنعم الله عليه	١٨
٣٨	ما كان على النبي من حرج فيما	٢٠
٣٩	الذين يبلغون رسالات الله	٢١
٤٠	ما كان محمد أبا أحد من رجالكم	٢١
٤١	يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله	٢٢
٤٢	وسبحوه بكرة وأصيلا	٢٢
٤٣	هو الذي يصلي عليكم وملائكته	٢٢
٤٤	تحيتهم يوم يلقونه سلام	٢٢
٤٥	يا أيها النبيّ إنا أرسلناك شاهدا	٢٤
٤٦	وداعيا إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً	٢٤
٤٧	وبشر المؤمنين بأن لهم من الله	٢٤
٤٨	ولا تطع الكافرين والمنافقين	٢٤
٤٩	يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم	٢٥
٥٠	يا أيها النبيّ إنا أحللنا لك أزواجك	٢٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥١	تُرجى من تشاء منهن	٣١
٥٢	لا يحلّ لك النساء من بعد	٣٥
٥٣	يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا	٤١
٥٤	إن تبدوا شيئاً أو تخفوه	٥٠
٥٥	لا جناح عليهنّ في آبائهنّ	٥٠
٥٦	إنّ الله وملائكته يصلون على النبيّ	٥٢
٥٧	إن الذين يؤذون الله ورسوله	٥٣
٥٨	والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات	٥٣
٥٩	يا أيها النبيّ قل لأزواجك	٥٥
٦٠	لئن لم ينته المنافقون	٥٧
٦١	ملعونين أينما ثُقفوا	٥٧
٦٢	سنة الله في الذين خَلَوا من قبل	٥٩
٦٣	يسألك الناس عن الساعة	٥٩
٦٤	إن الله لعن الكافرين وأعدّ لهم سعيرا	٥٩
٦٥	خالدين فيها أبداً لا يجدون وليا	٥٩
٦٦	يوم تقلّب وجوههم في النار	٦٠
٦٧	وقالوا ربنا أنا أطعنا سادتنا	٦٠
٦٨	ربنا آتهم ضعفين من العذاب	٦٠
٦٩	يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا	٦١
٧٠	يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله	٦٣
٧١	يصلح لكم أعمالكم	٦٣
٧٢	إنا عرضنا الأمانة على السموات	٦٤
٧٣	ليعذب المنافقين والمنافقات	٦٩

تفسير سورة سبأ

١	الحمد لله الذي له ما في السموات	

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢	يعلم ما يلج في الأرض	٧١
٣	وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة	٧٢
٤	ليجزي الذين آمنوا وعملوا الصالحات	٧٣
٥	والذين سَعوا في آياتنا معاجزين	٧٤
٦	ويرى الذين أوتوا العلم	٧٤
٧	وقال الذين كفروا هل ندلكم	٧٥
٨	أفترى على الله كذبا	٧٦
٩	أفلم يروا إلى ما بين أيديهم	٧٧
١٠	ولقد آتينا داود منا فضلاً	٧٨
١١	أن اعمل سابغات وقدر في السرد	٧٨
١٢	ولسليمان الريح غدوّها شهر	٨٢
١٣	يعملون له ما يشاء من محاريب	٨٤
١٤	فلما قضينا عليه الموت	٨٨
١٥	لقد كان لسبأ في مسكنهم آية	٩٢
١٦	فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم	٩٤
١٧	ذلك جزيناهم بما كفروا	٩٤
١٨	وجعلنا بينهم وبين القرى	١٠٠
١٩	فقالوا: ربنا باعد بين أسفارنا	١٠٢
٢٠	ولقد صَدَّق عليهم إبليس ظنه	١٠٤
٢١	وما كان له عليهم من سلطان	١٠٦
٢٢	قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله	١٠٦
٢٣	ولا تنفع الشفاعة عنده	١٠٧
٢٤	قل من يرزقكم من السموات	١١٢
٢٥	قل لا تسألون عما أجرمنا	١١٤
٢٦	قل يجمع بيننا ربنا	١١٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٧	قل أروني الذين ألحقتم به	١١٥
٢٨	وما أرسلناك إلا كافة	١١٥
٢٩	ويقولون متى هذا الوعد	١١٥
٣٠	قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه	١١٥
٣١	وقال الذين كفروا لن نؤمن	١١٦
٣٢	قال الذين استكبروا	١١٦
٣٣	وقال الذين استُضْعفوا	١١٧
٣٤	وما أرسلناك في قرية من نذير	١١٨
٣٥	وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً	١١٨
٣٦	قل: إن ربي يبسط الرّزق	١١٨
٣٧	وما أموالكم ولا أولادكم	١١٩
٣٨	والذين يسعَون في آياتنا	١٢١
٣٩	قل إن ربي يبسط الرّزق	١٢١
٤٠	ويوم يحشرهم جميعاً	١٢١
٤١	قالوا سبحانك أنت ولينا	١٢١
٤٢	فاليوم لا يملك بعضكم لبعض	١٢٢
٤٣	وإذا تتلى عليهم آياتنا	١٢٢
٤٤	وما آتيناهم من كتب يدرسونها	١٢٢
٤٥	وكذب الذين من قبلهم	١٢٢
٤٦	قل إنما أعظكم بواحدة	١٢٤
٤٧	قل ما سألتكم من أجر	١٢٥
٤٨	قل إن ربي يقذف بالحقّ	١٢٥
٤٩	قل جاء الحقّ	١٢٥
٥٠	قل إن ضَلَلْت فإنما أضلّ على نفسي	١٢٦
٥١	ولو ترى إذ فزعوا	١٢٦

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٥٢	وقالوا آمنا به	١٢٩
٥٣	وقد كفروا به من قبل	١٣٢
٥٤	وحِيل بينهم وبين ما يشتهون	١٣٣

تفسير سورة فاطر

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	الحمد لله فاطر السموات والأرض	١٣٦
٢	ما يفتح الله للناس من رحمة	١٣٧
٣	يا أيها الناس اذكروا نعمة الله	١٣٨
٤	وإن يكذّبوك فقد كذّبت رسل	١٣٨
٥	يا أيها الناس إن وعد الله حقّ	١٣٨
٦	إن الشيطان لكم عدوّ	١٣٩
٧	الذين كفروا لهم عذاب شديد	١٤٠
٨	أفمن زين له سوء عمله	١٤٠
٩	والله الذي أرسل الرياح	١٤١
١٠	من كان يريد العزّة	١٤٢
١١	والله خلقكم من تراب	١٤٤
١٢	وما يستوي البحران	١٤٦
١٣	يولج الليل في النهار	١٤٧
١٤	إن تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم	١٤٩
١٥	يا أيها الناس أنتم الفقراء	١٥٠
١٦	إن يشأ يذهبكم	١٥٠
١٧	وما ذلك على الله بعزيز	١٥٠
١٨	ولا تزر وازرة وزر أخرى	١٥٠
١٩	وما يستوى الأعمى والبصير	١٥٢
٢٠	ولا الظلمات ولا النور	١٥٢
٢١	ولا الظلّ ولا الحَرور	١٥٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٢	وما يستوي الأحياء ولا الأموات	١٥٢
٢٣	إن أنت إلا نذير	١٥٢
٢٤	إنا أرسلناك بالحقّ بشيراً	١٥٤
٢٥	وإن يكذّبوك فقد كذّب	١٥٤
٢٦	ثم أخذت الذين كفروا	١٥٤
٢٧	ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء	١٥٥
٢٨	ومن الناس والدوابّ والأنعام	١٥٥
٢٩	إن الذين يتلون كتاب الله	١٥٦
٣٠	ليوفيهم أجورهم، ويزيدهم	١٥٦
٣١	والذي أوحينا إليك من الكتاب	١٥٧
٣٢	ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا	١٥٨
٣٣	جنات عدن يدخلونها	١٦٢
٣٤	وقالوا الحمد لله الذي أذهب	١٦٢
٣٥	الذي أحلنا دار المقامة	١٦٥
٣٦	والذين كفروا لهم نار جهنم	١٦٥
٣٧	وهم يصطرخون فيها	١٦٦
٣٨	إن الله عالم غيب السموات والأرض	١٦٨
٣٩	هو الذي جعلكم خلائف في الأرض	١٦٥
٤٠	قل أرأيتم شركاءكم	١٦٩
٤١	إن الله يمسك السموات والأرض	١٧٠
٤٢	وأقسموا بالله جهد أيمانهم	١٧١
٤٣	استكباراً في الأرض	١٧١
٤٤	أو لم يسيروا في الأرض	١٧٣
٤٥	ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا	١٧٣

الآية	الآية المفسرة	الصفحة

تفسير سورة يسٓ

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١	يسٓ	١٧٥
٢	والقرآن الحكيم	١٧٥
٣	إنك لمن المرسلين	١٧٥
٤	على صراط مستقيم	١٧٥
٥	تنزيل العزيز الرحيم	١٧٦
٦	لتنذر قوماً ما أنذر أباؤهم	١٧٧
٧	لقد حقّ القول على أكثرهم	١٧٧
٨	إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً	١٧٨
٩	وجعلنا من بين أيديهم سدّا	١٧٨
١٠	وسواء عليهم ءأنذرتهم	١٨٠
١١	إنما تنذر من اتبع الذكر	١٨٠
١٢	إنا نحن نحي الموتى	١٨١
١٣	واضرب لهم مثلاً	١٨٣
١٤	إذ أرسلنا إليهم اثنين	١٨٣
١٥	قالوا: ما أنتم إلا بشر مثلنا	١٨٤
١٦	قالوا: ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون	١٨٥
١٧	وما علينا إلا البلاغ المبين	١٨٥
١٨	قالوا: إنا تطيرنا بكم	١٨٥
١٩	قالوا: طائركم معكم	١٨٥
٢٠	وجاء من أقصى المدينة	١٨٥
٢١	اتبعوا من لا يسألكم أجرا	١٨٥
٢٢	ومالي لا أعبد الذي فطرني	١٨٨
٢٣	ءأتخذ من دونه آلهة	١٨٨
٢٤	إني إذا لفي ضلال مبين	١٨٨

الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٢٥	إني آمنت بربكم فاسمعون	١٨٨
٢٦	قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي	١٩٠
٢٧	بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين	١٩٠